الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ
تخصص تاريخ حديث

الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني
1518- 1830

من : تحت إشراف :
إعداد
الطالب إسماعيل جودي
الدكتور مختار حساني

السنة الجامعية8 :200 / 9200

المقدمـــــة

لقد كان السلاح في كل الأزمان أداة استعملها الإنسان لضمان أمنه والدفاع عن نفسه وتجنب الأخطار التي قد تودي بحياته. وقد اختلفت وتطورت أنواع الأسلحة مع مرور التاريخ حسب الظروف والحاجة. كما تنوعت مصادر اكتساب الإنسان لهذه الأسلحة، فإن تَعَذَّرَ توفيرها بالاستيراد وعن طريق الغنيمة أو بطرق أخرى، فقد لجأ إلى تصنيعها في عين المكان. ما يجعله في مأمن عن التبعية الأجنبية و بذلك يضمن له الاكتفاء الذاتي.

لذا أصبحت في التاريخ المعاصر كل دولة تُدرج ضمن برنامجها التنموي الوسائل الكفيلة، التي تساعد على إقامة صناعة عسكرية، توفر لمواطنيها الأسلحة الضرورية على الدوام، لكي يتسنى لهم بواسطتها، الدفاع عن الوطن وعن ثوابته والتكفل باستتباب الأمن والسلم المدني داخله، ولتكون ردعية لكل من تسوِّله نفسه بالاعتداء أو المغامرة. فتحتل هذه الدولة، بما تمتلكه من قدرة عسكرية بجيشها وتسليحها، مكانة مرموقة في المحفل الدولي، وقوة يُحسب لها ألف حساب. وأحسن دليل على ذلك، ما نستنبطه من واقع عالمنا اليوم، بحيث آلت شئونه كلها لعصبة من الدول العظمى، تحيطه من جميع الجوانب.

فأصبحت الدول العظمى تُسَيْطِرُ على الدول الضعيفة، بكل ما أوتيت من وسائل اقتصادية وسياسية ومالية، وكانت الوسيلة العسكرية هي السطوة الأشد والأمر على الشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها، فيُطَبَّقُ عليها سياسة الجزرة والعصا المتمثلة في الإغراء تارة والتهديد تارة أخرى، فيُفرض عليها ما لا تطيق ولا تحتمل. وعندما أدركت أن البعض من هذه الدول أصبحت تفكر في إقامة الصناعة العسكرية واقتناء الأسلحة الإستراتيجية، فإن الدول الغربية مانعت ذلك، ووضعت كل العراقيل والعقبات بالحضر والحصار في وجه كل محاولة، بحجة أنها تمثل خرقاً وانتهاكاً للقانون الدولي الذي يقتضي الحد من التسلح و إيقاف السباق نحوه، وهي في الحقيقة، مجرد ذريعة لتجريد الشعوب من كل نوع من التصدي والمقاومة، والاستمرار في إحكام هيمنتها وسيطرتها على العالم.

أما في العصر الحديث، فإن الصناعة العسكرية كانت تحتل نفس الأهمية والمكانة، لكنها لم تكن بنفس الحدة والخطورة، لأنها لم تصل بعد إلى التطور والنماء الضروريَيْن لبلوغ الشمولية الراهنة، فكانت التكنولوجية العسكرية ما زالت في طور النشأة والتكوين. كما أن التباين بين الدول في هذا المجال لم يصل إلى مثل المستوى الذي بلغه في الآونة الراهنة، فكان يسود العالم نوع من التوازن بين القوى الفاعلة على مسرح الأحداث بين الشرق والغرب.

وقد كانت الدولة العثمانية ودول أوربا الغربية المسيحية تتصارعان على سيادة الحوض المتوسط وتحاولان فرض سيطرتهما عليه. وكانت كل واحدة منهما تسعى لكسب المزيد من التقنيات في الصناعة العسكرية، غير أن الغرب المسيحي كان أكثر حظاً في اكتساب النصيب الأوفر منها،

لأن الثـورة الصـناعية والحركة العلمية والاجتماعية الـتي حـدثت في أوربـا، كـان له الـدور الأساسي والعامل الرئيسي في دفع بعجلة التطـور والتنمية في كل الميادين نحو الأمام، وكان تطوير الأوربيين للأسلحة يُشَـكِّلُ محـوراً هاماً ضمن مشاريع البناء والتشييد. بينما كـان الوضع مختلفا مع العثمـانيين الـذين اكتفـوا بالتقليد والعمل بـالطرق القديمة الـتي تجاوزها الـزمن، فلم يواكبــوا ركب التطــور العلمي ولم يطبقــوا القــوانين والقواعد المعرفية الجديدة إلا نادراً.

و الجزائر آنذاك التي كـانت جـزءاً من الدولة العثمانية وقلعة شـامخة في الجهة الغربية للبحر الأبيض المتوسط في وجه العـــــــــــدو الأوربي المسيحي، تبذل قصارى جهدها لمقاومة ومحاربة العدوان الصليبي المتكرر والمسـتمر على المغـرب الإسـلامي منذ القـرن 16 إلى القـرن 19م دون انقطاع. فحـاولت طـوال هـذه المـدة، الـتزوُّد بالسـلاح الملائم والضـروري بصـفة مسـتدامة، بوضع أسس صـحيحة لصـناعة عسـكرية، تُصَـنِّعُ بقـدر الإمكان أحدث الأسلحة وأجودها.

وقد جاء في هذا البحث عنوان" الصـناعة العسـكرية في الجزائر في العهد العثماني (1518م-1830م) " ولم يكن اختيارنا لهذا العنوان جزافاً بل كان بتمعن وتفكير، آخذاً بعين الاعتبار كل كلمة وردت فيه، فالصناعة كلمة مفردة ومرادها جـامع وشـامل، حـتى ولو أن المقصـود منها ليس المعـنى المعاصر لها الـذي يتمـيز بالشـمولية والانتظـام ولكنه بـالمعنى التعـددي والنوعي الذي كان يطبع الصناعة في الفترة الحديثة. والصفة "العسكرية" تبين النوعية التي اختصت بها هذه الصـناعة والموجهة للاسـتعمال الحـربي للجيش البري والبحرية الجزائرية، أما الفـترة الزمنية 1518م-1830م فهي تـوازي العهد العثمـاني في الجزائر الـذي بـدأ بإلحـاق بلاد الجزائر بالخلافة العثمانية بايسطنبول على يد خير الدين سنة 1518م.

فقد كــان هــذا البحث وما يحمله من دلالات ومعــاني ومعطيــات، ليجيب على التسـاؤل، فيما إذا كـانت الصـناعة العسـكرية في الجزائر قد ســاهمت وبفعالية في تقوية وتعزيز الجيش الجزائــري الــبري والبحــري، وتزويد صـفوفه كمـاً ونوعـاً بالأسـلحة البيضـاء والأسـلحة النارية الخفيفة والثقيلة والقطع البحرية بصفة منتظمة، بالنظر إلى التحـديات الـتي كـانت تنتظرها لإقامة دولة حديثة ذات سيادة شرعية ضـمن الحـدود الـتي ورثتها من الفـــترة القديمة إلى الفـــترة الإســـلامية بما يُعـــرفُ بـــالمغرب الأوسط.)انظر، خ 01) وكان عليها، لتحقيق ذلك، اكتساب الوسـائل الموصـلة إلى توفـير السـلاح لكي تقـوم بعملية الـدفاع عن الـوطن من الاعتـداءات الأوربية المتكررة، منذ سـقوط الأنـدلس في أيـدي الأسـبان سـنة 1492م، وتُعَزِّزَ استقلالها وسيادتها على كامل أراضـيها وتحافظ على الأمن والسـلم المـدنيين للمجتمع الجزائـري ؟ وما مـدى قسط مشـاركة هـذه الصـناعة، بالمقارنة مع المصادر الأخرى، في تموين القوة العسكرية للبلاد بالسلاح ؟ وهل كـان اسـتعداد المسـئولين الجزائـريين والإرادة الـتي تغمـرهم، كافية

للمضي قـدماً بالصـناعة العسـكرية، رغم الصـعوبات الطبيعية والعراقيل المفتعلة التي تحول دون تحقيقها أو السـير الحسن لهـا، للعلم أنهم قـاموا بتنويع مصادر تسليح البحرية و الجيش البري، على غرار ما كانوا يشـترونه من أسـلحة في الخـارج وما يغنمونه في ميـادين المعـارك، مما جعلهم يقومون بالاعتناء بمثل هـذه الصـناعة وتطويرها وما كـان هـدفهم في ذلك سوى السعي وراء كسب أتقن وأحـدث الأسـلحة وضـمان الاكتفـاء الـذاتي في السلاح على الخصوص؟

وكـانت جملة هـذه التسـاؤلات تنـدرج ضـمن الأسـباب الـتي دفعتـني لاختياري هذا الموضوع إلى جانب الدوافع الأخرى الـتي يمكن تلخيص فيما يلي:

- الصلة الوطيدة لموضوع "الصناعة العسكرية" بالوظيفة الـتي أقـوم بهـا، كباحث في التاريخ بالمتحف المركزي للجيش، لعل هذا العمل البسـيط قد يعـود بالفائـدة على هـذا الصـرح التـاريخي الوطـني الكبـير ولو بالشـيء الضئيل.

- لم يـولي البـاحثون الجزائريـون بالموضـوع اهتماما كبـيرا، نظـرا لقلة الدراسات الوافرة، اللهم إلا بعض ما جاء في الفصول من بعض المؤلفـات الغير ملمة للموضوع ولا تقوم بخدمته بصـفة مباشـرة. وقد يكـون السـبب الرئيسي في ذلـك، عـدم تـوفر المصـادر المحلية أو الأجنبية المحيطة بالمسألة، وربما هذا راجع للطمس والإتلاف الذي تعـرض له تـاريخ الجزائر من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية منذ سنة 1830م، لكون الموضوع ذا محتـوى عسـكري، يُمجِّدُ التواجد العثمـاني بـالجزائر بالدرجة الأولى، ما كان يعارض مواقف وأهداف الاستعمار الفرنسي.

إن المصادر الموضوعة تحت تصرُّفنا، علاوة على نُدرتها، فإنها عبـارة عن مقتطفـات متنـاثرة هنا وهنـاك، يَصْـعُبُ دراسـتها للخـروج منها بنتـائج مرضية، خاصة وأن موضوع الصناعة العسكرية هو حسـاس وشـاق في آن واحـد، غـير أننا حاولنا توظيفها وبلـورة معطياتها في نص كامل ومتكامل حيث تتضح وتنكشف بعض جوانبه الغامضـة. ويمكن تصـنيفها إلى مصـادر محلية ومصادر أجنبية، نذكر منها ما يلي:

1) المحفوظـات الوطنيـة: إن بعض الوثـائق المسـتغلة والموجـودة ضـمن المجموعـات تحت رقم 3190 و3205 و3206 والمؤرخة فيما بين 1805م و1829م والمحفوظة بالمكتبة الوطنيـة، هي في غالبتها عبـارة عن رسـائل من بايـات الشـرق في قسـنطينة وبعض شـيوخ القبائل إلى وكيل الباسـتيون الفرنسي في القالـة. وبها بعض الرسـائل من الباشـاوات في الجزائر إلى أغـوات النوبة في القل وعنابـة، ومنها فرمانـان سـلطانين موجهان إلى الداي حسين باشا. ومن هـذه المجموعـات والأخـرى الـتي لم يحصل استغلالنا لها، بعضـها فقط وثـائق أصـلية، أما أغلبها فهي منقولة عن أصول مفقـودة. وكـان الفضل في إنجـاز هـذا العمل الجبـار بجمع الوثـائق وتصنيفها في مجموعات وترقيمها وفهرستها، الدكتور خليفة حماش، أسـتاذ

بجامعة "الأمـير عبد القـادر" الإسـلامية بقسـنطينة والـذي أعطـاه عنـوان" كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بـالمكتبتين الوطنيـتين في الجزائر وتونس". وتم نشـره في "المجلة التاريخية العربية للدراسـات العثمانية"، العدد الثالث عشر والرابع عشر، منشـورات" مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومـات، زغـوان، أكتـوبر1996، من صـفحة 286 إلى 448، ويحمل في طياته أيضا، إلى جانب المجموعة 1641، عدة مجموعات أخرى، منها المجموعات 1642، 1903، 2316، 3190، 3203، 3204، 3205، 3206، 3207.

وتتضمن أيضاٌ بعض الوثـائق من مجموعة "مهمه دفـتري" الموجـودة بالأرشيف الوطني بـالجزائر العاصـمة، والمجموعة تلك هي كل ما دُوِّنَ من الفرمانـات الصـادرة عن السـلاطين العثمـانيين وعن الـديوان الهيمـايوني (مجلس الوزراء) فيما يخص أمـور الدولـة. فكـان هـذا النـوع من المصـادر بمثابة وعاء اغترفت منه ما يفيد الموضوع رغم قلتها.

2) المخطوطات: لقد كان كتاب ابن أحمد غـانم الأندلسي (إبـراهيم) بعنـوان: "العز والمنـافع للمجاهـدين في سـبيل الله بالمـدافع"، مخطـوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1511، مفيداً جدًّا إذ أمدنا برسومات وأشـكال مضـبوطة للمـدافع، أوردنا البعض منهـا، وهي مرفقة في فهـرس الرسـوم والأشـكال. كما شـغل أيضـاً كتـاب إبن أرنبغا الزردكـاش تحت عنـوان: " كتاب الأسـلحة، قبيل 774هـ-775هـ/1383م"، نشـره فـؤاد سـزكين، معهد تـاريخ العلـوم العربية الإسـلامية في جامعة فرانكفـورت/ألمانيـا، 2004م، طبع بالتصوير عن مخطـوط مكتبة طوبقـابي سـراي باسـتانبول بمجموعة أحمد الثالث، 34295 الأوراق 15أ-59 أ) حيزاً في مـدخل بحثنا هـذا، بحيث أفادنا بأخبار السلاح الناري عند ظهوره وقبيل العهد العثماني.

3) مصـادر ما قبل 1830م: لقد وجـدنا في هـذا الصـنف من المراجع ثـراء في المعطيـات التاريخية والثقة في المعلومـات إذ أنها صـدرت في الفترة ذاتها، وأن بعض مؤلفيها عايشـوها بجـوارحهم، وكـانت تُمثل جـزء لا بأس به لمجموع المصادر التي اعتمدنا عليها، وهي تنقسم إلى قسم عربي وقسم باللغة الفرنسـية. أما عن المصـادر المكتوبة باللغة العربيـة، نـذكر البعض منهـا: وصف إفريقيا لحسن الـوزان، غـزوات عـروج وخـير الـدين، رحلة ابن حمادوش الجزائـري، الثغر الجمـاني في ابتسـام الثغر الـوهراني لابن سحنون، مذكرات الحـاج أحمد الشـريف الزهـار، المـرآة لحمـدان بن عثمان خوجة، وغيرها. وعن المصادر المكتوبة بالفرنسية وهي في مجملها نابعة من رحالة ودبلوماسـيين ورجـال الـدين وجواسـيس، ولعل أهم ممن أفادونا كثيراً في هذا الموضوع: البندكتي الأسباني فراي دياغو دي هايـدو، وبيـير دان، ولوجـيي دي تاسـي، والجاسـوس بوتـان، والقنصل شـالر، والدكتور الطبيب الإنجليزي شاو، وغيرهم.

4) مصـادر ما بعد 1830م: وانحصـرت في الدراسـات العلمية الـتي ظهـرت في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر كـالتي قـام بها روزي، ودي

غرامـون، وفـيرو، ودي فـولكس، وآخـرون. والجـدير بالـذكر أن هـؤلاء المهتمين بكتابة تاريخ الجزائر آنـذاك، وأغلبهم فرنسـيون، يعملـون لصـالح الإدارة الاسـتعمارية الفرنسـية، كـانت تُحَـرِّكهم نزعة عدائية إزاء الجزائـر، وبالتالي يجب على الدارس أو الباحث التوخي بالحيطة والحـذر والتحـري عند تناولهـــا. ومن أهم ما يمكن ذكـــره أيضـــاً، ما قدمته لنا المجلات المتخصصة في تــاريخ الجزائــر، كالمجلة الإفريقية من مواضــيع متنوعة ومتعددة مع عدة مؤلفين.

وقد سـمحت مجموعة هـذه المصـادر اسـتقاء معلومـات مفيـدة، واستعمال خطة ومنهجية مواتية مع هذا الصـنف من الدراسـات التاريخيـة، وتطبعها مقاربة الإطـــار التقـــني أو الفـــني الـــذي يعتمد على التعريف بالوظائف التي تؤديها هذه الأسلحة وعلاقتها بالتركيبة التقنية التي تتشـكل من مختلف الأجهــزة والأجــزاء، دون التعمق فيهــا، ويكــون على شــكل بطاقات فنية لبعض الأسلحة أو القطع البحرية، فهو ميدان يكـون عامة من اختصــاص بــاحث الآثــار. بالإضــافة إلى المقاربة التاريخية المهيمنة على النطـاق العـام للبحث، والـتي تـدور حـول الموضـوع من كل جـانب، وكـان الهــدف منهــا، إثــارة الظــروف والأجــواء والأطر السياســية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية المحيطة بشأن الأسـلحة وصـناعتها في الجزائر في الفترة الحديثـة، ويتم خلالها كـذلك، دراسة الأسـباب والـدوافع المسـاعدة على إقامة الصـناعة العسـكرية أو إعاقتها أو انعـدامها والنتـائج الـتي تنجم عنها.

لقد واجهتني أثناء إعـدادي لهـذا البحث عـدة صـعوبات، أهمهـا: قلة المصادر والمراجع التي تسلط الضوء على موضوع الصـناعات العسـكرية، فيصعب الوصـول إلى المبتغى المنشـود. وكـذلك انعـدام وجـود قـواميس عربيــة، تضم ترجمة للمصــطلحات المتعلقة بالأســلحة، النارية والبيضــاء والســفن الحربيــة، مما جعل عملية الوصف التقـني لها عسـيرة نوعـاً ما وعويصة الفهم والشـــرح. وبالمقابـــل، يصـــبح اســـتعمال القـــواميس والموسوعات باللغة الفرنسية أمراً محتوماً، فَيَسْتَوْجِبُ لذلك، اللجــوء إلى ترجمة مصطلحاتها، ما يزيد من متاعب الدارس للموضوع. وتجدر الإشارة إلى أنــني اســتفدت كثــيراً من ما جــادت به لي كل من مركز الأرشــيف الوطــني والمكتبة الوطنيــة، ولكن من دون اســتغلال المصــادر الوثائقية المكتوبة باللغة العثمانية المتواجدة بهما، والـتي تتضـمن، مما لا ريب فيـه، غـزارة في المعطيـات التاريخية والمعلومـات الخاصة بالعهد العثمـاني في الجزائر وفيما يخص موضوعنا بعينه.

وفيما يتعلق بمحتــوى الدراسة، فــإنني اهتــديت إلى خطة الأقســام والفصول التي تحتوي عل قسمين وكل قسم يشتمل على فصول، حاولت فيها الإجابة على عدة تساؤلات في إطـار الإشـكالية العامـة. وارتـأيت إلى تجزئة البحث إلى قسمين: الأول، يتناول صناعة الأسلحة بمفهوم الأسـلحة التي يستعملها الإنسان بشـكل مباشر كالسـيوف والبنـادق والمـدافع على

سـبيل المثـال، فهو يحتـوي على فصل للأسـلحة البيضـاء وآخر للأسـلحة النارية. والقسم الثاني يتضـمن صـناعة السـفن الحربية لأنـني اعتـبرت أن السـفينة بمثابة سـلاح من اسـتعمال غـير مباشـرة للإنسـان، ويحمل أربعة فصـول منهـا: بنـاء السـفن ودار الصـناعة، ثم السـفن الحربيـة، وتمـوين الصــناعة الحربية بالعتــاد، فاســتغلال الخشب والكرســته. وفي الأخــير، الخاتمة وبعض النتائج التي توصلت إليها.

ويضـاف إلى ذلـك، مقدمة ومـدخل إلى تـاريخ الصـناعة العسـكرية واســتعراض بعض المحطــات الهامة منذ الفــترة القديمة إلى الفــترة الإسـلامية، بـالتطرق إلى تـاريخ المعـادن وتقـديم نبـذة قصـيرة، توضح لنا الشأن العظيم الـذي كـان لها في صـناعة الأسـلحة عـبر التـاريخ. وركـزت بشكل خاص على فترة أواخر العصـور الوسـطى الـتي اتسـمت بالانتقالية واعتُـبرت مرحلة وسـطى، تحـولت فيها عـدة مفـاهيم ومبـادئ حضـارية وثقافية وسياسية، ومنها بزغ عصر النهضة الأوربية التي وضـعت أوربا على الواجهة وأصـبحت تحتل الصـدارة على مسـرح الأحـداث. كما ظهـرت في نفس الفـترة، قـوة سياسـية تمثلت في الدولة العثمانية الـتي بـرزت على ضفاف البحر الأبيض المتوسط لتدخل في تنـافس وصـراع طويل مع أوربا المسيحية. وفي هـذه الفقـرة، أشـرت إلى مختلف الصـناعات العسـكرية، بـدء بصـناعة الأسـلحة البيضـاء. وقد ذكـرت فيها أنها كـانت تشـكل إحـدى الاهتمامــات الأساســية لــدى القــادة المســلمين، فقد تفنّن الحــدّادون المسـلمون فيهـا، وأعطـوا لها طابعها الخـاص، إلى درجة أنهم ابتكـروا فن دمشقة السيوف، بالإضافة إلى تقنيات أخرى لم تُعرف في مكــان آخر من العالم.

ثم انتقلت إلى تطور الأسلحة النارية وذكر بعض مراحلها: فمن النار الإغريقية إلى اكتشاف البارود والتنويه بفضل العرب المسلمين في تحويل البارود من مادة مفرقعات للمناسبات السعيدة إلى مادة ذات قوة طاردة، بإمكانها قذف الحجـارة والقطع الحديدية وغيرها إلى أبعد الأمـاكن، فكـانوا بحق هم المكتشــفون للأســلحة الناريــة. ثم وصــلت إلى تنــاول اخــتراع الأسلحة النارية على الشكل الحديث الذي اتخذته، والتطـرق إلى المعركة الـتي دارت بـأرض المغـرب الإسـلامي بين متخاصـمَيْنِ مسـلمَيْنِ، والـتي استُعملت خلالها ولأول مرة الأسلحة النارية. ومن غرائب الصدف، أن من الملاحظين الذين شـاهدوا أحـداثها، نبلاء إنجلـيز، الـذين حملـوا معهم هـذا الاكتشاف عند عودتهم إلى بلادهم. وهكـذا بعد أربع سـنوات، احتـدمت بين الإنجليز والفرنسيين معركة كريسي سنـة 1346م، واستعمل الإنجلـيز فيها هذا السلاح الجديد.

ثم يلي، تطور صناعة المدفعية تماشـياً مع تشـييد الحصـون والقلاعٌ، وظهور البنـادق والمسدسـات بمختلف أنواعها ثم الـذخيرة وتنوُّعها حسب عيارات الأسلحة النارية المبتكرة الجديدة والمتعددة. وجاء تطـور السـفن الحربية تزامناً مع اكتشاف الأسـلحة النارية والمدفعية معـاً، وظهـور آلات

الملاحة البحرية، مما ساعد على صناعة أشكال جديدة من السفن الحربية ذات المجاديف والسفن الشراعية.

ولـدى استعراضي لفصـول القسم الأول للبحث، تعمـدت إلى تقـديم ومباشرة فصل صناعة الأسلحة البيضاء في البداية قبل الفصـول الأخـرى، ذلك لأنني اعتـبرت أن الأسـلحة البيضـاء تحتل كرونولوجيـاً المرتبة الأولى في تاريخ النشـأة. وتعرضت في هـذا الفصل إلى مقارنة الأسـلحة البيضـاء بالأسلحة النارية، والصـراع الـذي نشب بينهما في احتلال الصـدارة، خاصة في عصر النهضة وفي مرحلة نشوء الأسلحة النارية. وكـان هـذا النـوع من الصناعة منتشراً عبر كامل الـوطن، وكـان الحـدادون يصـنعون أنواعـاً من السيوف التركية العثمانية والعربية والسيوف المحلية.

وفي الفصل الثاني المخصص لصناعة الأسلحة النارية، الـذي قسـمته إلى الأسـلحة النارية الخفيفة والمـدافع، والـذخيرة، تنـاولت هيئـات صُـناع الأسلحة النارية الخفيفة والحرفيين الأندلسيين في تنشيط هـذه المهنة في مدينة الجزائر وباقي مناطق الوطن، والأنواع التي كانت تُصـنع فيهـا، وكـذا الطـابع التجـاري الـذي مَيَّزَ هـذه الصـناعة. وفي محـور المـدافع، بـدأت بالمعادن المتنوعة المستخرجة من مناجم مختلف أنحاء البلاد، والتي تدخل في صـناعة المـدافع، ثم ذكـرت مصـنع سـبك المـدافع الـذي يُعـرف بـدار النحاس في الجزائر العاصمة، والطريقة التي تتم بها صـنع المـدافع وبعض إسـهامات الأندلسـيين وبعض حكـام الجزائر في تعزيز هـذا الميـدان، ثم أبرزت بعض أشهر المدافع الجزائرية وأجملهـا. وفي آخر الفصـل، تحـدثت عن الـذخيرة ومختلف أصـنافها من الرصـاص والقـذائف وغيرها وصـناعتها عبر كامل الجزائـر، ثم عن البـارود الـذي أُعِـدَّ له مصـانع عديـدة في مدينة الجزائر وفي منـاطق أخـرى، فكـانت صـناعة البـارود فعليـاً صـناعة قائمة بذاتها في العهد العثماني.

أما القسم الثاني الذي يعـالج موضـوع صـناعة السـفن الحربيـة، فإنه تَمَحْوَرَ حـول نشـأة الصـناعة البحرية مـوازاةً مع تأسـيس الدولة الجزائرية والجهاد البحـري الـذي أصـبح مصـدر رزقها الرئيسـي، ويُعتـبر من العوامل المساعدة، بما تُجنيه الصـناعة البحرية من ورائها من مـواد أولية أساسـية. كما أنني أَلْفِتُ الانتباه إلى ما قدمه خير الـدين من أعمـال جليلة لصـالحها، ممهداً الطريق لها بذلك لتدشين دار الصناعة البحرية أو الترسـانة، لتكـون الانطلاقة الحقيقية لهذا المجال الإستراتيجي الهـام في بلادنـا. مما زاد من انتشار هذه الصناعة عبر مناطق الوطن، وساعدها على النماء أكثر.

كما أن بعض دايــات الجزائر اســتحقوا التنويه بفضــلهم الكبــير على تطوير الصـناعة البحرية من خلال ما أنجـزوه، بهـدف تزويد هـذه الصـناعة بالإمكانيات العظيمة المادية، بتنشـيط أحـواض البنـاء البحـري والبث فيها روح الحيوية بتصميم أحسن المراكب وأجودها في حوض المتوسط آنذاك، وكذلك المؤهلات المهنية، التي ساهمت في تعليم تقنيات وقـدرات حديثـة، رفعت من فعالية وقوة البحرية الجزائرية في ميادين الحروب. وأدرجنا في

هذا الفصل أيضاً، هجوم اللورد إيكسموث الإنجليزي على مدينة الجزائر سنة 1816م، الذي تسبَّبَ في تهديم الجزء الأكبر من الترسانة البحرية دون ذكر الخسائر المادية الأخرى، المتمثلة في تخريبٍ للبنية التحتية للجزائر العاصمة وإزهاقٍ أرواح الجزائريين البريئة والذي تتطلب جهداً كبيراً من طرف الحكام لاستدراك الأمر وإعادة الجزائر إلى سابق عهدها أو الأفضل.

وكان الفصل الثاني خاصّاً بالسفن الحربية، وكان قد طرأ على الصناعة البحرية تحوُّلات ليس على مستوى الشكل والبنية للسفينة فحسب، بل وعلى مستوى الفعالية والقوة كذلك. وتُعتبر مساهمة سيمون دانسر في هذا المضمار، من أفضل ما منحه هذا القرصان الفلامندي للجزائر، رغم ما أحدثه من اضطراب ونزاع بين الجزائر وفرنسا لمدة طويلة، على إثر قضية المدفعَيْنِ الجزائريَيْنِ والذي كان المتسبب الرئيسي فيها. فكانت تَخْرُجُ من أحواض البناء البحري، سفنٌ من طراز آخر وهي السفن المستديرة، التي امتازت عن غيرها بمواصفات من جميع النواحي. لقد خرجت أنواع مختلفة من سفن فريدة من نوعها ولا نظير لها من الورشات البحرية منذ البداية، والتي نجمت عن العمل الدءوب والجهود المتضافرة للجزائريين في هذه الفترة. فكانت الصناعة البحرية الجزائرية تُصَمِّمُ المراكب من جميع الأحجام، الصغيرة والكبيرة ومختلفة الحمولة، الشراعية وذات المجاديف. وكان تعداد الأسطول الجزائري يرتفع ويزيد تارة، وينخفض ويتناقص تارة أخرى، وذلك وفقاً لظروف البلاد وأحوالها، علماً بأن الدولة هي الوحيدة التي تستطيع توفير المواد الضرورية للصناعة البحرية.

لقد شَكَّلَ مجال تموين الصناعة البحرية بالعتاد، إلى جانب اليد العاملة والمهنيين، والتمويل، والإرادة السياسية، أحد العناصر الأساسية لها، والذي تم اختيارنا له كعنوان رئيسي للفصل الثالث. فكان المسئولون الجزائريون يحرصون دائماً، طيلة العهد العثماني، على توريد المواد والعتاد الضروريَيْنِ لصناعة السفن، في حالة ما إذا كانت نادرة أو معدومة محلياً، ولا يدخرون أي جهد لإحضار ما تحتاجه الترسانات البحرية. وكانت تحاط الترسانة البحرية بالعناية اللازمة بتخصيص مناطق غابية بأكملها في شرق الجزائر خاصة، لتموينها بالخشب الصالح للصناعة البحرية. فقد كانت مادة الخشب إحدى المواد الأولية الحيوية لصناعة السفن، لذا خصَّصْتُ لها فصلاً كاملاً يحمل عنوان "استغلال الخشب: الكرسته". حاولت في هذا المنوال، إبراز أهمية نظام الكرسته الذي أنشأه العثمانيون في النواحي التي تكثر فيها الأشجار الملائمة للصناعة، لكي يسهل عليهم إقامة علاقات ودية مع أعيان هاته المناطق، وبالتالي ضمان تزويد ترسانات الجزائر بهذا المورد الطبيعي بدون مشاكل. غير أن الأمر كان مختلفاً، خاصة عندما آل أمر هذا النظام إلى اليهود، الذين كان همهم الوحيد الإثراء غير المشروع و انسحاب العائلات المشرفة عليه، فأصبحت أحواله مضطربة ومذبذبة إلى

درجة أنه صـار عـديم الفائـدة ولا طائل تحتـه، إلى أن وقعت الجزائر في قبضة الاحتلال الفرنسي سنة 1830م.

والخاتمة كـانت عبـارة عن أهم النتـائج الـتي خَلُصْـتُ إليها حـول هـذا الموضوع.

وفي آخر البحث، أرفقت مجموعة من الفهارس، تدعم بعض الجوانب من الدراسة التاريخية وتزيـدها شـرحاً وإيضـاحاً، كفهـرس الأشـكال والخرائط والصور التي تعطي معلومات إضافية للنص الذي يكتسي طابعاً مادياً وأثرياً. ما يستوجب منا استعمال الصورة والشكل لتعزيز الحجج والبراهين المتوفرة في النص والابتعاد من الكلام التجريدي المحض الذي لا يُجدي نفعاً في مثل هذا النوع من الدراسات.

وكل ما أرجـوه في النهايـة، أنـني قمت بعملي في أحسن ما يُـرام، وأنني استوفيت كل ما لـدي من قـدرات ومجهـودات، للسـعي وراء البحث عن الحقيقة وإيرادها كما هي في الأصـل. ومن المؤكـد، أن هـذه المحاولة ليست هي الهـدف بذاتـه، ولكنها وسـيلة وعتبة وثب لدراسـات في المستقبل، قد تساعد الطلاب والبـاحثين في إثـراء الموضـوع أكـثر، خاصة أنه لم يُعْـطَ له الأهمية الـتي يسـتحقها إلى حد الآن، وأرجو أخـيراً، أن يجد بحـثي هـذا، حَيِّزاً على رفـوف المكتبة إن شـاء اللـه، ليكـون في متنـاول الجميع.

والله ولي التوفيق

الطالـب إسـماعيل جودي

مدخـــــل

1- نبذة عن تاريخ المعادن : إن الله تعالى سخر للإنسان نعمه وأصبغها عليه وهي لا تعد ولا تحصى, منها الحديد مصداقا لقوله تعالى:**"... وأنزلنا الحديد فيه بـأس شـديد ومنـافع للنـاس.."**[1]. فاسـتطاع الإنسان استغلال هذه المادة الأساسية وتصنيعها وتحويلها إلى أدوات يكـدح بها في حياته، ليضمن صيرورته واستمراريته فيها. لذا مكن الله (س) النبي ذي القرنين صـهر الحديد ولينه وجعله سـلاحا يـرهب به عـدو الله وعـدوه ، فتقـول الآية الكريمة في هـذا الشـأن**:"ءاتـوني زبر الحديد حـتى إذا**

[1] **سورة الحديد**، الآية 25.

ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال ءاتـوني أفرغ عليه قطرا "[1] .

منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد، عرفت الإنسانية قبل الحديد، عدة معادن منها معدن النحاس والرصـاص والقصـدير والـذهب. وكـان النحـاس أول معدن صنعه الإنسان وذلك في منطقة شمال شـرقي إيـران لما كـانت تزخر منه من مناجم هذا المعدن. ثم تطـورت تقنيـات تصـنيعها إلى معـادن أخرى كـالبرونز الـذي يمـزج بين النحـاس والقصـدير، وقد اسـتعمل بكثافة كبيرة لأنه أكثر قابلية للتطريق وأشد حدة من النحاس، طـابع جعله يخصص غالبا لصنع السـيوف والمناجـل. فشـهدت هـذه الفـترة ميلاد مهنة الحـدادة وانتشرت بشكل واسع عبر العالم.

وكان معدن الحديد آخر ما صنعه الحدادون حينئذ, ليحل محل معدن البرونز، ويتفوق على سائر المعادن الأخـرى لفوائد عديـدة منهـا، أن مناجم الحديد أكـثر انتشـارا عـبر منـاطق العـالم وأنه معـدن خـالص عكس الـبرونز، كما أن لديه صـلابة وهو أقل وزنا من الـبرونز ولا يـذوب إلا على حرارة 2000 درجة[2]. وكلمة حديد تعـني في العديد من اللغـات القديمة فلز من السماء وهذا متفق مع الآية التي ذكرناهـا في البدايـة. يعتقد أن النـاس قد استخدموه 4000 ق.م، وأول استعماله كان في استخدام حديد النيازك. وقد صـنع حديد النيـازك في أشـكال عـدد منها التحف والأسـلحة والأدوات المنزلية. أما عن عمليات استخلاص الحديد فإنه يرجح أنها بـدأت ونمـت ثم تطورت في أماكن متفرقة من العالم بصورة مستقلة كل عن
الأخرى وبخاصة فيما يعرف الآن بمناطق الشرق الأوسط والصـين والهنـد، ومنها انتشرت بسرعة بعد ذلك إلى مناطق أخرى من العالم .

وبحلول القرن 10 ق.م، ازدهرت صـناعة الحديد كثـيرا وأصـبحت في متناول معظم الحضارات المعروفة في ذلك الوقت[3]. وكان الفيـنيقيون أول من عرف الحديد بكميات ضخمة، اكتشف الفينيقيون كيفية تصـنيع الحديد و أساليب تصليد العُدد والأسلحة الحديدية.

انتشرت الأفران البدائية لاستخلاص الحديد التي اتسمت بالضحالة وعـدم العمق والـتي كـان يتم تسـخين خـام الحديد مع الفحم النبـاتي في مجمرة الفـرن[4]، من منطقة شـمال شـرقي إيـران إلى بلاد ما بين النهـرين فمصر القديمة لتصل إلى شــمال إفريقيا ثم إســبانيا وبــاقي العــالم. لقد تنوعت وتطورت منتجات تذويب المعادن وتوفرت بكميـات غزيـرة إلى حد أصـــبحت صـــناعات قائمة بـــذاتها، تُصْـــنَعُ منها أدوات الفلاحة والصـــيد والاستعمال اليومي كأواني الأكل وحلي الزينة. وكانت أكبر حصـة، هي تلك التي خُصِّصت للأسلحة كالسيوف والخناجر والفؤوس والسهام، لأنها كـانت

---

[1] **سورة الكهف،** الآية 96.

[2] "**Microsoft. Encarta.2007.** Études DVD. Voir "**Métaux**".

[3] **الموسوعة العربية العالمية**، الجزء 9، الحرف ح، مؤسسة أعمـال الموسـوعة للنشر و التوزيـع، انظر كلمة "**الحديد**"، الرياض، 1996، ص 110.

[4] **نفس المرجع**، انظر كلمة "**الحديد**"، ص 130.

تشـكل أداة مراقبة للحـيز المكـاني والسـيطرة عليه لأغـراض حربية أو تجارية[1].

لذلك سميت بعض عصور فجر التاريخ بأسماء بعض هذه المعادن، وهي على التـوالي عصر الـبرونز في الألفية الثالثة (ق-م)، ثم عصر الحديد في الألفية الثانية (ق-م) اللذان أعقبا العصـور الحجرية الـتي مـيزت أزمنة ما قبل التاريخ، هذا لأن الإنسان في هذه الفـترة اسـتعمل الحجر والصـوان والعظم وشظاهم وصقلهم ليجعل منهم صناعة كفيلة لضمان كل احتياجاته الحيوية[2]. وظهور العصر الحجري الحديث ثم عصور المعادن بشتى أنواعها، حقق الإنسـان وثبة نوعية نحو الأمـام، خاصة بعد اكتشـاف الكتابة وولـوج العلوم التطبيقية وقيام الحضارات وتأسيس الدولة ككيان وسلطة شـرعية تفرض سـلطتها على شـعب بأكمله ضـمن حـدود إقليم أو مقاطعة معينـة. ومنها استوجب على زعماء الدولة تشييد الجيش كوسـيلة لحمايتها والـذود عليها وتزويدها بأحدث الأسلحة والوسائل العسكرية من شانها تشكيل قوة ردعية دفاعية وهجومية.

ومن هذا المنطلق، يلزم على القادة السياسيين تشجيع الصناع والحرفيين ليصبح من الأولويات الضرورية في اتخاذ الإجراءات المتعلقة بالجانب العسكري وذلك لإنـــتاج أسلحة بالكم والنوع، كافية لتجهيز الجيوش باختلاف اختصاصاتها[3].

وكانت أكـبر الـدول الـتي بـرزت على السـاحة السياسـية في الفـترة القديمة في الشـــرق هي مصر الفرعونيـــة، الدولة السـومرية والبابلية والآشـــورية والدولة الفارســـية، أما في الغـــرب، بلاد الإغريق والدولة الرومانية والدولة البيزنطية ومنذئذ بـدأت العلاقـات الدولية يطبعها طـابع السـيطرة والهيمنة على الأرض بغـرض التوسع الإقليمي. وكـانت كل دولة منها حريصة على استحواذ أكبر قدر ممكن من الأسلحة والتسابق إليه[4].

وتمكن صناع الحديد تحت رعاية الدولة أيضا، نحو عام 1200 م من إعـادة تسـخين وتشـكيل وتبريد الحديد المسـتخلص لإنتـاج و تصـنيع الحديد المطاوع، وقد كان خواص الحديد المطاوع الناتج تشبه إلى حد بعيد خـواص الفولاذ الكربوني المنتج في العصور الحديثة.وسرعان ما تعلم صناع الحديد أن نفث الهواء خلال فصبات أو ودنات إلى الفـرن، ترفع إلى حد كبـير درجة الحرارة، كان لذلك الاكتشاف أثره الكبير في تحسـين نوعية الحديد المنتج. كما أن صناع الحديد طوروا في هذه الفترة الأفـران الرأسـية الأسـطوانية. وفي القرن 14 م توصلوا إلى بناء الأفـران العالية لإنتـاج الحديد المنصـهر. ومع تقدم الأفران العالية، أصبحت صـناعة الحديد هي أول الصـناعات وأهم الأعمال في أوربا، غير أنها لم تستكمل تطورها إلا في القرن 18، حيث بدأ صناع الحديد البريطانيون في استخدام الكــوك بـدلا من الفحم النبـاتي في

[1] **Microsoft Encarta.2007. Op.Cit. ,** voir "**Age de fer**".

[2] **Idem,** voir "**Age de fer**".

[3] **Idem**, voir, "**Protohistoire**".

[4] **Idem**, voir "**Civilisation**".

الأفــران العالية نظــرا لنقص الأخشــاب وهي المصــدر الأساسي للفحم النبـاتي[1]. كـان لصـناعة الحديد في تـاريخ أوربا والعـالم لها دور حاسـم، لما أحدثته من تغــيرات هامة في الســاحة العالمية وعلى كل المســتويات وقـدمت للصـناعة العسـكرية خـدمات ومزايا كـبرى فأضـحت قاعـدة لها ومصدرها الأساسي.

2- الصناعة العسكرية قبل العهد العثماني: لقد سمح ارتقاء أساليب وطرق تشكيل الحديد بتطوير الأسلحة وتنويع أشكالها ومآربها، بحيث تكون ملائمة لكل فيما خصصت له. ما أدى إلى حدوث تحولات هامة على مستوى الجيوش، والمتمثلة في خلق تخصصات فيها وتكليفها بمهام وأدوار مختلفة وبالتالي تقسيمها إلى جيش بري انقسم إلى مشاة وخيالة وجيش بحري، شهد هو أيضا تقدما ملحوظا في بناء سفن ومراكب جديدة[2]، فأصبحت الصناعة البحرية أحد المحاور الهامة في الصناعة العسكرية عامة .

أ- صناعة السفن: في هذا المجال، فقد شكلت الملاحة البحرية منذ القديم إحدى أكبر اهتمامات الإنسان آنذاك، حيث كانت أحواض صناعة السفن الفينيقية هي الأكثر شهرة في الفترة القديمة. فصنع الفينيقيون خلال 2000 سنة ق-م، سفناً حربية إلى جانب مراكب تجارية ذات حمولات ثقيلة، الأمر الذي جعلهم أمهر بحارة حوض المتوسط وأشهرهم. ثم جاء اليونانيون الإغريق الذين عملوا على إنشاء أنواع عديدة من السفن واستعملوها في المعارك البحرية. إلا أن الرومان كانوا أكثر استعمالا للسفن الحربية إذ أنهم توصلوا بفضلها إلى الهيمنة على البحر الأبيض المتوسط. فكانت سفنهم مجهزة بمجاديف و بعبارات تصلح لاقتحام مراكب العدو. اشتهرت سفينة درمند البيزنطية التي ورثوها عن الرومان، ظهرت في القرن 6 م، كانت سفينة سريعة وخفيفة ذات شراع مثلث، بقيت في الخدمة إلى غاية القرن 15م[3].

ب- صناعة الأسلحة البيضاء: عرفت الجزائر قبل العهد العثماني أي في العهد الوسيط صناعة الأسـلحة، وهذا على غرار دول المغرب العربي والعالم الإسلامي. وما كان متداولا في هذه الأقطار في هذا المجال, كان عاما ومتشابها إلى حد ما وبتفاوت قريب، وذلك لما كان يربطها من صلة الموقع الجغرافي الواحد والتاريخ الحضاري الموحد إلى جانب صلة الرحم والدين، عملا بقوله تعالى**:" إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون"**[4].

فكتب الله تعالى للأمة الإسلامية القوة والسلطان عندما عملت بالآية الكريمــة: **"يا أيها الــذين آمنــوا إن تنصــروا الله ينصــركم ويثبت**

---

[1] الموسوعة العربية العالمية، **نفس المرجع**، ص، ص 130-131.

[2] **Idem,** voir"**Armée**".

[3] **Idem,** voir"**Bateaux**".

[4] **سورة الأنبياء**، الآية 92.

أقدامكم"[1]. فعمل المسلمون على تجهيز العدة تحضيرا لأنفسهم لخـوض غمار معركة البقـاء أو الـزوال, فأخـذوا بالأسـباب وعملـوا بالآية الكريمة**:" وأعدّوا لهم ما استطعتم من قـوة ومن ربـاط الخيل ترهبـون به عـدو الله وعـدوكم..."**[2]، واتخـذوها شـعارا لهم وقاعـدة لإقامة أسس صناعة عسكرية تنتج أنواعـاً من الأسـلحة الحديثة العصر وبالقـدر الكـافي لإنشاء جيوش قوية لمواجهة العدو المتربص بالمسلمين من كل مكان.

لم يقف المسلمون عند حد معرفة استخدام هذه الأسلحة, بل أنهم عملوا على تطويرها وفقا لمتطلبـات المعـارك, وكـانت أبـرز ما اسـتعملوه من أسلحة في عهد الرسـول (ص) هي السـيف والـرمح والقـوس والـدرع والـترس والخـوذة. لقد كـانت طبيعة القتـال الجديـدة ضد جيـوش الفـرس والروم دافعا في تطوير هذه الأسلحة، فظهرت القوس العربية التي تـرمي عدة سهام في آن واحد، وكذا آلة المنجنيق التي ظهرت منها أنواع ضـخمة، يعمل عليها عدة جنود[3].

لقد ظهر في الفترة الإسلامية على مستوى صناعة الأسلحة البيضاء عـدة تغيرات في الشكل والوظيفة، بحيث نجد مثلا في نفس النوع من السلاح يوجد تنـوع الأشكال، وذلك حسب الوظيفة الجديدة التي اختص بها. فالسيوف تعتبر أهم الأسلحة، التي حملها الإنسان منذ القدم وقد كان أكثر الأسلحة استخداما في الحروب و القتال. فأخذت السيوف أشكالا مختلفة عن غيرها ومتنوعة فيما بينها.

وكان للعرب شأن في صناعة السيوف واستعمالها، إذ ارتبط العربي القديم بالسيف ارتباطا قويا في الدفاع عن نفسه وعن قبيلته, وهو بالنسبة له دليل القوة والشرف والكرامة، ولم يبخل الشعراء له بالمديح[4]. أما السيوف في الفترة الإسلامية، فقد كان نصل السيف العربي ذا حد واحد أو حدين حتى القرن 13م، ثم غدا منحنيا ذا حد واحد تتباين أنواع السيوف وأسماؤها حسب موطن صناعتها. من السيوف العربية التي اشتهرت في صدر الإسلام:

- سيف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان اسمه "ذو الفقار".
- سيف " الوشاح" وهو سيف الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- سـيف "الأولق دو القـرط", سـيف خالد بن الوليد الـذي سـماه الرسـول صلى الله عليه وسلم"سيف الله المسلول"[5].

ومن الأسـلحة البيضـاء الـتي اهتم العـرب بصـناعتها أيضـا، الأقـواس والسهام، فبفضل هـذه الأسـلحة الـتي اخترعها النـاس منذ ما قبل التـاريخ، أصبح بمقدورهم قتل الحيوانات من بعد دون عناء. وكان قدماء المصـريون أول من عرفوا استخدام القوس والسهم على نطاق واسـع، ثم الآشـوريون

---

[1] **سورة محمد**، الآية 7.

[2] **سورة الأنفال**، الآية 60.

[3] الجنابي (خالد جاسم)، **تنظيمات الجيش العـربي الإسـلامي في العصر الأمـوي**، وزارة الثقافة و الإعلام، 1984، ص149.

[4] **الموسوعة العربية العالمية، نفس المرجع**، الحرف "س"، انظر "السيف"، ص385.

[5] **نفس المرجع**، ص ص388- 389.

والفـرس، فـالعرب المسـلمون الـذين بواسـطة رمـاة السـهام أحـرزوا انتصارات باهرة في عدة مواقع في الحروب الإسلامية. ورغم تطـور نوعية هـذا السـلاح فيما بعـد، بحلـول القـرن 15م، حلت الأسـلحة الناريــة محل القوس والسهم[1].

هناك أيضا التروس التي كانت الوسيلة الرئيسية للحماية الشخصية في الحرب منذ القديم، حتى اختراع الأسلحة النارية في القرن 14. وكـانت التروس تُحمل في يد واحدة أو على الذراع لتصد ضربات العـدو وتسـتخدم اليد الأخـرى الهـراوة أو السـيف أو الحربـة. وصُـنعت الـتروس الأولى من الجلد أو الخشب وكــانت تغطى بعضــها بالمعــدن وهي متباينة الأحجــام والأشـكال. فمن الـتروس المسـتطيلة المصـرية الضـخمة إلى الـتروس المســتديرة الســومرية والســريانية ثم الإغريقية المســتديرة أو البيضــية والمجهــزة بمقبض، إلى جــانب الــتروس الرومانية الــتي أخــذت شــكل المســتطيل المقــوّس. وأثنــاء الفتوحــات الإســلامية اســتخدم الفرســان المسلمون ترسا صغيرا مثلثا. وعاد رماة السهام تحميل أقواسـهم بـتروس السهام وهو ترس كبير يثبت بالأرض.وفي القرن 14، بدأ الفرسـان ارتـداء حلة مدرعة من الصلب ومن ثم فـإنهم ليسـوا بحاجة للـتروس، واسـتبعدت أيضا لأن حمايتها قليلة ضد البنادق[2].

أما الدروع فهي لباس من حلقات الحديد متشابكة يلبس وقاية من السـلاح، اسـتخدم خلال القـرون الماضـية لوقاية الفـارس في المعـارك. صـنعت الـدروع من مـواد مثل جلـود الحيوانـات والـبرونز والفـولاذ. كـان الآشوريون وشعوب الحضارات القديمة الأخرى يحملون تروسـا، ويلبسـون خـوذات ودروعا للجسم مصـنوعة في الغـالب من الجلد المقـوى بـالبرونز. وكذلك الإغريق والرومان لبسوا خوذات ولأمات (درع قصـير يغطي الصـدر والظهـر) ودروع للسـاق وهي مصـنوعة من الـبرونز أو الفـولاذ غالبـا. في العصور الوسطى بلغ استخدام الدروع قمته خلال القرن 13م، فقـد اخـترع العـرب درع الـزرد وهو يتكـون من حلقـات صـغيرة من المعـدن مربوطة بعضها ببعض، وكان يستخدم كشكل أساسي للحماية وكانت بدلات من درع الزرد تغطي جسم الفـارس من الـرأس إلى القـدم. وبحلـول القـرن 14م، أصبح جنود المشـاة يقـاتلون بأسـلحة مثل قـوس البنـدق وقـوس النشـاب ودبـابيس الحـرب والفـؤوس. قد تخــترق السـهام الـتي تطلق من هـذه الأسـلحة درع الـزرد وقد تحطمـه، فنتج عن ذلـك، أن صـناع الـدروع بـدؤوا ينتجون الدرع المصفح المكون من قطع ضخمة من الصلب.

وفي القرن 15م، كانت بدلات الدرع المصفح تصمم لتغطي الجسم بكامله وكانت الخوذات والقفازات والأحذية كلها من الصلب تكمل عملية الوقاية الجسـمية، إلا أن هذه الدروع كانت شديدة الثقل وساخنة وتكلف أثمانا باهظة. غيرت البنادق مـن طرق الحرب ومن ثم الحماية المطلوبة،

---

[1] **نفس المرجع**، الحرف "ر- ز"، انظر "**الرماية** "، ص269.

[2] **نفس المرجع**، الجزء 6، الحرف " ت "، انظر " **الترس** "، ص216.

فالدرع الذي يصنع ليكون أكثر سمكا حتى يكون واقيا من الرصاص، أصبح أثقل من أن يمكن ارتداؤه. وفي القرن 15، لم يبق سوى استخدام الخوذات وصفائح الصدر[1].

كانت الرماح المسماة أيضا الحراب، إحدى أقدم الأسلحة المعروفة لبني البشر، استخدمها الناس في الصيد و في الحرب منذ عصور ما قبل التاريخ. للرماح تركيب بسيط، فهي تتكون من عمود أو قصبة طويلة لها رأس مدبب حاد، أقدم الرماح كانت قصبات خشبية لها طرف واحد مدبب وحاد، وكانت ذات رؤوس مصنوعة من عظام الحيوانات والصخر الحاد والبرونز والحديد. يمكن استخدام الحربة في الحروب من بعد أو في الطعن، لذلك كان المحاربون الرومان القدامى يحملون حربتين، حربة خفيفة لرميها من بعد، وحربة أثقل للالتحام عن قرب. تم استخدام أنواع أخرى من الحراب عبر التاريخ بواسطة المشاة والخيالة، فمثلا فإن مشاة الجنود الإغريق كانوا يحملون حرابا طولها 6 أمتار، ساعدت في إنشاء الفيلق من قِبل الإغريق وأدخلوه كتشكيل جديد فعال. كان العرب يستخدمون الحربة، منذ القديم، وزاد اهتمامهم بها بعد الإسلام بزيادة اهتمامهم بالخيل والفروسية، حتى أنها كانت السلاح الغالب في معركتي بدر وأحد وما تلاهما من معارك.

وخلال العصور الوسطى، كان الفرسان على ظهور الخيل يحاربون بحراب قوية وثقيلة. ولعل هذا الاستخدام قد أخذوه عن مسلمي الأندلس الذين تخلوا عنه جزئيا لأنهم بدؤوا في صنع المدفع[2].

أما المنجنيق، فهو آلة حرب تُقْذَفُ بها أشياء كالحجارة أو الحراب أو أجسام أخرى ثقيلة ضد دفاعات العدو، فيوجد من المنجنيق نوعان رئيسيان وهما الإلتوائي الذي يعمل بإطلاق حبل ملتو يجعل الذراع تندفع إلى الأمام حاملة الحجارة أو الأجسام الثقيلة، أما غير الالتوائي فهو يطلق السهام بالأقواس الضخمة وله قوة قذف تنتج من إطلاق الوتر المشدود. لقد شيد الإغريق أشكالا فعالة من المنجنيق غير الالتوائي منذ القرن 4 ق-م. أما المنجنيق الالتوائي الذي يعد أكثر قوة، تم تطويره نحو عام 350 ق-م، ومنذ القرن 2 ق-م، جعل الجنود الرومان المنجنيق متحركا بوضعه فوق مركبة.

وفي التاريخ الوسيط، كانت القلاع تحصن بخنادق مائية تكون دائما عرضة لأهداف المنجنيق. وعند العرب المسلمين، فإنه عرف أنهم استخدموه لأول مرة في حصار الطائف* في عهد الرسول (ص)[3].

اشتهر العلماء المسلمون بالكيمياء التطبيقية، بينما كان الإغريق يركزون على الجانب النظري. ولعل اهتمام العلماء المسلمون بالكيمياء التطبيقية يعود إلى اعتقادهم بأهميتها في صنع الأدوية المركبة وساعدهم

---

[1] **نفس المرجع**، الجزء 10، الحرف " د- ذ "، انظر " **الدرع** "، ص 298.

[2] **نفس المرجع**، الجزء 9، الحرف " ح "، انظر " **الحربة** "، ص 258.

* مدينة في الحجاز، جنوب شرقي مكة المكرمة، كان الحصار تحت قيادة الرسول (ص).

[3] **نفس المرجع**، الجزء 24، الحرف " م "، انظر" **المنجنيق** "، ص 226.

على ذلك استعمالهم الفائق في الدقة للموازين والمكاييل والآلات، مما مكنهم من تطبيق النتائج التي كانوا يخرجون بها في الصناعات القائمة آنذاك، وهو ما يمكن أن نطلق عليها الآن الكيمياء الصناعية. ومن بين الصناعات التي برعوا فيها، وورثوها للأمم الأخرى، صناعة المعادن وتركيبها وتنقيتها وصقلها. وتوصلوا إلى تحضير بعض المواد التي مكنتهم من صنع المتفجرات والمفرقعات. كما توصلوا عن طريق استغلالهم الناجمة عن انفجار البارود إلى صنع ذخيرة المدافع لاستعمالها في الأغراض الحربية، مع أن الصينيين هم الذين اكتشفوا ملح البارود، وأن اليونانيين، اشتهروا باستخدام النار الإغريقية[1].

في العصور الوسطى، ظهرت أسلحة حديثة على الساحة العسكرية في غمرة تحولات جذرية وحاسمة في تاريخ العالم عامة والمنطقة الغربية للبحر الأبيض المتوسط خاصة، تمثلت في إعادة تشكيل أوربا وبزوغ النهضة الأوربية وسقوط غرناطة، لتضع حدا لسيطرة الأسلحة البيضاء في العصر الوسيط. فأصبحت هذه الأسلحة التقليدية لاغية وباطلة أمام فعالية الأسلحة النارية في المعارك. ومما جعل الأسلحة النارية تدخل الميدان العملي اكتشاف البارود، هذه المادة الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في وجود الأسلحة النارية، بالرغم من أن أصل البارود ما يزال غامضا، كانت إيذانا بانطلاق مرحلة جديدة، عرفت فيها سلسلة من النشاطات التطويرية للأسلحة النارية سريعة الوتيرة مما كانت عليه من قبل، امتدت إلى الفترة الحديثة ولا زالت إلى يومنا هذا.

3- تطور الأسلحة : لقد استعمل الإنسان قبل معرفته بالأسلحة النارية في نهاية القرون الوسطى، أسلحة نارية من نوع آخر تسمى " بالنار الإغريقية "، وهي خليط بين
الكبريت ومواد حارقة كالقطران الصمغي والزيوت، وكانت تستعمل خاصة في المعارك البحرية.

أ- النار الإغريقية: منذ العصور القديمة، استطاعت شعوب آسيا استخدام عدة مركبات نارية في المعارك، ولم تدخل هذه التقنية إلى أوربا إلا في القرن 7 م، يعتقد أنها جلبت من قارة آسيا من طرف مهندس معماري سوري يدعى كالينيكوس- Calinicus-. ثم استعمل البيزنطيون اليونان النار الإغريقية لصالحهم من أجل التصدي للعرب المسلمين في حصار القسطنطينية سنة 673 م. تعرف العرب على التركيبة الكيماوية لهذا السلاح، فانتشر إلى حد أصبح يمثل "العنصر الأساسي للعمليات الهجومية". كانوا يستعملونه بمختلف الطرق والوسائل منها المنجنيق مثلا، وتصف النصوص التاريخية مدى الرعب الذي كان يزرعه في صفوف الصليبيين. سلاح النار الإغريقية يحترق وليس لديه أية قوة طاردة، فإنه يقذف ولا يستعمل في رمي المقذوفات، لأنه لا يحتوي على مركبات

[1] نفس المرجع، الحرف "ع"، انظر "العلوم عند العرب والمسلمين (الكيمياء)"، ص 448.

انفجارية للبـارود[1]. ولم تكن صـالحة إلا لإشـعال الحرائق حيث لم تكن ذات قابلية للانفجار, ويعود الفضل للعرب المسلمين في اختراع بارود المـدافع، وكـان مسـلمو الأنـدلس أول من صـنع المـدافع، ونقلها إلى بقية أوربا مع أولئك الجنـود، الـذين يحـاربون في صـفوف الجيش الأسـباني في منتصف القرن 14 م[2].

ب- اكتشاف البارود: لقد نسب اكتشاف البارود في القديم للفيلسـوف والعـالم ورجل دين الإنجلـيزي روجي بيكـون- Roger Bacon- (1220-1292). وفي الحقيقـة، فـإن هـذا الأخـير أعـاد تشـكيل تركيبة قديمة اسـتقاها من مخطـوط باللاتينية للعـالم مـاركوس غـــراكوس –Marcus gracus- تحت عنوان:"**ad comburandos hostes Liber ignium**"، والكثير من هذه التراكيب تتكون من نفس المحتوى الكيماوي للبارود، ولكنها لم تستعمل إلا كشهب حارقة، ويعود أصل كل هـذه الخلطـات الكيماوية إلى عصر العـرب الذين سبقوا المسيحيين منذ أمد بعيد في استخدام الأسلحة النارية.

لقد أثبتت بعض الأبحاث الفرنسية بوضـوح، أن فضل اكتشـاف بـارود المدافع كمادة انفجارية مخصصة لطرد القذائف، يعود للعرب لا غـير. نفس المصادر أكدت فيما قبل، من خلال أعمـال سـابقة الفكـرة الشـائعة القائلة بانتساب هذا الاكتشاف للصينيين، إلا أنها في مذكرة ثانية عادت على رأيها. إن الكشف عن مخطوطـات جديـدة سـاعدت على التأكيد بالمقولة الـتي ترجع هـذا الاكتشـاف للعـرب، فهي تعتـبر" أن اكتشـاف الملح الحجـري واسـتعماله في الألعـاب النارية يعـودان للصـينيين...أما العـــرب، فـإنهم استطاعوا إنتاج واسـتعمال القـوة الطـاردة الناجمة عن مسـحوق البـارود، وباختصار، كانوا هم مكتشفو الأسلحة النارية."

ج- اخـتراع الأسـلحة الناريـة: يعتـبر المؤرخـون عـادة أن المدفعية ظهرت لأول مرة خلال معركة كريسي -Crécy-* سنة 1346 م، و لكن عـدة مقـاطع من مصـادر عربية تثبت أن اسـتعمال الأسـلحة النارية كـان في الحقيقة أقدم من ذلـك، بحيث نجد أن هنـاك من بين المخطوطـات العربية مقطع يـروي عن أمـير يـدعى يعقـوب وهو قائد المتمـردين في المدينة المغربية ماحضرة، "أنه حاصرها سنة 1205م فدك أسوارها بآليـات وأجهـزة مختلفة راعدة لم تُعهد من قبل أبداً وكانت للواحدة منها تـرمي مائة قذيفة ضـخمة وحجـارة كبـيرة تسـقط في وسط المدينة بالإضـافة إلى كـرات حديدية."

ويذكر عبد الرحمن بن خلـدون (1342م-1446م) في " تـاريخ الـبربر" من " كتاب العبر" بوضوح استعمال العرب للمـدفع في عمليـات الحصـار. تدل قراءة المخطوطات المعاصرة لهذه الفترة بالخصوص على اسـتعمال

---

[1] LE BON (Gustave), **La civilisation des arabes**, Editions.la Fontaine au Roy, Paris, 1996, pp.363. 364.

[2] الموسوعة العربية العالمية، نفس المرجع, الحرف "ع"، انظر "العلوم عند العرب و المسلمين (الكيمياء)"، ص 448.

* انتصار الإنجلـيز على الجيش الفرنسي، فكـانت بداية حـرب المائة سـنة بين فرنسا وإنجلـترا (القـرنين14-15م).

(**Encarta.2007**. Études DVD. voir "**Bataille de Crécy** ". **Microsoft**)

الأسلحة النارية الذي أصبح معمّماً عند العرب. وقد استعملوها سنة 1342م في الدفاع عن مدينة الجزيرة الخضراء بالأندلس التي هاجمها ملك قشتالة وليون ألفونسو الحادي عشر (1311م-1350م). وقد حضر الحصار شخصيات نبيلة إنجليزية، شاهدوا بأم أعينهم الآثار التي تركها البارود في ميدان المعركة، والذين حملوا معهم هذا الاكتشاف في توه إلى بلادهم، وهكذا بعد أربع سنوات، استعمل الإنجليز هذا السلاح الجديد في معركة كريسي سنة 1346م ضد الفرنسيين[1].

ويوجد في مكتبة قصر طوبقابي سراي* أربعة كتب محفوظة، وهي مخطوطات عربية ثمينة مزودة برسومات، أثبتت من خلال الدراسات أهميتها في تدوين التاريخ العام للتقنية الحربية تتمثل في: **1**-" تبصرة الألباب في كيفية النجاة في الحروب"، للمؤلف مرضي بن علي بن مرضي الطرسوسي موجه للسلطان صلاح الدين الأيوبي*.**2**-"كتاب الفروسية والمناصب الحربية"، لنجم الدين حسن الرماح (توفي سنة 695هـ/ 1295م). **3**-"كتاب المخزون في جامع الفنون"، لمؤلف مجهول من القرن 8هـ/14م. **4**-"كتاب الأسلحة"، لابن أرنبغا الزردكاش قبيل 774هـ-775هـ/ 1383م.

لقد أعطتنا دراسات هذه الكتب الأربعة الانطباع، معلومات حول ما حقّقته تقنية الآلات الحربية في البيئة الثقافية العربية الإسلامية من تطور جذري سريع، خصوصا في القرنين 12 و13 م، نتيجة لعمليات ضد الصليبيين. يظهر هذا التطور– أولا- في استعمال أقواس ميكانيكية كانت تصنع في أشكال مختلفة، - ثانيا- في نشوء المجانيق باستعمال الروافع والبكرات،- ثالثا-التطور الثالث والأهم، تَحَقَّقَ في تقنية الآلات الحربية باستعمال البارود في المعارك وفي نشوء الأسلحة النارية، بغض النظر عن السؤال عن نشأة البارود في البيئة الثقافية الإسلامية مستقلا أم أخذ من الصينيين.

ومن خلال ما سبق ذكره، أن أول استعمال الأسلحة النارية التي تعمل بالبارود، قد تم في البيئة الثقافية الإسلامية. إن البيانات المقتضبة في كتب التاريخ حول استعمال الأسلحة النارية تؤكدها المواد الوفيرة المزودة بالرسومات الموجودة في الكتب المذكورة أعلاه تأكيدا لا غبار عليه[2]. إن الكتاب " كتاب الأسلحة " الذي زودنا بهذه المعلومات من خلال مقدمة الناشر، يقدم كمية من الرسومات المتنوعة منها رسم" مدفع " أو

---

[1] LE BON (Gustave), **Op.Cit**, p p.364-366

* الإقامة الرئيسية القديمة للسلاطين العثمانيين و مقر الحكومة العثمانية باستانبول، بني سنة 1459م في عهد محمد الثاني (الفاتح)، حول إلى متحف سنة 1924. (**Encarta.2007.** Études DVD. voir "**Topkapi**".)

* حكم مصر سنة 566ه/1171م و الشام سنة 569ه/1174م إلى 589ه/1193م. (**الموسوعة العربية الميسرة**، بإشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب و مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، 1965 انظر " **صلاح الدين الأيوبي**".)

[2] إبن أرنبغا الزردكاش، **كتاب الأسلحة**، قبيل 774ه-775ه/1383م، نشره فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية في جامعة فرانكفورت/ألمانيا، 2004، طبع بالتصوير عن مخطوط مكتبة طوبقابي سراي باستانبول بمجموعة أحمد الثالث، 34295 الأوراق 15أ-59 أ)، ص ص 6- 5.

" مكحلة "مع تـدريج المسـافات لتحديد الهـدف، الأمر الـذي يكشف عن مستوى معتبر من التطور. يعتبر هذا الكتاب الصـغير برسـوماته وأوصـافه، ذو أهمية وثائقية تاريخيــة للمستوى العالي، الـذي بلغته تقنية الأسـلحة في القـرون الوسـطى في البيئة الثقافية العربية الإسـلامية، والـتي انتقلت بعد زمن قصير عن طريق الصليبيين إلى أوروبا[1].

كما تفيدنا أيضا بعض المخطوطات العربية بمعلومات حـول تركيبة البارود المسـتعمل وأسـلحة الـرمي كـذلك. وخاصة ذلك المخطـوط الـذي يعود للقرن 13م، فهو يعطي لنا وصفا دقيقا لما يتشكل منه البارود كالملح الحجري والفــحم والكـبريت ثم كيفية تحويله إلى مسـحوق، فعملية شـحن المـدفع بالكمية الكافية منـه، بالإضـافة إلى معلومـات حـول المـدفع ذاته ليصف مختلف أجزاءه[2]. فكانت هـذه المـدافع الأولى تتكـون من أنبـوب من النحـاس أو الحديد مع ثقب صـغير عند الطـــرف المقفل لإشـعال الفتيلة المتفجــرة[3].ويظهر حسـب هــذه الأوصـاف أنها تشـبه كثـيرا تلك المــدافع المعروفة عادة لدى العثمـانيين والأوربـيين إلى حد بعيـد. في نفس الفـترة وإلى جانب تطور المدفع، كانت فكرة السـلاح النـاري الخفيف قد تجسـدت في ميدان الواقع، وهكذا ظهرت البندقية في أوروبا منذ القرن 14م، ومعها الذخيرة المناسبة وبكل أنواعها.

- المدفعية: ظهرت المدفعية للمرة الأولى كسـلاح فعـال ذات أهمية حاسمة على النطاق الرسمي العالمي، وكـان العثمـانيون الأتـراك أول من اسـتخدمها في الحملة النهائية لفتح القسـطنطينية تحت قيـادة السـلطان محمد الثاني (الفـاتح) (1432م-1481م)* سـنة 1453م. وفي نفس السـنة، كـانت المدفعية الفرنسـية السـبب الأساسي في هزيمة الجيش الإنجلـيزي على أرضه لتضع حـــرب المائة ســـنة أوزارها بين المتخاصـــمين. فانتشر استخدام المدفعية بعد ذلـك، وازدادت دقة وتـأثيراً وأدت دوراً متزايـداً في المعارك مع مرور الزمن[4].

وإذ كانت المدافع الأولى تطلق سهاماً، والتي جاءت بعدها، أخذت تطلق حجـارة أو كـرات من الحديد أو الحديد المطـاوع. وكـانت المــدافع الأولى تُحشى من مؤخرتها. وكـان لكل واحد منها ماسـورة أو خزانة مركبة على قاعدة أو على مزلجة من الخشب. كانت هذه المدافع قطعا إفراديــة، ولم تكن بقياس موحد، وبعضها كان ضخما جداً. وكانت تسـتعمل في بـادئ الأمر لِدَكِّ الأسوار أو لقذف جيش محاصر من أعلى الأسوار، وقد سـاعدت مــدافع الحصــار العثمانية إلى حد بعيد على ســقوط القســطنطينية عــام 1453م[5].

---

[1] نفس المرجع, ص 8.

[2] LE BON (Gustave), **Op.Cit**, p.366

[3] الموسوعة العربية العالمية، **نفس المرجع**، الجزء23، الحرف " م"، انظر" المدفعية"، ص11.

* سلطان عثماني من1451 إلى1481، فتح القسطنطينية سـنة 1453م. (**الموسوعة العربية الميسـرة**، انظر " **محمد**".)

[4] **نفس المرجع**، ص 16.

وفيما بين سـنتي 1537م و1551م، وضع الرياضي الإيطـالي نيكولو ترتالـــــيا- Niccolo Tartaglia- (1499م-1557م) أول نظرية حول مسار المقذوفات، مبيناً أن القذيفة الطائرة تتبع مساراً منحنياً. وفي سـنة 1626 حاول غوسـتاف أدولـــــف – Gustave II Adolf- (1594م-1632م) ملك السـويد (1611م-1632م) ابتكـار مـدافع ميدانية خفيفة لمسـاندة جيوشـه، فحمل مصانع الأسلـــحة على صنع مواسير من النحاس المطـوق بحلقـات من الحديد والمغطى بالجلـد. لكنه ما لبث أن تَـبيّن له أن هـذه المواسـير، سرعان ما كانت تـزداد حرارتها كثـيرا، فتتعـذر إعـادة حشـوها بسـرعة. ثم نظم مدفعيته لتصـبح قـادرة على القيـام بمهمـات ثلاث: القتـال الميـداني، مساندة الأفواج والحصار. وغدا هذا التنظـيم القياسي مُعْتَمَـداً في مختلف الجيــوش إلى عــام1776م،عنــدما أدخل مفتش المدفعية الفرنسي جــان باتيست ديغريبوفــال– Jean-Baptiste de Gribeauval- (1715م-1789م) تنظيمـاً جديـداً للمـدافع مقسِّـماً إياها إلى مـدافع ميـدان ومـدافع حصـار و مدافع حماية السواحل.

أما عن المدفعية البحرية فإن المدافع المنصوبة على جوانب السفن واسـعة الاسـتعمال في عمليـات القـذف عن مسـافات قريبـة، بينما كـانت تستعمل المدافع الخفيفة البعيدة المدى خصوصا لعمليات الإنهاك. نـادرا ما كـانت مـدافع السـفن تـدمر سـفن العـدو، لكنها كـانت تلحق بها أضـرارا جسـيمة. وكــانت الحصى وقطع الحديد تســتعمل على الأرض وفي البحر كقذائف ضد الأشخاص، وكـانت القنابل العنقودية علبا تحتــوي على كـرات من الرصاص.

وعن القـذائف المسلسـلة، فهي أنصـاف كـرات من الحديد موصـولة معـاً بسلسـلة، فقد كـانت من نـوع خـاص وفعـال، ضد الصـواري وحبـال الأشرعة. وكـانت المدفعية السـاحلية أثقل من مدفعية السـفن وأكـثر منها دقـــة. وكـــانت القذيفة الحديدية تحمى أحيانا قبل إطلاقها بقصد إشـــعال الحرائق في السفن.

لم تحدث تغييرات مهمة في المدافع الثقيلة خلال القرون الخمسة التي تلت ظهورها. كانت مواسيرها تُصنع من الـبرونز أو الحديـد. وكـانت تحشى من فوهاتها، وتعمل بالبارود الأسود (بارود المـدافع). لكن منذ القـرن 19، اسـتفادت صـناعة المـدافع من التقـدم الـذي تحقق في علمي المعـادن والكيمياء[1].

- البنادق و المسدسات: ظهرت الأسلحة النارية الخفيفة التي تعتبر النموذج المصغر المحمول لقطع المدفعية في القـرن 14م، وهي القضـيب الناري، وهي عبارة عن أنبـوب من حديد أو ماسـورة ملسـاء مغلقة من أحد الجانبين وعلى المغلق توجد فتحة تصلح لإشعال الفتيلة.

---

[5] **بهجة المعرفة، موسوعة علمية مصورة، " الأداة و الآلة "**، المجموعة1، 5، الطبعة الثانية، الشركة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان، دار المختار، جنيف، سويسرا، 1976، ص248.

[1] بهجة المعرفة، **نفس المرجع السابق**، ص ص250- 249.

وُضعت هذه الماسورة على مسند من خشب، يمتد إلى الخلف ليسمح بوضع السلاح على الذراع. يُشحن الأنبوب من الأمام بكرة حديدية و البارود، ويكون إشعال الفتيلة عن طريق إدخال قطعة حديدية ساخنة، أو فتيلة من القنب الهندي المطلي بملح البارود في داخل الفتحة. زُوِّدت هذه الأسلحة فيما بعد، بقطعة مجوَّفة تسمى المدخر ليوضع على سطحها بحيث يكون متصلا بداخل الماسورة عن طريق الفتحة، يشحن المدخر بالبارود المسحوق، ثم يطلق إشعال الفتيلة، يقع الانفجار الذي ينتشر عبر الفتحة إلى غاية الشحنة الرئيسية. بقي هذا المبدأ ساري المفعول على كل الأسلحة النارية بما في ذلك قطع المدفعية حتى القرن 19م[1].

لقد طُورت البندقية الحديثة من الأسلحة النارية البدائية، التي كانت تعمر من الفوهة في أوائل القرن 15م[2]. مر تاريخ البندقية بعدة مراحل منذ القرن 14م أهمها بندقية بلاتين الفتيلي (النصف الثاني من القرن 15م)، وبلاتين الدولابي أو ذات العجلة (1518م)، وبلاتين بالصوان أو ذات الشطف (1542م- 1630م) وبلاتين بالصدم " القدح " أو ذات الكبسولة (1807م). وفي منتصف القرن 19م، اخترعت بندقية رميني-Rémini- الفرنسية ذات الأنبوبة المشششخنة او المحززة (ذات حزوز)، وتطور في ذلك الحين شكل الرصاص.

ويعتبر القرن 19م عصر البندقية الزاهر[3]. خلال هذه المراحل التي تطورت فيها البندقية، ظهرت عدة أنواع من أشهرها بندقية إسكوبيت- Escopette- ذات الفوهة العريضة والموسكيت-Mousquet- والأركبوز=Arquebuse- وهي كلها أوربية الصنع.

أما المسدسات، فهي أسلحة محمولة وفردية ذات ماسورة قصيرة. وكانت المسدسات الأولى في منتصف القرن 16م، عبارة عن بنادق صغيرة استعملت بالأخص من طرف الخيالة في بادئ الأمر[4]. كان المسدس يطلق بربط حبل محترق أو ثقاب كبريت بطرف حامل على شكل " S "، يسمى " السربنتين"- – Serpentine. وباختراع المسدس الدولابي، لم يعد الجنود في حاجة لحمل اللهب لإشعال البارود في مسدساتهم. لقد مر تطور المسدسات بنفس المراحل التي مرت بها البنادق. فطورت أنواع عديدة من مفجرات البارود، بما في ذلك مسدسات الزند المصون. وفي سنة 1807م، أدخل فيها نظام القدح وكانت مسدسات نظام القدح تحشى من الفوهة. وعندما صممت مسدسات ذات كبسولة القدح، أصبحت تحشى من التراس[5]. وحتى القرن 19م، كانت المسدسات

---

[1] **Microsoft. Encarta 2007**, voir "**Armes légères**".

[2] الموسوعة العربية العالمية، نفس المرجع السابق، نفس المرجع، الجزء5، الحرف " ب"، انظر" البندقية".

[3] **الموسوعة العربية الميسرة،** بإشراف محمد شفيق غربال، دارالشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،1965، انظر" **البندقية** ".

[4] **Microsoft**.**Op.Cit**., voir "**Pistolet et Revolver** ".

[5] **الموسوعة العربية العالمية، نفس المرجع السابق**، ج23، الحرف " م "، " المسدس"، ص 217.

تصنع نسبيا بطريقة تقليدية، فـالبعض منها خاصة المرصـعة بزخـارف ثمينة كانت عبارة عن تحف فنية جد جميلة[1].

- الذخيرة: هي أي مقذوف يطلق أو يقذف من بندقية أو أي نوع آخر من الأسلحة. وتشمل الخائر الخراطيش والقذائف والطلقـات، وتطلق تلك المقذوفات باستعمال أنـواع عديـدة من الأسـلحة وتشـمل البنـادق اليدوية والمدافع. ويحتوي كل نوع من أنـواع الـذخيرة على مـادة دافعة وهي مـادة متفجـرة لـدفع القذيفة إلى هـدفها، تسـمى معظم أنـواع ذخـائر الأسـلحة الخفيفة الخراطيش بينما تسـمى أغلب أنـواع ذخـائر المدفعية القـذائف أو القنابل[2]، لقد عاصر تطـور الـذخيرة مراحل تطـور الأسـلحة النارية ولازمتها طيلة هذه الفترة.

لقد أحدث إقحام الأسلحة النارية على الساحة العسكرية تحولات جـــذرية هامـــة، في تغيـير الهيكل التنظيمي للجيـوش والمبـادئ التكتيكية والإستراتيجية على مستوى ميـادين المعـارك والصـراعات العسـكرية، مما أدى إلى قيـام الجيش النظـامي المحـترف. إن للأسلحـــة الناريـة، و خاصة المدفعية البحرية فضل في إيجاد أنواع جديدة من السفن الحربية، وبالتالي فـإن البحرية العسـكرية خطت خطـوات نوعية هامة نحو الأمـام في بنـاء أساطيل قوية اجتاحت البحار والمحيطات.

- صناعة السفن الحربية: لقد تزامن عهد الاكتشافات الجغرافية الكبرى الذي بدأ في القـرن15م مـع تطور حجم السفن الشراعية، ومرونة استعمالها واكتشاف بارود المدافع والأسلحة النارية معا، وآلات الملاحة البحرية التي ساعدت على نفاذ السفن إلى عرض البحر.

أصـبحت السـفن في القـرنين 15 و16م أكـثر كثافة في البحـار لأن اكتشـــاف القـــارة الأمريكية وفتح طريق الهند والصـــين أديا إلى إنمـــاء المبادلات التجارية الدولية وتسـببا في خلق خصـومات بين الـدول من أجل السـيطرة على طـرق الملاحة البحرية[3]. وابتـداء من القـرن 15م، بـدأت صـناعة أشـكال جديـدة من السـفن الحربية ذات المجـاديف والأشـرعة كالغليـــرة - Galère – والغليـون-Galion - والفرقاطـة-Frégate - إلخ... وبأحجام كبيرة[4].

فتشكلت أساطيل بحرية ضخمة على يد الدول الأوروبية الكبرى في تلك الفـترة كفرنسا وأسـبانيا وإنجلـترا إلى جـانب الدولة العثمانية الـتي ظهرت آنذاك كقوة عسكرية إقليمية أصبحت تمثل وتدافع على المسـلمين المضطهدين في كل مكـان، خاصة بعد سـقوط غرناطة آخر معاقل العـرب الأندلسيين بأسبانيا سنة 1492م.

---

[1] **Microsoft.Op.Cit**, voir "**Pistolet et Revolver** ".

[2] **الموسوعة العربية العالمية، نفس المرجع السابق**، ج10، الحروف " خ-د-ذ "، " الذخيرة "، ص ص 616- 615.

[3] Microsoft.**Op.Cit**., voir "**Navires de guerre** ".

[4] **Idem**, voir "**Bateau** ".

كان اختراع الأسلحة النارية بنوعيها الثقيل والخفيف وصنع أجودها وأحسـنها في الفـترة الانتقالية (ما بين القـرنين 13 و15م)، قد أخلط أوراق صُنّاع الأسلحة البيضاء من الحدادين والحرفيين، إذ أصبحت هذه الصـناعات الجديدة تزاحم الصناعات التقليدية وفي بعض الأحيان، تحل محلها وتُلغيهـا. ولكن رغم أن الأسلحة البيضاء قد تقهقـرت إلى المرتبة الثانية بفعل ظهـور الأسلحة النارية فإن أياماً زاهرةً بقيت أمامها لتَشْغَلَ في المسـتقبل مكانـةً لا يُستهان بها، فظلت الجيوش البرية والبحرية الجزائرية بِـأَمَسِّ الحاجة لها في العصر الحديث، مدركةً أن ما كان ينتظرها من أخطار وأهـوال في هـذه الفترة، يستلزم التحضير والإعداد له لمواجهته بحزم و قوة.

القسم الأول: صناعة الأسلحة

الفصل الأول: صناعة الأسلحة البيضاء

الفصل الثاني: صناعة الأسلحة النارية

1- صناعة الأسلحة النارية الخفيفة

2- صناعة المدافع

3- الذخيرة

الفصل الأول: صناعة الأسلحة البيضاء.

1- في مدينة الجزائر.

2- في باقي مناطق الوطن.

3- أنواع السيوف:

أ- اليطغان.

ب- الشمشير.

ج- القلج:

د- سيوف فليسة:

ر- أسلحة الطوارق:

صناعـة الأسلحـة البيـضاء

كـانت صـناعة الأسـلحة البيضـاء في الجزائر في العصر الحـديث، ما
تـزال تحتفظ بالقـدرة على إنتـاج السـيوف والخنـاجر والرمـاح والأقـواس
والسهام وغيرها مما يحتاجه كل من يحمل السلاح آنذاك من جند المشاة أو
البحـارة الجزائـريين. وخاصة بعد ما اسـتقرت الحيـاة السياسـية واسـتتب
الأمر في البلاد بإقامة العثمانيين الأتراك لنظام حكم جديد. فدخلت الجزائر

في زمـرة البلـدان التابعة للإمبراطوريـة العثمانية منذ سـنة 1518م وذلك بفضل الأخوين عروج وخير الدين وأصبحت تسمى إيالة الجزائر.

بقيت الأسلحة البيضاء تحتل مكانة ولو محـدودة في العصر الحـديث، واكتست أهمية لا يُستهان بها في ميادين الحرب والإستراتيجية العسـكرية، رغم ما وقع من تجديدات واكتشافات على مستوى الصناعة العسـكرية في أوربا والعالم عامة وفي الجزائر خاصة. وتمثلت أساساً في تطوير الأسلحة النارية بشتى أنواعهـا، فكلما طـرأ تغيـير في هـذا المجـال تقهقر اسـتعمال الأسـلحة البيضـاء، إلا أن الأسـلحة الناريـة، رغم فعاليتها في الـرمي فإنها معقدة وليست سهلة الاستعمال. وكما جاء في كتاب "الأسـلحة والتكتيـك" لونترنغهام وبلاشفورد- سـنل أن البندقية ذات معـدل الـرمي البطيء حلّت محل القوس الذي كان يـرمي السـهام بسـرعة...كـان بوسع اليد المـاهرة، عندما ترمي بقوس طويل، أن تبقى سهام في الجـو، الواحد في إثر الآخـر. كانت هناك معارضة قوية للتحوُّل من القوس إلى البندقية.

وكمثـال على ذلـك، رسـالة العقيد جـون سـميث- John Smith- إلى مجلس الشورى البريطاني* في سـنة 1591 الـتي جـاء فيهـا: "أن القـوس سلاح بسيط، والأسلحة النارية أشياء معقـدة جداً، تصـعب السـيطرة عليها في كثـير من الحـالات ...وهي سـلاح ثقيل جـداً ينهك الجند أثنـاء المسـيرة وفي الوقت الـذي يسـتطيع فيه رامي القـوس إطلاق ست رميـات مصـوبة في الدقيقة الواحدة، فإن رامي البندقية لا يستطيع أن يطلق أكثر من رمية واحدة كل دقيقتين ..." وهناك عقداء آخرون كثيرون كانوا يحملون الشعور نفسه، وهو عدم الثقة بالأسلحة الجديدة.

ولم يكن أمام الجنود المسلحين بالأسلحة النارية البدائية سوى فرصة الرمي مرة واحدة ضد العدو الذي يهاجمهم. وكان الدفاع بوسـاطة النـيران ينحصر في الـدفاع بوسـاطة القـوس الطويل دون غـيره. فعنـدما غـدت الأسلحة النارية هي الأسـلحة الأساسـية في الـدفاع، صـار لا بد من تعزيزها جيدا بأسلحة الصدمة وهي الأسلحة البيضاء، لتستخدم في القتال القـريب، وإلا أصبح من المرجح أن يفاجأ نسق رماة البنادق أثنـاء تعبئة بنـادقهم دون أن يتمكنوا من إطلاق النار[1].

هذا فيما يتعلق بإنجلترا خاصة وأوربا عامـة، أما في الجزائر في العهد العثمـاني، فـإن الأسـلحة البيضـاء ظلت تـزاحم الأسـلحة النارية وفي بعض الأحيان تفوقها وتأخذ مكانها وعلى حال فإنها بقيت تشـكل إحـدى الأسـلحة الضرورية الهامة الـتي العسـكري الجزائـري عند خوضه للمعـارك البرية أو البحرية على السواء.

---

* البرلمان البريطاني المتكوِّن من مجلس اللوردات ومجلس العموم.

) **Microsoft ® Encarta ® 2008. © 1993-2007 Microsoft Corporation**, voir « **Communes, Chambre des » et « Chambre des Lords ». (**

[1] ونترنغهام (طوم) وبلاشفورد-سنل، **الأسلحة والتكتيك**، ترجمة المقدم حسن بسام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1989، ص108.

لـذا كـان على الجزائـريين تشـجيع صـناعة الأسـلحة البيضـاء على مختلف أشــكالها في شــتى أنحــاء البلاد، لما كــانت تقتضــيه من أهمية في تزويد الجيش من السـيوف والأقـواس وغيرها قصد اكتمـال تسـليحه، علمًا بـأن الأسلحة البيضـاء هي مكملة للأسـلحة النارية في هـذه الفـترة. وخـير دليل على ذلك ما كـان يُصـنع في البلاد الجزائرية وفي مدينة الجزائر من طـرف مؤسسات خُصِّصت لذلك.

1-في مدينة الجزائر:

توجد بمدينة الجزائر في بداية القـــرن 14م كل الحـــرف، بما فيها المؤسسات العامة كدار النحاس ودار الصناعة إلى جانب ورشات وحوانيت ودكـاكين مفتوحة على حـواف الشـوارع الأوسع الممتد بين بـاب الـوادي و باب عزون. ويقدم غراماي –Grammaye – في سنة 1623م عدد الحرفيين الــذين يمتهنــون حرفة خاصــة، بحــوالي 80 حــداداً محترفــاً، 180 صــانع سكاكين، 1200 خياط, 3000 نساج و600 مربي لدودة القز... [1]

وكما جاء في تقرير لسائح أجنبي نزل بالجزائر سـنة 1151هـ/1738م، أحصى فيه ما كان يوجد في العاصمة من أصحاب الحرف والمهن الشـعبية عمومـاً، فـذكر أنه شـاهد بنفسه 180 مصـنعاً للسـكاكين والسـيوف وما شاكلها من خنـاجر وغيرها من أنـواع السـلاح الأبيض المطعَّم بالفضة وغـير المطعَّم وكـذلك صـناعة التعـدين[2]. ويـذكر ديـاغو دي هايـدو عن الحرفـيين بمدينة الجزائر أن الفئة السادسة من الســكان العــاملين تشــكل المهن الميكانيكية كصانعي وبائعي بنادق الإسـكوبيت والأقـواس والنبـال وسـيوف الشمشير، بالإضافة إلى صانعي البارود وسباكي المدفعية. كل هذه الحرف تُمـــارس في مدينة الجزائر ولكن أغلبية الممتهـــنين لها هم المرتـــدِّين الأوربـيين حسب قـول هايـدو الـذي يعتـبر أيضـاً أن الأسـرى المسـيحيين يعملون في هذه المهن كمملوكين لرؤساء الورشات أو كمُستَأجرين لصالح أرباب عمل بمقتضى معاهدات ثنائية. كما نجد من بين الحرفيين أيضاً جنود الإنكشارية الذين يذهبون للحـرب أو للجهاد البحري على السـفن حسب ما تقتضيه مدة تجنيدهم[3]، حيث يقومون بامتهان هذه الحـرف ويسـترزقون بها فيجعلونها زيادة لهم على أجور الجندية أو الغنائم البحرية، وصناعة الأسلحة عموماً والبيضاء خاصةً، كانت تشكل إحدى النشاطات المهنية للإنكشارية.

وكانت صناعة الأسلحة البيضاء تدخل ضمن نظام الهيئات الحرفية، يقوم على إدارة شؤونها شيخ البلاد ويوضع على كل هيئة أميناً يمسك دفتر يساعده في التسيير الحسن لعمله وخاصة لعمل الجباية، بحيث كان هذا الأخير يدفع للخزينة حسب العرف القديم بشماق من 500 صايمة ويؤرخ

---

[1] KADDACHE (Mahfoud), **L'Algérie durant la période ottomane,** Office des Publications Universitaires**,** Alger, 1992, p.204.

[2] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **تاريخ الجزائر العام**، الجزء 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة 7، الجزائر، 1994، ص502.

[3] HAEDO (Fray Diégo de(,**Topographie et histoire générale d'Alger, la vie à Alger aux 16ème Siècle,** trad. de l'espagnol et notes de A. Berbrugger et Dr. Monnereau, Présentation de Abderrahmane Rébahi, 2ème Édition, Grand Alger Livres Éditions, Alger, 2004, p.107.

الفرنسي دوفو لذلك بتاريخ شهر محرم من سنة 1103هـ/1691م[1]. وكانت الوفرة التي تجلبها هذه الوحدات الاقتصادية الصناعية في إنتاج الأسلحة البيضاء على غرار المنتوجات الأخرى، تغطي احتياجات السوق الداخلية والاستهلاك الذاتي من هذه المواد الضرورية. وكان الفائض من المنتوج يتم تسويقه في الخارج عن طريق ميناء الجزائر، فيذكر الراهب البندكتي هايدو في هذا المجال أن تجار مدينة الجزائر كانوا يرسلون على متن السفن ذات المجاديف طوال السنة، مروراً بمدينة تيطوان بضاعة من السيوف والخناجر إلى المدينة المغربية فاس[2].

وكان يتم تسليح الجيش البري والبحري مما تنتجه سواعد الجزائريين من سيوف وخناجر وأقواس ونبال والرماح وغيرها. فكان الجندي الإنكشاري في بذلته الحربية يحمل داخل حزامه زوج أو زوجين من المسدسات، سيف الشمشير أو اليطغان على صدره إلى جانب خنجر وبندقية موسكيت على كتفه. والأسلحة تلك مرصعة بأجمل الزخارف عندما يكون حاملها ذي سعة في المال[3]. وكانت حكومة البايلك حسب قول فانتور دي بارادي أنها تمنح للمنخرط الجديد سوى للباس العسكري، ويُعطى له أيضاً أسلحة على شكل إعارة مثل بندقية وسيف يطغان وزوج من المسدسات، ويُقتطع مبلغ من أجرته في حالة عدم إرجاعها[4]. أما البحارة فكانوا مسلّحين بسيوف الشمشير ومناجل ذات مقبض خاصة لقطع الحبال والحِرَبِ والسهام وقذافات السهام والرماح ذات شكل الصليب بالإضافة إلى المدفعية والأسلحة النارية[5]. وفي نفس الموضوع يذكر الطبيب شاو أثناء زيارته للجزائر أن وحدة السقايرجية تتشكل من جنود مسلحين بالرماح ويوجد في كل جيش سرية من مئة رجل يقودها ضابط عسكري تحت اسم السقا يرجي باشي. ورجال السقايرجية مكلّفون بالتنقيب على الماء والحراسة وحمل المياه الضرورية للوحدات العسكرية[6]. (انظر، ش11،10،12،13)

وكان التباين واضحاً في استعمال الأسلحة البيضاء في ميادين المعارك في إطار توازن القوى بين الجزائر والدول الأوربية، خاصة إذا رجعنا إلى معركة الدفاع عن مدينة الجزائر في سنة 1541م أثناء حملة

---

[1] DEVOULX (Albert(, **Tachrifat**, Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, Alger, 1853, p.23 et 44.

[2] **Idem**, p.105.

[3] BERTEUIL (Arsène), **L'Algérie française, Histoire, Mœurs, Coutumes, Industrie, Agriculture,** Tome 1, Paris, 1856, p.29, (**http://www.algérie-ancienne.com**.).

[4] VENTURE DE PARADIS) Jean Michel (:**" Equipement d'une nouvelle recrue",** In. LE TOURNEAU (Roger), **La Régence d'Alger et le monde turc,** p.46**.**

[5] GODARD (M. L'Abbé Léon), **Soirées algériennes, corsaires, esclaves et martyrs de Barbarie**, Tours, A. Mame et Cie, Imprimeurs- Libraires, Tours, 1857, p.41, **(http : //www.algérie-ancienne.com.).**

[6] SHAW (docteur Thomas), **Voyage dans la Régence d'Alger,ou description géographie, physique, philologique, etc. de cet état**, Traduit de l'anglais par Mac Carthy, Paris, Chez Marlin Editeur, 1830, p.163, (**http://www.algérie-ancienne.com**.).

شارل الخامس، بحيث كانت وسائل دفاع الجزائريين لا تضاهي الوسائل الهجومية التي بحوزة الأسبان. إن الترتيبات والتحضيرات التي أوجدها حسن آغا*، لم تكن كافية بالمقارنة مع الحجم الضخم لجيش الحملة الأسبانية. فاستطاع حسن آغا أن يجمع حوله حوالي800 جندي من الأوجاق ثم سارع في تشكيل جيش من 5000 من الجزائريين أغلبهم من الأندلسيين الذين يحسنون الرمي ببندقية الإسكوبيت واستعمال النبال الحديدية بالكثير من العزيمة.

وقد استُخدمت هذه الأسلحة في فترة من فترات المعركة التي أصبحت فيها الأسلحة النارية المسيحية غير صالحة، وكانت ذخيرتها مبتلة من شدة سقوط الأمطار الغزيـــرة والإعصار الذي ضرب المنطقة في مساء اليوم الثاني من الحملة الإسبانية*. فانهال الجزائريون على الأسبان بضربات موجعة، زرعت الموت والفوضى في صفوفهم. وعندما انزاح الغمام من سماء الجزائر وهدئت العاصفة، انكشفت ساحة المعركة على شارل الخامس ورجاله بكل ما تحتويه من خراب، فظهرت للعيان ضخامة النكبة حيث تم إحراق وإتلاف حوالي 150 سفينة من كل الأحجام وكانت الأمتعة التي تحملها السفن المغرقة قد غمرتها المياه وطواقم بحارته قد أبيدوا عن آخرهم سواء بالغرق أو بالقتل تحت سيوف اليطغان[1].

ب- في باقي مناطق البلاد:

كانت صناعة الحديد والتعدين منتشرة عبر كامل الجزائر طيلة العهد العثماني وقبله وكان الحدادون يحوِّلون معدن الحديد المحلي إلى أدوات وأسلحة للاستعمال اليومي. فقد أورد الحسن الوزان (ليون الإفريقي) عندما مر بالمغرب الأوسط في عام 921هـ/1516م في طريقه إلى المشرق لمقابلة السلطان العثماني سليم الأول موفداً من قبل سلطان فاس محمد الوطاسي المعروف بالبرتغالي، حينما نشط الأخوان بربروسا (عروج وخير الدين) في التصدي للغزاة الأسبان في مدن الجزائر وبجاية وغرب الجزائر، في كتابه " وصف إفريقيا"، عرضا شاملاً للموارد الاقتصادية للمغرب الأوسط (القطر الجزائري) والأعمال التي كان يزاولها الأهالي... وكان الحديد يستخرج ويستغل في جبال تلمسان وبجاية وفي تفسرة القريبة من تلمسان ويكثر الحدادون لوجود معدن الحديد قريباً من البلدة[2].

---

* حكم الجزائر من 1534 إلى1544م.

(.GAID (Mouloud), **L'Algérie sous les turcs,** Ed. Mimouni, 2ème Ed. Alger, 1991, pp.55-64)

* نزول الحملة وقع في 24 أكتوبر 1541م (.GAID (Mouloud), **Op.Cit**, p.59) .

[1] BERTEUIL (Arsène),**Op.Cit**, pp.51-56**.**

[2] الطـبي (أمين): **" لمحة عن الحيـاة الاقتصـادية في المغـرب الأوسط (إيالة الجزائـر) في القرن 10هـ/16 من خلال رحلتي الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) وعلي بن محمد التمغروطي"**، من " الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثمـاني" ، جمع وتقـديم عبد الجليل التميمي، الجــزء 2، منشــورات مركز الدراســات والبحــوث عن الولايــات العربية في العهد العثماني"، زغوان، 1986، ص ص 484- 485.

ويضيف يحيى بوعزيز في وصفه لمدينة وهران وأهميتها التاريخية والإستراتيجية في العهد العثماني، وهي في مرحلة تكابد فيها الهجمات البرتغالية والأسبانية* المتكررة ضدها والاضطراب السياسي الذي كان متواصلاً داخلها وحولها في أصقاع بلدان المغرب المختلفة، أن مدينة وهران شهدت، رغم ذلك، في ظل السيادة الزيانية والمرينية والحفصية ومهاجري الأندلس، نشاطاً تجارياً وصناعياً واسعين لمواد مختلفة، منها صناعة السيوف والسكاكين وغيرها[1].

وفي العهد العثمـــاني، انطلقت الجزائر من جديد في تشـــييد أسس دولة متينة تحت لواء الإمبراطورية العثمانية يحكمها نظام سياسي مسـتقر ضمن حدود جغرافية معلومة، أصبح الجزائريون يتمتعـون بـأكثر حرية وأمن ونشـــاط، يتصـــرفون في ثـــرواتهم أحسن من ذي قبـــل. فانتشر العمل الاقتصـــادي في المـــدن والمنـــاطق الجزائرية حيث تكثفت فيها الصـــنائع والمهن وخاصة منها التعدينية.

كـان بـاطن الأرض في كل منـاطق الجزائر غنيـاً بالمعـادن بشـتى أنواعهـا، الأمر الـذي أدى بصـناعة التعـدين والحديد بـالأخص إلى التطـور والنماء، فعلى سبيل المثـال، كـانت منطقة عنابة تزخر بمـواد معدنية أولية منها النحـاس والحديـد. ويُسـتخرج النحـاس من جبـال الإيـدوغ بعين بربر والحديد من مقطع الحديد ومن تلال بـوحمرة ومن منطقة مجـاز الرسـول ومن عين أم الرخاء ومن منطقة وادي معجوبة[2]. لذلك كانت عنابة العثمانية بغض النظر عن الآثـار السـلبية للنشـاط التجـاري المتصل بالاحتكـارات الأجنبيـة، تعتـبر مكانـاً مفضـلاً لكثـير من الصـناع، يزاولـون فيه الصـناعات اليدوية المختلفة الـتي اتخـذت في تنظيمها شـكل مجموعـات حرفية ذات طـابع نقـابي ، يتمركز كل فـرع منها في شـارع خـاص بـه، مثل الأسـواق الخاصة بالخرازين والنجارين والخزافين وبائعي البرانس والحدادين[3]، وهذه الفئة الأخـيرة تجد في معـدن الحديد المسـتخرج من بـاطن منطقة عنابة المـادة الأولية الأساسـية لتحويله إلى أسـلحة بيضـاء من سـيوف ورمـاح وتروس وأقواس...إلخ.

وكانت أيضاً منطقة القبائل تسـتغل معـدن النحـاس الـذي يُـذوب مع معدن الزنك، فيُستخرج منهما معـدن الصـفر أو الشـبهان ليصـنع منه بعض قطع الغيار لبعض الأسلحة كمقابض الخناجر[4]، ويضـيف وليـام شـالر، قنصل

---

* الأولى: غـارات برتغالية من 14 أوت 1415 إلى 1437، فشـلت- الثانيـة: غـارات برتغالية من 1471 إلى 1477، فشلت- الثالثة: غارة أسبانية، 1497، فشلت.(بوعزيز (يحيى)، **وهران، مدن تاريخية**، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1985، ص ص 61- 62.)

[1] بوعزيز (يحيى)، **مدينة وهران عبر التاريخ**، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2002، ص ص 67-68.

[2] دحماني (سعيد)، **عنابة**، الجزائر، 1983، ص ص 67-68.

[3] سعيدوني (ناصر الدين)، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**, **الفترة العثمانية و المعاصرة**، الجزء2، المؤسسة الوطنية للكتاب-ENAL- - الجزائر، 1984، ص219.

[4] KADDACHE (Mahfoud), **Op.Cit**, p.168

أمريكا في الجزائر أن القبائل يعرفـون صـناعة الصـلب الـذي يسـتخدمونه لصنع أنواع من الأسلحة وسكاكين المائدة[1]. وكانت قبائـل فليسة في القبائل تشتهر بصناعة الأسلحة البيضاء[2].

ومن صادرات الشـرق الجزائـري الـتي كـانت تُسـوق إلى السـودان حسب محمد الزبيري: صفائح السيوف التي تُصنع في قسنطينة والواحـات وثمنها يـتراوح ما بين 3 و4 فرنكـات في السـودان[3]. وفي جنـوب الشـرق الجزائـــري، ظلت ورقلة ومنطقتها تـــوقرت تشـــكلان المحـــور الأساسي لأحـداث الجنـوب الجزائـري ومركز ثقل للتطـورات الـتي عرفتها الجهـات الشرقية من الصحراء الجزائرية، ويعتبر ناصر الـدين سـعيدوني أنه هـذا ما جعل الاهتمـام بماضي هـذه المنطقة من الأمـور الضـرورية الـتي يفرضـها تكامل التـاريخ الجزائـري وتحتمها وحـدة الصـحراء مع التل وتـدعوا إليه الحاجة لإبراز مدى ارتباط الجزائر بإفريقيا عبر الصحراء.

رغم ذلك فـإن ماضي هـذه المنطقة ظل مُهملاً وغامضـاً في أغلب فتراته، ولعل أكثر فترات غموضاً ونسـياناً في حيـاة ورقلة ومنطقتهـا، تلك الفترة التي تبتدئ بالقرن 16 وتستمر إلى مطلع القرن 19 والـتي تصـادف الوجود العثماني بـالبلاد الجزائريـة. ويرجع ذلك إلى كـون المعلومـات الـتي بين أيدينا أو التي يمكن الحصول عليها، لم تتجاوز في أحسن الأحـوال نبـذاً متفرقة وإشـارات وتلميحـات عـابرة لا تعـني شـيئاً في الكشف عن ماضي المنطقة. ومن المعطيات القليلة التي استقاها المؤرخ الجزائري من ذلـك، ما يتعلق بالصناعة العسكرية في هذه المنطقة.

إن النشـــاط التجـــاري الرئيسي لمدينة ورقلة يتضـــمن بعض المهن الصناعية والأعمال الفلاحية التي ظلت تؤلف نشاطاً اقتصادياً هامشياً يسد حاجات الأهالي ويتماشى مع أوضاع المناطق الصحراوية. والصـناعة كـانت لها طابعـاً محليـاً تقليـدياً اسـتمد وجـوده من معالجة بعض المـواد الأولية المتوفرة في عين المكان، مثل الجلـود والأصـواف وخـردة الحديد ومعـدن الفضة ومـادة ملح البـارود، والـتي قـام صُـناع المنطقة بتحويلها إلى أدوات وأمتعة خاصة للاستعمال اليومي وكـذلك السـكاكين والسـيوف. ما أكسـبها جودة وإتقاناً أعطاها شهرة تجاوزت نطاق الجنوب رغم قلة أعدادها وضآلة كمياتها[4].

ج- أنواع السيوف:

مما لا شك فيه أن المجموعة التي تتشـكل منها الأسـلحة البيضـاء غنية ومتنوعة، وذلك حسب ما تقتضيه الوظيفة التي يؤديه كل سـلاح، فنجد منها أسلحة القتال الخفيفة كالسيف والفأس والدبوس والمطرقة والقوس والسهم وأسلحة الوقاية والدفاع كالدرع والأذرع والترس.

---

[1] شالر (وليام)، **مذكرات وليام شالر**، قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)، إسماعيل العربي،SNED، الجزائر، 1982، ص 51 .1

[2] KADDACHE (Mahfoud), **Op.Cit**, p.168.

[3] الزبيري (محمد العربي)، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مـابين 1792-1830,** المؤسسة الوطنية للكتاب-ENAL- الطبعة2, الجزائر, 1984، ص ص164- 166.

[4] سعيدوني (ناصر الدين)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 223- 224.

وكان السيف أكثر أسلحة القتال الخفيفة استخداماً في الحروب والقتال على الإطلاق، والسيف هو أقدم الأسلحة المعدنية التي اعتمد عليها الإنسان في حروبه وقتاله منذ العصر الحجري الحديث. وقد اتخذ أشكالاً متعددة وعشوائية من العصر البرونزي، حين استخدم الأشوريون* في بلاد ما بين النهرين البرونز في صناعته، وكذلك استخدمه الإغريق في العصر الهليني*. ثم اكتُشف الحديد، ففضله الأشوريون واليونان ومن بعدهم الرومان على البرونز الذي كان معدناً ليناً. استمر الاعتماد في صناعة السيف على الحديد قروناً طويلةً، إذ لم يُعرف معدن غيره يصلح لها، وإن حرص الفنانون على تشكيله وإدخال التعديلات عليه في الطول والنصل والمقبض فترة بعد أخرى.

وكان من أشهر سيوف الفترة القديمة السيوف الفولاذية الرومانية، وفي العصور الوسطى، ظهر سيف الفايكنغ* وهم ساكنو شمالي أوربا ثم ظهر سيف جديد ذو نصل قصير وعريض له طرف حاد، استخدمه المشاة في أوربا لبتر بطون الخيول التي يمتطيها الأعداء، وفي هذه الفترة ظهر السيف المغولي ذو النصل الدقيق. ورغم استمرار القتال بالسيف العريض، إلا أن مجموعة متباينة من طرز السيوف برزت على يد الصناع الذين كثُر عددهم وأبدوا اهتماماً بتصنيع سيوف رفيعة النصل، خفيفة الوزن. أما في العصور الحديثة، وفي القرن 17م، تأثرت أهمية نسبياً بظهور الحربة المركبةLa- -Baillonnette على مقدمة البندقية، ولكن مع ذلك، بقي السيف سلاحاً مهماً يستخدمونه عندما تقتضي الضرورة مواجهة مشاة الخصم بشكل أفضل من الحربة التي أصبحت سلاح المشاة. ومع حلول النصف الثاني من القرن 18م، شاعت الأسلحة النارية لدى كل الجيوش ومع الأفراد أيضاً، فأدى هذا إلى انحسار القتال بالسيف وتراجعت أهميته تدريجياً لعدم جدواه وفاعليته في كسب المعارك وغدا مجرد زينة للضباط وجنود سلاح الفرسان وطلبة الكليات العسكرية.

وكان السيف عند العرب مرتبطاً بغارات القبائل بعضها على بعض قبل الإسلام، لذا كان العربي يهتم بسيفه ويحرص على صقله وشحذ طرفه ونصله ولم يبخل الشعراء العرب له بالمديح. وظل السيف لدى العرب محتفظاً بمكانة خاصة وتقدير حتى بعد ظهور النبال والرماح والأقواس والحراب. وكان يُزين قبل الإسلام ببعض الأشكال الرمزية والأحرف والطلاسم التي كانوا يعتقدون بأنها تجلب الحظ الحسن مثل أشكال الحيات أو صورة حوت. أما بعد الإسلام، استُبدلت هذه الصور بآيات قرآنية أو بعض الأبيات الشعرية وغيرها من الكتابات. ومن السيوف العربية، هناك

---

* الإمبراطورية الأشورية في بلاد الرافدين، من القرن 14 ق.م إلى القرن 7 ق.م.
Microsoft ® Encarta ® 2008. © 1993-2007 Microsoft Corporation (voir « **Mésopotamie** »)

* نسبة إلى الإحتلال اليوناني لأسيا الصغرى وبلاد الرافدين وفارس ومصر منذ القرن الرابع ق.م. **Idem** ( )

* نسبة إلى عصر الفايكنغ وهم بحارة وقراصنة وتجار من اسكندنافيا. **Idem,** voir « **Viking** ». ( )

السيوف اليمنية، السيوف الهندية المسماة بالمُهند والسيوف الدمشقية التي عُرفت في كل بلاد العرب وسيوف أخرى لا تقل أهميةً[1].

إن صناعة السيوف وغيرها من الأسلحة البيضاء والأسلحة النارية بقيت رهينة صناعة التعدين في العالم وبالأخص في العالم الإسلامي والعربي، بحيث لم يكن جد غنياً بالحديد. كما لم يكن استغلال مناجمه مكثفاً، والقليل منه يُستخرج بكل سهولة من الرسوبات السطحية. انتشرت مثل هذه المناجم منذ القديم وتواجدت بلبنان وبشمال إفريقيا وبأسبانيا، لا سيما في" قسنطينة الحديد "، كما يسميها آلان جاكوب في كتابه عن الأسلحة البيضاء في العالم الإسلامي وفي غربي قرطبة وعلى ضفاف نهر سييرا مورينا- Sierra Moréna-.

وفي أغلب الأحيان كان يلجأ العالم الإسلامي والعربي إلى الخارج من أجل التزود بهذا المورد الأساسي أي الحديد ويعمل أيضاً على استيراد السيوف الغربية لسد طلبات السوق الداخلية وكان من أشهرها سيوف الفرنجة وتستورد بكثرة عن طريق الصقالبة أو بلاد السلاف في اتجاه الشرق الإسلامي متخذة مجاري الأنهار الروسية وبحر قزوين، وفي اتجاه الغرب الإسلامي تتخذ طريق ممر نهر الرون جنوب شرقي فرنسا أو مدينة البندقية الإيطالية التي اختصت في تجارة تهريب الأسلحة والخشب الخارقة لقانون الحظر البابوي المتعلق بالبيع للمسلمين.هذه الظاهرة تفسر بوضوح الندرة الخانقة للأسلحة الإسلامية القديمة التي لا تختلف كثيراً عن أسلحة العالم المسيحي[2].

وفي العهد العثماني، ظهرت في المغرب العربي وفي الجزائر أنواعاً جديدة من الأسلحة البيضاء أحدثتها صناعة ذات تقنيات حديثة عالية. استطاعت أن تطور ميدان الحدادة والتعدين بشكل واسع. من هذه التقنيات مثلاً، عملية دمشقة* السيوف - Damasquinage- فقليلاً ما يكون الكلام على الدمشقة بواسطة النحاس وإن وُجدت مثل هذه التقنيات في السيوف الإفريقية وبالأخص سيوف اليطغان ذات الشكل التركي ولكنها من صنع إفريقي كالسيوف القبائلية التي يُطلق عليها إسم "فليسة" حيث يُستعمل في صناعتها، كما يذكر كميل لاكوست – Camille Lacoste –، من مزيج من النحاس وهو نوع من الشبهان يثري زخرفتها بتباين الألوان بين اللون الرمادي الفولاذي للشفرة و اللون الأصفر المرصع[3]. -1 اليطغان:

إن الجزائر، أرض الإسلام بشمال إفريقيا، مرت بها حضارة امتزج فيها الرصيد البربري القديم بالإسهامات العربية والمحدثات التركية فيما

---

[1] **الموسوعة العربية العالمية**، م أ ن ت، الجزء 13، الحرف س، أنظر " **السيف**"، ص ص 383- 386 و 388.

[2]JACOB (Alain), **Les armes blanches du monde islamique , les armes de poing,** Jacques Grancher .Éditeur, Paris, 1985, pp 26-27.

* دمشقة الفولاذ أو الحديد أي تزيينه بخطوط متموجة كالتي تميز السيوف الدمشقية.

((« **Grand Dictionnaire Encyclopédique Larousse,** GDEL,Paris, 1983, voir « **Damasquinage**

[3] **Idem**, p.36.

بعـد، ليتضح لنا من خلال دراسة التسـليح في بلاد الجزائر الـتي اسـتعملت وقلدت أيضاً أسلحة من صنع تركي كسيوف اليطغـان والشمشـير. وكـانت تُعــرف ســيوف اليطغــان في البلاد في بســاطة زخرفتها ونقص في تقنية تصميمها[1].

فمن السيوف الجميلة التي اشـتهرت بها الجزائر سـيف اليطغـان التركي الذي أخذ مكانة مرموقة وأصبح السلاح الأساسي لمشـاة أو بحـارة الجيش الجزائري في العهد العثماني. وازداد شرفاً عندما في سنة 1802م، استقبل الداي مصطفى باشا الـرايس حميـدو جـراء الانتصـار الـذي أحـرزه على الأسطول البرتغالي ، جالباً معه السفينة "البردقـيز" كغنيمـة، فأهـداه ثياباً جديدة وأعطاه يطغـان شـرف لتهنئته أمـام الملأ ومكافـأة وإكرامـاً له للعمل البطولي الذي قام به ضد أعداء الأمة[2].

كما كان لهذا السيف مكاناً خاصاً في قلوب الجزائريين إذ كـان اسـتعمال الأسـلحة المشـرقية الراقية في بلاد القبائل قد تأكد من طـرف عـدة نصـوص للقـرن 19م :" أسـلحة جميلة اسـتحوذت على موقع محـترم وأصبح قادة العشائر يولون لها اهتماماً كبيراً وخاصة تلك المرصـعة بالفضة والزخـارف"، ويعـني الكلام هنا دون شك سـيوف اليطغـان أو الشمشـير المستوردة والتي اقتُنيت من مدينة الجزائر. ويُلاحَظُ أيضاً أن الحدادين في هذه المنطقة كانوا يصممون مثل هذه السيوف، ففي قرية ناث إيـراثن من قبيلة آث أومـالو وهي فـرع من فـروع آث موسى أوعيسـى، حـدادٌ يصـنع سيوفاً ليست تلك المعروفة بفليسة كما يخبر الملاحظ، ولكن تلك السيوف المسماة "يطغـان"، وتُـبين أن هـذا الحـداد تعلم في المشـــرق مع عائلته حدادة الأسلحة التي كانت في الماضي مربحة جـداً حسب نفس المصـدر[3]. وسُميت أيضاً " أطايان أو أجنـوي" أي من مدينة جنـوة الإيطالية وهي ذات شـفرات مقوسـة، تُعتـبر بـذلك النسـخة الخشـنة لسـيوف يطغـان البلقـان المصنوعة محلياً بواسطة شفرات تم استيرادها من مدينة جنـوة المتمـيزة بصناعة مركبة أو من شفرات محلية ذات نوعية أدنى[4].

سيف اليطغان هو سيف ذو حد واحد مزدوج الانحنـاء، مع مراعـاة أن انحناء خط النصل يتفق مع حركة معصم اليد أثناء الطعن، وتشـبه قبضة اليطغان الأذنين البارزتين وهو لا يحتوي على واقيـة. ويمتـاز اليطغـان بثقله الأمــامي عند الطعن ، مما يســاعد المقاتل على القطع البــاتر الســريع[5]. ويصفه آلان جاكوب بأنه أطلق عليه اسم " خنجر" بتركيا، لأنه سيف قصـير ويُستعمل على طريقة الخنجر، وله شفرة ذات حد مقعر على مدى كبير ثم

---

[1] **Idem**, p.52.

[2] DEVOULX (Albert(, **Raîs Hamidou,** notice biographique sur le plus célèbre corsaire algérien du 13ème Siècle de l'Hégire, d'après des documents authentiques et pour la plupart inédits, Alger, 1859, p.81.

[3] JACOB (Alain), **Op.Cit**, p.52.

[4] Site Internet : www.kabyle.com, blade.japet.com …, Mardi 24 Août 2004, voir « **Le Flissa des Iflissen** », par Mohand .

[5] **الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع**، معرض مقام في قاعة الفن الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1411هـ ، ص22.

محدب عند الاقتراب من رأس السلاح الذي يُعتبر امتداد لحد السيف والذي ينقلب قليلاً نحو الأعلى والكل يأخذ الشـــكل المقعـــر. الظهر المســـطح للسيف يكون أحياناً بارزاً وهو مخطط بمزراب دقيق.

أما الزخرفة فهي موجـــودة ومتنوعة وتحتـــوي على شـــراريف* وغُصـينات ذات سـعف. كما يتضـمن غالبـاً توقيع الصـانع والتـاريخ واسم المالك وكذلك خواتيم الدمغة ويحتوي أيضاً على كتابات منقوشة وكثـيراً ما تتصف بالتكرار والعبارات الغالبة هي : " لا بطل إلا عليـاً ولا سـيف إلا " ذو الفقار". ويتركب مقبض السيف من مـادة الفضة ذات اللـون الأصـفر ومن العضم أو العـاج وينتهي بـأذنين مفتوحـتين قليلاً وغالبـاً ما تحمل أحجـاراً كريمة من المرجـان داخل أسـطوانات حديدية إلى جـانب رسـوم زخرفية على شكل خيوط من الذهب أو الفضة المفتولة التي تحيك بقبضة السيف.

أما الغمد فهو من صـــنع خشـــبي، مغطّى بالقطيفة ذات الألـــوان الزاهية من الأخضر والأزرق والأحمر وبالجلد المخـــاط بالفضة أو بزخـــارف من الفضة المذهبة وهي جد مرشـــــومة بالأشـــــكال الزهرية والنباتية أو المحصاة التي يطلق عليها غالباً اسم " التركية "، وتغطى المساحة بأكملها منتهيـةً بسـهم على شـكل سُـعَيفة أو على هيئة وحش بحـري يتمثل على الأرجح في حيـوان الـدلفين. ويُـزين الجـزء العلـوي للغمد أحجـار كريمة مدعمة بعـدة حلقـات من الفضـة، ونجد فيه رسـومات غريبة كالسـفن الشـراعية الكبـيرة ثلاثية الصـواري أو أشـكال المسـاجد المقببة ذات المآذن... إن الأغمدة المصنوعة بشمال إفريقيا وبالأخص في الجزائر تعتبر من الأنواع ذات الصنع البسيط وزخارفها تُصـمم من معـدن النحـاس[1]. ومن الأنواع الـتي صُـممت من أصل اليطغـان والـتي اسـتعملها الجنـود الأتـراك العثمـانيون العديد من الخنـاجر والسـكاكين والأبـرز منها كـان " البشـاق " ويُعتبر خنجر البشاق النموذج المصغر لسيف اليطغان.

إن أسلحة الإمبراطورية العثمانية عديدة ومتنوعة بـالنظر للرقعة الشاسعة لمسـاحة أحد أكـبر الإمبراطوريات في العـالم والـتي دامت عـدة قرون واسـتطاعت أن تُـدمج شـعوباً جد متباينة ذات ثقافـات متباعـدة، وما يمكن الإشادة به هو هذا الانسجام الفعلي والجمال الحقيقي اللذان ينبعثان من هذه الأسلحة[2].

2- الشمشير:

من جملة السيوف الـتي كـانت تَّصـنع وتُسـتعمل أيضـاً بكـثرة في الجزائر، سيوف الشمشير كما ذكر المؤرخ والأثـري الفرنسي آلان جـاكوب الذي أكد أن الجزائر استعملت وقلّدت صنع هذا النوع من السيوف[3]. سـيف الشمشير هو سلاح ضيق النصل سميك ذو حد واحد. وتمتاز قبضته ببساطة تكوينها وخفتهـا. أما واقية الشمشـير، فلها شـكل خـاص إذ هي على شـكل

---

* مفرد شرافة وهي زينة من الخيوط المفتولة أو نحوها في أطراف السجاد أو سواه.

[1] JACOB (Alain), **Op.Cit**, p.114.

[2] **Idem**, p.124.

[3] **Idem**, p.52

تقاطع، على أن مقبضه الذي ينتهي من أعلى بقبيعة تتجه إلى الجنب، يكزن في جملته شـكل المسـدس. ولا يقتصر اسـتعمال الشمشـير على الطعن والقتال في ميدان الحـرب، فقد اسـتُعمل كـذلك لأغـراض الصـيد والقنص. وفي هذه الحالة، يُعـرف باسم شمشـير " شـيكار جـار " وتوجد عليه عـادة نقوش ورسوم تمثل مناظر الصيد والقنص والحيوانات.

أما سيف الطعن والقتال، فيُنقش على نصله اسم الطَّبّاع أو اسم صاحبـه وتاريخ ومكان صنعه. يُعتبر العصر الصفوي* العصر الذهبي لصناعة الشمشير في فارس،وامتدت شهرته لإلى عصر الأسرة الإفشارية*. وقد بلغ الشمشير غاية كماله على يدي الطباع المشهور أسد الله أصفهاني الذي تضاءلت بموته وزوال مدرسته مكانة فارس وشهرتها باعتبارها مركزاً هاماً لصناعة السيوف الإسلامية.(انظر، ش7)

وفي الهند أيضـاً، كـان هنـاك عـدد من أنمـاط السـيوف العربية في أشكالها والتي تشـكل أسـلحة قومية لكل إقليم من أقـاليم الهنـد. وبشـكل عام،اشتهر هناك طراز " تالوار" الشبيه جداً بالشمشير الفارسي وطـراز " خونـدا " الـذي تبنـاه الأبـاطرة المغـول المسـلمون في شـمال الهنـد. وقد احتفظ السيف باستقامته في الأندلس وشمال إفريقيا والسودان[1].

3- القلج:

ومن السيوف التي طبعت صـناعة الأسـلحة البيضـاء في الجزائر سـيوف القلج الـتي اشـتهرت صـناعتها عـبر كامل العـالم الإسـلامية وأهم مراكزها كانت مـدن اسـطنبول وإرزروم وكونيا بتركيا والقـاهرة.ثم انتقلت هذه الصـناعة من هـذه البلـدان متبعة حـدود الإمبراطوريـة العثمانيـة، فمن الأناضـــول ومصر إلى شـــبه الجزيـــرة العربية إلى إفريقيا البحر الأبيض المتوسط وبالخصـــوص إلى الجزائر ما عـــدا المغـــرب الأقصى ومنطقة البلقان...

وما لبثت سيوف القلج أن لعبت دوراً هاماً، لا سيما في القرن 17، كما تشهده بعض المنمنمات والرسـومات لمحـاربين منقوشة على صـفائح نحاسية. سُميت هـذه الأنـواع من السـيوف من الغربـيين بالشماشـير دون الانتبـاه إلى ما يميزها عنهـا، ومن مـيزات سـيوف القلج، أنها ذات الانحنـاء المتغـير. ويظهر أن القلج الحـديث يحتـوي على شـفرة ذات انحنـاء نـوع ما واضـح، ظهـره ينتهي دائمـاً بحد ثـان منحـدر وتسـاعد في بعض الأحيـان المزاريب والذيول المقعرة على تخفيف وزنه. ويكـون رأس السـيف دومـاً على مستوى امتداد حدِّهِ. (انظر، ش6،5)

يُستعمل لصناعته فولاذٌ ذو نوعية غير متساوية، فَيَبْرُزُ عنه أحياناً عـدة نقائص. أما الزخرفة التي غالباً ما كانت غنية وغزيرة، تتكون من رسـومات

---

* أسرة حكمت فارس من القرن 10هـ إلى القرن 12هـ (16م-18م). (**الموسوعة العربية الميسرة، ،** انظر **" الصفويون "**).

* أسرة فارسية أسسها نادر شاه سنة 1736م/1148هـ. (**الموسوعة العربية الميسرة،** انظر **" إيـران "**).

[1] الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، **نفس المرجع السابق**، ص 22.

وأشـكال مُدَمْشَـقَةٌ بالـذهب الأصـفر والأحجـار الكريمة واليـاقوت الأحمر والحجارة الصوانية منها خاصة... وكانت الأشكال النباتية والزهرية موجودة على السيوف وعلى أجمل وأحسن الشفرات .

وكان مقبض سيف القلج يشبه أخمص المسدس، هذا الشكل الـرائج آنذاك يتكون من صفيحتين من قرن بقر الجـاموس. أما الغمـد، فهو يتكـون من قطعـــتين من خشب مغطـــاة بقطيفة ذات اللـــون الأخضر أو الأحمر الرماني، وبالجلد الأسود مخاط بخيوط الفضة وبحواش من الفضة المذهبة منقوشة بدقة بأشـكال زهرية ونباتية مزينة أحيانـاً بأحجـار كريمـة، وهنـاك سلسلتان تمكنان من ربط حلقات الحمالة وتسمحان بشد حبل التعليق[1].

د- سيوف فليسة:

خلال القرن 19، سلاح جديد اختُرع في بلاد القبائل ليس له نظير في مكـان آخر ولم يُعـرف في غـير الجزائـر. ويبـدو أن كلمة فليسة حديثة ولم تكن موغلة في القدم. وسيف فليسة، لمدى أهميته على المستوى العـالي، فرض وجوده عنـدما قُـدم كهدية لملك أسـبانيا فرديناند السـابع-Ferdinand VII – من طرف قنصله في الجزائر سنة 1827م[2].

وعن قبيلة فليسـة، يعتـبر فنتـور دي بـارادي أن المنـاطق الجبلية في المغـرب العـربي الممتـدة من المملكة المغربية إلى القـيروان يقطنها أمم تتمتع باستقلالية تامة ويوجد في الجزائر قبيلتان شهيرتان لا تخضع للسلطة المركزية وهما قبائل فليسة وقبائل زواوة. فتبـــدأ جبـــال فليسة من مدينة دلس إلى مدينة القل والـزواوة تقع أكـثر جنوبـاً، يملكـون ما يقـارب 300 قرية لا يـــدفعون الضـــريبة ولا الجزية وهم في حـــرب داخلية دائمة ولا يتوحـدون إلا ضد عـدو مشـترك[3]. وقبائل فليسة الـتي اختصت في صـناعة الأسلحة والتي استطاعت أن تكسب شـهرة وثروة طائلة من ذلـك، تصـدرتها قبيلة فليسة البحـــري ويبـــدو أن قبيلتا آيت فراوسن وإفليسن يشـــكلان " مجموعة القبائل الخمس " لمنطقة جرجـرة الـتي لعبت دوراً تاريخيـاً في العصور القديمة[4].

وكـــان عناصر قبائل فليسة يتوافـــدون إلى مدينة الجزائر في العهد العثماني وشكلوا فيها جالية هامة ، خُصت بامتيازات منها أنها كُلفت بالقيام بدورية ليلية ,إن شئونها يديـــرها شيوخ خصوصيون[5]. وعن العلاقة التاريخية الـتي كـانت تربط قبائل فليسة بـدار الســـلطان أن الـديوان قـرر إعلان الحـرب على قبائل بجاية لإخضـاعها لسـلطته وذلك منذ السـنة الأولى لعهد

---

[1] JACOB (Alain), **Op.Cit**, p.92.

[2] **Idem**, p.52.

[3] VENTURE DE PARADIS (J.M.): **« Alger au 18ème siècle »,** In Roger Le Tourneau, La régence d'Alger et le monde turc, p.74.

[4] JACOB (Alain), **Op.Cit**, p.52.

[5] VENTURE DE PARADIS (J.M.), **Alger au 18ème siècle,** mémoires, notes et observations d'un diplomate espion, présentations et notes par Abderrahmane Rébahi, Ed. Grand Alger Livres, Alger, 2006, p.33.

بابا محمد*، وهذه القبائلكانتتشكل منهؤلاء السكانالذينيقطنون جبال فليسة الوعرة والمنيعة.

دامت الحرب بين الطرفين لمدة عامين وخسرت السلطة على إثرها عدة جنود وضباط وبقي الجبليون، على قول المؤرخ الفرنسي، يحتفظون بحريتهم رغم ذلك. فاضطرت حكومة الجزائر إلى التفاوض معهم من تهدئة الأوضاع. وافق سكان فليسة على الهدنة، شريطة الحفاظ على مسئولية طلب تنحية القائد الذي يقيم في سيباو. منذ ذلك الحين، أصبحت الحكومة الجزائرية تراعي بشكاوي الناس ضد القائد الذي أصبح لا يدفع أموال الضريبة للدولة بما أنه لم يقبض أي شيء من السكان. وكان يرسل عوض ذلك الزيت وثمار التين المجففة إلى البايلك، فكانت سلطته لم تتعدى سهل سيباو[1].

لقد اشتهرت منطقة بني عبد الله، وهي مقاطعة من قبيلة فليسة بصناعة السيوف التي كانت معروفة في بلاد القبائل تحت اسم الفليسي والتي كانت جد مشهورة لدى العرب.وكان الحديد الذي يُصنع به هذه السيوف يُجلب من منطقة بني بارباش المعروفة بأفرانها المختصة أكثر في ميدان الأدوات الفلاحية منه في الميدان العسكري، وكانت قبيلة آث يني السائدة في صناعة الحلي قد صنعت نسخاً من سيوف فليسة ولكن دون الوصول إلى إحراز نوعية منتوجات إفليسن خاصة على مستوى المقابض[2]. وكان الفولاذ المستعمل في صناعة السيوف، يُستخرج من خارج المنطقة وخشب الجوز الخاص بمقبض السيف يُجمع من منطقة بني غراتيب من دشرة بني سليمان حيث ازدهر فيه هذا النوع من الشجر[3].

لقد كان يعيش صانع الأسلحة في هذه المنطقة في رخاء وبحبوحة، فتوجه الناس إلى التخصص في هذه لصناعة المربحة التي أصبحت تشكل اختصاص قرى كاملة بل وحتى قبائل بأكملها، فغنمت الشهرة والثروة معاً. وكانت تحتل قبيلة فليسة البحري الصدارة في
منطقة القبائل[4]. وكانت تصدر أسلحتها البيضاء إلى المنطقة بالذات وإلى المناطق الأخرى من البلاد. وهذا النشاط الذي كان مصدر رزق المنطقة، جعلها مزدهرة ومرفهة في القرن 18م، اختفى وزال في الآونة الحالية كما يذكر مارك كوت ولجوء السكان إلى استغلال موارد خارجية عن التراث المحلي التاريخي[5]، غير أن الكاتب الفرنسي لم يتطرق إلى الأسباب التي أرغمت الناس إلى ترك مثل هذه الصناعات، والتذكير بأن الاستعمار

---

* الداي بابا محمد باشا حكم الجزائر من 1567 إلى 1568 م.

)HAEDO (Fray Diégo de(, **Histoire des rois d'Alger,** trad. de l'espagnol par Henri Delmas De Grammont, Présentation de Abderrahmane Rébahi, Grand Alger Livres Éditions, Alger, 2004, p.143**. (**

[1] **Idem**, p.181

[2] Site Internet : www.kabyle.com, blade.japet.com …, Mardi 24 Août 2004, **Op.Cit**.

[3]LAPENE (Edouard), **Vingt-six mois à Bougie,** Présentation de Camille LACOSTE-DUJARDIN et Nedjma ABDELFETTAH-LALMI, Editions Bouchène, Paris, 2002, p. 101.

[4] JACOB (Alain), **Op.Cit**, p.52.

[5] COTE (Marc), **Guide d'Algérie**, Média-plus Algérie , Alger, 1996, p.125.

الفرنسي هو الـذي حـال دون اسـتمرار هـذا النـوع من النشـاط الصـناعي العســكري في العمــل، وذلك خوفــاً منه أن تنقلب هــذه الأســلحة عليه وتُستعمل ضده.

وإذا تَمَعَنّا في الميزات التي اتصفت بها سيوف فليســة، فإننا نكتشف بـأن ما اكتسـبته من سُـمعة داخلية وخارجية طيبة يليق بها وتسـتحق هـذه المكانة التي وصلت إليه.

لقد اتخذ الفرنسيون تسمية فليسة تحـويراً لكلمة " إفليسـن"، وكـان سـكان القبائل يُطلقــون على سـيف فيلسة سـكين أو إيسـكين، وحسب المؤلف الفرنسي كاريت-Carette – في دراسته لمنطقة القبائل يستعملون كلمة الخدامة أو " أَخُــذْمي"[1]. فمن خصــائص ســيف فليسة أنه نــوع من السـيوف الكبـيرة المسـتقيمة ذات سن جد حـادة، تمتـاز بطـول معتـبر، فـالبعض منها تصل إلى أكـثر من المـتر الواحد للشـفرة وحـدها، ولقـاطع السيف انحناءان معكوسان الشبيه في ذلك بسيف اليطغـان الـتركي الـذي تأكد تأثيره على سيف فليسة. (انظر، ش1،2،3،4)

وكـان مقبض السـيف يخلو من حافظ وله بنية متمـيزة مصـنوعة من الخشب مغطاة بأكملها بأوراق من النحاس مركبة بعناية بمسـامير صـغيرة خاصــة، وكــان شــكل المكب فريد من نوعه فهو مثمن الأضـلاع ويأخذ عند رمانة السيف شكلاً دقيقاً لـرأس كلب أو طـير... وتسـتمر مـؤخرة الـرأس في نفس الخط مع ظهر المقبض. أطرافه مزودة بنتوء جـانبي مثلث يشـبه العين المجـردة، والجـانب الأمـامي يشـكل منقـاراً ذات مقطع مسـتطيل الشــكل. ويعلو الــرأس سلســلة من المــدارج[2] وتغطيه حدبة مخروطية الشكل. تكمن أصالة المقبض في هذا التقــليد

الغريب لرأس حيوان، فالأسـتاذ مارسـي-Marçais –* يـرى أن الأمر يتعلق بتقليد لرأس نسر في السيوف الرومانيــة. وهــذا شـيء ممكن، كما يقـول آلان جاكوب، بما أن الجزائـر، في وقت مـا، كـانت جـزءاً من الإمبراطورية الرومانية... والخاصية الأولى الغير مألوفة تلاحظ أيضـاً عند المقبض وهي أن الجــزء الأول العلــوي، العمــودي للقبض يكــون ضـخماً ومنصــهراً من القطعة الواحـدة مع الشـفرة وهي مـيزة تُشـبه كثـيراً في ذلك السـكاكين الصغيرة.

أما غمد السيف، فيتكون من صـفيحتين من الخشب الليِّن المنحـوت، مشــدودتين بعــدة سلاسل – من 6 إلى 8 سلاســل- حسب طــول الغمد والحديد والقصدير أو النحاس الذي يغطي طرفيه الموصلان بعطف بسـيط ومشدودين بأوتاد مغروزة فيه. وفي بعض الأحيان تُستبدل الحلقـات بالجلد

---

[1] Site Internet : www.kabyle.com, blade.japet.com …, Mardi 24 Août 2004, **Op.Cit**.

[2] JACOB (Alain), **Op.Cit**, p.52

* جورج مارسي مؤرخ فرنسي اختص على غرار آلان جاكوب في الحضارة الإسلامية، من أشهر كتبه:
"***l'Art musulman***, Paris, PUF, coll. « **Quadrige** », 1991".
(**Microsoft ® Encarta ® 2008. © 1993-2007 Microsoft Corporation**. voir, «**Marçais** ».)

المظفـور أو بربـاط من الـوتر. الوجه الخـارجي للغمد يحمل في جـزءه العلوي وصلتين للتعليق منقوشتين في الخشب نفسه.

لقد أخـذت الزخـارف المتعـددة والمتقنة اسـتثنائياً، رسـوماً هندسـية شبيهة بتلك الموجودة على الفرش والـدهان والأعمـدة الخشـبية والخـزف والحلي البربري. للزخارف التي تمتاز برسوم غنية، مغزى عميقـاً وغامضـاً وهي منقوشة على عقب الشـفرة. وغالبـاً ما تكـون منبسـطات الشـفرات مكسوة بترصـيعات من النحـاس دون المعـادن الثمينة كالـذهب أو الفضـة، عكس ما يحصل في المشرق.

وعن كيفية حمل هـذا السـلاح، فإنه يُتقلد على الظهر أو تقريبـاً على البطن حيث يُربط بحبل كبـير للتعليـق، ونلاحظ هـذه الكيفية جيـداً على الرسومات الفرنسية القديمة التي تمثل مقاتلين من بلاد القبائل. وللسؤال عن الطريقة التي يتم استعمال هذا السيف فالضـابط العسـكري الفرنسي لا بن–Lapène – يجيب أن هذا السلاح جد خطير في الضـرب بحد السـيف ويضيف أن سـكان القبائـل، نـادراً ما يسـتعملونه للقطـع، إلا إذا تعلق الأمر بقطع الـرؤوس البشـرية. في هـذه الحالـة، يطبقـون عليه الجـزء الـداخلي بالجر بقوة إلى الخلف بعملية النشـر. وفي رسـالة مؤرخة لسـنة 1838م، شاهد يصرح دون أية خلفية، قائلاً بأنه سـوف يحصل على أخطر سـلاح عند القبائل وهو سـيف فليسة المـرعب ثم سيُرسـله لصـاحبه في أول فرصة ليراه بنفسه عن قرب للشعور باللذة عند مشاهدته لهذا النوع من الرقة ثم ينطلق في رسالته في وصفه الدقيق للسيف.

تعتـبر بعض سـيوف فليسة الجد نـادرة والغريبة في آن واحـد، خليط بين السـلاح الجزائـري وسـيف "نيمشـة" المغربيـة، شـفراتها مسـتقيمة ولقاطع السيف انحناءان معكوسـان. في حين، يأخذ مقبض هـذه السـيوف شكل النموذج المغربي بعارضتين ملتويتين نحو الشـفرة وفرعهـا... وبعض السـيوف الأخـرى أيضـاً تتمـيز أحيانـاً بزخـارف من الفضة على الطريقة التركية ، فهي موجهة للقادة والأمراء.

إن أصل البنية الخارجية لسـيف فليسة غـير معـروف، غـير أن تـأثير سـيف اليطغـان عليه يبـدو مؤكـداً. كما يمكن أيضـاً ذكر تـأثر سـيف فليسة بسكين من شبه الجزيرة الأيبيرية المدعو "فلقاطة "-Falcata – في شـكل الشـفرة، للعلم أن بعض نمـاذج من هـذه السـكاكين وصـلت إلى إفريقيا الشمالية عن طريق إسبانيا[1].

لقد تـــركت الشـــفرة الجزائرية الرهيبة كما يكنيها آلان جـــاكوب و المسـماة "فليسـة"، نمـاذج مصـغرة للسـيف وهي السـكاكين. فالسـكين المترتب عن سـيف فليسة يمتلك نفس الخصـائص مع السـيف سـواء على مستوى الشـفرة أو الغمـد. الفـرق الوحيد يكمن في تقوسه القليل عند حد السكين. والزخارف هي نفسها، كرسـومات ذات أشـكال هندسـية بسـيطة وترصـيعات بالنحـاس والنقـوش على الأطـراف الخشـبية للغمد المثبتة

[1] JACOB (Alain), **Op.Cit**, p.56.

بسلاسل من حديد وعددها أربع (04) عموماً. إن بعض هذه الأسلحة المصنوعةٍ بإتقان، تُحمل بشكل متـواز على الظهر والصـدر، داخل نـوع من جراب تُذَكِّرُنا في ذلك، بمسدسات " كبور " - Koubour- التركية.

ونجد نفس هذه السيوف في الجزائر أيضـاً على شـكل خنـاجر ذات أصول تختلف كثيراً عن الرصيد الـبربري، حيث تظهر عليها جليـاً التـأثيرات العربية. فالشفرة ذات المقطع الواحد تكتمل بحد معكوس، الغمد والغلاف من صـنع خشـبي منقـوش. أما المقبض المـدعم بحافظة ، فيحتـوي على مكب يعلوه ملمس الأصبع وزائدة على شـكل "وُذَيْنـات". ما يجعل الشـكل العام للخنجر يقترب كثيراً من السيف العربي (الجزيرة العربية) في الهيئة المصغرة، ومن سيف " نيمشا " المغربي كذلك، ولكن في الشكل المغـاير نسبياً.

إن التنـوع في التسـليح في البلـدان الـتي تشـكل العـالم الأسـباني المغربي يبين بوضـوح ثـراء الرصـيد الثقـافي والعـرقي للمنطقـة. و كـانت الشفرة القبائلية الكبيرة الـتي يطلق عليها اسم "فليسـة" أحد عناصر هـذا الثراء إذ أنها تـذكر نوعـاً ما " الفلقاطة " الأيبيرية واليطغـان الـتركي الـذي استعمله جنود الإنكشارية على ضفاف البحر الأبيض المتوسط. فكانت هذه العــلاقات

وكل هذه التـأثيرات تـبين مـدى تـداخل البلـدان الإسـلامية ليس عن طريق الديانة والثقافة فقـط ولكن عن طريق الفنون و التقنيات كذلك[1].

ر- أسلحة الطوارق:

الطوارق هم قوم شرفاء يتمتعـون بالشـهامة والعزيمة ولهم في ذلك خصـال عُرفـوا بها منذ القـديم، يقـول عنهم ابن حوقل*: " أن هـؤلاء القـوم فيهم الشـجاعة والإقـدام والفروسـية، وخاصة على الإبـل، ولـديهم الخفة والجـري والشـدة في الحـرارة وأنهم أحسن من غـيرهم في هـذه الشـدة والتحمـل..." لا شك أنه وصف صـائب، ما دامت هـذه الصـفات باقية حـتى اليـوم، وهنـاك من الكتـاب المحـدثين عن وصـفهم بـالقول: " أنهم أسـود يواجهون الأسلحة الحديثة كالمدافع والقنابل بالسيوف والخناجر المصنوعة بأيديهم دون اكتراث بالموت، إنهم يلاقون كل هـذه الأسـلحة بالجد والصـبر والشجاعة والإقدام لا يتحركون من مـواقعهم شـبراً واحـداً، وهم يتـدرعون بدروع من جلود الحيوانات."

لــذلك فقد وقفــوا دائمــاً في وجه المحــاولات الرامية إلى التوسع والتغلغل داخل منطقتهم التي عادة، تبدأ بإيفاد رحالة لاستكشاف المناطق. ولا أدل على ذلك مما حدث في عـام 1800م، حينما قـام المغـامر الألمـاني هورفمــان برحلة بــدأها من مصر في اتجــاه الــنيجر لاستكشــاف الصــحراء الكبرى لصالح جمعية اكتشاف إفريقيا، ولكنه مات في تمبكتو عنــدما وصل

---

[1] **Idem**, p.66.

* **أبو القاسم محمد بن العلى الموصـلي ابن حوقل**، تـوفي ببغـداد سـنة 977م، رحالة وجغـرافي عربي، ألف كتاب "المسالك والممالك".
(الموسوعة العربية الميسرة، المرجع السابق، انظر " ابن حوقل ".)

إليها وقُتل من كـان معه من جماعتـه، حـتى لا يعرفـوا شـيئاً عن الصـحراء. وفي سنة 1825م، قام الماجور "ألكسندر" المبعوث العسـكري الإنجلـيزي إلى الصـحراء ونجح في الوصـول إلى تمبكتـو، مـروراً بعين صـالح وغـات وأدرار، وأثنــاء عودته في اتجــاه طــرابلس، شك الطــوارق في أمــره هو ورفاقه فقتلوهم.

وكذلك كـان مصـير الكثـير من المغـامرين الأوربـيين الـذين حـاولوا دخول الصحراء تحت أي شكل من الأشكال ولعل الطـوارق كـانوا يـدركون أن تلك الفــرق الصـغيرة ما هي إلا مقدمة للاسـتعمار الـذي كـان يرسـلها لاكتشاف الطرق ومصادر الماء وأماكن الذهب والمعادن. زمن الجواسيس الذين لقوا مصرعهم أيضاً بالصحراء الجاسوس " فوجيل " الذي قام برحلة من طرابلس على تمبكتو وكذلك " نوغمان "،" دونيري " و" يورهان"[1].

وعندما حاول الاسـتعمار الفرنسي التوغل جنوبـاً انطلاقـاً من شـمال الجزائــر، كــان الطــوارق له بالمرصــاد وحــاولوا جاهــدين إيقــاف الزحف الاستعماري نحو الجنوب الجزائري بكل قـواهم المادية والمعنويـة. فكـانت مقاومة الطوارق للفرنسيين جد عنيفــة، مما أدى إلى تعطيل عملية التوغل لزمن طويل وإرجائها إلى عشـرينيات القـرن 20. وما كـانت أسـلحتهم في عملية المقاومة إلا أسلحة تقليدية في أغلبيتها تم تصـنيعها محليـاً توغل في القدم كقدم تاريخ الطوارق في المنطقة الجنوبية للجزائر.

في وسط هذه المنطقة الشاسعة، تنتصب سلسلة جبال الهقـار الـتي ينتمي إليها هــؤلاء الطــوارق ، أصــحاب السـيف وهم يتوزعــون عــبر كامل الصــحراء ، من مدينة تمبكتو التاريخية (مــالي) جنوبــاً إلى إقليم التــوات (الجزائر) شمالاً. يحرسون أبواب الصحراء وبلاد السـودان ويقتطعـون حق الدخول والخـروج والمـرور على القوافل التجارية الـتي تجـوب الصـحراء[2]. كـان ينقسم الطـوارق قبل الاحتلال الفرنسي إلى خمس مجموعـات (05)، كل واحــدة منها تقطن منطقة معينــة، وفي الجزائــر، حسب هــنري لــوط، يتفرع الطوارق إلى قسمين: قسم إيهاقارن أو كل* أهقار القاطن لسلسـلة جبــال الهقــار ومجاورها وقسم كل آجر وهم ســكان الطاســيلي أن آجــر، ويُسمون في بعض الأحيان طوارق الشمال[3].

وعن أصل الطوارق، ارتاب دي لا بريمـودي كثـيراً ويعتـبر أن الأمر لم يُحسم بعد من طـرف المختصـين، فـالبعض منهم يـرى أنهم ينحـدرون من الونــدال وآخــرون منت الفــرس والميــديين* ، بينما يــدعي الطــوارق أنهم ينتسبون إلى الأتـراك، إلا أن هـذه النظرية غـير جدية لأنها تقـوم على ذاتية وحب نفس. وعلى أية حـال، فـإن هـذه القبيلة الصـحراوية الكـبرى تشـكل

---

[1] بوشارب (عبد السلام)، **الهقار، أمجاد وأنجاد**، نشر المتحف الوطني للمجاهد، ANEP، الجزائر، 1995، ص ص 99- 100.

[2] PRIMAUDAIE (F. Elie de la**), Le commerce et la navigation de l'Algérie** avant la conquête française, Revue algérienne et coloniale, Juin 1860, p.290,**(http://www.algérie-ancienne.com.).**

* كل يعني أهل . (LHOTE (Henri), **Les touareg du Hoggar (Ahaggar),** Payot, Paris, 1944, pp.127-128)

[3] LHOTE (Henri), **Op.Cit**, pp.127-128.

* شعب من إيران، أسس إمبراطورية في القرن7م. **("Petit Larousse Illustré, 2004,** voir**" Mèdes)**

إحدى أجمل السلالات البشرية على وجه الأرض، على اعتبار هذا الأخير[1]. إن هذه النظرية المتشككة لأصل الطوارق والمصنفة للجنس البشري، تذكرنا بالمواقف الاستعمارية المساندة للعنصرية والعرقية والمؤيدة لتفوق الجنس الأبيض على الأجناس الأخرى. أما الذي ينبغي ذكره فإن الطوارق هم شعب مسلم من البربر يُعرفون أحياناً باسم "الملثمون" لأن الرجال يضعون على وجوههم لثاماً أسوداً أو أزرقاً طيلة الوقت[2]، ويتكلمون لغة البربر الذين يسكنون مناطق المغرب الأقصى والأوسط، كما يرى الرحالان الشهيران هورنمان وليون Horneman –Lyon-[3]، وكانوا يعتادون على حمل أسلحة كالقوس والدرع والرمح والسيف، ولا يستعملون قط الأسلحة النارية التي لديهم نوعاً من الاشمئزاز[4].

وكانت العلاقة التي تربطهم بالشمال ، تضرب جذورها في التاريخ ويذكر ابن خلدون أن "الملثمين " كانوا في اتصال دائم مع عرب الشمال ومع الشعوب الزنجية بالسودان في القرن 14م[5]. وفي العهد العثماني، كانت تجارة القوافل تُمارَسُ عن طريق الطوارق الذين يأخذون البضائع من قبائل الشعانبة لحملها إلى تمبكتو جنوبا مشكلين بذلك وساطة بين القبائل المغاربية فيما بينها وبين جنوب الصحراء[6].

ويعطي لنا النفوذ العثماني بمنطقة ورقلة، فكرة صحيحة عن مدى ارتباط البلاد الجزائرية بإفريقيا السوداء. وذلك لكون هذه المنطقة، بوضعها الجغرافي ونشاطها الاقتصادي، ظلت طيلة الفترة العثمانية ،تشكل حلقة وصل وبوابة طبيعية بين بلاد المغرب الأوسط وأقاليم السودان الغربية ومعبراً حيوياً، تمر منه السلع وتنتقل عبره وفود الطلبة والتجار وجماعات العبيد بين مختلف جهات الصحراء الكبرى. كما يثبت لنا النفوذ العثماني بمنطقة ورقلة من جهة أخرى، تكامل إقليمي الصحراء والتل، هذا التكامل الذي يعطي للإيالة الجزائرية منذ القرن 16م وحدة طبيعية، ترتكز على الترابط البشري الفعال والتبادل الاقتصادي المثمر والعمل الحضاري البناء[7]. وعن أهمية هذا الدور، كان يكتب الجنرال يوسف* في إحدى حملاته في الجنوب أن القبائل الترقية غنية بالإبل، وكان الطوارق يُقبلون على مدينة ورقلة كل عامين أو ثلاثة. وعلى مسافة حوالي 50 فرسخاً نحو الجنوب-جنوب غربي هذه الواحة، كانت قبائل الشعانبة والعديد من قبائل أولاد يعقوب تتعامل معهم وتعاشرهم[8] وتقيم مع الطوارق علاقات تجارية بناءة.

---

[1] PRIMAUDAIE (F. Elie de la**), Op.Cit**, p.290.

[2] **الموسوعة العربية الميسرة، نفس المرجع السابق**، انظر " الطوارق".

[3] SHALLER (William), **Esquisse de l'Etat d'Alger,** Présentation de Claude Bontems, Edition Bouchène, Paris, 2001, p.86.

[4] PRIMAUDAIE (F. Elie de la**), Op.Cit**, p.291.

[5] **http: //www.1911 encyclopedia .org/Tuareg**.

[6] KADDACHE (Mahfoud), **Op.Cit**, p.220

[7] سعيدوني (ناصر الدين)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 244- 524.

* ضابط فرنسي (1810-1860) شارك في محاربة الأمير عبد القادر.

(« **Petit Larousse en couleurs**, 1980, voir « **Yousouf**)

لقد لعب العنصر الترقي كصلة ارتباط بين الشمال والجنوب الدور الأساسي. وبفعل هذا الدور المناط بهم ولضمان سلامة الأشخاص والسلع وتأمين الطرق وخطوط سير القوافل، اهتم الطوارق باكتساب الأسلحة وتصنيعها كذلك.

ينقسم المجتمع الترقي إلى طبقات اجتماعية متباينة، لكل منها دور يقوم به، وللطبقة المسماة " إينادن " (جمع "إيناد") الدور المهني القائم على صنع ما يحتاجه الطوارق من أسلحة وأواني وأوتاد الخيم، وسروج الجمال وعدة الرواحل[1]. كان عمل تصنيع المعادن يقع على عاتق طبقة إينادن على الخصوص المتمثل في تحويل الفضة والنحاس والحديد. كان استعمال عدة أفران في المرة الواحدة وسيلتهم ولا يعرفون الأفران العالية[2]. وكان الحدادون الطوارق يصنعون شفرات السيوف بواسطة منجم الحديد المحلي باستثناء الشفرات التاريخية الموروثة أباً عن جد في العائلات النبيلة.

ويلاحظ جاك أنكتيل –Jacques Anquetil – في كتابه حول الصناعة التقليدية في إفريقيا أن الحداد عند الطوارق يعني الحرفي، والحرفيون الطوارق لا يخزنون مصنوعاتهم. فما يُصنع من الأسلحة والأدوات يكون مرهوناً بطلب الزبون وضمان بيعها، فهم يصنعون في نفس الوقت الحديد والنحاس والخشب وينجزون الأسلحة والأدوات والحلي[3].

من الأقوال التي آثرها الطوارق لمدح أسلحتهم، أن " الأسلحة مخيفة ورهيبة وسيف الطوارق أشدها وأرهبها بيد أن الرصاص والبندقية غالباً ما يخطئان الهدف ". " ولكن السيف يكون سلاح الترقي عندما يكون القلب أقوى من الذراع." ومن الأقوال المأثورة عن وطنهم الهقار:"من هذا الذي يستطيع مغادرة جبل الهقار؟ حيث ينعم الطوارق بالحياة الرغدة والمفعمة بالحرية "، ثم يتابعون في وصف الجمال الطبيعي لبلادهم بإيثار شديد[4].

وفي الحياة العادية، كان عامة الناس في الهقار يتسلحون بالحراب الطويلة وبدروع
من جلد البقر الوحشي بالإضافة إلى سيف كبير يستعمله الطوارق باليدين بقوة وبراعة مذهلتين[5].

إلى جانب الرماح ذات العصا الخشبية والخناجر ويعتبر هنري لوط في كتابه عن طوارق الهوقار أن نوعية الأسلحة تختلف حسب الطبقات الاجتماعية الترقية. فكان أفراد الطبقة الأرستقراطية المسماة " إيموشار"

---

[8] BEAUDICOUR (Louis De), **La guerre et le gouvernement de l'Algérie,** Sagnier et Bray, Libraires-Editeurs, Paris, 1853, p.249.

[1] LHOTE (Henri), **Op.Cit**, pp.173-174.

[2] **Idem**, pp.278-279.

[3] JACOB (Alain), **Op.Cit**, p.74 et p.76.

[4] DAUMAS (Le général), **Mœurs et coutumes de L'Algérie, Tell- Kabylie- Sahara,** Librairies de L. Hachette et Cie, Paris, 1853, pp.377-378, (**http://www.algérie-ancienne.com**.).

[5] BEAUDICOUR (Louis De), **Op.Cit**, p.250.

* يحملون أجملالأسلحة كسيف " تاكوبا " الذيُعد سلاح النبلاء بامتياز والرماح الحديدية " آلار" التي يختص بها النبلاء والتابعين، والحراب ذات الزج والسن الحديدية والعصا الخشبية " تادرا" الخاصة بالتابعين والعبيد إلى جانب خنجر الساعد " تلاق " الذي تلتصق به حلقة من الجلد لتعليقها في المعصم. ولا يمتلك الطوارق كسلاح الدفاع سوى الدرع الذي يُطلق عليه اسم " آهرار"- المصنوع بجلد ظبي الأوريكس-Oryx - . وكان النبلاء يمتازون عن غيرهم بالحق في حمل الدرع الذي يذكرنا بشعارات النبلاء الأوربيين من حيث الشكل والإيديولوجية التي تحيط بها والرسوم الزخرفية ذات الميزات السحري.)انظر، ش 8، 9)

وكان الطوارق بارعين في المسايفة ويحاربون بالمجابهة الجسمية، استعمالاً للدرع الذي يحمي الجسد من ضربات العدو، وذلك بمهارة جد عالية رغم وزن وحجم تلك الأسلحة. وكان سيف الطوارق يتميز بضربة حد السيف، ولكنه قادر على شق الدرع إلى اثنين، إذا كان من نوعية جيدة[1]. وقد اشتهر هذا السيف في التاريخ بسيف " تاكوبا". (انظر، ش 8،9)

- سيف " تاكوبا": لقد كانت الأسلحة تلازم الطوارق بالدوام وتلعب في حياتهم دوراً أساسياً، وكان سيف تاكوبا أشهرها. ومن ميزاته أن شفرته الطويلة تنتهي بسن مقوسة المسماة بالسن المتثلمة. وكانت الشفرات ذات المصدر الأوربي تشكل الأغلبية والبعض منها تحمل خاتم الحدادين الطليطليين (من طليطلة*) في القرن 14م. ونعثر غالباً على هذه السيوف دمغة الحداد فيها شكلاً يُسمى بـ"الذئب الراكض" أو "ذئب باسو"-Passau -* الذي يمثل الصانع الأسباني للأسلحة النارية الخفيفة المدعو خوان دال راي-Juan Del Rey-.

ويحتوي مقبض السيف على تُفَيحة عريضة شبيهة بالقرص وعلى حافظ بشكل صليب جد واسع، مغطى بالجلد المزخرف. ويعتبر المؤلف الفرنسي آلان جاكوب أن أصل الحافظ الصليبي الشكل الذي كان محل جدال ونقاش النظرية المتعلقة به والأكثر مصداقية هي تلك التي تلحقه بالأصل البيزنطي أو الصليبي. ويبدو أن تفسير صحة هذه المقولة تكمن في طرح سؤال عن الأسباب التي دفعت المرابطين والموحدين ذي الأصول الصحراوية ومن كبار الفاتحين إلى عدم جلب هذا النوع من السيوف من أسبانيا إلى بلاد المغرب العربي[2].

ويجزم آلان جاكوب في الأخير أن هذه الشفرات التي يملكها إحدى أشهر المحاربين يعود أصلها إلى أوربا، أتت عن طريق الصحراء في نهاية

---

* جمع أماشر، وهم الطبقة الأرستقراطية، تعني أيضاً الطبقة المهنية الأرستقراطية غير النبيلة.

)LHOTE (Henri), **Op.Cit**, pp.324-325-326. (

[1] **Idem**, pp. 324-325-326.

* طليطلة الأندلسية، جعلها الأمويون مدينة صناعة الفولاذ، انتزعها ألفونصو الرابع سنة 1085م، لتُصبح عاصمة مملكة قشتالة. (**Dictionnaire Encyclopédique Universel**, Editons.Hachette, 1980, voir « **Tolède** ».)

* مدينة ألمانية من مقاطعة ساكس والبافيير - Bavière -Saxe – . (Petit Larousse en couleurs, **Op.Cit**, voir « **Passau** »)

[2]JACOB (Alain), **Op.Cit**, p.70.

القــرن 15م وبداية القــرن 16م. وقد تحقق التعــرف عن أصــلها بفضل الدمغات الموجـودة على السـيوف وسـمحت بتحديد أمـاكن صـنعها بألمانيا في مــدن باسو وصــولنقن–Solingen– وفورتمبـــــرغ- Wurtemberg – وبأسبانيا في مدينـة طليطلة –Tolède – وبايطاليا في بادوفا– –Padova

وبالنمسا وفرنسا وسويسرا[1]. وهذا يبين أيضاً مدى تعلق الطـوارق بأسـلحة طليطلة الأندلسية الأسبانية.

ولكن مهما يكن من أمر، وما يمكن إضـافته عن هـذا السـلاح المثـير، فإن سيف "تاكوبا" يُعتـبر السـلاح الرئيسي للمحـارب الـترقي، يخـوض به المعـارك جسـماً لجسم ويـده في السـيف تحميه حافظة حديدية صـغيرة مسـتطيلة الشـكل ومغطـاة في الغـالب بالجلد وذات شـكل صـليبي كـان موضع للكثير من التساؤلات والمناقشات. وكـانت الزخرفة المزينة لسـيف تاكوبا تحدد المرتبة الاجتماعية ومزاج حامله، مانحاً للسيف نوعاً من القـوة والســلطة. وقد أُعطيت لمختلف أجزائه أســماء مرتبطة بجسم الإنســان كالرأس الأبيض للثُفَيحة والنخـاع العظمي للمكب، والكتف للحافظة والثغر لحد السيف، واللسان لسن السيف... وكان الغمد الـذي يوضع فيه السـيف من صـنع الجلد المطبـوع ومثبت بحلقـات نحاسـية وأحزمة الإثبـات والكل مجمل بزخــارف أنيقة باســتعمال إلصــاقات من الجلد الأخضر وزخــارف مطبوعة بالحديد.

ومن مجموعة الأسلحة التي يملكها المحاربون الطوارق، الرمح، وهو سـلاح الـرمي الـذي يحتمي منه بواسـطة درع واسـع، مصـمم بجلد البقر الوحشي ويُمسك به بمقبض حديدي،

يساعد على خوض المحـارب للقتـال بالمجابهة بالسـيف الـذي يشـكل مع خنجر الذراع سلاح المحارب الذي يقاتل في ميدان المعركة على قدميه[2].

بالإضـافة إلى ما وصل إليه الـترقي من تصـميم لسـيف تاكوبا بإتقـان ومهارة فإنه صُنع سلاح الوقاية والحماية، أُطلق عليه اسـم" الـدرق ". وهو عبـارة عن درع يُسـتعمل في الحـرب وهو من المتانة والصـلابة والجـودة ويُضرب به المثل في دقة الصـنع. كما كـان الطـوارق يتخـذون الـدروع من جلـود الوحـوش بعـدما كـانوا ينطعونها في الألبـان لمـدة حـتى تـزداد قـوة ومتانـة، بحيث إذا وقع عليها السـيف أو حـتى الحـراب لا تعمل فيها إطلاقـاً، وهي أحسن من الـدروع الـتي كـانت تُصـنع من الخشب أو الحديـد، فالجلد أخف وأمتن وأقسى. أما عن اختيارهم للبن بالـذات، فهـذا فن آخر حيث أن الجلد يشرب اللبن ويصـير سـميكاً وغـير نافـذاً، ولا سـيما إذا كـان من جلد حيوان الوحش الذي اختـاروه بـدوره، وهـذا ما يـدل على أن الطـوارق لهم دراية كبيرة بالمواد الكيماوية[3].

Idem, p.76

Idem, p.70, p.72, p.74.

بوشارب (عبد السلام)، **نفس المرجع السابق**، ص63.

الفصل الثاني: صناعة الأسلحة النارية

1- صناعة الأسلحة النارية الخفيفة

2- صناعة المدافع

3- الذخيرة

1- صناعة الأسلحة النارية الخفيفة

أ - الأهمية

ب - هيئة صناع الأسلحة الخفيفة

ج - الأندلسيون

د- صناعة الأسلحة النارية في باقي مناطق البلاد

ر- نوعية الأسلحة

ز- الطابع التجاري للأسلحة النارية الخفيفة

صناعــة الأسلحــة الناريــة الخفيفــة

أ- الأهمية: تتشكل سلسلة الأسلحة النارية الخفيفة مجموعة أسلحة تتميز بخفة الوزن، ويُطلق أيضا عليها اسم الأسلحة النارية المحمولة والفردية، لأنها تحمل من طرف فرد واحد عكس المدافع التي تركب على الأسرة ويعمل عليها مجموعة من المدفعيين. تشتمل هذه السلسلة على صِنْفَيْن، هما البنادق والمسدسات.

كانت صناعة الأسلحة النارية الخفيفة بنوعيها في الجزائر في العصر الحديث تقوم بتزويد البلاد بالسلاح الضروري للدفاع عن سيادتها الترابية، وضمان حماية السكان من الأعداء في الداخل والخارج. وكانت قد استعملت هذه الأسلحة منذ القرن15م، ولم نعرف مصدرها بسبب نقص المصادر التاريخية والمادية[1].

وقد عـرف المسـئولون السياسـيون منذ القـديم أهمية تلك الأسـلحة وعلمـوا الفـرق الـذي كـان يميـز الأسلحـة الناريـة عن الأسلحـة البيضــاء. فالمقارنــة التي قام بها هنري للويد–Henry Lloyd–، مختص إنجلـيزي في

[1] درياس (لخضر)، **المدفعية الجزائرية في العهد العثماني**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه (الحلقة الثالثة) في التاريخ، السنة الجامعية 89/1990، ص 71.

الإستراتيجية العسكرية (1729-1783)، في مقالة أوردها جيرار شاليان– Gérard Challiand- في كتابه عن مختارات الإستراتيجية العسكرية العالمية لجديرة لإيضاح الدوافع التي أدت بالجزائريين إلى اقتناء الأسلحة النارية وعدم الاكتفاء بالأسلحة البيضاء، وتتلخص العلاقة التكاملية الموجودة بينهما في المقارنة التالية: ومن أجل القيام بعملية المقارنة بين الأسلحة النارية عن الأسلحة البيضاء، واستنتاج المزايا والعيوب لكليهما، يجب التسليم مسبّقا بضرورة استعمالهما ميدانيا لاستكمال أسس تشكيلة عسكرية صحيحة.

إن الأسلحة النارية تختص بالحرب الدفاعية، وتساعد على إبعاد العدو الذي، إن وُجد على مسافة قريبة، فإن استعمالها يزول نهائيا. على عكس الأسلحة البيضاء التي تصبح غير صالحة على مسافة ما، ولكنها تصير إلزامية عند التحام الجيوش فيما بينها. الأسلحة النارية هي ضرورية في المناطق المغطاة و الأسلحة البيضاء في السهول ... الجيش الذي لا يملك إلا الأسلحة النارية تبقى تنقلاته بطيئة، وتحركاته غير واضحة، فيكون مصيره مرهونا بتطورات العلم والموهبة بشكل وثيق، والعمليات الحربية الناجحة التي يقوم بها تتم في أغلب
الأحيان على مستوى الحرب الدفاعية. غير أن الجيوش المسلحة بالرماح تنتقل بأكثر سرعة وتتميّز تحرّكاتها بدقة، ويكون ارتباطها بالعلم أقل من الأولى وهي تصلح خاصة للحرب الهجومية. يبدو من خلال هذه المقارنة القصيرة، أن صفات الكمال التي تجعل جيشا يقوم بجميع العمليات الحربية بأكمل وجه لن تتأتىّ إلا باجتماع هذين النوعين من السلاح[1].

نتعرف على أهمية الأسلحة النارية، بوجوب التطرق إليها في مكانها الأصلي الذي ترعرعت فيه وما حصل عليها من تطورات فعلية منذ نشأتها. فكانت الأسلحة النارية في أماكن " أقل عزلة" كبريطانيا أو بولندا في بداية الأمر، تفوق الدروع والقلاع في نفس الوقت. وجاء أول إثبات للنتائج الاجتماعية الناشئة عن هذا التفوق في كتاب فريديريك إنجلز –Fiedrich Engels –* " الرد على دوهرنغ"- Anti-Duhring - * حيث قال:
" صارت الأسلحة النارية تتطلّب تصنيعا وأموالا. وكان كلاهما في أيدي سكان المدن. وعلى هذا الأساس و كانت الأسلحة النارية ومنذ البدء، هي أسلحة المدن، وأسلحة الأنظمة الملكية الناشئة التي تستمد دعمها من المدن ضد طبقة النبلاء في الأنظمة الإقطاعية. وسقطت قلاع النبلاء ذات الأسوار الحجرية، التي كان الاقتراب منها غير ممكنا آنذاك، سقطت أمام مدفع سكان المدن، واخترقت رصاصات " قرابنهم" –(الأركبوز) –

---

[1] CHALLIAND (Gérard), **Anthologie mondiale de la stratégie, des origines au nucléaire**, Editions Robert Laffont, S.A, Paris, 1990, pp.715-716.

* **منظر اشتراكي ألماني** (1820-ـ 1895) أسهم مع كارل ماركس في وضع أسس الاشتراكية . (**الموسوعة العربية الميسرة**)

* **نسبة إلى أوجين دوهرنغ Eugen Dûhring --** وهو فيلسوف وعالم اقتصادي ألماني (1833- 1921) وهو مؤلف النظرية المادية الساكنة التي انتقدها أنجلز في كتابه هذا سنة 1878م. (**Petit Larousse en couleurs**, **OP.Cit**, voir «**Dûhring** »)

Arquebuse–(طـراز بندقية قـديم) دروع الفرسـان. وبتحطيم خيالة النبلاء الإقطـاعيين المكسـوة بالـدروع، تحطمت هيمنة النبلاء الإقطـاعيين. ومن خلال تطور البرجوازية، صارت المشـاة والأسـلحة النارية وبشـكل متزايـد، هما نمـوذجي الأسـلحة الحاسـمة...[1] وأصـبحت تشـكل العمـود الفقـري للجيـوش العصـرية، إذ تأكـدت أهميتها وفعاليتها على الصـعيد العسـكري، وكـان الجزائريـون من الـذين سـارعوا في اسـتعمال هـذا السـلاح الجديـد، ومحاولة تصنيعه، وذلك قبل مجيء الأتراك العثمانيين.

ب- هيئة صناع الأسلحة النارية الخفيفة: عرفت البلاد الجزائرية في العهد العثماني نشاطا صناعيا، شمل أغلب المهن التقليدية والحرف اليدوية التي كانت معروفة في الأقطار الإسلامية والبلاد الأوربية، وهذا ما يناقض الكتابات الفرنسية القائلة بأن الصناعة في الجزائر أثناء العهد العثماني كانت تقتصر على الصناعات التي وصفت بأنها بدائية في طريقة صنعها، بسيطة في نوعيتها، وتقليدية في أساسها.

إن الواقع في المـدن الجزائرية أنها كـانت تضم العديد من الصـناعات الــتي يحق لنا وصــفها بــالتنوع والإتقــان والتنظيم، إذ كــانت موزعة على عشرات النقابات المهنية. ففي مدينة قسنطينــة كـان عـدد الحـرف ينـاهز العشـــــرين(20) على رأس كل حرفة أمين، وفي مدينة الجزائر نـــــاهز الأربعين(40) ولكل مهنة أمين يعرف بالصنعة الـتي يشـرف عليهـا, كـأمين الفضة وأمين الخيــاطين وأمين البنــائين وأمين الكواشــية وأمين البحــارة وغيرهم.

لقد كـانت كل مهنة تختص بشـارع أو سـوق ينسب إليه، فعلى سـبيل المثال نذكر بعض الأسواق والشـوارع الـتي تركـزت فيه الحـرف الصـناعية بمدينة الجزائــر: ســوق الحديد وســوق الغــزل وســوق الحرايرية وســوق الفخـارين وسـوق النجـارين وزنقة الرصايصـية وزنقة النحاسـين...[2] وفيما يتعلق بصــناعة الأســلحة الخفيفــة، اختص ســوق القنداقجية وهم صــانعي خشب البندقية وسـوق التشـاقمقجية الخـاص بصـناعة الأسـلحة،[3] وكـادت صنعة التشاقمقجية والقنداقجية وهي وطيدة بعضها البعض أن تكون حكـراً على المنتســبين إلى الجيش مثلما تُبيّنه الحــالات الــتي أوردت الأســتاذة غطاس في كتابها عن الحـرف والحرفـيين في مدينة الجزائر لفـترة 1700-1830 من خلال جـدولاً بأسـماء الصـنّاع العسـكريين[4]. وهنـاك أيضـاً سـوق الخراطين والفراغية الـذي اختص في إذابة القطع المعدنية وسـبكها، وكـان لخصوص هذه الصناعة مصنع كبير بالعاصمة يُعرف باسم دار الصـناعة بحي بـاب الـوادي قـرب ثانوية الأمـير عبد القـادر حاليا[5]. أما سـوق الفراغية "

---

[1] ونترنغهام (طوم) وبلاشفورد-سنل، **نفس المرجع السابق**، ص105.

[2] سـعيدوني (ناصر الـدين) والبوعبـدلي (المهـدي)، **الجزائر في التـاريخ**، الجـزء4، المؤسسة الوطنية للكتاب-ENAL- الجزائر، 1984، ص ص61- 62.

[3] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **تاريخ الجزائر العام**، ص 501.

[4] غطاس (عائشة)، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر،** 1700-1830، مقاربة اجتماعيـة- اقتصـادية، ANEP، الجزائر، 2007، ص241.

[5] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق**، ص501.

السباكين" الذي ينتهي به المطاف إلى باحة الباديستان(ساحة الشهداء حاليا)، فَيُصْنَعُ فيه عدة أنواع من الأدوات والقطع الحديدية المصقولة كالبلاتينات ومواسير البنادق[1] وأجهزة الزناد والبنادق...الخ [2]. (انظر، ش17)

وحسب التقسيم المهني لمدينة الجزائر الذي قام به ألبير دوفو-Albert Devoulx- أن في شارع القفطان (Caftan) الممتد من شارع باب عزون إلى شارع شارتـــــــر – Chartres- (شارع عرباجي عبد الرّحمن حاليا) كان يتخللهم درب في كلا طرفيه، يتمثل في زنقة القنداقجية وهو شارع خاص بصناعة أخامص البنادق[3].(انظر، خ.4) ويحدد نفس المؤرخ مكان التشاقماقجية بالغرب من ساحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا), ومن مسجد السيدة, ينطلق شارع واسع وقصير يسمى شارع التشاقماقجية يشغله صانعي الأسلحة[4]. وإيمري مارسيل-Emerit Marcel- يحصر سوق التشاقماقجية الخاص بصناعة البنادق وإصلاحها قبالة باب البحر[5]. والمؤرخ شارل فيرو، مستنداً على مخطط عربي، يُدمج هيئة التشاقماقجية ضمن الهيئات الحرفية لمدينة قسنطينة. فهي عبارة صانعي الأسلحة ومرمميها ومعدي أخشبة البنادق التي تركب مع مواسير بنادق مستوردة من إيطاليا وأسبانيا وإنجلترا. وصنف مستقل من نفس الهيئة باسم السرارين، يقوم بصنع خشب البنادق والمسدسات[6].

ومن أهم المصانع التي كانت مخصصة للأسلحة النارية على الإطلاق دار النحاس أو المسبكة التي كانت محور مراسلات واتفاقيات بين الجزائر والدول المعروفة آنذاك. وقد ذكرناها بإسهاب في فصل المدافع الذخيرة والتي خصت قسما لصناعة المدافع وقسما آخر خُصص للعتاد الحربي والأسلحة الصغيرة موزعة على ورشات لصناعة القوالب حيث كان بعضها ذا كبر معتبر وكذا عدة مصاهر ومواقد. من بين الأجزاء التي كانت تُصنع بهذه المصاهر سبطانات البنادق والمسدسات وقوارير البارود والأسلاك النحاسية والفضية التي كانت تربط هذه المواسير أو الأنابيب بالخشب، كما كان هناك ورش أخرى لصناعة أخمص البنادق وكانت هذه حرفة القنداقجية أو النجارين المتخصصين[7].

وعموماً، فإن أغلب المهن التقليدية بمدينة الجزائر نجد نفسها بمدن الجزائرية الأخرى، وبعضها كان مخصصاً لسد حاجيات الأوجاق كصناعة خبز

---

[1] MISSOUM (Sakina), **Alger à l'époque ottomane**, Editions Inas, Alger,2003, p.58.

[2] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق**، ص 503.

[3] DEVOULX (Albert), **El-Djazaîr, Histoire d'une cité, d'Icosium à Alger**, Edition Critique, présentée par Bedreddine Belkadi et Mustapha Benhamouche, ENAG/ Editions, Alger, 2003, p.205.

[4] **Idem**, p.223 et p.225.

[5] EMERIT (Marcel): **« Le souk d'Alger »**, Revue Algérie, 03 Février 1952, In. Mahfoud KADDACHE, p.211.

[6] FERAUD (Charles): « **Les corporations de métiers à Constantine** », Revue Africaine, 1871, In. Mahfoud KADDACHE, p.212.

[7] خلاصي (علي)، **التنظيمات والمنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث**، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في علم الآثار، جزأين، ص ص 71- 72.

خاص وصناعة الأسلحــة والأحذية العسكرية الخ... وفي هذا المضمار، قسّم تال شوفال النشاط الاقتصادي في الجزائر إلى ثلاثة أصناف هي التجارة، والإنتاج، ومصالح "الخدمات"، واعتبر هذا التصنيف غامضا إلى حد ما، لأن الفصل بين النشاط المهني والتجاري بمدينة الجزائر وفي المدن العربية الأخرى. في نفس الفترة من الصعب جداً إقامته، وذلك بسبب عدم وجود فاصل بين وتيرة الصناعة ووتيرة البيع ... ويَعْتَبِرُ الصنف الثاني أي "النشاط الإنتاجي" أنه يُعنى بإنتاج الأدوات المختلفـة كالأحذية والسكاكيــن والبنادق[1].

وتجدر الإشارة إلى أن التجارة المتعلقة ببعض المنتوجات تتبع لسلطة حكومـة إيالـة

الجزائر منذ أن أقحمت هذه الأخـيرة نفسـها في الشـؤون الاقتصـادية. إن شهادة الأب البندكتي هايدو تخبرنا أن التجار يسـتطيعون التعامل مع تجـارة الجلد والشمع باستثناء الأتراك. وكان احتكـار الإدارة على بعض المنتوجـات الإســتراتجية لارتباطها باللوجســتية العســكرية كالرصــاص والحديد وملح البارود الخ... وبعملية التمـوين والتغذية القاعدية لأفـراد قصر الـداي وهيئة أركان الجيش والوحدات العسـكرية المقيمة داخل وخـارج المدينة بـالمواد كاللحم والقمح وزيت الزيتون والشحوم والملح والصوف والشمع الخ...

وهــذه العملية الاقتصــادية كــانت معفــاة من سلســلة من القــوانين والنظم التي أصدرتها الحكومة، لإخضاعها على نقابات المهن المختصة في إنتاج أو في تحويل هـذه المنتوجـات لـدفع الضـرائب نقـداً، لضـمان السـير الحسن لهذه المهمة. وخلال القرن 18، كان لـ" شيخ البلد " (رئس الإدارة المدنية) تعود مسؤولية مراقبة الهيئـات المهنية (الصـناعية) كمهن الخياطة والحياكة والسكافة الخ... وجباية الضرائب المفروضة على الهيئات والقيام أيضا بدفع هذه الأمـوال للخزينة العامة في كل مـدة شـهرين. يسـاعده في هـذه المهمة أمين سر أو خوجة الـذي يُـدوّن هـذه الحسـابات على سـجل مخصّص لذلك،[2] وتُقتطع رواتب هذين الموظفين من أموال الضرائب.

وفي نفس الموضوع، أقام ألبير دوفو جدولاً لأمناء الهيئات المهنيـة: منها أمين صُـناع أخـامص البنـادق وأمين صـانعي البنـادق،[3] ويضـيف نفس المــؤرخ أنه تم دفع هــذه الضــرائب للخزينة تحت اسم باشــماق أو ســعر الأحذية ابتداء من شهر محرم 1103هـ/1691م وذلك

حسب القـوانين القديمة والأعـراف المدعمة والمكملة للقـوانين الجديـدة. فكان أمين صناع الأسـلحة يـدفع للخزينة 100 صـائمة*[4]. وكـان سـعر الـبيع

---

[1] SHUVAL (Tal), **La ville d'Alger vers la fin du 18ème Siècle**, Population et cadre urbain, Ed. CNRS, Paris, 1998, p.132 et p.139.

[2] MISSOUM (Sakina), **OP.Cit,** pp. 63-64.

[3] DEVOULX (Albert(, **Tachrifat, OP.Cit,** p.23.

* قيمة نقدية: 08 صايمة = 01 بطاك شيك أو06 أثمان أو خروبة واحدة.

) TASSY (Laugier De), **Histoire du royaume d'Alger**, La Haye, 1750, pp.253-254. (

[4] DEVOULX (Albert(, **OP.Cit,** p. 44.

الذي حدّده علي باشـــا على أخامص البنادق الـتي ينتجها صـانعوا الأسـلحة بتاريخ 23 صفـر1172هـ/1758م كما يلي:
- الأخمص الرفيع 64 ريال (38 فرنك و40 سنتيم).
- الأخمص الرفيع المزخرفة 68 ريال (40 فرنك و80 سنتيم).
- الأخمص نصف الرفيع 32 ريال (39 فرنك و20 سنتيم).
- الأخمص 3/2: 32 ريال (39فرنك و20 سنتيم).
- الأخمص المسماة قره قندق 60 ريال (36 فرنك).
- الأخمص العادي 30 ريال (18 فرنك).

كما انه حصر أسـعار البلاتينـات المنتوجة من طـرف صـناع الأسـلحة بتاريخ صفر 1172هـ/1758م كالآتي:
- بلاتين البنادق المرصعة بالفضة: 25 ريال ونصف (15فرنك و30 سنتيم).
- بلاتين البنادق المركبة بالنحاس: 15 ريال (09 فرنك).
- بلاتين البنـــادق المســـامات قـــره جقمـــق: 8 ريـــال و½ (05 فرنك و10 سنتيم).
- بلاتين المسدس المركبة بالفضة: 24 رياتل (14 فرنك و40 سنتيم).
- بلاتين المسدس العادية 08 ريال و½ (05 فرنك و10 سنتيم)[1].

ونستخلص القول أن الهيئـات المرتبطة بصـناعة الأسـلحة النارية الخفيفة على غرار الهيئات المهنية الأخرى، تخضع لقوانين الدولة من ناحية الضرائب والأسـعار ومن خلال الروابط التنظيمية الأخـرى الـتي تجمعها مع السلطة التنفيذية، وذلك طيلة العهد العثماني. ولكن في أواخر هذه الفـترة أصاب هذا القطاع الصناعي العسكري الركود والانحطاط، وهـذا بسـبب ما لحق الصناعة في الجزائر عامة من عطب وخراب. ومما يُلاحظ أن النشاط الصـــناعي بالمـــدن الجزائريـــة، ما لبث أن انحطت نوعيته وتناقصت كميته وتعرض الصناع والحرفيون إلى أزمة كساد مصنوعاتهم، وانخفاض أسعارها وذلك منذ القرن 18. ويمـــكن
إرجاع هذه الأوضاع السيئة الـتي كـانت تعيشـها الصـناعة الجزائريـة، أواخر العهد العثماني، إلى الأسباب التالية:
- ثقل الضرائب وازدياد المطالب المالية المفروضة من طـرف الدولة على أمناء المهن بتسديدها دون الأخذ بعين الاعتبار نسبة الأرباح ومبلغ الفائدة.
- انخفاض مردود الصُّناع الحرفيين بسبب تحديد البايلك مسـبقا سـعر بعض المصنوعات التي يطالب الصناع بتوفيرها.
- منافسة المصنوعات الأجنبية المستوردة من الخارج وعدم انتهـاج سياسة الحماية الجمركية المعمول بها آنذاك في البلاد الأوربية كإنجلترا وفرنسا.
- جمود النقابات المهنية الذي حال دون تطور المصنوعات من حيث الكمية او الكيفية.

[1] **Idem**, p. 51.

- الاعتماد على العمال الأجانب في الصناعات الأساسية وبـذلك لم يكتسب الجزائريــون الخــبرة الضــرورية في بعض الصــناعات المهمــة، كصــناعة الأسـلحة وبنـاء السـفن وسك النقـود وتـذويب المعـادن وتشـكيل الزجـاج وصــياغة الحلي، ومنهم اليهــود والأســرى المســيحيون والمتطوعــون الأوربيون[1].

وفي عهد الاحتلال الفرنسي المتوّج لمختلف المراحل التخريبية التي تعمـدت الـدول الأوربية وعلى رأسـها فرنسا في تنفيـذها في حق الجزائر واقتصــادها ومصــدر قوتها واســتمراريتها. وأول ما قــام به المحتلــون الفرنســيون، طمس المعــالم الجزائرية العثمانية وتهــديم المؤسســات الجزائرية الـذي يشـكل العمـود الفقـري للدولة الجزائريـة. فـذكر حمـدان خوجة في"المـرآة" أن الجـنرال الفرنسي كلوزيـل-Clauzel-* أمر بتهـديم عدة أسـواق تجارية داخل مدينة الجزائر منها سـوق الفرارية[2]. ولم يبق من أبنية هذه الأسواق أي شيء على عهد حمدان خوجة سـوى ثمانية دكـاكين (08)، كل منها منفصل عن الآخر. قال وعندما هُدمت هـذه الأسـواق تلاشى قسم كبير من صناعة البلاد[3].

ج- الأندلسيون:

عندما توصل الأتراك العثمانيون إلى تأسيس مملكة الجزائر، عارفين مراكز القوة
والضعف للبلاد الجزائرية، أقاموا تحصـينات في الأمـاكن الهامة واسـتعملوا الأسلحة النارية. وفي هذا المضمار، كان الجيش الإنكشـاري في الجزائر له الدور الحاسم لكون عناصره من جنود النخبة المحترفين الذين يُكونـون في معظمهم الأطفال المسـيحيين وأغلبهم ذات الأصـول البلقانية الـذين تربـوا في أحضان الدولة العثمانية واعتنقوا الإسلام وكانوا يتميزون بخبرة مهنة التسـليح[4]. فاسـتطاع الأتـراك العثمـانيون بفضل ذلـك، تطـوير وحـداتهم العسكرية. ومما زاد في قدراتهم العسـكرية الاسـتفادة من الصـناعة الـتي شيدها الأندلسيون المطرودون من اسبانيا على أرض الجزائر[5].

إن هؤلاء الأندلسيون هم المهاجرين من الأندلس الذين رفضوا اعتناق المسيحية. وقد عرفنا أنهم، عنـدما وصـلوا إلى مراسي شـمال إفريقيا أول مـرة، لم يجـدوا الكثـير مما يمكن عمله لمعاشـهم .وكـان بعضـهم قد وجد مكانـاً في دورة الحيـاة الاقتصـادية المحـدودة على السـاحل: فقد كـان

---

[1] سعيدوني (ناصر الدين)، البوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق،** ص ص 62- 64 .

* عسكري فرنسي (1772- 1842)، حاكم عام الجزائر سنة 1830م، ثم قائد الجيش الفرنسي في الجزائر (1835- 1836).

(« **Petit Larousse en couleurs**, **OP.Cit**, voir « **Clauzel**)

[2] خوجة (حمدان بن عثمان)، **المرآة،** تقديم وتعريب العربي الزبيري، SNED، الجزائر، 2005، ص 240.

[3] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق**، ص 503.

[4] HEERS (Jacques), **Les Barbaresques, la course et la guerre en Méditerranée XIV –XVI ème S**., Pour l'histoire /Perrin, Paris, 2001, p.159.

[5] TASSY (Laugier De), **OP.Cit**, p.52.

بإمكـانهم أن ينشـئوا ورشـات لصـناعة الأسـلحة والأقمشة والمصـنوعات الجلدية أو غيرها من المواد التي كانوا يصنعونها بالأندلس[1].

فنحن نعلم من كتابات هـؤلاء أن أولئك المهـاجرين الأندلسـيين كـانوا يخرجـون إلى البحر في أسـاطيل قرصـانية، ويغـيرون على بلاد أجـدادهم القديمة (الأنـدلس) بمهـارة ودراية لا يـأتي إلا في معـرفتهم بـالبلاد. وجـاء بعضهم إلى المغرب العربي بمهارات مختلفة الأوصـاف مثل نسـيج أقمشة والصوف وصنع الأسلحة وخدمة الجلود وتجارة المعادن[2].

وكان الأندلسيون، قبل مجيئهم إلى المغرب العربي، يعانون أوضاعا سـيئة في شـبه جزيـرة أيبيريـا، رغم المحـاولات من الخـروج من الأزمـات والنكبـات سـالمين ومعالجة أوضـاعهم المتـدهورة. ولكن سياسة المسخ والــذوبان الــتي طبقت على المجتمع الإســلامي بالأنــدلس بعد ســقوط غرناطــة، قد أعطت لأول مــرة للفقهــاء دوراً رائــداً ومثاليــاً في شد أزر المورســـــكيين وتلقينهم وتـــــذكيرهم بقواعد دينهم وتعاليمـــــه، وتنظيم الاجتماعات السـرية واتــخاذ القـرارات الحاسـمة. وعنـدما أقـرت محـاكم التفتيش الأسـبانية طـرد كل المورسـكيين والإبقـاء فقط على 6 % لتعليم المسـيحيين الوسـائل الفنية للفلاحـة، نظّم اجتماعـاً عامـاً أثنـاء الطـرد ورفضوا

الإبقاء بـ6% منهم[3].

فبقيت أعـداد كبـيرة من ذراري المسـلمين في اسـبانيا، منهم أعـداد غفيرة في مقاطعـة قشتالة، أقام في مملكة بلنسية عدد كبـير من العـرب. أما في أراغون، فقد كان عدد العـرب كبـيراً أيضـا، تتـألف من بينهم جماعة الصناع ويؤلفون مجتمعات تعمل في الزراعة وتربية الماشـية. وكـان يوجد بعض الجماعـات منهم في مقاطعة أسـتوريا وبكسـاي ونافـار يعملـون في الصــناعة أو في التجــارة منتقلين. وألف العــرب المســلمون في مملكة غرناطة مجتمعـاً حسن التنظيم، كـان معظمهم من الـبرجوازيين الأغنيـاء، ينتشـرون في هـذه الربـوع الـتي تمتد من مدينة الدبسـني إلى غرناطـة، أو كانوا يقومون بأعمـال البسـتنة، واسـتمروا يباشـرون بجدية تامة واجبـاتهم الدينية. ونزولا عند رغبات المسيحيين قـام الملـوك الكاثوليك عـام 1499م بمحاولات كبيرة لتمثيل هذه العناصر وامتصاصها.

وصُـدرت الأوامر إلى عــرب غرناطة بوجــوب اعتنــاق المسـيحية أو الـنزوح عن البلاد، خلافـاً لمنطـوق الاتفـاق الـذي وُقّع بين الطـرفين عـام 1496م. هذا الاتفاق الذي ضمن لهم الحرية الدينية وحرية ممارسة طقوس الإسـلام. وجـرى تطـبيق هـذا القـانون في جميع أنحـاء قشـتالة، كما طُلب تطبيقه بـالعنف والقــوة من طــرف نصــارى مقاطعــات أراغــون وكتالونيا وبلنسية.

---

[1] وولف (جون)، **الجزائر وأوربا**، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 1986، ص ص 180- 181.

[2] **نفس المرجع،** ص 166.

[3] التميمي (عبد الجليل)، **الدولة العثمانية وقضية المورسكيين الأندلسيين،** منشورات مركز الدراسات و البحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989، ص 56.

وإثر الحركة الانتفاضية التي قام بها المسلمون فيما بين سنتي 1520 و1521م، استمر في ممارسة شعائرهم الدينية سراً في منازلهم، بعد أن احتاطوا لأمرهم، كما أنهم اتخذوا لهم علامات مميزة كاللباس الشرقي واستعمال الحمامات الشرقية والاحتفاظ باللغة العربية. وقد زاد شعور العداء نحوهم بعدما أطلّ على البلاد الخطر التركي.

وقد غذّت متاعب الحياة ومصاعبها الحسد في نفوس الأسبان، بعد الذي رأوه من قناعة القوم وحدقهم ومهارتهم في الصنائع والفنون، التي كانوا يتعاطونها والأعمال التجارية التي كانوا ينصرفون إليها بنجاح. وقد عرف عرب الأندلس، كيف يحافظون على علاقاتهم الوطيدة مع البلدان والممالك الإسلامية الأخرى وأن يُنموها ويزيدوها نشاطاً على نشاط. وكانت سفن المسلمين تجوب البحر ذهاباً وإياباً بين المرافئ الأسبانية والموانئ الإسلامية الواقعة إلى الشمال من إفريقيا. وراح المسيحيون يتهمونهم بجمع الأسلحة بقصد الثورة وإعلان العصيان... فأصدرت الحكومة الأسبانية عام 1566م أمراً، يحظّر على المسلمين ارتداء الزي الشرقي، وإيصاد أبواب منازلهم ليلاً واستعمال الحمامات العامة والانقطاع عن استعمال اللغة العربية. فثارت غرناطة وأخمدت من طرف الحكومة التي عمدت إلى تهجير العرب القاطنين في سهول غرناطة الذين كانوا يُغذّون بمساعداتهم المالية والعينية، بعض مراكز المقاومة. أما في قشتالة والأندلس والمناطق الريفية الأخرى المحيطة بمدينتي إشبيلية وطليطلة، فقد استمر العرب في أعمالهم ومصالحهم التجارية والصناعية، يعيشون على هامش الحياة في أسبانيا رافضين بعناد كلي الذوبان في صفوف الأسبان. وفي سنة 1609م، قرّرت الحكومة الأسبانية التخلّص منهم بإبعادهم نهائياً وإجلائهم من البلاد[1].

لقد تمكن أحد المؤرخين من القيام بإحصاء تقريبي لمن هُجّر انطلاقاً من سنة 1560م وقدم الرقم التالي: ما بين 140 ألف موريسكي ... أما إشبيليا فقد غادرها حوالي 7000 مهني موريسكي أندلسي أي 12/1 من مجموع السكان. وهذا يبرّر نقصان حركة التصدير الصناعية إلى الهند في هده الفترة الزمنية بالذات. أما طليطلة وقرطبة، فقد تضرّرتا ضرراً بالغاً من جراء طرد المهنيين المورسكيين الأندلسيين. كذلك تأثّرت منطقة كتالونيا وبلنسية وغرناطة وخصوصاً منطقة أراغون على امتداد مسافة 40 كلم حتى جنوب منطقة الألب حيث أصبحت خراباً.

ومن جهة أخرى، تؤكد الدراسات المنصفة أن الموريسكيين كانوا رجالاً مهرةً وفنيين في العديد من المهن مثل صناعة الحرير والذهب والفضة والنقش على اللوح والبناء والفلاحة وأساليب السقي الفنية...إلخ. إن المكانة التي احتلها الموريسكيون على المستوى المهني تكشف أن الحياة الاقتصادية تضرّرت على إثر تخلّيهم عن هذه المهن، وأن كساداً قد عمّ العديد من القطاعات التي كاد يسيطر عليها الموريسكيون وخاصة في

[1] موسنييه (رولان)، **تاريخ الحضارات العام**، الجزء 4، القرنين 16 و17م.....، ص ص550- 551.

منطقة ماربيا[1]. ولنا أن نتساءل عن مجابهة الموريسكيين الأندلسيين لهذه السياسة التنكيلية التي تم تخطيطها لتصفيتهم واجتثاثهم من المجتمع الأسباني أو تذويبهم فيه تماماً. والجواب على ذلك أن الموريسكيين، طوال القرن 16 وأوائل17م، قاموا بعشرات الثورات التي أعلنها الموريسكيون ضد سياسة التنكيل بهم وخرق روح الاتفاقية الموقعة مع الأسبان وإجبارهم على مغادرة الأرض الأندلسية بالقوة، وتلك مأساة أخرى لم تعشها مجموعة بشرية على الإطلاق، حيث أجبروا مع مطلع القرن 16 على مغادرة الأندلس عندما أصدر الملك فيليب الثالث قرار الطرد النهائي سنة 1609م. وقد اختلف المؤرخون في عدد المهجرين الموريسكيين الأندلسيين الذي يتأرجح بين 270 ألف و340 ألف و600 ألف فرد، ومن جهة أخرى، أجمعت المصادر الغربية أن العدد الأكبر من المطرودين قد اكتروا عدداً ضخماً من السفن لتحولهم إلى موانئ المغرب العربي والإسكندرية والباب العالي[2].

لقد استمر الصراع بين الأسبان والمسلمين خلال الربع الأول من القرن 16 على سواحل المغرب الإسلامي، غير أنه سيشتد ويصبح أكثر عنفاً وهجوماً بظهور العثمانيين كقوة صاعدة ومشاركتهم الحاسمة في مصير الشعوب الإسلامية مشرقاً ومغرباً والدفاع عنها والعمل على إنقاذ الموريسكيين بتوفير شتى المساعدات وإحباط مخطّطاتهم وملاحقتهم.

إن التحرك العثماني في المغرب الإسلامي ونجاح خير الدين بربروسة في ربط الجزائر بالدولة العثمانية وإسقاط قلعة البنيون الأسبانية سنة 1529م، ثم فتحه لتونس سنة 1534م تبعيتها للباب العالي، والتي تمثل انتصارات متلاحقة، جعلت شارل الخامس يتحرك إيماناً منه، بأن العثمانيين يمثلون تهديداً مباشراً " لأمن المسيحية ولممالك جلالته "، باعتبارهم " أعداء عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة ". وعليه فقد أعد " جيشاً قوياً من المسيحيين "، لإنزال عقاب على خير الدين بربروسة والإطاحة به. وعندما حلّ شارل الخامس بتونس في صيف 1535م، ودخل البلاد منتصراً، اهتزّ العالم المسيحي كله فرحاً واستبشاراً بهذا الانتصار.

إن الخلفيات الدينية هي التي كانت الحافز الأساسي لاحتلال تونس وبقية السواحل المغربية، والتي كانت تسيطر على الحياة السياسية أثناء حكم شارل الخامس والتي سيّرها فيليب الثاني والذي سيمنحها بُعداً جديداً[3]. وعندما آل الأمر إلى ابنه فيليب الثالث، طُرد جميع العرب من الأندلس سنة 1609م بأمر منه، غير أن أمر الطرد لم يشف غليل هؤلاء المتعصبين المتعطّشين للدماء. فقد ذكر غستاف لوبون Gustave Le Bon– – مثلاً أن الراهب "بليدا" شعر بالارتياح، إذ علم أن 4/3 المسلمين المطرودين قد قُتلوا، وهم في طريقهم

---

[1] التميمي (عبد الجليل)، **نفس المرجع السابق**, ص ص59- 60.

[2] **نفس المرجع**, ص 64.

[3] **نفس المرجع**, ص ص 71— 74.

إلى المنفى في شمال إفريقيا، وكـان يتبجّح بأنه قتل هو ورجالـه، 100 ألف مهــاجر من قافلة واحــدة كــانت تتــألف من 140 ألف في طريقها إلى المغرب. ويقدِّر بعض المؤرخين أن عدد المسـلمين الـذين تم طـردهم منذ استسلام غرناطة، بلغ نحو ثلاث ملايين مسلم. ويقول غستاف لوبــون :"... لا تعد ملحمة سان بارتلمي إزاء تلك المذابح، سـوى حـادث تافه لا يُؤبه لـه، ولا يسعنا سوى الاعتراف، بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يؤاخَذ على اقتراف مظالم كتلك اقتُرفت ضد المسلمين."

ومع رحيل السـواعد الـتي قـامت عليها الزراعة والصـناعة والتجـارة والفنــون وهجــرة العقــول الــتي اســتندت إليها النهضة الفكرية والأدبية والعلمية، لم يبق لدى الأسبان سوى السواعد التي تعلمت من العرب حمل السـيوف. فالأسـبان كـانوا يحتقـرون جميع المهن سـوى مهنة الكهنـوت والجنديـة، وما لبث جيشـهم أن أصـبح أقـوى جيـوش أوربـا، تعظم أسـبانيا عنـدما تعظم قيادتهـا، وتنحط مع انحطاطه وانحطـاط قيادتـه، ذلك أنه في غيـاب أي مظهر من مظـاهر المدنية والتحضـر، لم يبق في أسـبانيا سـوى قوتها العسكرية[1].

وجــاء اللاجئــون الأســبان فيما بعد حيث أُطلق عليهم المؤلفــون الأوربيــون اسم الموريسك أي المغاربة ليفرقــوا بينهم وبين الســكان المغاربة الأصليين والذين هم بالنسبة لهم، كل سـكان المدينة غـير الأتـراك ويُقسَّمون إلى فئتين:

1) الثغريون: جاءوا من مملكة أراغون في بلنسيا وكاتالونيا.

2) المودخــار: -Mudéjares – وهم ممن وصــلوا من غرناطة والأنــدلس وحافظوا على لغتهم حيث يتكلمـون الأسـبانية فيما بينهم وجلبـوا معهم من بلادهم تقاليــدهم الفنية والحرفية حيث أنهم يصــنعون الأســلحة والبــارود ويتقنون صناعات أخرى[2].

وراحــوا يكوّنــون جالية هامة في مدينة الجزائر بــالمغرب الأوسط حسب الراهب البندكتي هايدو ويُسمّون بأهل الأندلس. ويقسّم هـذا الأخـير الهيكل الاجتماعي لمدينة الجزائر إلى العنصر الـتركي الـذي يُشـكّل الأقلية الواقع على قمة الهــــرم الاجتمــــاعي ثم وبدرجة أقــــل، توجد الطبقة البورجوازية الــتي تمتلك الوســائل الاقتصــادية، الإنتاجية والمالية ويــدخل ضمنها لأندلسيون والمورسكيون الـذين وفـدوا مـؤخّراً مع رؤوس أمـوالهم والتقنيات الحديثة للإنتـاج
الفلاحي والصـناعي والحـرفي، إلى جـانب المـؤهلات العالية الإنتاجية الـتي اصـطحبوها معهم من شـبه جزيـرة أيبيريا[3]. فكـان الموريسـكيون يتقنـون

---

[1] عنبتاوي (عدنان فائق), **حكايتنا في الأندلس**, المؤسسة العربية للدراسات و النشر, الطبعة 1, بيروت, 1989, ص ص 132-133.

[2] شوفالييه (كورين), **الثلاثون سنة لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541**, ترجمة جمال حمادنة, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1991, ص 14.

[3] MISSOUM (Sakina), **OP.Cit,** p. 165.

الزراعة والصـــناعة والأعمـــال الإدارية بشـــكل جيج، كما عملـــوا بالدباغة والسروجية (صناعة السروج) وصنع الأسلحة والأعمال الأخرى[1].

وكانت الصناعة بمدينة الجزائر التي أوجـدها الموريسـكيون من خلال المهن والحرف التي أحيت النشاط التجـاري والاقتصـادي، أصـبحت تجـذب القوافل القادمة من كل أنحاء البلاد[2]. وقد كانت الصناعات التقليدية بالمدن الأخــرى ذات أســواق محــدودة، وإن عــرفت دفعــاً ملحوظــاً، خاصة في الموانئ، بعد قدوم أفـواج من المسـلمين واليهـود. وكـان الفـوج الأول من الهـاجرين قد طُـرد من أسـبانيا سـنة 1491م من طـرف النصـارى، فلقـوا القبول الحسن لدى سكان البلاد آنذاك، وهم إخوانهم في الدين، أفضل مما عهدوه في بلاد النصارى، وبدأت الهجرة الثانية، منذ الهجـوم المسـيحي في القرن 16م. وكان أعداد من المهاجرين الأندلسيين قد أحيـوا المـوانئ مثل حـنين وبريسك (بين تنس وشرشـال) وراشـقون اللـذين سـقطا بعد ذلـك. ووفّـــروا حركة صـــناعية في المـــدن مثل ندرومة ومســـتغانم وشرشـــال وبالخصـوص الجزائر[3]. لقد أراد الأندلسـيون الـدفع بالحركة الصـناعية في البلاد إلى الأمام وانبعاثها من جديد.

لقد تحمّل الأندلسيون طيلة أكثر من قرن كامل آلام ومعاناة البطش والتنكيل والتهجير وكذا التقتيل والتقتيل الجسدية التي راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء، فتولّد لديهم الشعور بالخوف وعدم الآمان. كما أنهم أصبحوا يُضمرون الإحساس بالحقد والكراهية اتجاه الأسبان والمسيحيين، فهم لا يُفكّرون إلا في الثأر والإنتقام منهم. وعندما وجدوا أرضاً رحبة في المغرب العربي يلجأون إليهم، أخذوا يخطّطون وينفذون مشروعهم المتمثل في الدفاع عن السواحل الإسلامية من العدوان الأسبانية، ومحاولة ضرب مصالحه حيث ما كانت. لذلك اتجه الأندلسيون بخاصة إلى إقامة صناعة عسكرية على أرض الإسلام، وانصرفوا بكل ما أوتوا من وسائل مادية ومالية إلى إنتاج الأسلحة بكل أنواعها، وذلك باستعمال كل قدراتهم التقنية و مهاراتهم الصناعية والحرفية التي جلبوها من أرض المنفى ووضعوها تحت تصرُّف الأمة الإسلامية في سبيل الحفاظ على الأمن والسلام في أرض الإسلام.

د- صناعة الأسلحة النارية في باقي مناطق البلاد:

بعد الضعف والتقهقر الاقتصـادي الـتي عرفتها البلاد الجزائرية أثنـاء القـرنين 14و 15م، نخـربت المـدن وفقـرت الأريـاف من سـكانها، بحيث أصبحت بجاية عبارة عن كوم من الأنقاض إثر تـدمير النصـارى لهـا، وغـدت دلس وهُنين مجرد أطلال. ثم تحسـنت أوضـاع البلاد الجزائرية طيلة القـرن 16م والنصف الأول من القــرن17م ، فكثُر الإنتــاج الاقتصــادي وتعــددت

---

[1] الـتر(عزيز سـامح)، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشـمالية**، ترجمة د. محمـود علي عـامر، دار النهضة العربية، الطبعة1،بيروت، 1989، ص 146.

[2] GRAMMONT (Henri Delmas de), **Histoire d'Alger sous la domination turque, (1515-1830),** Présentation de Lemnouar Merrouche, Editions. Bouchène, Paris, 2002, p.58.

[3] بريـنان (أندري)، نوشي(أندري)، لاكوسـت (إيـف)، **الجزائـر بين الماضـي و الحاضـر**، ترجمـة اسـطنبولي رابح و منصـف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص ص 149- 150.

المصـنوعات المحلية ونشـطت التجـارة. وقد سـاعد على هـذا التطـور الاقتصـادي والازدهـار العمـراني قـدوم أعـداد من مهـاجري الأنـدلس واسـتقرارهم بالجهـات السـاحلية يستصـلحون الأراضي ويعمِّرون مـدنها وقراها. حتى غدت فحـوص مـدن الجزائر ودلس وتنس وشرشـال والقليعة وعنابة ووهران وتلمسان وآرزيو ومستغانم وقاعة بني راشد تشتهر بالإنتاج الوفـير، وأصـبحت بعض المـدن كقلعة بـني راشد ومازونة وقسـنطينة والجزائر تعج بالصناعة والحرفيين الذين كـانوا يزاولـون المهن والصـناعات في ورشاتهم ومشاغلهم[1].

عن النشاط المهني التقليـدي في الغـرب الجزائـري لم يحظ بنفس الاهتمام كالمناطق الوسطى أو الشرقية للقطر الجزائري. فكانت الحـرف الحضرية تنقسم إلى قطاعين: هيئات حرفية تتجمع حسب منتوج المبتدئين وأخـرى منتـوج المعلمين الـذين يصـنعون منتوجـاتهم بمهـارة يدوية فائقة موروثة أبـاً عن جد ،انطلاقـاً من مـواد خـام كالجلد والنحـاس والخشب والحديد والمعادن الثمينة والأقمشة[2].

أما بالنسبة للأسلحة النارية في الجزائر فإنها ظهرت في القـرن 16م في الحواضر الكـبرى للبلاد. فعلى سـبيل المثـال ، كـان للملك الزيـاني في تلمسان من فرقة خاصة بحمل بنادق الأركبوزة –Arquebuse –، وقد أشير إلى ذلك في عدة تقارير أسبانية. كما كان في نفس الفترة لاستعمال بنادق الإسكوبيت-Escopette– دور في توجيه ضربات للوحدات الأسبانية التي كان يقودها الكونت دالكودات –Comte d'Alcaudète–، غير أن ضعف المسلمين بشـمال إفريقيا أمـام الأسـبان آنـذاك يكمن في عـدم تـوازن القـوى مع الأسبان في العدة والعتاد. لهذا الشأن، أقيمت هيئات مهنية لصـناع البنـادق والمسدسات في مدن تلمسان ومستغانم ومعسـكر.

إلا أن مدينة وهران، عاصمة بايلك الغرب، قد فقدت مثل هذه المهن الصناعية، بحيث كان الأسبان في فـترة الاحتلال، يسـتوردون أسـلحتهم من أسبانيا. إن الإدراك بالنقص في ميدان التسليح تجاه الأسبان كان محسوساً في القـرن 16م، ولكن في القـرن 18م حـتى ولو أن الخطر الأسـباني قد تلاشى نوعاً ما، فإن احتياج المنطقة للصناعة العسكرية بقي بنفس الإلحاح والإلزام. وقد كان محمد الكبير قبل أن يصبح من البايـات الكبـار، عسـكرياً من الطراز الأول، إذ أنه طرح قضـية التسـليح أثنـاء المفاوضـات الجزائرية الأسبانية التي كـانت تُعتـبر إحـدى انشـغالاته الأساسـية. عنـدما ثبّت محمد الكبير عاصـمة بايلك الغـرب في وهـران وجد المدينة في حالة افتقـار لكل نشاط مهني تقليدي أو صناعي عسـكري، وعـانت من ذلك منذ ثلاثة قـرون متلاحقة.

إن قضية إنشاء مؤسسة خاصة بصناعة الأسلحة، تطـرح نفسـها في وهـران بالنسـبة البـاي محمد الكبـير. لـذا جعل محاولته في مشـروع إقامة

---

[1] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق**، ص49.

[2] CHENTOUF (Tayeb), **Etudes d'histoire d'Algérie (18ème- 19ème S.),** OPU, Alger, 2004, p.92.

مصنع للمدافع من طموحاته الكبرى إلى جانب تطور القطاع التقليدي والتي لم يسعفه الحظ في تحقيقها وإنجاز مصنعه في عاصمته وذلك لأسباب قد ذكرناها في فصل صناعة المدافع[1].

ومن القلاع الجزائرية التي وقفت ضد المحتل الأسباني والتي واجهته بكل عزم وشدة، قلعة بني راشد القريبة من مدينة معسكر. لقد كانت قلعة بني راشد من أهم مراكز صناعة الأسلحة النارية بهذه المناطق التي حافظت بها العائلات الأندلسية والتركية على صناعة البنادق منذ القرن 16 والتي خُصّصت لها ورشات عديدة[2]. وكان ازدهار المدينة في صناعة الأسلحة النارية بسبب وجودها بمنطقة غنية بإنتاجها الصناعي. وكانت أيضاً نواحي قلعة بني راشد المجاورة لها تصنع الكثير من الأسلحة النارية، فأصبحت بذلك مدينة معسكر سوقاً رئيسياً لقبائل بني راشد ومحط للعشائر الكبرى بالناحية كبني عامر والحشم وهشام والشرافة وبني شقران وغيرهم[3].

وإلى شمال من قلعة بني راشد، تقع مدينة مستغانم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. إن هذه المدينة التي تكبر قليلاً على مدينة وهران، تُعتبر بعد مدينة تلمسان أكبر مدن بايلك الغرب أهميةً. ويعود أصل مدينة مستغانم إلى تجمع عدة قرى متجاورة بعضها للبعض ووجود فضاءات واسعة فارغة داخل سور المدينة يُؤكّد هذه المقولة. ويُلاحَظ في وسط المدينة آثارٌ لقصر موريسكي قديم، يبدو حسب هيكله المعماري أنه بُني قديماً خصّيصاً لاختراع الأسلحة النارية[4]. وإذا عرجنا إلى وسط البلاد وجدنا منطقة القبائل التي كثُر عنها الكلام وتعرّض إليها تقريباً جميع الرحالة والمؤرّخين والكُتّاب المحليين والأجانب وأشادوا كلهم كثيراً بما كان يُصنع فيها، ومما تتوفر من صنائع متعددة. يعتبر نيكولا روزاليم، قنصل مدينة البندقية بمدينة الجزائر في تقريره أن منطقة القبائل هم شرسون ومتوحّشون، يُدافعون من أعلي جبالهم على حريتهم، ولا يريدون الاعتراف بسلطة الجزائر، وكما يزعم القنصل الإيطالي مضيفاً، كان عليهم حيازة الأسلحة النارية[5]. لقد اشتهرت بعض المناطق الجبلية من مناطق القبائل بتنوّع صناعاتها التنحويلية، إذ كانت تشتمل على ورشات صنع الثقطع الحديدية وأنابيب البنادق والزناد[6]. وكان معدن النحاس المستخرج في القبائل المدوب مع معدن الزنك يعطي مادة الشبهن التي تستعمل لصنع قارورات البارود وزخارف البنادق[7].

---

[1] CHENTOUF (Tayeb), **OP.Cit,** pp.95-98.

[2] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق**، ص66.

[3] نفس المؤلف، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة العثمانية و المعاصرة، نفس المرجع السابق، ص248.

[4] SHAW (docteur Thomas), **OP.Cit**, pp.236-237.

[5] SACERDOTI (A.): « **La mission à Alger du Consul de Venise Nicolas Rosalem (1753-1759)** », In. R.A: No 96, Année 1952, p.84.

[6] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق**، 67.

[7] KADDACHE (Mahfoud), **OP.Cit**, p.168.

وكانت البنادق التي تنتجها قبائل جرجرة لا تضاهي بنادق أوربا نوعية، فهي تمتاز بطول كبير يصعب شحنها وتحتـوي على زُنبُـرك (نـابض) البلاتين بداخلها[1]. لقد كانت تختص كل قبيلة في بلاد القبائل بمهنة معينة، فبني يـني وبـني عبـاس يصـنعون الآلات والحلي من الفضة بالاضـافة الى الأسـلحة النارية[2].

وكـانت قبائل بـني يـني أكـثر القبائل اهتمامـاً بالصـناعة وتشـتغل بالمعادن وتصنع بعض البنادق،[3] وقبائل بـني عبـاس المتواجـدة على بُعد 30 فرسخا* شـمالي مدينة بجايـة، تصـنع أسـلحة نارية جيـدة بشـهادة الطـبيب الانجلـيزي شـاو[4]. ويعتـبر الضـابط الفرنسي لابيـــن أن قلعـة بـني عبـاس مدينة قديمة وصناعية، حيث يهتم جميع سكانها بمهنة صناعة الأسـلحة، كما هو الحال في زمورة وبني ورثيلان[5]. وكانت قلعة بني عباس إلى جانب قرى فليسة تنتج بنادقها الجيدة مرصعة بالفضة والمرجـان[6]. وكـان الحديد الـذي يتم اسـتخراجه من منطقة بـني سـليمان (على الضـفة اليُمـنى من وادي الصومام) يصنع به سـكان قلعة بـني عبـاس بنـادقهم،[7] ويركّبونها بأكملهـا،[8] وينتجون أيضا بلاتينات ذات جودة عالية وسمعة كبيرة [9] وكانت تُصدّر بنادقها إلى بلاد تونس المجاورة.

وللتعرف أكثر عن الأسلحة النارية المصـنوعة في بلاد القبائـل، ما نقله الضـابط الفرنسي المقـدم إدوارد لابين في كتابه عن وصـفه لمدينة بجاية والمنطقـة، أثنـاء زيارته لها وتعيينه كـأول قائد سـام فرنسي منذ الاحتلال الفرنسي لبجاية سنة 1833*، وألفه سنة 1839، ففيه يُعطي وصـفاً دقيقـاً للبندقية الـتي كـان الرجل القبـائلي يحملها في الحـروب. وقد ذهب إدوارد لابين بعيداً في وصفه التقني للبندقية القبائلية بصفته تقني عسكري، عاش في المنطقة وعـايش فـترة المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال. قبل الاطلاع على ما تناوله الضـابط الفرنسي في موضـوعنا، تجـدر الإشـارة إلى أن الفـترة الـتي تضـمنت الأحـداث والظـروف والأحـوال الـتي طبعت عموما منطقة القبائل واكبت نهاية العهد العثمـاني في الجزائر وبـدايات الاحتلال الفرنسي للقطر الجزائري. فالمعلومات التي أوردها المؤلف حول موضوع الأسلحة النارية تحط كثيرا من قيمة المصنوعات العسكرية. وان كانت هذه المعطيـات التاريخية صـحيحة، فلعل ذلك راجع إلى ما وصـلت إليه البلاد

---

[1] SAIDOUNI (Nacereddine), **L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830)**, Dar-Al-Gharb Al-Islami, Beyrouth, 2001, p.219.

[2] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق**، 67.

[3] عباد (صالح)، **الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)**، دارهومه، الجزائر، 2005، ص337.

* يساوي 04 كلم تقريباً.

[4] SHAW (Docteur Thomas), **OP.Cit**, p.347.

[5] LAPENE (Edouard), **OP.Cit**, p.102.

[6] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق**، ص 66.

[7] LAPENE (Edouard), **OP.Cit**, p.101.

[8] KADDACHE (Mahfoud), **OP.Cit**, p.168.

[9] LAPENE (Edouard), **OP.Cit**, p.101.

* في29 سبتمبر 1833م تم احتلال مدينة بجاية من طرف الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال تريزل . (LAPENE (Edouard), **OP.Cit**, p.35)

الجزائرية من انحطاط وتخلف في المجال العسكري وفي جميع المجـالات الأخرى.

فيعتبر أن الأسلحة الـتي كـان يحملها الفـارس وجند المشـاة والـتي صُنعت أغلبيتها في المنطقة، بسيطة وبدائية الصنع. فكانت البندقية يطبعها الطـول المفـرط للسـبطانة بحيث يتـأرجح طولها بين 30,1 و50,1 مـتر، وعيارها لا يساوي العيار الفرنسي، وغالباً ما يكون أدنـاه. علاوة على ذلـك، كان تصـميم هـذه القطعة يشـوبها عيوبـاً رغم أن الكمية الحديدية الموزعة فيه كانت بالتساوي. ما يجعل استقامتها السيئة تـؤدي إلى خطـورة الـرمي بالسـلاح الـذي يكـون غـير دقيق النتـائج في النهايـة. مع ذلـك، فـإن أثر الرصاص المنبعثة من جراء انفجار كمية البارود المساوية لوزنها والمقذوف الــذي يعــبر مســافة طويلة عند خروجه من فوهة البندقية بســبب طــول السبطانة، لا ينقص الرمي من دقة إصابته للهدف.

وحتى القطع التي كانت تصنع أيضا في المنطقة، قطعة البلاتين، هـذه الصفيحة التي تربط بين كل أجزاء البندقية المساعدة على انطلاق الرميـة، كـان النظـام الفرنسي للبلاتين ذات الحجـارة أحسن بكثـير من نظـام هـذه البلاتينات المتكونة من أجزاء تتسم بالخشونة والـرداءة في عملية الضـبط، ويكون بـذلك انطلاق الرصـاص جد صـعب. وبما أن قطعة التربـاس حديدية الصنع فإن الصدأ تلحقها لا محـال وهي ضـيقة وعميقة قليلا، وبالتـالي فإنها تتعرض إلى حدوث طلقات فاشلة. إن ظروف إشـعال الشـحنة تكـون غـير سانحة، فتترك المجال لقذف ناري قوي على حساب الشـحنة ودقة الـرمي ومسافته. بالإضافة إلى أن المـرود المصـنوع من الخشـب، ليس لديه قـوة مناسـبة لحشو الشـحنة. فالسـلاح يصـعب شـحنه بسـبب طوله المفـرط، خاصة عندما تحـدث هـذه الوضـعية على الميـدان حـربي مكشـوف، فيلـوذ حامل البندقية بـالفرار، ليسـتفيد من بعض الـوقت ويغتنم الفرصة لإعـادة شــحن بندقيتــه. كما شــكّل دمج أجــزاء البندقية المعدنية بالخشب وجها مشـوّهاً للبندقيـة، إذ أن المسـمار عـوّض البُـرغي، وأن حاضن البندقية أو الأخمص غطى قطعــاً من حديد أبيض بــدل تزيينه بالزخــارف أو حواشي البندقية. فالخشب هو من شجر الجـوز ذات سـمك رقيق ومُجـوّف في كل أطرافه بهدف تخفيف وزن السلاح، غـير أن البندقية تصـبح هشـة، وغالبا ما تتصدع أو تمتلئ بالشظايا وغيرها[1].

ثم يعود المؤلف العسكري لابن إلى وصف الإنسان القبـائلي والعلاقة التي تربطه بالبندقية قائلاً: " إن الإنسـان القبـائلي يمتلك بندقية منذ نعومة أظافره، بسبب الحروب المتكررة، وكـان تعلم الـرمي بالبندقية يـدخل في تربية الشباب في القبيلة الواحدة. بـذلك فإنه يُعطي كل ما بوسـعه لكسب هذا السلاح الذي يصبح رفيقه المخلص في رحلاته وأمـام الأخطـار المحدقة به، فالقول المأثور التالي يشرح هذا الإحساس:" إن الإنسان القبائلي يملك

[1] LAPENE (Edouard), **OP.Cit**, p.104.

بقرتين وحمار وبندقيـة، عند الفاقـة، يـبيع البقـرة وعند الفاقة التاليـة، يـبيع البقرة الثانيــة، وفي
الفاقة الثالثة، حماره، ولكنه لن يبيع بندقيته ولن يتخلى عنها أبـداً.")انظـر، ش 19)

وكـانت البندقية تمنح أيضـاً مركز شـرف وعـزة، بحيث كـان شـيوخ القبائل والشخصـيات المرموقة تحـوز على بنـادق جميلة مزخرفة بمعـدن الفضة، لها أشـكال فنية مصـمّمة بمهـارة فائقـة. وكـان يـتراوح سـعر هـذه البنادق ما بين 200 و300 فرنك وأكثر. على العموم، كـان التسـليح في بلاد القبائل يشـوبه انعـدام الـذوق في تصـميمه حسب الضـابط الفرنسـي، ولا يبذل صـانع الأسـلحة فيه أي جهد في العمل الجمـالي، ولا حـتى في تـأمين السلاح. وكانت تُباع البندقية العادية بسعر ما بين 60 و80 فرنك.

وكان المسدس في البيئة القبائلية بالإضـافة إلى البندقية يحتل مكانة جيـدة، والكـاتب الفرنسي لا بين يعتـبر أن المسدسـات القبائلية تعـود إلى أصل أجنـبي، فكـان الإنسـان القبـائلي يصـنع أنواعـاً من مسدسـات ذات المنشأ الإنجليزي أو البلجيكي من مدينة لياج-Liège – وهي بنفس الـرداءة دائماً. ومسدس الطبنجة ذات ماسورة ، عـادة ما هي نحاسـية الصـنع ويبلغ طولها ما بين 0,40 و0,46 سم ويبدو أنه من أصل أسباني[1].

أما في الشرق الجزائري، فلم تكن هنـاك صـناعة بـأتمِّ معـنى الكلمة وإنما كانت توجد صناعة تقليدية كما هو الشّـأن في كثـير من كبريـات مـدن الجزائر. وكـان أصـحاب الحـرف منظّمين في هيئـات يشـرف على واحـدة أمين، وتتــولى كل هيئة صــناعة نــوع محــدد من الأدوات والملابس الــتي يحتاجها السـكان في حيـاتهم اليوميـة. وهكـذا نجد في قسـنطينة أسـواقاً عديـدة خاصة بمختلف المهن[2]. لقد كـانت مدينة قسـنطينة من أهم المـدن الصــناعية في الجزائــر، تشــتمل ولوحــدها على عــدد كبــير من المعامل لمختلف الصـناعات. بالإضـافة إلى ذلك كـان العامل القسـنطيني يسـتطيع الاشتغال في مجالات أخرى، مكوّناً بذلك عدداً من الهيئات الصـناعية الـتي لا بد منها لتلبية حاجات السكان الضـرورية. ومن جملة هـذه الهيئـات الـتي تنظّم حسب الحرف التي تشتمل عليها، والتي لم يزل معظمها قائماً حــتى الآن، ضمن هذه الحـرف، التشـقماقجية الـذين تنحصر مهمتهم في صـناعة لأسلحة و إصلاحها عند الكسـر. ويلحق بهـذه الهيئـات السـرّارين أي الـذين ينحتون الأجزاء الخشبية من البنادق و السيوف خاصـة[3] ويضبطـون أسـرّت البنـــادق بالمواسيــر التـي تستـــورد من إيطاليـا وأسـبانيا و إنجلـترا[4]، و الجدير بالذكر أن عددا من هـذه الجمعيـات الحرفية كـانت تسـتعمل أدوات يســـتورد معظمها من أوربا ومن نفس البلاد أيضًـــا، تجلب بعض المـــواد

[1] **Idem,** pp.105-106.

[2] الزبيري (محمد العربي)، **نفس المرجع السابق**، ص 110.

[3] نفس المرجع، ص ص62- 63.

[4] FERAUD (Laurent-Charles): « **Les corporations de métiers à Constantine** », Traduction d'un manuscrit arabe**,** In. R. A. No 16, Année 1872, pp.451- 454.

الصــناعية كقطع الأســلحة، والمســامير وغيرها من الأشــياء الضــرورية لممارسة كثير من الحِرف[1].

لقد وجد الفرنسيون في قسنطينة طوائف عديدة من الهيئات الصناعية التي تهتم بصناعة الأسلحة، فهناك الحدّادون والصفارون أو صنّاع النحاس والقصديريون والتشاقمقجية[2]. ومن جملة المصانع الموجودة في قسنطينة على غرار 33 معملاً للدّباغة و55 مصنعًا لصناعة السروج و167 مصنعًا للأحذية و18 فرنًا لطهي الخبز و22 طاحونة مائية، كان يوجد مصنعًا واحدًا كبيرًا لصناعة الأسلحة[3] التابع للباي والذي كان يشغّل عشرات العمال والمتواجد بربض "كدية عاطي" خارج مدينة قسنطينة حيث يقيم بها الصنّاع بالقرب من الفنادق وإسطبلات الباي إلى جانب المخازن والطواحين الهوائية والمائية[4].

وكان للجنوب الجزائري أيضا قسطًا وفيرًا في نصيب صناعة الأسلحة، فكانت قرى وادي ميزاب ومدينة توقورت وبوسعادة التي اختصت عشر محلات في صنع الأسلحة النارية[5]. ما يؤكد ذلك ما جاء في بيان من سِجل يتضمن ما تدفعه القبائل والأعراش من الحيوانات (الزوايل) والصوف والسلاح والنقود، مرتب حسب التاريخ الهجري ويدخل ضمن رصيد "دفاتر البايليك" الموجود بالأرشيف الوطني الجزائري بالجزائر العاصمة.

يوجد في البيان ما كانت مدينة بوسعادة تدفعه من مكاحل (البنادق)، وذلك على عدّة مراحل أو دفعات، مرّة 20 مكّحلة، مرّة أخرى 30 ثم 24 مكحلة ...إلخ، حيث وصل عدد المكاحل المدفوعة إلى أكثر من 1000 مكّحلة. وكان صناعها يدفعونها كضريبة عيْنٍ للجزائر والتي بلغ عددها بالضبط 1002 مكّحلة، وتمّ ذلك فيما بين 1238هـ- 1239هـ/1822م-1823م-1824م[6].

وهذا يدل على أن مدينة بوسعادة كانت تصنع فعلا أسلحتها بنفسها، حتى ولو لم يوضَّح أصل هذه الأسلحة إن كانت من صنع المنطقة أو من مشترياتها، ولكن ما يجب الإقرار به أنه لا يعقل أن مدينة بوسعادة تدفع ضريبتها مما تقتنيه من مناطق أخرى أو من الخارج من أسلحة وليس من مصنوعاتها. بل وبهذه الأعداد الهائلة من الأسلحة التي تمّ دفعها في مدّة عام واحد أصبحت مدينة بوسعادة قطبًا صناعيًا هامًا للأسلحة في أواخر العهد العثماني في فترة كانت الجزائر آيِلَة أكثر للزّوال والانحدار منه إلى الانبعاث والتطوّر.

ر- نوعية الأسلحة:

---

[1] الزبيري (محمد العربي)، **نفس المرجع السابق**، ص63.

[2] عباد (صالح)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 337- 338.

[3] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق**، ص 502.

[4] برينان (أندري)، نوشي(أندري)، لاكوست (إيف)، **نفس المرجع السابق**، ص 204

[5] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق**، ص 66.

[6] بيان من رصيد " **دفاتر البايلك** " تحت رقم د.ب.س101، الرقم القديم 25، الأرشيف الوطني الجزائري.

لقد أثّر استعمال الأتراك العثمانية للأسلحة النارية على الأحداث السياسية في بداية العهد العثماني في الجزائر وعلى سبيل المثال، نذكر موقعين تاريخيين متتاليين هامين في هذا المجال. الأول، ضد حميد العبد، شيخ مدينة تنس الواقعة إلى غرب مدينة الجزائر بـ30 فرسخاً، الذي أعلن الحرب على العثمانيين تحريضاً من السكان العرب المجاورين لمدينة الجزائر. فاستطاع أن يجمع 10 آلاف رجل من الأتباع والحلفاء، وانطلق على هذا رأس الجيش في شهر جوان 1517م. أمام هذا الوضع المتأزم، قرّر عروج بعدم انتظار العدو والسير عليه واتخاذ خطة الهجوم بالاعتماد على شجاعة جنوده الذين تسلحوا ببنادق الموسكي تاركاً أخيه خير الدين في حراسة مدينة الجزائر. وكان يتكوّن جيشه من ألف جندي تركي مسلحين بأسلحة الموسكي إلى جانب 500 أندلسي من غرناطة وأراغون وبلنسية الوافدين من كل مناطق المغرب الأوسط ومن الجزائر، حيث استُقبلوا أحسن استقبال من طرف الأتراك العثمانيين، وكان أغلبهم يحملون بنادق الأركبوز[1]. وبعد يومين، التقى جيش عروج بجنود حميد العبد بالقرب من وادي الشلف. فاستطاع عروج أن يُنزل بعدوه هزيمة نكراء رغم تفوّقه العددي ، لأن عامل السلاح هو الذي حسم نتيجة المعركة، إذ كان رجال حميد العبد يحاربون بالرماح والمزارق* والأسلحة البيضاء، فارتفعت معنويات الجنود الأتراك بعد إحرازهم على نصر باهر على حميد العبد الذي اضطر للانسحاب إلى جبال الأطلس الصحراوي[2].

وفي الموقع الثاني، بعد معركة وادي الشلف وفي منتصف عام 1517م، أعاد عروج وجيشه الكرة بالهجوم على تلمسان حيث كان يوجد الملك أبو زيان وحميد العبد الذي اجتاز الأطلس مقبلاً من الصحراء لاجئاً إلى عاصمة بني زيان. احتدمت المعركة بين الجيش الزياني، المتكوّن من 6 آلاف فارس و3 آلاف من المشاة، وجيش عروج[3] في سهل آغاد المتاخم لمدينة وهران. وكانت الغلبة في نهاية الأمر للأسلحة النارية التي يحملها الجيش العثماني على الجيش الزياني، وقد نجح الأندلسيون الحاملون لبندقية الموسكي في المساهمة في المعركة مساهمة فعالة[4].

فقد سمح هذا النصر المظفّر لعروج بالتمكّن من الملك الزياني وبالاستيلاء على عاصمته. غير أن فرحة الانتصار لعروج وأتباعه لم تدم طويلاً إذ، في سنة 1518م، توجهت قوة عسكرية أسبانية قوامها 10 آلاف رجل[5] تحت قيادة الماركي كومارس- Marquis de Comarés – حاكم مدينة وهران صوب مدينة تلمسان، قصد طرد الأتراك منها. وكان عروج قد طلب من أخيه خير الدين قوات إضافية لدعم صفوفه لصد الجيش

---

[1] HAEDO (Fray Diego de (,**OP.Cit,** pp.33-34.

* مفرد مزراق وهو رمح صغير.

[2] PEYSSONNEL (J.A) et DESFONTAINES, **Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger,** Librairie de Gide, Tome 1, Editeur des annales des voyages, Paris, 1838, pp**.** 392-394.

[3] HAEDO (Fray Diego de (,**OP.Cit,** pp.35-36.

[4] PEYSSONNEL (J.A) et DESFONTAINES, **OP.Cit,** pp.393-394.

[5] HAEDO (Fray Diego de (,**OP.Cit,** pp.39-40.

الأسباني ولكنها لسوء الحظ، لم تصل لأنها اعترض الأسبان سبيلها، وأبيدت عن آخرها. وبقي عروج يعاني من الحصار الأسباني المضروب على تلمسان. فقرر الخروج منها لعدم قدرته من المقاومة، فالتحق به الأسبان عند وادي المالح[1] على بعد 8 فراسخ من تلمسان، فحاربه بكل شجاعة بذراع واحد، إلى أن استشهد في ميدان الشرف. فكانت نهاية أحد الأخوان باربروس اللذان بفضل شجاعتهما وبراعتهما أسسا لإمبراطورية قوية، كما يعتبر البندكتي الأسباني هايدو، لا زالت موجودة إلى يومنا هذا بمدينة الجزائر[2]. هكذا، شاءت الأقدار أن تعود الكلمة الأخيرة للعدة والعدد المتمثلة في الأسلحة النارية وعدد الجنود الحاضرون في ميدان المعركة، وكان توازن القوى لصالح الأسبان المحتلين الذين أصبحوا يتطلعون لغزو مدينة الجزائر واستئصال التواجد العثماني منها وعلى رأسه خير الدين خليفة عروج[3].

وجد خير الدين نفسه بعد موت أخيه أمام وضعية خطيرة، وكان يُدرك أن الخطر الأسباني يتربص به الدوائر، فأخذ يعُد العدة ليكون على أهبة الاستعداد لمواجهة العدو في كل لحظة. فأصبح همُّه الوحيد، هو ومن خلفه من بعده، توفير عوامل تطور الميدان العسكري وتمكين البلاد من الأسلحة الحديثة التي تكفله القوة والسُّؤدد في البحر والبر.

لقد أخذت الأسلحة النارية بأنواعها والخفيفة منها خاصة مكانة هامة في الميدان العسكري وزادت الجزائريين بأساً وبسالة في ظرف أحوج ما تكون إليه البلاد للأسلحة. وقد ذكرت المصادر التاريخية أنواعاً كثيرة من هذه الأسلحة في ظروف ومناسبات تاريخية مختلفة وعديدة، وفي حديثنا على ذلك، نحاول استخلاص أهمية هذه الأسلحة بالنسبة للجزائريين الذين قلدوا تصنيعها وأنتجوا نماذج منها.

ومن الحالات الخاصة التي استعمل فيها الجزائريون هذه الأسلحة بفعالية ونجاح، معركة الحراش التي وقعت سنة 1775م، على إثر الهجوم الأسباني بقيادة الأميرال الكونت أوريلي –Comte d'Oreilly – على مدينة الجزائر[4]. لقد اختار الأسبان مكاناً للنزول بين مصب وادي خنيس ووادي الحراش لميزات هذا الموقع الاستراتيجي الحسنة.

ففي يوم 08 جويلية 1775م تمكن الأسبان من إنزال قرابة 08 لآلاف جندي على الشاطئ. تمكنوا في ظرف قصير من إقامة متاريس في غاية من التحصين والمنعة ضد تقدم الفرسان والمشاة. لكن قرب الموقع من بطارية وادي خنيس جعله تحت رحمة هذه البطارية التي كانت تصب عليه وابلاً من القذائف بدون توقف وألحقت بأفراد العدو خسائر كبيرة. لقد تحطم هجوم جنود الدفعة الأولى الذين حاولوا التقدم إلى الأمام في اتجاه

---

[1] GAID (Mouloud), **OP.Cit,** p.41.

[2] HAEDO (Fray Diego de (,**OP.Cit,** pp.41.

[3] GAID (Mouloud), **OP.Cit,** p.41.

[4] **ذاكرة الجزائر**، المتحف المركزي للجيش، الجزائر، 2005، ص ص109- 110.

العاصمة على يد الفرسان وراكبي الإبل الذين استقدم منهم صالح باي* أعداداً كبيرة. وكان استخدام الجمال في المعركة مفاجأة للأسبان إذ أدخل في قلوبهم الرعب. كما أن استخدام الفرسان للبندقية في وضع إطلاق النار مع الحركة كان هو الآخر عنصراً مفاجئاً لهم. وهو عنصر تعبوي جديد إذ لم يسبق أن استخدم الفرسان في أوربا البندقية فبهذه الكيفية*. لقد تحطم الهجوم وارتد الأسبان إلى متاريسهم بعد ما تكبدوا خسائر فادحة، حين فقدوا خيرة قواتهم في هذه المعركة وأجبروا على التسمر في مواقعهم ثم الانسحاب تحت ستار الظلام إلى سفنهم والعودة إلى بلادهم*[1].

لقد برهنت الأسلحة وطرق استعمالها مرة أخرى فعاليتها في دحر الأعداء المتربصين. فإن الدولة الجزائرية، منذ إقامتها كانت توفِّر الأسلحة الضرورية وتسهر على توزيع البنادق والمسدسات على أفراد الجيش، البحارة والمشاة معاً. فيذكر فانتور دي بارادي أن الحكومة الجزائرية تمنح للمجند الجديد بندقية وسيف يطغان وزوجاً من المسدسات على شكل استعارة، ثم يُقتطع من راتبه مبلغاً مالياً في حالة عدم إرجاع الأسلحة[2]. وكان البحارة، كما يخبر كاثكارت أسير الداي، قنصل أمريكا في المغرب، يزوِّدون أنفسهم بأسلحة على نفقتهم الخاصة، وهي تتكون من سيف يطغان وبندقية ومسدس. وبعض الضباط يملكون بندقية " بلوندربوس " وهي بندقية واسعة الفم وتطلق عدة طلقات متوالية على غرار الرشاشة[3]. ويذكر مصدر فرنسي آخر أن الجندي من المشاة يُزَوَّد ببندقية ومسدسين ويطغان، والصبايحية الفرسان يُمْنَحون بندقية ومسدسين تحملان على الأحزمة كالمشاة ،بالإضافة إلى سيف مقوَّس[4]. أما القنصل الأمريكي وليام شالر يشير إلى أن الإنكشاري الذي يتسلح، ويكون مستعداً لخوض معركة يحمل فيها مسدساً أو مسدسين كبيرين في حزامه، ويطغان وخنجراً على صدره وبندقية طويلة على كتفه. وجميع هذه الأسلحة مزينة بالزخارف الشرقية الرفيعة بقدر ما تسمح به ظروفه الخاصة وثروته. وإذا

---

* وهو من أشهر بايات قسنطينة (1771- 1792م).

(VAYSSETTES (Eugène(, **Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837**, présentation de Ouarda Siari-Tengour, Editions Bouchène, Paris, 2002, p.121.)

* كان من الممكن لو وُجدت مؤسسات عسكرية متخصصة، تطوير هذا العنصر التعبوي الجديد حتى ذلك الوقت ، ولكنه تحول بعد ذلك على يد الفرنسيين إلى نوع من الفاكلور تحت اسم " الفانتازيا ".

(قنان (جمال)، **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830)**، م.و.ك، الجزائر، 1987، ص ص 169- 170.)

* وصفان لهذه المعركة: من معاصرَيْن جزائريَيْن: 1)- **محمد الصالح العنتري** (مخطوط م، و،ب، رقم 5754).

2)- **محمد بن رقية التلمساني**، كتابه:" الزهرة النائرة.....".

(قنان (جمال)، نفس المرجع السابق، ص ص 169- 170.)

[1] ? قنان (جمال)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 169- 170.

[2] VENTURE DE PARADIS) Jean Michel (:**" Equipement d'une nouvelle recrue"**, **OP.Cit**, p.46.

[3] كاثكارت (جيمس)، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة عن الإنجليزية وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الوطنية، الجزائر، 1982، ص79.

[4] DUBOIS-THAINVILLE, **Mémoire sur Alger, 1809**, Collection. Documents inédits, Librairie Ancienne Honoré Champion, Paris, 1927, pp.138-139.

أضفنا بذلته العسكرية إلىكل ما تقدم، يمكننا بحق أننقارن الإنكشاري بالصبي في ورق اللعب...[1] والمؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان يلاحظ أن الأوجاق استعملوا أثناء فترة الباي لربايات الطبنجات والسهام إلى جانب الأسلحة النارية والأسلحة البيضاء كالسيوف مثلاً[2]. ويلفت فانتور دي بارادي انتباهنا أن اليولداش عندما يُتوفى يأخذ بيت المالجي بندقيته ويسلمها للداي لوضعها في قاعة الأسلحة ، علماً بأن سلاح الجندي المستجير لا يُباع قط[3].

إن اهتمام الجزائريين الشغوف بالأسلحة النارية قد دفعهم بالميل إلى زخرفتها بأشكال جميلة وزيَّنوها وأعطوا لها رونقاً وبهاء كالتحف الفنية التي تُعلَّق على الجدران.(انظر ش15، 16) فيُقال أن الجزائريين يُفَضِّلون المسدسات والبنادق التي يصنعونها بأيديهم، حتى ولو أنها أسلحة محملة بالخشب ومرصعة بالصدف والجواهر والمرجان وأنها بذلك ثقيلة جداً. ويعتبرون أن هذه الأسلحة التي لا يريد الفرنسيون استعمالها لأنها مرهقة كثيراً، بأعز ما يملكون لديهم، ولا يستبدلونها بأحسن وأجود ما يوجد في فرنسا وفي إنجلترا[4].

لقد كان المرجان في الخزينة العامة من المجموعات الثمينة التي، نادراً ما يُؤخذ منها كمية من المرجان الجميل لاستعماله في زخرفة وتزيين البنادق، فتُرسل كهدايا للسلطان العثماني وكبراء القسطنطينية[5]. فكانت الأسلحة بأنواعها تُجمِّل جدران العام والخاص، ففي قصر الداي ، قاعات استقبال الضباط تُغَطّى جدرانها بالسيوف والمسدسات والبنادق، نجد معلقاً فيها من 30 إلى 40 يطغاناً ومن 7 إلى 8 أزواج من المسدسات ودزينة من البنادق ذات أخامص مرصعة بالصدف وعرق اللؤلؤ. وكانت هذه القاعات عبارة عن شقق يستقبل الضباط السامون ضيوفهم. لذلك، كانت تُزَيَّن بالأسلحة الجميلة و المزخرفة لأغلبها بالأحجار الكريمة وحتى بالذهب والفضة[6].

تنوعت الأسلحة النارية التي عرفتها الجزائر في العهد العثماني في أشكالها المختلفة، نستعرض فيما يلي بعض أنواعها ضمن أحداث وحالات وظروف تاريخية استثنائية، بالإضافة إلى بطاقة تقنية للمعلومات العامة الخاصة بالسلاح.

1- الأركبوزة: - Arquebuse-

---

[1] شالر (وليام)، **نفس المرجع السابق** ، ص ص53- 54 .

[2] جوليان (شارل أندري)، **تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس- الجزائر- المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830،** تعريب : محمد مزالي – البشير بن سلامة، الجزء2، الدار التونسية للنشر، أوت1985، ص333.

[3] VENTURE DE PARADIS) Jean Michel (, **Alger au 18ème siècle (1788-1790),** mémoires, notes et observations……. **OP.Cit,**, p.119.

[4] **Idem**, p.173.

[5] **Idem**, p.151.

[6] **Idem**, pp.170-171.

تُعتبر هذه البندقية أول سلاح ناري محمول، وقد استُعمل في فرنسا من نهاية القرن15
إلى القرن 16م. كانت تتكوَّن في بداية الأمر من ماصورة ضخمة لها امتداد بأخمص ذات شكل مستقيم. ولصعوبة استعمالها، كان عدة جنود يحملونها ، بينما كان الواحد منهم يقوم بالرمي، ولثقلها وإعاقتها، كان يُستوجَبُ استخدام ركيزة للتمكن من الرمي. ثم تحسنت بندقية الأركبوزة بإضافتها سرير أكثر طولاً وأخمص ملتو، ما جعلها تسند على الكتف للقيام بالرمي[1].

يذكر البندكتي الأسباني العوامل الحضرية والعمرانية في حياة مدينة الجزائر ويُحدّد في هذا الإطار موقع ساحة صناع الأركبوز والسمك التي يُفضى إليها من باب الجمارك التي يخرج منها الصيادون في الصباح لمباشرة عملهم في البحر[2]. ويصف جنود الجيش الإنكشاري بأنهم مسلحين ببنادق الأركبوز التي يستعملونها ببراعة فائقة، فلا يوجد لديهم، على قوله، البلطات الطويلة ولا الرماح القصيرة ولا يُطلقون السهام إلا وهم على متن السفن[3]. ثم يُسهب الراهب الأسباني قائلاً بأن الإنكشاريين يحملون بنادق الأركبوز ويحاربون مشياً على الأقدام ، باستثناء البلوكباشي قائد وحدات الفرسان الذين يحاربون على الأحصنة حاملين بنادق الأركبوز حين يشائون[4]. وكان رجال الإنكشارية داخل الثكنات يأكلون وينامون على الأرض جميعاً وفي وقت واحد ويملكون من بين الأمتعة والأسلحة من بنادق الأركبوز وقارورات البارود والسيوف[5]. وتحدث شارل أندري جوليان بأن الجندي الإنكشاري يتزوّد بالألبسة الضرورية، وخلال فترة البايلربايات، كان الأوجاق يستعملون هذا النوع من البنادق إلى جانب الأسلحة البيضاء معاً[6].
ثم يعود هايدو للكلام عن الأندلسيين وعلاقتهم بهذا السلاح بأنهم ذي بشرة بيضاء وأجسام متسقة وهم قادمون من أسبانيا، يمتهنون عدداً من الحرف، علماً بأنهم يتمتعون جميعاً بدراية ببعض المهن، وكان منهم من يصنع بنادق الأركبوز[7].

2- الموسكي: -Mousquet –

لقد سجلت بندقية الموسكي وجودها في الأحداث العسكرية والسياسية التي طبعت أوضاع إيالة الجزائر منذ نشأتها الأولى. ففي سنة 1517م، أعدّ عروج في حربه ضد حميد العبد وبقايا دولة بني زيان جيشاً قوامه 1500 فرد من جنود الإنكشارية والأندلسيين مسلحين ببنادق الموسكي ووحدة من منطقة القبائل. فاستولى بفضله على ضفاف وادي جر*على بُعد 05 فراسخ من مدينة مليانة. وكان تفوُّق نوعية تسليح

[1] **Microsoft® Études 2008 [DVD].** Microsoft Corporation, 2007, voir " **Arquebuse**."
[2] HEERS (Jacques), **OP.Cit,** pp.150-151.
[3] **Idem**, pp.159-160.
[4] HAEDO (Fray Diégo de(, **Topographie et histoire générale d'Alger, la vie à Alger aux 16ème Siècle, OP.Cit,** p.77.
[5] **Idem**, p.81.
[6] JULIEN (Charles André), **Histoire de l'Afrique du Nord, des origines à 1830,** Grande Bibliothèque Payot, Dijon, 1994, p.636.
[7] HAEDO (Fray Diégo de(, **OP.Cit,** p.54.

* سبق أن ذكرنا ها في بداية الفصل وهي معركة وادي الشلف.

جنود اليولداش هو الذي حسم نتائج المعركة لصالح عروج الذي أجبر العدو إلى الانسحاب وملاحقته إلى مدينة تنس، فدخل جيش الأتراك المدينة منتصراً دون أية مقاومة[1].

أما بعد استشهاد عروج، أرسل خير الدين مبعوثين إلى القسطنطينية بمهمة تسليم السلطان العثماني سليم الأول ولاية مملكة الجزائر. وفي الرسالة التي بعثها، يُعلن تبعيته للسلطان راجياً منه الدخول في حمايته بالتعهد بالطاعة والإخلاص له مقابل ذلك. فقبل السلطان مبادرة خير الدين ولإقرار قبوله، بعث له بمدافع وألفي رجل مسلحين ببنادق الموسكي. كما أذن للمتطوعين بالذهاب إلى الجزائر مقابل الاستفادة بنفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها جنود الانكشارية. فكان فضل السلطان على خير الدين إلى الشهرة العسكرية للإخوة بربروس وأمل نيل الثروة تحت قيادتهما قد أدى إلى جلب 4000 تركي مسلحين ببنادق الموسكي إلى إيالة الجزائر لتشكيل قوة كفيلة لتجميع الاحتياطات الضرورية لمواجهة المستقبل[2].

وأثناء عملية تحرير صخرة البنيون من الهيمنة الأسبانية التي شُنت بتصويب نيران الأسلحة نحوها في يوم 06 ماي 1530م واستمرت المعركة لمدة 15 يوماً دون توقف، استطاع خير الدين تهديم برجيها والسور المقابل لمدينة الجزائر. وفي نفس الوقت، كان رماته يُطلقون عدة ضربات ببنادق الموسكي على المعتصمين الأسبان في الجزيرة، وذلك بسبب قرب المسافة التي تفصل جزيرة البنيون بالمدينة(حوالي 300 خطوة). فسقط تحت الطلقات النارية للمهاجمين حوالي 200 مدافع أسباني. وفي 21 ماي أي في اليوم السادس عشر، هاجم خير الدين بـ14 سفينة يقلها وحدات خاصة من بينهم وحدة من 1200 جندي مسلحين ببنادق الموسكي ومجموعة من رماة السهام. فكان الهجوم بمثابة الضربة القاضية، تمخض عنه اقتحام الجزيرة وتحريرها من الوجود الأسباني[3]. لقد أثبتت بنادق الموسكي في عدة مواقف مردوديتها على الميادين الحربية والمسارح البحرية كذلك، إذ قرّر القادة البحريون الجزائريون إقحام ع ضمن الطواقم العادية لسفنهم 100 رجل من أفضل الجنود مسلحين ببنادق الموسكي و الأسلحة البيضاء واستعمالها بنجاعة فائقة[4].

لقد كانت حيازة الجزائريين لبندقية الموسكي منذ البداية دليلاً على نم يكسوملاةيقدنب ربتعت .ةرتفلاكلت يف هتيلاعفو حالسلا اذ هةيمها نينرقلا لالخ لمعتُسا يرانحالس يهو ،ةبهتلمةليتفب قلطتُ ميدقلا عونلا 16 و17م وأب البندقية. وقد نشأت وحدة عسكرية في فرنسا وأخذت تسمية " موسكتير" – Mousquetaire– لأن أفرادها العسكريين يحملون

[1] GRAMMONT (Henri Delmas de(, **OP.Cit,** p. 43.

[2] **Idem**, p.48.

[3] HAEDO (Fray Diégo de(, **Histoire des rois d'Alger**, **OP.Cit**, p.31.

[4] LE TOURNEAU (Roger), **La Régence d'Alger et le monde turc,** Syndicat National des Instituteurs, Alger, 1953/54, p.62.

سلاح الموسكي. كانت بندقية الموسكي ثقيلة وكانت باستطاعة رميتها اختراق الدرع الواقي للعدو[1]. أدخلت البندقية إلى فرنسا بعد معركة بافي-Pavie-* سنة 1525، وكانت البندقية إلى سنة 1650م مدعمة بمذراة للسماح لحاملها بالقيام بالرمي[2].

لقد كانت بندقية الموسكي ذات الفتيل تُصنع بمدينة الجزائر، وقلد الجزائريون تصنيعها، ونظراً لأهميتها وقيمتها عند أصحابها كانت تُرصع بالفضة والعاج أو العظم. يمكن مشاهدة نماذج منها بالمتحف الوطني للآثار ومتحف الفنون الجميلة والمتحف الحربي ببغداد[3].

3- الإسكوبيت: -Escopette -

إن كلمة إسكوبيت تسمية عامة تعني العديد من الأسلحة النارية المحمولة التي استُعملت من القرن 15 إلى القرن 18م ، ولا سيما من القرن 17 وهي أسلحة ذات فوهة واسعة،[4] ومن العيار الكبير يُقدر طوله بحوالي ثلاثة أقدام (,910 متر)، وكانت رميته تصل 500 متر، وتأخذ شكل بندقية الأركبوزة ولكن مصغّراً، وتُقلّد بنقية الإسكوبيت على الظهر داخل حمالة[5]. وفي شأن هذه البندقية، ذكر ماسكاريناس في كتابه عن الرق في مدينة الجزائر أن الأتراك كانوا يحملون في تنقلاتهم مشياً على الأقدام أسلحتهم البيضاء إلى جانب بنادق الإسكوبيت على ظهورهم...وكان البلوكباشي الوحيد الممتطي فرساً، يضع بندقية الإسكوبيت داخل قربوس السرج[6].

لقد استعرضنا في هذا الفصل ثلاثة أنواعاً رئيسية من الأسلحة النارية الخفيفة لورودها في المصادر التاريخية المتوفرة لدينا، و تطرُّق البعض منها إلى صناعة بعض أنواع البنادق على أنها جزائرية الصنع، وبعض المصادر الأخرى تناولت تلك الأسلحة في الاستعمال الواسع لها في مختلف المناسبات، ولكن دون التعرض إلى أصلها ولا مكان صناعتها. على كل حال، حتى ولو أن إمكانية عدم تصنيع بعض هذه الأسلحة في الجزائر لم تتأكد، فإن أهميتها ثبتت من خلال تأثّر الصناع الجزائريين بها وبالتالي اقتدوا صنع أنواع ونسخ منها. والأدلة المادية تتوفر حالياً بكثرة، تحتضنها متاحف جزائرية عبر كامل التراب الوطني. بنادق ومسدسات من العهد العثماني، تُعرض في الواجهات قصد إفادة الزوار والمختصين والفضوليين بمعلومات قيمة حول تاريخ وأصل صنع الأسلحة والتقنيات المستعملة

---

[1] **Microsoft® Études 2008 [DVD]. OP.Cit**, voir «**Mousquet** » et « **Fusil** ».

* معركة وقعت في إيطاليا بين فرنسوا الأول ملك فرنسا والإمبراطور شارل الخامس. (**Pavie**» voir ,**Idem.** «)

[2] **Petit Larousse en couleurs**, **OP.Cit**, voir «**Mousquet** ».

[3] خلاصي (علي)، **العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر**، المتحف المركزي للجيش، سلسلة "الفرسان الجزائريون"، الجزائر، 1985، ص31.

[4] **Petit Larousse en couleurs**, **OP.Cit**, voir «**Escopette** ».

[5] MASCARENHAS (Joao), **Esclave à Alger**, **récit de captivité de Joao MASCARENHAS (1621-1626),** traduction et présentation P. Teyssier, Editions.Chandeigne , Paris, 1993, p. 231.

[6] **Idem**, p.104.

لتصميمها. ولعل أبرز مثال على ذلك، المتحف المركزي للجيش*، حافظة التاريخ العسكري الجزائري الذي نجد فيه نماذج من هذه الأسلحة في حالة جيدة. (انظر، ش03، 18)

كما توجد قطعاً منها في متاحف عبر العالم، هذا وقد ورد في مرجع بالإنجليزية من تأليف روبرت إلغود –Robert Elgood – بعنوان " الأسلحة النارية للعالم الإسلامي في متحف – طارق رجب بالكويت-" مجموعة من صور لأسلحة نارية من صنع جزائري كالبنادق ومُسَدَّسَيْنِ، و تطرّق في نفس الموضوع كذلك، إلى وصف بعض البنادق الجزائرية تتواجد بأسبانيا، كانت قد أخذها الأسبان كغنائم، على إثر استيلاء الملك الإسباني فيليب الخامس على مدينة وهران، من يدي الباي مصطفى بوشلاغم (أي في سنة 1732م)*. ومن هذه الأسلحة، الذي ما يزال موجوداً بالمستودع الملكي للأسلحة في العاصمة مدريد، ومن ضمنها، بندقية الموسكي المصنوعة محلياً، وكما يصفها المؤلف، أنها صُنِعَت بطريقة صفيحة قدح بالصوان الأسبانية، تحمل على ظهرها كتابة باللغة العربية فيها: " من تصنيع محمد، سنة 1110هـ (1698م). وذكر أيضاً كتابة مماثلة على بندقية أخرى مؤرخة في سنة 1123هـ(1710م)، وفي نفس الوقت كان يوجد نموذج مشابه لبندقية عليها كتابة بإمضاء: "من تصنيع أحمد ". لقد برز من خلال جميع هذه الأسلحة مدى تأثيرها الكبير بأسلوب الصنع الأسباني لآلية صفيحة القدح[1].)انظر، ش 15، 16، 17)

ز- الطابع التجاري للأسلحة النارية الخفيفة:

كان نشاط الميدان التجاري في الجزائر في العهد العثماني محدوداً بسبب حالة التوتر وعدم الاستقرار الذي ساد طيلة الفترة العثمانية نتيجة السياسة العدوانية المنتهجة من طرف الدول الأوربية ضد الجزائر وعلى رأسها فرنسا وأسبانيا. الأمر الذي جعل التجارة الخارجية المتبعة من طرف الجزائر يتخللها الكثير من العوائق والعراقيل، ولم تنشط بالحيوية الكافية لتعود بالربح والفائدة على البلاد.

ومما زاد الأوضاع تفاقماً، عدم امتلاك الدولة الجزائرية لأسطول بحري تجاري كمثيلاتها الأوربية، أداة الازدهار الاقتصادي وسبب الرقي الاجتماعي والثقافي للبدان والمجتمعات المتطلعة للمستقبل، وذلك بالرغم من أن الجزائر كانت تحوز على أسطول بحري عسكري من أحسن الأساطيل التي جابت مياه البحر المتوسط آنذاك. ويُعتبر الميدان الأكثر تضرُّراً من تبعات تجارة فاشلة، الصناعة. والصناعة في الجزائر كانت ذات طابع تقليدي مهني، تتمركز أساساً في الوسط وبالجزائر العاصمة والشرق الجزائري. وعلى سبيل المثال، كان الكثير من الصُّنّاع في مختلف

---

* الواقع برياض الفتح بالجزائر العاصمة والذي فتح أبوابه سنة 1985م.

* في عهد **الداي كرد عبدي** الذي حكم الجزائر من سنة 1724إلى 1732م. (GAID (Mouloud), **Op.Cit.**, pp.156-157).

[1] ELGOOD (Robert), **Firearms of the Islamic world in the Tareq Rajab Museum, Kuwait,** London, 1995, p. 75.

الاختصاصات في الشرق الجزائري يحتاجون إلى كميات من المواد الخام والآلات الضرورية لأشغالهم والتي تتوفر في عين المكان، فتُستورد من البلدان الأجنبية عن طريق التجارة الخارجية. ونذكر مثلاً أن مهمة التشاقمقجية هي صناعة الأسلحة، وتركيب المدافع ...

ولكن التجارة الخارجية لم تلعب الدور اللائق لإحداث نوع من الثورة في هذا المجال، وذلك لأن الاتصالات مع أوربا المصنعة كانت كلها تتم بواسطة الأجانب الذين لا يهمهم أن تتطور الصناعة في هذه المقاطعة حتى يتمكنوا من مواصلة استنزاف خيراتها. ولذلك، فبدلاً من أن ينشط هذا النوع من التجارة ويُدخل مزايا الثورة الصناعية إلى بعض مناطق الشرق الجزائري ظل في نقطة الصفر لا يسمح إلا بجلب المواد الجاهزة التي تزيد الوضع تعفناً، إذ تعمل على قتل الصناعة المحلية لأنها تستورد بأثمان أرخص نتيجة ظهور الآلات الحديثة. ولو أن زمام التجارة الخارجية مع أوربا كان بأيدي السكان أنفسهم لاستطاعت المقاطعة أن تستغل إمكانياتها الكثيرة والمتنوعة للاستفادة من الثورة الصناعية.

وإذا بحثنا عن أسباب ذلك وجدناها متعددة، يمكن حصرها في فئتين رئيسيتين:

1- أسباب خارجية: تتمثل في محاربة الأوربيين لكل محاولة تهدف إلى تكوين أسطول تجاري جزائري ومنع الأهالي من إنشاء محلات تجارية في الضفة المقابلة من البحر المتوسط، الأمر الذي أدى إلى الانعزال التام وإلى استحواذ الأجانب من مسيحيين ويهود على النوع من النشاط الاقتصادي.

2- أسباب داخلية: وتنحصر في عدم مقاومة الأهالي وانسحابهم من ميدان المنافسة تاركين حرية العمل فيه للأجانب، وفي عجز السلطات عن تعبئة الطاقة البشرية اللازمة لاستغلال الإمكانيات الهائلة التي كان الشرق الجزائري يتوفر عليها آنذاك[1].

تأثرت صناعة الأسلحة في البلاد الجزائرية وتضررت كثيراً ولم تعرف أي تقدم يُذكر، ومما انجر عن ذلك من مشاكل الندرة في المواد الأولية التي تحتاج إليها ونقص في المهارة التقنية التي تقوم عليها تلك الصناعة. وكانت الهيمنة الأوربية وراء العقبات التي حالت دون تطور هذا الميدان الاستراتيجي الهام[2]. ولما كانت الوجهة الأوربية لم تف بتغطية السوق الداخلية من المواد الضرورية لقيام بالصناعة العسكرية، أدرك المؤولون السياسيون بإلزامية تنويع مصادر التجارة الخارجية، فعملوا كل ما في وسعهم لتعميق العلاقات التجارية مع البلدان المغاربية والسودان*.

وكان الشرق الجزائري أهم مركز ينطلق منه هذا النوع من التجارة نحو الجنوب وإذا كانت تونس تزوّد السودان بجواد الزينة، ولا يرسل له إلا بعض الضروريات، فإن نشاط الجزائريين كان يشمل جميع الميادين. ومن

---

[1] الزبيري (محمد العربي)، **نفس المرجع السابق**، ص 111- 112.

[2] SAIDOUNI (Nacereddine), **OP.Cit**, p.219.

* تشمل في الوقت الراهن كلاً من مالي والنيجر ونيجيريا.

أهم صادرات الشرق الجزائري إلى السودان: الأسلحة وتشمل الأسلحة النارية المستوردة من فرنسا وانجلترا عن طريق السوق الحرة، أو الأسلحة المصنوعة في توقرت ووادي ميزاب، وكذلك صفائح السيوف التي تُصنع في قسنطينة والوحات. وتُباع البندقية الواحدة في بلاد السودان 21 فرنكاً، أما ثمن الصفائح فيتراوح ما بين 3 و4 فرنكات[1]. تُعتبر ورقلة وتوقرت والوادي وقسنطينة من أهم الأسواق التي تنطلق منها القوافل إلى أعماق إفريقيا[2].

أما التجارة الداخلية التي تعد المصدر الثاني للقطاع الصناعي العسكري، فكانت تنشط بين مناطق البلاد شمالاً وجنوباً، ونذكر على سبيل المثال التبادلات التجارية الحاصلة بين قبائل أولاد الشيخ وبني ميزاب التي شملت سلع مختلفة مقابل أسلحة نارية وبارود وسلع أخرى. فكان التجار يزاولون نشاطهم على مستوى أسواق بني ميزاب ومتليلي وفقيق وتيميمون في بلاد قورارا. وكان تجار أولاد سيدي الشيخ يحملون معهم أغذية وأصواف وأفرشة، ويأخذون من بني ميزاب البنادق والمسدسات والبارود والرصاص وحجر البنادق والحديد والفولاذ إلى غير ذلك من السلع[3].

استمر نشاط التجارة الداخلية خلال النصف الأول من القرن 18 بحيث احتفظت مدينة الجزائر بالصناعات المحلية النشيطة التي تُوزّع بضائعها على المقاطعات والتي بقيت تمارس عملها إلى غاية سنة 1830م. غير أن التجارة والصناعة نقُص منتوجهما مع تناقص عدد السكان والتدهور الاجتماعي[4].

من المميزات التي طبعت الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني عموماً، بما في ذلك صناعة الأسلحة النارية الخفيفة، نشير إليها في النقاط التالية:

أ- اعتماد الصناعة العسكرية الجزائرية أساساً على المواد الأولية المتوفرة في البلاد كالأخشاب والمعادن المختلفة.

ب- عدم توجيه الصناعات العسكرية إلى التصدير الخارجي واقتصارها على تلبية الحاجات الوطنية إلا القليل من منتوجها، وذلك لأسباب وعوامل داخلية وخارجية معينة.

ج- اتصاف المصنوعات العسكرية ببساطتها وخشونة أسلوبها بالنسبة لصناعة الأرياف الموجهة لسد الحاجات الضرورية المحلية.

د- استمدت طرق صنعها ومواصفاتها من تقاليد الماضي البعيد، حتى أصبحت لها ارتباط بالأسرة والطائفة والأقلية في المدن. وفي الأرياف تعكس عادات وتماسك القبيلة، وهذا إلى اختصاص بعض المدن والمناطق

---

[1] الزبيري (محمد العربي)، **نفس المرجع السابق**، ص 166.

[2] **نفس المرجع**، ص187.

[3] DAUMAS (Le général), OP.Cit, pp.317-318. (**http://www.algérie-ancienne.com**.).

[4] JULIEN (Charles André), **OP.Cit**, p.673.

والجماعــات بمهن وحــرف ممــيزة مثل منــاطق جرجــرة ومن تلمســان والجزائر وجماعات الأندلس واليود والحضر داخل هذه المدن[1].

2- صناعة المدافع

أ- المرحلة الانتقالية.

ب- المعادن.

ج- مصنع سبك المدافع (دار الصناعة).

د- طريقة الصناعة.

ر- بعض إسهامات صناعة المدافع.

ز- المدافع الشهيرة.

سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق**، ص 70-71.

صـــناعة المـــدافع

أ- المرحلة الانتقالية: قام الأتراك العثمانيون بتنصيب نظام دفاعي عظيم حول مدينة الجزائر فما لا يقل عن 1800 مدفع كانت منصوبة على أسوارها، وكانت بطاريات هذه المدينة كما يستشهد أحد الضباط الفرنسيون في سنة 1830 أنها بنيت بشكل فائق من الرّوعة... وأن كواة الرمي كانت مجهزة بالقطع المدفعية، بعضها كانت جديرة بالملاحظة فمنها لما كانت تزخر به في نقوش تغطيها ومنها للشهرة التاريخية التي كانت تتميز بها على سائر المدافع الأخرى مثل المدفع القنصلي[1]-La Consulaire-.

هذه شهادات فرنسية تجسد وتؤكد التسمية الشهيرة التي أطلقت على مدينة الجزائر وهي "الجزائر المحروسة" - Alger la bien gardée- فكانت المدافع بأنواعها وأحجامها تحيط بالمدينة من كل جانب وخاصة من الجهة البحرية فهي تنتصب على طبخانات وبطاريات منتشرة عبر الشريط الساحلي للمدينة. وفي المناطق القريبة منها كانت المدن والمناطق الأخرى من إيالة الجزائر على نفس النسق ولكنها بأقل حجم وكثافة وهذا كله يدل على الأهمية التي أعطيت من طرف الحكام لتزويد الجزائر بأحدث وأجود الأسلحة الكفيلة لضمان الدفاع عن السواحل من الهجمات الأوروبية الوحشية.

لقد عمل الأتراك العثمانيون منذ إقامتهم في الجزائر وتأسيسهم لدولة شرعية فرضت سيادتها على كامل أراضيها.

وفي القرن 16 كانت البداية عبارة عن ملحمة استمرت لمدة 60 سنة في كفاح مرير خاصة الأتراك العثمانيون من أجل بسط نفوذهم على كامل شمال إفريقيا وكذا طرد الأسبان المحتلين من أراضيه الذين لم يحتفظوا بالمناطق التي غزوها إلا بمدينة ومنطقة وهران ولو لوقت محدود من التاريخ[2] وكانت المبادرة الشجاعة للأخوين بربروس قد أدخلت العنصر التركي العثماني على الأحداث، فكانت لهذا الأخير الفضل في إحراز النصر بعد النصر وإنشاء قوة زعزعت الكيان المسيحي الأوربي، فوجد العثمانيون في أول وهلة ما كان ينقصهم بالمغرب الإسلامي من البحارة والسفن الحربية لواجهة الأساطيل المسيحية وقد منح خير الدين الفرص للمسلحين لمكافحة القرصان الأوربي أنـــــدْرِيَا دُورْيَا*

---

[1] LE TOURNEAU (Roger), **la Régence d'Alger et le monde Turc, OP.Cit**., P.87.

[2] MERCIER (Ernest), **Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbèrie)**, T.III, Paris, 1868 **http://www.algérie-ancienne.com**., p.128.

* قائد بحار من مدينة جنوة الإيطالية، (1466-1560). (**Petit Larousse en couleur**, **OP.Cit**. 1980).

- Andréa Doria –[1] والدفاع عن مدينة الجزائر بتكبيد شارل الخامس هزيمة نكراء سنة 1541 م وطرد الأسبان نهائيا و تحرير مدينة تونس سنة 1568م[2].

فأثمر هذا المسعى الجريء الذي قام به الأخوان عروج وخير الدين بإيقاف الغزوات المسيحية الأوربية ووضع أغلبية أراضي البلاد المغربية تحت حكم الأتراك العثمانيين. وبالتخلص من الاحتلال البرتغالي والأسباني ، دخل شمال إفريقيا ماعدا المغرب الأقصى مرحلة جديدة تتمثل في العهد العثماني[3] والأهم من ذلك أنهما كان لهما الفضل في إقامة نظام سياسي مستقر وفرض احترام السلطة وإنهاء فترة الفوضى السائدة في البلاد[4].

و الأكيد أن الأتراك العثمانيون قد جلبوا معهم في القرن 16 المدفعية واستعملوها في حروبهم ضد الأسبان وعملائهم في الجزائر. كما كانت للجزائريين معرفة فعلية بالمدافع وقاموا بتوظيفها إثر الحملات الإسبانية على المرسى الكبير في 13 سبتمبر 1505 و ذلك حسب ما ورد في الكتابات الاسبانية عن حملاتهم ضد السواحل الجزائرية. غير أن الأدلة غير كافية لتأكد قطعا بوجود صناعة للمدافع قبل القرن 16.

وعند دخول عروج إلى الجزائر سنة 1516, شرع في بداية السنة في إقامة حصن مقابل لحصن الصخرة (البنيون) الإسباني[5]، أخذ في قصفه بالمدافع لمدة 20 يوماً[6] دون أن يحدث أي ضرر بأسوار الحصن[7] أمر المعلمين بصنع البارود لتزويد المدافع والبنادق . وقد جاء أيضا في كتاب غزوات عروج وخير الدين أن هذا الأخير طلب المدد من الباب العالي، وعندما جاءه العتاد الحربي تكونت لديه كمية هامة من الذخيرة تضاف إلى ما كان عنده وما صنعه هو في الجزائر من مدافع وبارود[8].

وتذكر المؤرخة الفرنسية كورين شوفالييه في نفس المجال, أن أخبار الحصار الذي ضربه عروج على جزيرة البنيون لتحريرها من الهيمنة الاسبانية سنة 1516، وردت عن طريق الرسائل الإسبانية التي أعلمتنا عن وجود مدافع جزائرية بحيث أقام عروج بتحصينات وبتوزيع سرايا المدفعية عليها وهي على الشكل التالي :

- مدفع باب الواد (باب العرب به منجنيق وقذافة حديدية تجرها عجلة نقل. في جهة البحر: قطعتين حربيتين تزن الأولى 12 ليبرة والثانية 12 ليبرة*.

---

[1] **Idem,** pp.29-30

[2] **Idem,** p.129

[3] **Idem**, T.II, p.429.

[4] **Idem, OP.Cit**. T.III, p.130.

[5] خلاصي (علي)، **التنظيمات والمنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، نفس المرجع السابق**، ص42.

[6] HAEDO (Fray Diego de), **OP.Cit**, p.28.

[7] GAID (Mouloud), **OP.Cit**, p.37

[8] خلاصي (علي)، **نفس المرجع السابق**، ص42.

* **ليبرة** أو ليفرة: Livre = 592,453 غرام.

- في مستودعات الأسلحة : منجنيق يمكنه إطلاق قذائف تزن الواحدة 30 ليبرة من الحجارة.

- ومجانيق أخرى بمختلف الأوزان نصبت في مختلف الأبراج والأماكن القريبة من البنيون في 02 أوت 1516 هاجم عروج بدون نجاح[1].

يوجد في مجموع الأسلحة التي استعملها الجزائريون في الحصار إلى جانب نوع من الأنواع المدافع عددا كبيرا من المجانيق وان دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الجزائريون لجئوا إلى مثل هذه الأسلحة العتيقة لأنهم لم يجدوا غيرها ولو أن الجزائر آنذاك كانت بها صناعة المدافع ولكن على نطاق ضيق لذا اتجه الجزائريون في المستقبل إلى توفير أسلحة المدافع بتصنيعها محليا وخاصة بعد توافد مهاجري الأندلس[2].

استطاع عروج بفضل هذا السلاح صد الحملة الاسبانية يوم 04 أكتوبر 1516 بإحراز نصر باهر على قوة قوامها 800 جندي[3] تحت قيادة دياغو دي فيرا ودون خوان دي ريو- Diègo de Véra-Don Juan de Rio -على ضفاف وادي الحراش .

ازدادت شهرة عروج وسلطته أهمية[4] بعد ذلك, مما ساعده على الاستقرار في مدينة الجزائر وتثبيت أقدامه فيها ليجعلها مع أخيه خير الدين قاعدة لهما لمواصلة مهمة إرساء دعائم الدولة الجزائرية.

ب- المعادن:

عملت الجزائر في العهد العثماني على إقامة نشاط صناعي مزدهر غطى جل المجالات الاقتصادية المختلفة، بخلاف ما تناقلته كتابات الأوربيين حول ضعف الصناعات تارة وانعدام بعضها تارة أخرى وحتى وإن وجد بعضها فالنقل في رأيهم يعود دائما إلى الأسرى الأجانب الذين يتوفرون على مثل هذه الخبرات الصناعية. وهذا صحيح بدليل أن الصناعات الحربية على غرار القطاعات الحيوانية الأخرى ظلت مزدهرة إلى أواخر الفترة العثمانية لتوفر الخبرة الفنية الأجنبية, وهذا لا ننكره والمحلية أيضا والتي تجلت من خلال المهاجرين الأندلسيين الذين استقروا في الإيالة ثم لتوفر المواد الخام الضرورية لمثل هذه الصناعات من جهة أخرى[5]. ويقول محمد العربي الزبيري في كتابه "التجارة الخارجية" أن الجزائر كانت غنية بمناجم متعددة من الفحم والثورب والرصاص والرخام والنحاس والفضة والذهب والحديد وبما أن الثورة الصناعية لم تكن قد دخلت الجزائر، فإن هذه الخامات كانت تصدر إلى الخارج أو يهمل استغلالها تمامًا،[6] وبعني بذلك أنها استغلت جزئيًا وبصفة غير ناجعة لتعود بالفائدة على الجزائر، ولعل أهم هذه المواد هي المعادن بأنواعها:

---

[1] شوفالييه (كـــورين)، 30 سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، ص ص30-31.

[2] خلاصي (علي)، **نفس المرجع السابق**، ص42.

[3] GAID (Mouloud), **OP.Cit.** p.40.

[4] HAEDO (Diego de), **OP.Cit**., p.33.

[5] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص52.

[6] الزبيري (محمد العربي)، **نفس المرجع السابق**، ص 62.

* الحديد: في بداية القرن 09 الهجري (الخامس عشر الميلادي)
يذكر الحسن الوزان منجما للحديد بتافسرة قرب تلمسان . كما أنه يشير لمناجم الحديد بجبال بجاية التي كان حديدها يستعمل في صناعة العملة. ويقول سبنسر – Spencer- عن بجاية أنه يوجد في الجبال المحيطة بالمدينة وفي الجبال الواقعة إلى الشرق منها في بلاد القبائل جزء من الأدوات التي يتم صنعها من الحديد, يصدر إلى أماكن أخرى من الإمبراطورية العثمانية و ذلك لما تمتاز به فلزات الحديد الجزائري من نوعية عالية[1].

ويؤكد حمدان خوجة وجود هذه المناجم في قوله: "... ويعرف السكان طريقة استخراج خامات الحديد ومناجم الرصاص وملح البارود موجودة لديهم بكثرة, فهم أناس كثيرو الاشتغال بالصناعة... ويوجد في هذه القرى كذلك مشاغل تصنع فيها النقود المزيفة، فالأهالي ذوو مهارة ومقدرة فائقة في نقش المعادن..."[2]. ولعل أهم القبائل التي كانت مختصة في استخراج المعادن وصناعتها بالمنطقة هي قبيلة بني سليمان وبني بوهالي، وبني يني وآيت الأربعاء، وغيرها[3].

وتطرّق شاو – Shaw- في رحلته إلى أهمية منطقة بجاية في إنتاج المعادن مبرزًا دور مناجمها التي كان حديدها يشكل في سبائك يتم تسويقها إلى مدينة بجاية والجزائر[4]

ويذكر محفوظ قداش منجمان للحديد في منطقة برباشة وبني سليمان اللذان تمّ استغلالهما وتصنيعهما بإقامة فرن صغير على الطريقة الكتلانية – Catalane-، حيث استعمل منفاخ الحدادة المصنوع بجلد التيس المعمول بالأيدي[5]. فكانت الصناعة في القبائل متطورة حيث كان السكان يصنعون الأسلحة والمدافع بالإمكانيات المحلية[6]. يتحدث شاو عن منجم الحديد بجبل زكار القريب من مدينة مليانة، أنه غني من هذا المعدن[7]. كما أنه يبرز أهمية مدينة شرشال والمتمثلة في الشهرة التي أحرزتها من خلال مصانعها للفولاذ[8].

هذا في الناحية الغربية والوسطى من الجزائر، أما في الناحية الشرقية، فإن منطقة عنابة كانت تتوفر على مادة الحديد بشكل واسع بحيث نجد مناجمه في أماكن متفرقة مثل قطع الحديد (بوحمرة آلآن) ومناجم مجاز الرسول وعين أم الرخاء وحريزاز ومعجوبة.

---

[1] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص ص55- 56.
[2] خوجة (حمدان بن عثمان)، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ANEP، الجزائر، 2005، ص29.
[3] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص57.
[4] SHAW (docteur Thomas),**OP.Cit**. p.35.
[5] KADACHE (Mahfoud), **OP.Cit**., p.168.
[6] BEAUDICOUR (Louis de), **OP.Cit**., p.226.
[7] SHAW (docteur Thomas), **OP.Cit**. p.36.
[8] **Idem**, p.267.

ومما يلاحظ أن الرحالة المسلمون كتبوا ذلك مثل ابن سعيد* الذي ذكر بأن بظاهِر عنابة معادن حديد. والإدريسي* الذي أشار أن بها معادن حديد كثيرة، وكذلك الشأن بالنسبة لابن حوقل*، أكدّ ذلك بقوله بأن "بها معادن حديد كثيرة ويُحمل منه إلى الأقطارِ الغزير الكثير". ومن المؤكد أن أغلب الصناع تحوّلوا تدريجيا عن معالجة مادة الحديد والنحاس، بعد أن أصبحت مغانم الجهاد البحري توفر حاجة السوق الداخلية من الحديد والنحاس الجاهز للاستعمال. وهذا هو السبب في سكوت المصادر المتعلقة بعنابة عن ذكر هذين المعدنَيْن الضروريَيْن طيلة الفترة العثمانية[1].

* النحاس: أما عن أماكن وجود النحاس واستغلاله في الجزائر في العهد العثماني، تعتبر منطقة الشرق الجزائري من أشهر المناطق في إنتاج معدن النحاس، إذ تحدّث ابن حوقل قائلا بأن معادنها كانت تُحْمَلُ إلى إفريقيا وبلاد أخرى[2] في العهد العثماني، فإن أهم المناجم هي : منجم نحاس أم الطبول والقريبة من القالة ومنجم الونزة بشمال تبسة ومنجم جبل بوجابور ومنجم جبل الحميمات في الجنوب الغربي في تبسة، ومنجم جبل مازوزية شرق مدينة مسكيانة ومنجم جبل سيدي رجيس (شرقي غرب عين البيضاء)، ومناجم أخرى في جنوبي غرب قسنطينة وجنوب مدينة جيجل ومناجم عنابة المتوفرة على كميات كبيرة، التي كانت تستخرج من نواحي عين بربار بسفوح إيدوغ الشمالية. إلا أنها لم تستغل كما يذكر ناصر الدين سعيدوني لتوفر السوق الداخلية منها، ما أحدث سكوتاً في المصادر المتعلقة بعنابة عن ذكر هذا المعدن[3]. وفي الوسط الجزائري، قربِ تنس حيث منجم تمولقة الذي يمكن إستخراج كميات كبيرة منه، لو أُحْسِنَ استغلاله، كما يذكر شاو، ثم منجم موزايا الذي ذكره غزال – S.Gsell-[4]. وفي منطقة القبائل، كان النحاس يذاب ويمزج مع مادة الزنك ليستخلص على شكل صُفر يصلح لصناعة البارودیات وزخارف البنادق ومقابض الخناجر[5].

* الرصاص: اشتهرت بلاد الجزائر منذ القدم بإنتاجها لمعدن الرصاص خاصة في العهد الإسلامي، حيث استغلته دولة البنادقة بموجب المعاهدات التي أُبْرِمَت بينها و بين الدولة الحفصية ما بين القرنين 13 و15م. أما في العهد العثماني، فإن أهم مناجمها هي: منجم خنقت كاف التوت قرب

---

* **علي بن موسى بن سعيد المغربي** (1214-1286م), رحالة وأديب ومؤرخ, ولد بالأندلس, من مؤلفاته:" النفحة المسكية في الرحلة الملكية", "عدة المستنجز", بسط الأرض في طولها و العرض"... (الموسوعة العربية الميسرة).

* **أبو عبد الله محمد المعروف بالشريف الإدريسي** (1100-1165م), رحالة وجغرافي مغربي, من مؤلفاته:" نزهة المشتاق اختراق الآفاق", "الجامع لصفات أشتات النبات"... (المنجد في اللغة و الأعلام, دار المشرق, بيروت, 1986, 839 صفحة).

* **أبو القاسم محمد بن العلى الموصلي بن حوقل**, توفي سنة 977م, رحالة وجغرافي مغربي, من مؤلفاته:" "المسالك و الممالك", (الموسوعة العربية الميسرة).

[1] سعيدوني (ناصر الدين)، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، الفترة الحديثة والمعاصرة، الجزء2، ENA، الجزائر، 1988، ص 219.

[2] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص60.

[3] سعيدوني (ناصر الدين)، **نفس المرجع السابق**، ص215.

[4] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص61.

[5] KADDACHE (Mahfoud), **OP.Cit**., p.168.

بجاية، ومنجم جبل الحلوف بين بجاية وسوق الأربعاء، ومنجم كاف أم الطبول في الجنوب الشرقي من مدينة القالة و منجم جبل الطاية في الغرب من مدينة القالة، ومنجم جبل سكيكدة، ومنجم ذراع الدباغ (جنوبي مدينة القل) ومنجم جبل مسلولة (جنوبي غرب تبسة) ومنجم جبل بوجابور ومنجم جبل الياشمون بالأوراس[1]. أما في الغرب والوسط الجزائري، منجم بني بوطالب (جنوب سطيف) ومناجم جبال الونشريس، وكما يقول شاو أن من هذين المنجمين، يستخرج 80 ليفرة من الرصاص في قنطار من هذا المعدن حسب الطريقة الصناعية المتبعة في هاتين المنطقتين[2]، ومنجم جبل زكار الغربي، ومنجم تازوت (قرب آرزيو) وغيرها[3].

إن المناجم بكثرتها وغنائها بالمعادن المختلفة في العهد العثماني عبر كامل القطر الجزائري، لم يتم استغلالها بشكل كامل و ناجع للعودة بالفائدة على البلاد، ولكن كما جاء في الكتاب الهولندي فان كريكن Van–Krieken – عن القرصنة والتجارة والعلاقات الجزائرية الهولندية ضمن الكلمة الافتتاحية للكتاب، فيما قاله رشيد ميموني* "L'honneur de la tribu"(شرف القبيلة): "وبرزت أساطيل عظيمة من شعوب أصبحت بارعة في فن تذويب ليس فقط النحاس والرصاص ولكن حتى الحديد إلى جانب المعادن الأكثر صلبا"[4]، فإن المجهود الذي بذلته الدولة الجزائرية في هذا المسعى كان محمودا ولم يشوبه أي تكاسل أو ارتخاء من طرفها. فما طرأ من مشاكل وعوائق حالت دون استغلال هذه المعادن الإستراتيجية استغلالا عقلانيا فهي حسب ما يرد في مذكرتنا خارجة عن الإرادة السياسية الجزائرية. وما قام به الجزائريون في مجال تصنيع هذه المعادن ولو على نطاق محدود، كان كافيًا لتأكيد صحة الرأي و لعل مصنع سبك المدافع المعروف بدار النحاس شاهد على ذلك. (انظر، خ 02، 03)

ج- مصنع سبك المدافع (دار الصناعة):

يقع مصنع المدافع أو دار الصناعة في حي بير الزنقة* قرب باب الوادي، في نهج عُرِفَ بعد الاستقلال باسم:"La rue de la fonderie"،[5] نسبة إلى المصنع ذاته الذي دُمِّرَ في العهد الاستعماري. (انظر، ش 14) وكان يُعرف لدى السكان الجزائريين بدار النحاس، ويعود تاريخ إنشائه إلى القرن 16، حيث كان يصهر به النحاس والحديد[6] ووجود مدافع مصنوعة بالجزائر[7] يشهد

---

[1] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص ص63-64.

[2] SHAW (Docteur Thomas), **OP.Cit**. p.36.

[3] درياس (لخضر)، نفس المرجع السابق، ص64.

* **كاتب جزائري (1945-1995)**، من مؤلفاته:"Le fleuve détourné" و"Une peine à vivre " و"La malédiction ".
(MIMOUNI (Rachid), **L'honneur de la tribu**, Roman Stock; Paris, 1999, p.38)

[4] KRIEKEN (Gérard Van), **Corsaires et marchands, les relations entre Alger et les Pays Bas, (1604-1830)**, Ed. Bouchène, 2002, (préface).

* جمع **زنقة** باللغة العامية وهو شارع ثانوي.

[5] KLEIN (Henri), **Feuillets d'El-Djézair**, T.I, Ed. du Tell, Blida, 2003, p.105

[6] سعيدوني (ناصر الدين), **نفس المرجع السابق**, ص66.

[7] درياس (لخضر), ، نفس المرجع السابق, ص71.

على ذلك. يعتبر تال شوفال– Tal Shuval- أن هذه المؤسسة الصناعية الخاصة بصناعة المدافع بدأت بالاشتغال بالموازاة مع تأسيس الإيالة. ويستشهد في ذلك بوثيقة يعود تاريخها لشهر مارس 1534، و مما يدعم هذه الفكرة أن أسيرين أخبرا في شهر فيفري 1534 حاكم مدينة هنين* الإسباني على تواجد سفينتين تجاريتين فرنسيتين بميناء الجزائر محملتين بالبارود والفولاذ الموجه لصناعة المدافع، وأن أسيران فرنسيان كانا منهمكان في تذويب نفس المعدن في مصاهر المصنع واستطاعا إنتاج 12 أو 14 قطعة مدفعية جيدة. فدوّن الحاكم الإسباني ما سمعه عن أخبار عن مدينة الجزائر في رسالة على شكل تقرير أرسلها إلى شارل الخامس ملك إسبانيا[1]، والرسالة مؤرخة حسب الأستاذ بلحميسي في 15 مارس 1534م، ويعتبر المؤرخ الجزائري أن الأسيران المخبران جاسوسان يعملان لصالح الحاكم الإسباني دون لويغو دي فليخو- Don luigo de Vallejo-[2].

وقد استمر هذا المصنع إلى بداية القرن الثامن عشر و ذلك بشهادة المؤرخ دوفو في كتابه "الجزائر تاريخ مدينة..." أن البناية ما تزال موجودة في سنة 1706م، ويروي قصة رجال الدين المسيحيين الثلاثة الذين كانوا على وشك تنفيذ حكم الحرق في حقهم في باب الواد من طرف السكان سنة1706م، والذين اقتيدوا إلى دار النحاس. ولحسن حظهم جاء قائد لإنقاذهم[3] من المصير المشئوم. وفي سنة 1771م وقعت حادثة في عهد الداي محمد بن عثمان باشا التي كادت أن تفسد العلاقات الجزائرية الفرنسية وتتمثل في أن سفينة فرنسية محمّلة بالحجيج الجزائريين في طريقها إلى البقاع المقدسة تمّ حجزها من قبل سفينة حربية روسية.

فتدخلت فرنسا لدى سان بيترسبورغ –Saint-Pétersbourg–* لاستدراك الموقف المحرج لديها فاستردت السفينة المقلة للحجيج الجزائريين. وفي نفس الوقت، ولكسب رضا الدّاي، الذي أراد إكمال تعليم 200 مدفعي قد جاؤوا من لدن السلطان العثماني، فأرسل القنصل الفرنسي بالجزائر رفقة السفينة كتيّبات ستادراس –Stadras-[4]. وكتيبات خاصة: "Le Bombardier français"، كما أرسل السبّاك دو بون –Dupont- الذي أصبح يشرف على مصنع دار النحاس. في سنة 1775م قام الدّاي محمد بن عثمان بترميم المصنع[5]. وعندما توفي دو بون الأب وبإذن من الدّاي خلفه ابنه فرانسوا –François- الذي استكمل مشروع صنع عدد من المدافع

---

* وردت تسمية **هنين** في المقالة تحت اسم –Hone–، وكانت المدينة تحت السيادة الأسبانية على غرار مدينة وهران التي احتلت سنة 1509م.

[1] PRIMAUDAIE (Elie de la) : « **Documents inédits Sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique, 1506-1574** », In R.A No 19, Année 1875, p.275.

[2] BELHAMISSI (Moulay), **Marine et marins d'Alger (1516-1830),** Tome 1**,"Les navires et les hommes"** Bibliothèque Nationale d'Alger, 1996, p.27.

[3] DEVOULX (Albert), **OP.Cit**, p.274.

*عاصمة روسيا الملكية (كانت تسمى بتروغراد ثم لينغراد في العهد السوفياتي).
(**Petit Larousse en couleurs,OP.Cit.** voir**,** « **Léningrad** »)

[4] GRAMMONT (H.D. de), **OP.Cit**, p.258.

[5] سعيدوني (ناصر الدين)، **نفس المرجع السابق**، ص66.

لصالح الإيالة. و تجدر الإشارة إلى أن عدد المدفعيين المساعدين لمعلم السباكين الجديد كان 200 فرد كانوا قد أرسلوا من طرف الباب العالي[1].
أما النقيب بوتان* فقد أشار في تقريره سنة 1808م بأن صناعة المدافع قد توقفت في الجزائر منذ ستة سنوات أي منذ أن توفي معلم السباكين الإسباني و لم يستبدل بآخر بعد[2].

وتشير الرسائل التي بعث بها حسين داي للباب العالي عند استلامه الحكم في الجزائر سنة 1818م، إلى محاولة إعادة تجهيز المصنع، حيث طلب منه في إحدى الرسائل المؤرخة بـ 18/07/1819م، أن يزوّده بمهندسين في صناعة الأسلحة وتعليم الجزائريين هذه الحرفة، كما طلب منه تزويده بالأسلحة و الذخيرة التالية:

- أربعين (40) مدفعا من النحاس.
- آلاف من القذائف من مختلف العيارات.
- 15 ألف قنطار من البارود الأسود.
- ألفي قنطار (2000) من الرصاص وكميات من نيترات البوتاسيوم و زيت النفط، والزفت وحمولة من الخشب، وسفن وبنادق وكميات من معادن الحديد الخام والنحاس وعتاد السفن.

غير أن هذا المشروع الحميد لم يتم تحقيقه بسبب الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م[3]. وبعد سنة 1830م، حوّل الطابق الأرضي لمصنع دار النحاس إلى مستودعات العتاد العسكري[4] التابعة لجيش المدفعية الفرنسي المتواجدة على باحة حي باب الواد ضمن مؤسسة الترسانة الفرنسية التي أنشأت في 1854م والتي بقيت هناك إلى سنة 1896م ثم نقلت إلى أقاصي حي ميدان العمليات (Champs de manœuvre)[5]. و في سنة 1869م تمّ تصفية مصنع دار النحاس بتدميره نهائيا[6].

كانت العمارة الضخمة ممتدّة على طـول النهج بحـوالي 30 مـترا في الطول و ذات إرتفـاع كبـير[7] يعلـوه بـرج مرتفع و تحتـوي دار الصـناعة على فـرن واحد[8] يزيد علـوّه عن 20 مـترا وهو مصـنوع بشـكل جيّـد. في واجهته يوجد الخندق المخصص للسباكة حيث توضع القوالب التي تستقبل المعدن المنصهر في ساقية. وفوقه آلة رفع تسـتعمل لاسـتخراج القطعة المدفعية الثقيلة في نهاية عملية السبك ثمّ تحوّل إلى مكان الصقل حيث توضع أفقيًا داخل الآلة الخاصة بذلك والمتكونة من عدّة عجلات موضوعة بعضـها فـوق بعض وهي تشغل عدّة طوابق من البرج[9]. (انظـر، ش 20) أما من الجهة الأخـرى

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), **OP.Cit**., p.73.

* جاسوس فرنسي عمل في الجزائر لصالح نابليون الأول.

[2] BOUTIN (Yves): **"Reconnaissance…"**,**OP.Cit**, In Gabriel Esquer, p.49.

[3] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 73- 74.

[4] DEVOULX (Albert),**OP.Cit**, p.274.

[5] KLEIN (Henri), OP.Cit, p.105.

[6] DEVOULX (Albert),**OP.Cit**, p.274.

[7] BELHAMISSI (Moulay), **OP.Cit**., p.72

[8] درياس (لخضر)، نفس المرجع السابق، ص 74.

[9] KLEIN (Henri), **OP.Cit,** p.105.

منفس النهج، فتتمركز الورشات الخاصة بتجهيز القوالب وأسرّة المـدافع إلى جـانب مصـاهر الحديد والأفـران الـتي تقـوم بصـنع ذخـيرة المـدافع[1]، والبعض من هـذه القـوالب ذات الضـخامة الهائلة مخصصة لتشـكيل قنابـل موّجهة لمختلف قطع المدفعية بالبنيون[2].

د- طريقة الصناعة:

يقوم على صناعة المدافع عدد من المسئولين والفنيين والعمال والصنّاع نذكر منهم:

- المعلّم: وهو المسئول الأول على دار الصناعة وعلى لجنة الاختبار والتفتيش للمدافع.
- وكيل الحرج: المقتصد الذي يستلم مدافع جاهزة.
- الباش طبجي: وهو قائد المدفعيين والمسئول على العمال والسبّاكين والمسئول على دفع رواتبهم.
- مجموعة السبّاكين: وهم المكلفون بصب المعدن وتهيئة القوالب...
- مجموعة الخرّاطين: مكلّفون بصقل المدافع وصناعة القنابل والقذائف والقواعد المعدنية والمعجلات...
- مجموعة النّجارين: مكلّفون بإعداد أسرّة المدافع (مساند).
- العمال: مكلّفون بإيصال الحطب وإيقاد النّار ورفع القوالب وتحضير المواد الأولية التي تدخل في الصناعة.
- الحرّاس[3].

يعتبر القنصل كاثكارت في مذكراته أنه يعمل في وُرش صناعة النحاس والحدادة نيّفٌ وستون من الأسرَى المسيحيين ولقد رأى كما يقول أطباء وقساوسة وممثلون وتجار وغير ذلك من الشخصيات الثقافية من الأسرى ينفخون منفاخ الحداد[4].

أما عن طرُق تصنيع المدافع التي يقوم بها هؤلاء العمال، فقد مر على عدّة مراحل تاريخية. فكانت صناعة المدافع في القرن الرابع عشر تتم عن طريق تجميع قطع حديدية وتقويتها بحلقات حديدية على طول الجعبة، و في منتصف القرن الخامس عشر، كان ظهور طريقة السبك الجديدة قد تسبب في تلاشي الطريقة الأولى تدريجيًا وتحلّ محلّها طريقة تتم بتذويب المعادن و تفريغها في قالب معدّ خصيصا لذلك وبعدها يحوّل إلى آلة الصقل وذلك بوضع المدفع في الآلة الشاقولية. وفي بداية القرن الثامن عشر (1704م) استطاع أحد السويسريين التوصل إلى طريقة الصب المصمّت والتي يتم الصقل فيها أفقيا وهي تمـتاز عن الأولى كونها تجعل المدفع أكثر دقة في الرمي، و لو أنها لم تستعمل في الجزائر و لذلك

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), **OP.Cit**., p.72.

[2] BOYER (Pierre): "**La vie quotidienne à Alger**" ,In. GAID (Mouloud), **OP.Cit**., p.190.

[3] خلاصي (علي), **نفس المرجع السابق**, ص42- 43.

[4] كاثكارت (جمس لندر)، **مذكرات كاثكارت أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة إسماعيل العربي، ص74.

فسيكون الكلام هنا خاصًا بالطريقة الأولى التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1- الصب: تتمثل في عدّة عمليات:

- تحضير القالب[1].
- تشكيل الغطاء، من طبقا من التربة.
- إخراج القالب من غطائه و نزع الحصائر منه و هي أهم مرحلة.
- وضع عمود حديدي محدد العيار مسبقا داخل القالب، و هذا العمود هو النواة داخل القالب و ما يبقى من الفراغ بينهما يملأ بالمعدن المنصهر عن طريق ساقية.

2- التفريغ:

- وضع القالب في خندق أو مطمور وفمه أو بخشه إلى الأعلى ويكون قريبا من الفرن.
- جعل المعدن المذاب المسال في مجاري إلى مجاري لملء الفراغ الموجود بين النواة والقالب.
- ثم تركه ليبرد ثم تحويله فيما بعد إلى عملية الصقل.

3- الصقل:

- إخراج المدفع، بعد تبريده من المطمور وفصله عن القالب وتنظيفه من الداخل من كل الزوائد العالقة به.
- وضعه في الآلة الثابتة الخاصة بذلك، إما أفقياً، إما عمودياً.
- إنزال المدفع معها عن طريق الثقل. أما عن مصدر حركة الآلة، فيكون نتيجة الجر عن طريق الحيوان أو مطاحن مائية أو بخارية.

4- تجربة القَطْع:

بعد عملية الصقل، لا بدّ من اختبار صلاحية المدفع قبل تسليمه إلى وكيل الحرج وهو على المراحل التالية:

- مراقبة المدفع من الناحية التكوينية.
- التأكد من عدم وجود عيوب في الصّب.
- تركيب المدفع فوق سريره ثمّ يرمى به عدّة رميات (خمس رميات).
- سدّ فتحة الضوء وملئه بالماء للتأكّد من عدم خروج الماء.
- إعادة المدفع إلى الآلة وصقله من جديد حتى يكون دقيقا في العيار المطلوب.
- تسليم الصالح من المدافع لوكيل الحرج لتقاريره ممضاة من طرف لجنة الاختبار ومختوم من طرف المدفعيين حتى يتمّ تسليم الأجور للعاملين.
- أما المرفوض منها فيُكَسّر ويعاد تذويبها للصناعة من جديد[2].

ر- بعض إسهامات صناعة المدافع:

---

[1] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص ص78- 77.

[2] **نفس المرجع**، ص ص79- 80.

1)- الأندلسيون: تمثلت أهمية القرن السادس عشر في هذه المنطقة من العالم في إنقاذ واستقبال وإقحام العنصر الأندلسي من طرف القسطنطينية في المجتمع الإسلامي الجديد، فالكثير من المهنيين والتقنيين والفنانين الأندلسيين الهاربين من القمع الإسباني، قد ساهموا في التطور الاقتصادي والثقافي للإمبراطورية العثمانية.

لقد كان سقوط غرناطة الأندلسية سنة 1492م منعرجًا خطيرًا، بالنسبة للأقليات المسلمة واليهودية على أرض شبه الجزيرة الأيبيرية، فوجد المبعدون الذين نزحوا من مختلف أنحاء إسبانيا والبرتغال طيلة القرن السادس عشر وطنا ثانية في آسيا الصغرى المغرب الإسلامي حيث كانت المساهمة الاقتصادية جدّ مطلوبة من طرف الباب العالي. وسرعان ما توصّلوا إلى التمركز والاستقرار في مختلف مناطق ومدن الإمبراطورية العثمانية، وتشكيل جاليات متعدّدة ومزدهرة فيها[1].

و بمقتضى قانون الطرد النهائي في سنة 1609م الذين أقرّه البلاط الإسباني تحــت غطاء ديني، تواصلت عملية النزوح إلى البلاد الإسلامية واستمرت على غاية 1614م[2]. وبالنظر إلى ما تميّز به النازحون الأندلسيون من خبرات علمية وتقنية جد عالية. فكانت هذه الهجرة محبذة جداً في المغرب الإسلامي ومشجّعة له، لأنها تعتبر عنصراً للتكنولوجيا الذي أصبح يفرض نفسه لمسايرة ركب الحضارة في هذا القرن بالذات. فنجم عن ذلك، حركة شاملة هامة نشطت في بلدان المغرب الإسلامي غطت العلوم و المهن من الطب إلى المدفعية. ونظراً للتخلف المادي للمشرق الإسلامي و نظراً لمصالح الغرب، فإن عملية نقل التكنولوجيا لم تحدث دون مراقبة و تقييد و حضر[3]. استطاع الأندلسيون الاستقرار في الجزائر رغم ذلك، وكما يعتبر حمدان خوجة أنه بعد حين من ذلك تكونت في مدينة الجزائر حكومة قائمة على مبادئ معتدلة، تدعوا إلى التفاهم لربط مصالح الأهالي بمصالح الأندلسيين. وقد ساعد وجود الأندلسيين في الجزائر كثيراً على تنظيم شؤونها الداخلية، وعلى الاستقرار السياسي[4].

ومن الشواهد المكتوبة في مجال المساهمة الأندلسية في ميدان صناعة المدفعية على مستوى المغرب العربي: ذلك المخطوط العربي بعنوان :" كتاب العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع"، لإبراهيم بن أحمد غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي، وهو عبارة عن مؤلف لصناعة واستعمال المدافع والمهارس، وكذا صناعة البارود واستعماله في المناجم وفي بناء الجسور[5]. وعن مؤلفه فهو من مواليد غرناطة، انتقل إلى أشبيلية إثر قرار نفي مسلمي غرناطة وتوزيعهم على

---

[1] SARI (Djillali): **"Les Ottomans et la Méditerranée au 16ème Siècle"**,In Majallat El Tarikh, No Spécial, 1er semestre 1987, No 23, Alger, pp.12-13.

[2] GAID (Mouloud), **OP.Cit.** pp.119-120.

[3] SARI (Djillali),**OP.Cit**, p.14.

[4] خوجة (حمدان بن عثمان)، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق د. محمد العربي الزبيري، ANEP، الجزائر، 2007، ص71.

أسبانيا سنة 1583م. وفي أشبيلية انتقل إلى العمل في البحر، حيث كان يقوم برحلات على متن السفن التجارية إلى أمريكا. تلك السفن كانت تنقل الفضة ويقول عليها بأنها :" سفن كبيرة كان يحرسها جنود ورجال عارفون بآلات الحرب البارودية، وكانوا يقومون بمناقشات بعضهم والكلام عن ما جدّ في هذا الفن والكتب الجديدة في هذا المجال." وقد كان يخفي هوايته، لكن محاكم التفتيش ألقت القبض عليه وأودعته السجن.

ثم بعد خروجه منه، عاد إلى غرناطة يريد الانتقال إلى المغـرب لكنه منع ثانيــة، فقــام بارتشــاء بعض الشخصــيات الــتي مكنته من الســفر إلى تــونس، حيث وجد مجموعة من أصحابـه أحبابه، فعينه داي تــونس وقدمه على مائتين(200) من الأندلسيين وخرجوا للغزو وعادوا بعد ستة أشهر وهو مجروح، وبعد شفائه عاد إلى الغزو مرة أخرى، فَأُسِـرَ وبَقِيَ سـبع سـنوات[6] في الأسر وبعد فكّه من السـجن، عُيِّنَ قائـداً على قلعة حلق الـوادي، وهنا كتب تأليفه عن المدفعيــة. وقد ترجمه ترجمــان ســلاطين مــراكش ســنة 1048هـ/1638م. ألف الرايس إبــراهيم بن أحمد غـانم بن محمد بن زكريا الأندلسي المدعو " المعجام بالرّباش" كتابه باللغة الأسبانية وترجم إلى لغة عربية متواضعة من طرف أحمد بن قاسم بن أحمد قاسم بن الحجــري الأندلســي، ترجمــان ســلاطين المغــرب الأقصى[1]. يعتــبر هــذا المخطــوط المخصص للمدفعية من بين المؤلفات الوفيرة التي شـكلت ميراثا أندلسـيا غنيا، عمل بها المغاربة عامة والجزائريون خاصة الذين استفادوا منها كثيرا حيث نهلــوا منها معــارفهم لإثــراء رصــيدهم العلمي في صــناعة المــدافع وغيرها.)انظر، ش25، 26، 27، 28، 29، 30، 31)

2)- بعض حكام الجزائر:

- الداي محمد بن عثمان باشا: (1766- 1791)، لقد كان الداي محمد بن عثمان باشا فريدا من نوعه، استطاعت الجزائر تحت سلطته الحازمة الخروج من حالة انحطاط إلى حالة انتعاش وعظمة واستعادة مكانتها بين أمم البحر الأبيض المتوسط[2]. فكانت من الاهتمامات التي سخّر لها من جهده ووقته والأموال الضرورية، صناعة المدافع. وخاصة بعد ما أعلن الحرب على كل الدول التي رفضت دفع الإتاوات المعتادة من أجل الحصول على رخصة الملاحة في البحر الأبيض المتوسط. فكان لا بد على الجزائر أن تواجه هذه الدول بالقوة الملائمة والكفيلة لضمان حقوقها في هذه المنطقة من العالم. يخبرنا في هذه المجال أحمد توفيق المدني في ترجمته لمحمد عثمان باشا أن محمد باشا اشترى 12767 رطلا من النحاس لكي يصنع منها مدافعا للحصون، وهذا النحاس هو غنيمة بحرية بيعت على يد معلم السفائن ودفع له 100 ريال عن كل قنطار[3].

---

[5] FAGNAN (E.), **Catalogue général des manuscrits de la Bibliothèque Nationale d'Algérie**, (1ère tranche du No 1 au No 1987), B.N.A, Alger; 1995, p.416.

[6] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 32- 33 .

[1] FAGNAN (E.), **OP.Cit** , p.416.

[2] GAID (Mouloud), **OP.Cit.** p.162.

[3] المدني (محمد توفيق)، **محمد عثمان باشا**، الجزائر، 1986، ص157.

وجاء في فهرس فانيان- Fagnan– من معطيات مفيدة عن مخطوطات جد هامة موجودة بالمكتبة الوطنية، تتناول التقنيات العسكرية المتعلقة بصناعة المدافع والمهارس ولا تحتوي على أسماء مؤلّفيها.فهي تفيــدنا بمعلومات عن كيفية صنع المدافع واستعمالها في ميادين الحروب، وقد أفادت دون أي شك صنّاع الأسلحة آنذاك بتزويدهم بمعارف ساعدتهم على تصميم أحسن المدافع وأجودها وجنّبتهم الوقوع في أخطاء صناعية خطيرة. وقد ورد ذكر هذه المخطوطات في كتاب فانيان بأرقام التّرتيب والملاحظات التالية:

- 1513: نسخة غير كاملة من مؤلَّف مجلَّد مُخَصَّص لمستعملي القواصف (المدافع) مترجم بطلب من محمد بن عثمان باشا من لغة أوربية إلى اللغة العثمانية، يحتوي على 163 ورقة ويحمل عنوان " رسالة في رمي الكُوَر والبونبة وعِلْمُ المسافة".

- 1514: وهي عبارة عن نسختين: الأولى: تحت رقم: 49 -Fol.1 1^{er}، وهو مخطوط باللغة العثمانية لا يحتوي على عنوان ولا على اسم المؤلّف وتمّ تأليفه بفضل العلوم الأوروبية، يدرس شكل وهيكل المدافع وكيفيات استعمالها مدعم بالأشكال المرسومة التي صمّمت بصفة جيدة. الثانية: تحت رقم55-°Fol.50V $2^{ème}$- ، وهي نسخة مماثلة تعالج شحن المدافع ومراقبة نوعيتها وهي مكملة للنسخة الأولى.

تحتوي النسختان على 55 ورقة وهي مؤرخة في نهاية القرن 12هـ/ 18م[1].

لقد أفصحت هذه الوثائق التي اختطّت في العهد العثماني والموجّهة لصناعة المدافع وكيفيات استعمالها بدقة كبيرة، عن الدرجة العالية التي وصلت إليها مراحل اكتساب التقنيات الحديثة لذلك العصر، وعن مدى تطور المستوى التقني الذي بلغه صنّاع المدافع في تطبيقهم لما استفادوا من قراءة صفحاتها، وكذا المرتبة السامية للوعي الوطني والضمير اليقظ والعقل المستنير لشخصية الداي محمد بن عثمان باشا، في إفادة بني قومه بما جدّ من تقنيات الصناعة العسكرية، عن طريق استغلال كتب أوربية مختصة، والقيام بترجمتها وتوجيهها لمصلحة الجزائر.

- الدّاي حسن باشا:(1791-1798)، بعد وفاة الدّاي محمد بن عثمان باشا، استخلفه في الحكم ابنه حسن الخزناجي في سنة1791. أثناء فترة حكمه، أكمل حسن باشا عملية تحرير مدينة وهران من الهيمنة الأسبانية، التي فتحها يوم 29 فيفري 1792، فأخذ من جرائها لقب "الكبير". وبدأ بعد ذلك، في تنظيم شؤون البلاد[2]، وإصلاح ما تخرّب وتدعيم ما تركه أبوه، خاصــة في تزويد القدرات العسكرية بالأسلحة كماً و نوعاً.

[1] FAGNAN (E.), **OP.Cit** , p.417.

[2] GAID (Mouloud), **OP.Cit.** pp.165-166.

في هذا الشأن ينقل لنا مولاي بالحميسي، ما ذكره الرّحالة المغربي أبو القاسم الزياني* عن سيرة حسن باشا داي الجزائر عندما زار الرّحالة البلاد الجزائرية سنة 1208هـ / 1794م. ففي مدحه لحسن باشا سنة 1794م يقول الزياني: " فأردت أن أثبت ما سمعت عن فضائله، وإن كنت لا أحصيها على التمام، المشهورة عند الخاص والعام، وأجعلها في قرطاسٍ طلبًا للأجر و الثواب". ثم أكمل في مدحه لحسن باشا بأنه من أمراء العدل والإنصاف. كما أنه "حصّن ثغور المسلمين بالصقائل والأبراج، وعمّرها بالمدافع والمهارز على طبقات تحاكي الأدراج، وملأ خزائن الثغور بالبارود و"الكُوَرِ والبُحْبِ" * والسلاحِ من المكاحل* والسيوف والأسنة والرماح، وأكثر من الجواري المنشآت في البحر كالأعلام* وشحنها بكل من عساكر الإسلام للتضييق على أعداء الدين برًا وبحرًا، زاده الله عزًّا و نصرًا...[3] ، إن ثناء خصال وأعمال الداي حسن باشا، خاصة في المجال العسكري من طرف الزياني بعد شهادة حيّة وصادقة من معاصريه، ومن لدن رجل ذي ثقافة عالية له دراية واسعة بدواليب الحكم، لاتصاله بالبلاط الملكي ولخدمته عدّة سلاطين لفترة طويلة[4].

- الباي محمد الكبير: لُقِّبَ الباي محمد من طرف الأهالي بمحمد لكحل لبشرته السوداء، كما أخذ لقب الكبير لصفاته الحميدة وغزواته الكبيرة المتعددة وهو ابن باي التيطري المدعو عثمان الكردي، الذي كانت تربطه مع رجل يُدعى إبراهيم علاقة صداقة. هذه العلاقة سمحت لهذا الأخير باستخلافه في منصب قائد مليانة. وعند وفاة الباي عثمان الكردي، عَيّن الداي القائد إبراهيم على رأس بايلك التيطري . ومن ثمة، لقي محمد الرِّعاية اللاّزمة والحماية الضّرورية في شخص الباي الجديد، الذي أراد من وراء عمله هذا رد الجميل. وبعد وفاة الباي إبراهيم، خلفه الباي خليل الذي لم يُعمِّر كثيراً في منصبه فتــوفي سنة 1779م، فعُيِّنَ في الأخير محمدٌ في منصب باي معسكر.

فبدأ الباي محمد في إنجاز أعماله الكبرى وتشييد المساجد والمدارس والقصور في مختلف مدن البايلك، كما أنه تفرّغ بعد ذلك لتحرير مدينة وهران من الاحتلال الأسباني[3]. وكان له الفضل الكبير، من خلال ما قام به من هجمات متكررة على المدينة في طرد الأسبان وإجلائهم منها نهائيا سنة 1792م.

---

* **هو أبو القاسم بن أحمد بن علي الزياني** (1147هـ- 1249هـ/1734م- 1833م)، رحالة مغربي من مؤلفاته :" الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة براً وبحراً "، "الترجمان المعرب عن دول المشرق و المغرب"، البستان الطريف في دولة أولاد مولاي مولانا علي الشريف". (**معجم مشاهير المغاربة،** جامعة الجزائر، تنسيق :د. أبو عمران الشيخ و تقرير :د. ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1995، ص271.)

* القنابل.

* البنادق.

* سورة الرّحمن, آية 24.

[3] بالحميسي (مولاي)، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، SNED، الجزائر، 1981، ص187.

[4] معجم مشاهير المغاربة، نفس المرجع السابق، ص271.

[3] GORGUOS: **" Notice sur le Bey d'Oran, Mohamed El-Kébir"** ,In R.A., No 1, Années 1856/57, OPU, pp.405 à 408.

غير أن فضله فيما خطّط من محاولات في المجالين الاقتصادي والعسكري، بقي مجهولاً من طرف الروايات الشفهية. هذا وبعد ما غادر مدينة معسكر باتجاه مدينة وهران، وبمقتضى إمضاء معاهدة 14 جوان 1786م، واتفاقية وهران في 12 سبتمبر 1791م وإجلاء الأسبان من هذه المدينة سنة 1792م، عكف الباي محمد الكبير في إنشاء مصنع للمدافع انطلاقاً من استغلال منجم في نفس المنطقة إلى جانب مصنع للصابون، ولكن المحاولتين اللّتان لقيتا مساعدة الأسبان، باءتا بالفشل.

إن هاتين المحاولتين الفاشلتين توضحان مسألتين هامتين:هما الحالة الاقتصادية للجزائر والعلاقات الجزائرية الأسبانية في نهاية القرن18، اللتان من خلالهما تبرز الحاجة الماسة للجزائر من الأسلحة والمنتجات الصناعية. والهدف الأساسي من المحاولتين يكمن في تغطية النقص الملحوظ في الميدان الصناعي العسكري وكانت هذه المبادرة الحميدة على عاتق سلطة بايلك الغرب[1]. ومن الناحية التاريخية، فإن الأعمال التاريخية القديمة المعاصرة لم يرِد ذكر هذين المشروعين، حتى الكتب العامة الخاصة بالغرب الجزائري التي تناولت المواجهة الجزائرية الإسبانية للقرن 18 من معاهدة 1786م إلى اتفاقية إلى جانب المصادر الفرنسية، كانت لعلمنا صمّاء في هذا الموضوع، والمصادر المحلّية* تشير إلى مصنع المدافع دون التطرق إلى المحاولتين اللتان لم نتعرّف بهما إلا بفضل الأرشيف الأسبـاني*الموجود بمدريد. إن الجلاء الإسباني لمدينة وهران ونقل عاصمة بالك الغرب من معسكر إلى وهران سمحا في خلق الظروف الملائمة للقيام بهذه المبادرة.

للعلم أن مدينة وهران، كما يصفها الإدريسي في منتصف القرن 15، امتازت باقتصاد مزدهر، حيث انتشرت الأسواق الكبيرة والمصانع العديدة. والأزمة التي حلّت بها في القرن 16 مع الاحتلال الإسباني وضعت حدًا لكل نشاطٍ حرفي أو صناعي في المدينة ولم يكن للأسبان أي تأثير على المنطقة وعلى المدينة بحدّ ذاتها. ولمّا دخلها الباي محمد الكبير وجدها تشبه أكثر لحصن عسكري منه إلى مدينة حقيقية مهيأة للسكن. ففي سنة 1792م خرج الأسبان من مدينة وهران تاركين أوضاعها في حالة مزرية ومتدهورة، والسبب يعود إلى فترة الاحتلال بحيث كان الأسبان يجلبون الأسلحة من إسبانيا والمدينة كانت مسلّحة بالمدافع صنعت بإسبانيا والتي تمّ تفكيكها ونقلها إلى منطقة جبل طارق بعد الجلاء منها. وبقيت المدينة خالية من ورشات ومصانع الأسلحة ولا المدافع[2]. ثم جاء مشروع إقامة

---

[1] CHENTOUF (Tayeb), **Etudes d'histoire de l'Algérie (18 -19ème S.)**, Office des Publications Universitaires, Alger, 2004, p.88.

* **أحمد بن محمد بن علي سحنون**, مؤلف رحلة قام بترجمتها إلى الفرنسية قورقوس - **GORGUOS-** بعنوان:
"" **Les dents de perle traitant de la conquête d'Oran au 18ème S**., In R.A., 1856" وهي " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني".

* **الوثائق المتواجدة بالمركز الأسباني"Archivio Historicos National Estado.Madrid** " و تحتوي على حسابات الشركة الأسبانية "**Campana**" وعلى مراسلات قنصل أسبانيا بالجزائر ونائب القنصل بوهران

[2] **Idem**, pp.92-93

مصنع المدافع باستعمال منجم محلّي ومصنع الصابون لتلبية إحتياجات عاصمة بايلك الغرب الجديدة لا من مادة الصابون فحسب ولا من الأسلحة خاصة التي أصبحت تشكل محور الصعوبات والعراقيل في المفاوضات الجزائرية الإسبانية ومحلّ نزاعٍ بين الباي والدّاي. وكما كانت الدول الأوروبية لا تحبذ تزويد الإيّالة من السلاح للاستمرار في سياسة الحضر والحصار.

استغل الباي محمد الكبير قدوم شخصيتين أسبانيتين هما خوان رويز وخوليان فـياريال- Juan Ruiz et Julian Villaréal- إلى مدنية وهران، وهما من أمهر المنجميين والسبّاكين وهما مختصين في البارود. وأرسلهما في توّه في مهمّة للتعرّف على المناجم المتواجدة في منطقة معسكر ثم منها إلى أسبانيا لنقل عائلاتهم، رفقة أربعة مختصين في السباكة لاستعمالهم في المشروع. وعند عودتهم إلى وهران، باشروا في إجراء تجارب متتالية لتأكيد مهارتهم في تذويب معدن البرونز، ولكنها فشلت ولم تعطي نتائج مرضية فآل المشروعان إلى طريق مسدود للبقاء رهينة للعلاقات التجارية والسياسية بين الجزائر وإسبانيا وأصبح المشروعان متوقفين لإرادة الدّاي المرتابة.

وكـانت من بين الأسـباب الأساسـية لعـدم تحقيق مشروع صـناعة المدافع، خشية الباي محمد الكبير من ردود أفـعال داي الجـزائر تجـاه هـذا الإنجـاز الكبير مخافة شاهدة باي الغرب مدعّمًا بوسائل دفاع هامة[1]. فخاب أمل الباي محمد الكبير في تجسيد مشـروعه على الواقع للمسـاهمة بـذلك في تطوير النشـاط الحـرفي والقيـام بصـناعة عسـكرية، طالما تـاقت إليها المنطقة الغربية للجزائر منذ زمن بعيد لأنها بقيـت في تـأخرٍ بالمقارنة مع الوسط والشرق الجزائرَيْن. وتوفي الباي محمد الكبـير في سـنة 1213هـ/ 1799م بعد فترة حكم دامت 20 سنة ببايلك الغرب[2].

ز- المدافع الشهيرة:

ساهمت صناعة المدافع بالجزائر في إيجاد مصدر محلّيٍ آخراً للأسلحة، زادة على المساعدات العثمانية والغنائم البحرية من جهة، والشراء وما كانت تقدّمه الدول المسيحية من إتاوات مستحقة عليها من جهة أخرى. لقد وفّرت مثل هذه الصناعة من المدافع ما كان يكفي لتجهيز التحصينات والأبراج والسفن والجيوش البرية في الكم والنوع[3].

فمن أنواع هذه المدافع نجد: مدافع لرمي الحجـارة، ومـدافع لـرمي القنابل المحرقة ومدافع لرمي الكُوَرِ. إن المـدافع الخاصة بـرمي الحجـارة كانت كبـيرة الحجم وقصـيرة وتسـمى بالمهـاريس، والمـدافع الـتي تـرمي القنابل المحرقة شبيهة بالمهاريس، ومدافع لرمي الكُـوَرِ فهي كثـيرة، منها ما هو طويل ورقيق وكـــان يطلق عليها الثعبانية–Couleuvrine–. ومنها ما يُسـمىّ بالبازية تـرمي قنابل من الرصـاص وزنها نحو الكيلـوغرام، ومنها ما

[1] **Idem**, pp.95-96-97

[2] بوعزيز (يحيى)، **وهران، مدن تاريخية**، **نفس المرجع السابق** ، ص107.

[3] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 175- 176.

يرمي كور تزن حوالي خمسة كيلوغرامات. ثم هنـاك مـدافع كبـيرة صُـنعت إما من حديد أو النحـاس أو الـبرونز، منها المـدفع الـذي يوجد بهـذا النـوع بمتحف الأنفاليد–Les Invalides – بباريس يحتوي على تسع فوهات[1]. (انظر، ش 21، 22، 23، 24)

لقد كـانت هـذه المـدافع سـلاح ردع دفـاعي، تمكّن الجزائريـون رد العدوان المسيحي الأوروبي الغاشم على أرضهم لمدة ثلاثة قرون متتاليـة. وقد اشتهرت بعضها وارتبطت بأحداث تاريخية اقترنت معها بأسـماء خلّـدها التاريخ للأجيال القادمة، ومن أشهر هذه المدافع:

- مدفع "بابا مـرزوق": المـدعو أيضـاً -"La Consulaire"- وهو قطعة مدفعية أسـطورية، اختـيرت عند الاحتلال الفرنسي للجزائر سـنة 1830م، ضـمن مجموعة الغنـائم التذكارية لعرضـها في متحف الأنفاليد بـباريس، ثم حُوِّلت من طرف الأمـيرال دوبـيري*- Duperré- إلى مدينة بريسـت-Brest- حيث تم تنصـيبها في سـنة 1833م داخل سـاحة الترسـانة. (انظـر، ش 23) يبلغ طول مدفع "بابا مرزوق" سبعة أمتار(07)، ويقدر مدى رميه بـ 4872 متراً،[2] والوزن الكلي للمدافع بحوالي 25 ألف كلغ، وعياره يساوي 270 ملم ووزن قنابله بلغت 68 كلغ ويخلو بدنه من أية زخرفة ما عـــــــدى النقش باللغة الفرنسية الذي كُتب عليه أثناء غنمه في سنة 1830م. مـدفع "بابا مـرزوق" هو مدفع جزائري الصنع من البرونز ويعتبر من أقدم المدافع وأشهرها على الإطلاق[3]. تم صنعه بمصنع دار النحاس في سنة 1542م[4] من طرف مهندس من البندقية احتفاء بمناسبة انتهاء أشـغال بنـاء تحصـينات الرصـيف*[5] الـذي يربط البنيون بمدينة الجزائر[6] ودار الصناعة، ووضع داخل تحصينات المينـاء، قرب برج القومان بالذّات وبقي هناك حتى سنة 1830م[7]. عُرف هذا المدفع باسم بابا مرزوق لـدى الجزائـريين، غـير أن تسـميته بالقنصـلية من طـرف الأوربيين، يرجع أساساً إلى حادثتي قذف القنصلَيْن الفرنسيَيْن وهمـا: الأب لوفاشي
– Père Le Vacher- و بيول – Piole-.

وقد مرت هاتان الحادثتان في ظروف جد صـعبة على سـكان الجزائر الـــذين تعرّضـــوا لقصف جهنّمي من طـــرف الأســـطول الفرنسي بقيـــادة الأميرال دوكين- Duquesne –* في يوم 24 جويلية 1683م واستمرت لمدة

---

[1] خلاصي (علي)، **العمارة العسكرية لمدينة الجزائر، نفس المرجع السابق**، ص31.

* و هو **فيكتور غي الكونت دوبيري**- (1775-1846)-Victor Guy Comte,Duperré، قائد أسطول الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م. (**Petit Larousse en Couleur**; 1980, voir "**Duperré** ")

[2] KLEIN (Henri), **OP.Cit, T.II**., p.142.

[3] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص217.

[4] BELHAMISSI (Moulay), **OP.Cit, T.I**., p.72.

* **رصيف خير الدين**، بُني من طرف هذا الأخير سنة 1531م. (HAEDO (Fray Diego de), **OP.Cit,** p.52).

[5] KLEIN (Henri), **OP.Cit, T.II**., p.142.

[6] BELHAMISSI (Moulay), **OP.Cit, T.I**., p.72.

[7] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص218.

* وهو **أبراهـام مـاركيز دوكين**-(1610-1688) – Abraham, Marquis Duquesne من أشـهر البحـارة الفرنسيين. (**Petit Larousse en Couleur**; **OP.Cit**., voir "**Duquesne** ").

أربعة أيـام دون انقطـاع. وبعد مفاوضـات فاشـلة بين الأمـيرال الفرنسي وداي الجزائر بسـبب الشـروط الفرنسـية المهينة للجزائـر، والمتمثلة في إطلاق سراح كل الأسرى الأوربيين، ودفع غرامة مالية كبيرة لفرنسا، صمّم الدّاي الحاج حسين ميزومورتو* رئيس المفاوضين الجزائريين على التدّخل للحدّ من المسألة، التي كانت موضع حيرة وريبة لدى ديوان الجزائـر. وذلك باغتيال بابا حسن وبالاستيلاء على الحكم للكشف في حينه للفرنسـيين عن نيّته لمواصلة الحرب، فأرسل الدّاي الجديد للأميرال دوكين بواسطة ضابط فرنسي تحذيرات إعدام المسـيحيين بـرميهم عن طريق المـدافع في حالة اسـتمرار القصف البحـري. فاقتيد القنصل الفرنسي لوفاشي على رصيف الميناء رفقة 20 أسيرًا، ولم يكترث الأمـيرال الفرنسي بـذلك ضـانًا منه أنه مجـرّد تهديـدات، فنفّذ الأمر بالإعـدام في حق القنصل والأسـرى الفرنسـيين. فاشـتدّ وطيس المعركة بتهـديم 60 مـنزلا و05 مسـاجد وقتل 400 جزائـري تحت الأنقـاض. واصل الأسـطول الفرنسي في قنبلة مدينة الجزائر بصمود سـكانها، وعـدم استسـلامها للضـغوط الفرنسـية، إلى غاية انسحابه يوم 25 أكتـوبر 1683م إلى مدينة طولـون، دون إحـراز أيّة نتيجـة. وفي 25 أفريل 1684م، أُمضـيت معاهـدة بين الجزائر وفرنسـا، لتجسـيد مصـالحة بين البلـدين، تضـمن لهما تجـارة حـرّة دون قيـود ومعالجة قضـية الأسرى لكلى الطرفين.

ولم تلبث تلك المعاهدة أن انتُـهكت ما اصطلح عليه الجانبان من طرف أصحاب السفن المارسيلية والقراصنة الفرنسيين في سنة 1686م. فعاد التوّتر بين الحكومتين مرّة أخرى، وأعلن الملك لويس 14 الحرب على الجزائر بإرسال الماريـشال ديسـتـري– Maréchal d'Estrées–* على رأس أسطول بحري إلى الجزائر يوم 26 جوان 1688م، فاندلعت معركة شرسة بين الطرفين بإطلاق حوالي عشرة آلاف قنبلة على مدينة الجزائر فهدّم على إثرها منازل ومساجد وقنوات المياه، في حين كانت المدفعية الجزائرية بالمرصاد للهجوم الفرنسي بإغراق عدّة سفن حاولت الاقتراب من الرّصيف.

وبعد 15 يومًا من الحرب، أعطى الدّاي الحاج حسين ميزومورتو الأمر بربط على فوهات المدافع أربعين مسيحيًا على رأسهم القنصل بيول، على أمل الحصول عن طريق الترهيب على إيقاف الهجوم المدمّر على الجزائر، فلم يجدي ذلك من شيء، فتمّ إعدامهم في نهاية الأمر. فردّت القيادة الفرنسية، انتقاماً لذلك، بتقتيل جزائريين بنفس الوسيلة. ولم تهدأ المعركة رغم ذلك، فكانت مقاومة الجزائريين المتصلّبة، والخسائر

---

* **الحاج حسين ميزومورتو**، من أصل إيطالي، داي الجزائر من 1683م إلى 1688م.
(.GAID (Mouloud), **OP.Cit,** p.146)

* فيكتور هنري ديستري (1660م-1737م)، عسكري فرنسي من أسرة نبيلة.
(« **Grand Dictionnaire Encyclopédique Larousse, OP.Cit.** , voir « **Estrées**».)

الجسيمة للأسطول، سببًا في إجبار الماريشال ديستري على الانسحاب من ميدان المعركة[1]، دون أن يكون نـصيبه من النّجاح أوفرُ من سابقيه[2].

وممّا كُتِب أيضاً عن مدفع بابا مرزوق في مقالة فرنسـية نشـرت في مجـلّة "- La France maritime-" الجزء الثاني في الصفحة 84، أنه وُضِعَ في كـوّة إحـدى حصـون الرصـيف. وكـانت هـذه الفوهة النارية متجهـة صـوب رأس بيسـكاد –Pointe pescade – (حاليًا الرايس حميدو) وهي سـهلة الاسـتعمال رغم طولها المعتـبر. وخُصِّـصَ لها نخبة من المـدفعيين الذين اعتادوا على شحنها و تصويبها و مدى رَمْيِها، فيطلقون القـذائف بدقة كبيرة، تعرّض للخطر كل سفينة أجنبية تجتاز الرأس البحري[3].

ويضيف هنري كلان أن المدفع انشق من أثر شدّة الطلقة العنيفة والشّحنة القوية التي قتلت الأب لوفاشي، فلم يعد في الخدمة منذ ذلك التاريخ، وأصبح بمثابة قطعة عرض وزينة، فطُلِي بالزّفت لإخفاء التّشقق،[4] وأبقي عليه في مكانه لعله يُحدث في نفوس الأعداء شعور الخوف والرُّعب عند مشاهدته، للعلم أنّ الأسير كاثكارت -Cathcart– قنصل أمريكا في المغرب، رأى في الزاوية الشمالية للبحرية بميناء الجزائر مدفعاً ضخماً مركّباً على عربة، وُضع عند أحد الأقواس، ولا يبدو له أية فائدة عدى كونه يشغل ذلك الفراغ. وهذا المدفع أُحضر من القسطنطينية، يبلغ قطر فوهته 20 بوصة* وطوله 21 قدماً*، وهو مطوق بالحديد, من المفروض أن يطلق قذائف من المرمر ولكنه لم يُستعمل قط[5]. وبظنّي أنه تُرك في موضعه لإحداث نفس المفعول النفسي الذي تسبب فيه المدفع بابا مرزوق.

- المدفعان الجزائريان و قضية سيمون دانسا: و من المدافع أيضا التي لعبت دورا حاسما في العلاقات الثنائية خاصة بين الجزائر وفرنسا هي مدفعا القرصان الفلامندي* سيمون دانسا-Simon Dansa - أو دانسر-Danser – اللذان آثرا قضية أدت إلى إذكاء نار الحرب بين البلدين لمدة عشرين سنة.

انضمّ هواة المغامرات والأعمال البحرية والأجانب الباحثون عن الغنى السريع إلى صفوف البحارة الجزائريين، ونتيجة الشهرة التي اكتسبوها في مجال البحار والقرصنة،[6] وكان أكثر من حصل على شهرة كبيرة من بين هؤلاء الهواة إدوارد-Edouard-وأوفـرت -Uvert- والروشيلي* صوليمان – Soliman- وسانسون - Sanson-وسيـمون دانسا.

---

[1] GAID (Mouloud), **OP.Cit.** pp.145-149.

[2] جوليان (شارل أندري)، **نفس المرجع السابق**، ص365.

[3] DEVOULX (Albert),**OP.Cit**, p.116.

[4] KLEIN (Henri), **OP.Cit, T.II**., p.142.

* بوصة = 27,07 مم.

* القدم = 30, 48 مم.

[5] كاثكارت (جمس لندر)، **نفس المرجع السابق**، ص75.

* من منطقة فلاندرا-Flandres – فيما بين فرنسا وبلجيكا وهولندا.
(« Petit Larousse Illustré, 2004, voir « Flandres)

[6] التر (عزيز سامح)، **نفس المرجع السابق**، ص 323.

قدم سيـمون دانسا الفلامندي الأصل إلى الجزائر سنة 1015هـ/ 1606م لممارسة أعمال القرصنة، وقد حالفه حظ كبير لتمكنِّه في أقل من ثلاث سنوات من الاستيلاء على أربعين سفينة. فكسب شهرة عظيمة لدى الجزائريين الذين تعلَّموا منه كيفية المناورة بالسفن ذات الأبراج العالية والمسماة آنذاك "بالسفن المستديرة "[1]. كما عمل سيـمون دانسا جنبا إلى جنب مع طائفة الرياس حيث أصبح أحد قادتها الأساسيين[2]. وكانت طائفة الرياس تريده أن يُعلن إسلامه، لكنه رفض ذلك, وأصرَّ الاحتفاظ بدينه، علماً بأن قسماً كبيراً من أمثاله قد تخلوا عن دينهم، ويعود سبب ذلك إما الإيمان القوي، وإما تحسباً لعودتهم في يوم من الأيام إلى زوجته الموجودة في مدينة مرسيليا[3].

ومهما يكن من أمر، فإن سيـمون دانسا بادر بمساع لدى الملك الفرنسي هنري الرابع* في بداية سنة 1018هـ/1609م، بغرض طلب العفو عن الأخطاء التي ارتكبها وتحديد الشروط التي تضمن له العودة إلى فرنسا سالمًا معافى. وكان قد حالفه الحظ أن حصل ما كان يتمنَّاه في يوم 14 سبتمبر 1608م/1017هـ، بحيث استولى على سفينة أسبانية، يوجد على متنها من بين المسافرين عشرة قساوسة يسوعيون[4]. وكان قد باعهم دانسا في الجزائر في المزاد العلني، كما جرت العادة بالنسبة للأسرى.

فأخذت هـذه العملية أبعـاداً دوليـة، فأرسل الملك هـنري الرابع إلى سفيره في عاصـمة الدولة العثمانية يطلب منه المفاوضة لتحرير الأسـرى، كما أرسل إلى قنصله في الجزائر[5]. فأسرع دانسا لإعادة شراء اليسـوعيين من جراء الوعود التي تعهَّد له بها الأب كوتون قسيس ملك فرنسا[6]. ثم قال للريـــاس بأنه ذاهب إلى كورســـيكا، لكنه توجَّه إلى مرســـيليا[7] ومعه القساوســة العشـرة الأحـرار رفقة القرصـان الإنجلـيزي الشـهير بونيل - Bonel – كأسير كان هذا القرصان يعمل تحت الراية العثمانية في الجزائر[8]. وسلَّم نفسه للحكومة الفرنسـية، فعفا عنه الملك بعد تسـليمه القساوسـة العشرة[9]. واعترافا من دانسا بالمعاملة الفرنسية الكريمة، قـدَّم إلى الـدوق دي غيز-Duc de Guise -حاكم إقليم بروفنس –Provence – مدفعين من النحـاس كـان قد اسـتعارهما من الحكومة الجزائريـة. ومن الطـبيعي أن

---

* من مدينة لاروشيل- La Rochelle- الفرنسية. (**Petit Larousse en Couleur**; **OP.Cit**., "**La Rochelle** " voir

[1] GRAMMONT (H.D. de), **OP.Cit,** p.136.

[2] التر (عزيز سامح)، **نفس المرجع السابق**، ص323.

[3] GRAMMONT (H.D. de), **OP.Cit,** p.136

* ملك فرنسا من سنة 1589 إلى 1610. (**Le Petit Larousse Illustré** 2004. "**Henri IV**",voir)

[4] GRAMMONT (H.D. de), **OP.Cit,** p.136.

[5] عباد (صالح)، **نفس المرجع السابق**، ص155.

[6] GRAMMONT (H.D. de), **OP.Cit,** p.137.

[7] التر (عزيز سامح)، **نفس المرجع السابق**، ص324.

[8] عباد (صالح)، **نفس المرجع السابق**، ص115.

[9] التر (عزيز سامح)، **نفس المرجع السابق**، ص324.

يطالب الجزائريون الذين هـزَّتهم خيانة دانسا بإعـادة المـدفعين [1]في الفَـوْرِ ومعاقبة القرصان الفلامندي طبقا للمعاهدة العثمانية.

وحــدث أن تــوفي الملك هــنري الرابع في ســنة 1610م بعد هــروب القرصان، فظلت المشكلة قائمـة، بل تطـورت إلى أن وقعت القطيعة بين الجزائر وفرنسا. كان الريـاس أكـثر المتشـدِّدين تجـاه فرنسا [2]الـتي دفعت غالياً ما قَدِمَتْ على فعله, فقُدِّرت خسائرها بالملايين على حساب التجـارة الفرنسية، [3]فباشروا بممارسة نشاط بحري واسع ضد فرنسا، وأصـبح لـدى الجميع هــوس كبــير لقيــادة الســفن وممارسة الغــزو، وانتشــرت ســفن الجزائريين في البحر إلى حد يصعب فيه تحديدها. فكانت هذه المرحلة من أغـنى وأنشط المراحل البحرية الـتي شـهدتها الجزائـر، ففي اليـوم الواحد كان يدخل إلى ميناء الجزائر أربع أو خمس سفن كغنائـم[4].)انظر، ش 32، خ 02)

استمر الصراع بين الجزائريين والفرنسيين، رغم شكاوى فرنسا لدى السلطان العثماني والتي ردّ عليها باشا الجزائر بأنه من غـير الممكن إقامة صلح إلا بعد إعادة المدافع التي أخذها دانسا والأسـرى الأتـراك الموجـودين في مرسيليا[5].

وعند ما شاهدت الحكومة الفرنسية أن تجارتها بدأت تتعــرَّض للخطر والانهيــار أخــذت تســعى لإعــادة علاقتها مع الجزائر الــتي انقطعت منذ 1610م، ومن أجل ذلك، كلّفت قـنصلها بالتفاوض مع الجزائريين. وبعد الاتفاق على شروط الصلح[6]، وُقِّعت معاهدة صلح في 21 مارس1619م، وكانت فرنسا في استعداد لإعادة المدفعين للجزائريين.

ولكن في فيفري 1620، حدث ما لم يكن في الحسبان وهي قصة استيلاء رجب رايس على سفينة فرنسية وقتل كل من وُجد على ظهرها وذلك للتستر وإخفاء ما وقع. إلا أن الخبر وصل إلى مرسيليا يوم 14 مارس عن بحارين نجيا من مأساة السفينة الفرنسية. فانتشر الخبر بسرعة مسبِّباً هيجاناً حقيقياً بين الناس. فهرعوا في توّه إلى فندق ميناء مرسيليا حيث يوجد وفد من الجزائريين الذين أُرسلوا إلى مرسيليا لاستلام الأسرى. ثم أضرموا النار في الفندق، فاضطر الوفد الجزائري للخروج، فأُلقي عليهم القبض وذُبحوا جميعاً في الشوارع، فعادت الأمور إلى ما كانت عليه من قبل من توتر، فاندلعت الحرب من جديد. ولم تنتهي إلا في جانفي سنة 1626م، عندما أرسل الملك لويس 13* خليفة هنري الرابع ســانــــسون نـابولون-Sanson Napollon - إلى الجزائر ليتفاوض مع الباشا، ومعه المدفعان الشهيران وعدد الأسرى الذين أُطلق سراحهم في فرنسا. ثم

---

[1] وولف (جون.ب)، **نفس المرجع السابق**، ص248- 249.

[2] عباد (صالح)، **نفس المرجع السابق**، ص115.

[3] GRAMMONT (H.D. de), **OP.Cit,** p.137.

[4] التر (عزيز سامح)، **س المرجع السابق**،ص324.

[5] نفس المرجع، ص326.

[6] نفس المرجع, ص330.

* ملك فرنسا من 1610م إلى 1643م. (**Louis XIII** " (**Petit Larousse en Couleur**; **OP.cit**., voir ".)

انطلقت المفاوضات بين الطرفين، وانتهت إلى الاتفاق على معاهدة جديدة[1]. وتم توقيع معاهدة سلم نهائياً بين الجزائر وفرنسا في 19 سبتمبر 1628م[2]. فكان آخر مطاف هذه الحرب التي دامت عدة سنوات، استرجاع المدفعين البرونزيَّيْن ولو فاسِدَيْنِ وغير صالِحَيْنِ للاستعمال، والأهم بالنسبة للجزائريين، كان وصولهم إلى قضاء حاجتهم[3] والحفاظ على شرف الجزائر.

- مدافع متحف الأنفاليد-Les Invalides-*: ذكر الأستاذ دريـاس لخضر في رســـالته مجموعة من أجمل وأروع القطع المدفعية في العـــالم وهي وليدة الصناعة العسكرية الجزائرية في العهد العثماني و الأغلبية منها، الآن هي جـــزء لا يتجـــزّأ من المجموعة المتحفية الـــتي يحتـــوي عليها المتحف العسكري بفنـدق الأنفاليد بباريس، و يبلغ عـدد المـدافع الـتي أحصـاها في الفصل الذي خصّه للمدافع 16 قطعة مبرزًا فيه أهم الخصائص التي تتميّز بها كل واحدة منها. فمن الخصـائص الـتي وصـفها بها المؤلف عمومًـا: أنها صُـــــنعت في الجزائر فيما بين 989هـ/1581م-1196هـ/1782م، وأغلبيتها فيما بين 1185هـ/1771م و1196هـــــ/ 1782م، وثلاثة منها من صـــــنع الســـباك الفرنـــسي فرونـــسوا دوبـــون (الإبن) – François Dupont- الأكثرية منها تمّ صنعها تحت رعاية محمد بن عثمان باشا وهي مصنوعة من مادة البرونز من الحجم الكبير، بحيث يبلغ طول البعض منها أكـثر من أربعة أمتار ووزنها أكثر من أربعة أمتار ووزنها أكثر من 100 قنطار. (انظر، ش 21، 22، 24)

ويوجد ضمن المجموعة أيضا مدفعين من نوع المهراس أو الهاون و يغطي جلّ المدافع الزخارف الكتابية والنباتية والهندسية، بالإضافة إلى بعض العناصر الرمزية و الكل عبارة عن خليط يضم الأسلوب العثماني المتأثر بالباروك الأوروبي• هذا من جهة، و الطراز المحلي المتأثر بالأندلسي من جهة أخرى[4]. وعدى القطع التي صهرها الفرنسي دوبون الإبن، فإن باقي القطع الأخرى تحمل على جذوعها آيات من القرآن الكريم أو أبيات شعرية[5] تطلب من المولى عزّ وجلّ النصر على الأعداء الكفرة و تحثّ على فعل الخير و تبيّن جزاء ذلك عند الله تعالى[6]. و الجدير بالذكر أن مدفع القنصلية يدخل ضمن التحف المعروضة بساحة الترسانة بمدينة

---

[1] عباد (صالح), **نفس المرجع السابق**, ص ص115- 116- 117.

[2] قنان (جمال), **معاهدات الجزائر مع فرنسا**, 1619- 1830,الجزائر, 1987, ص 63.

[3] BONO (Salvatore), **Les corsaires en Méditerranée,** Editions.La porte, Paris, 1998. p.34.

* أحد المعالم الشهيرة بباريس شيد في سنة 1670م من طرف لـويس 14, منذ 1896م أصـبح يحـوي على متحف الجيش أو فندق الأنفاليد. (**Petit Larousse en couleurs, OP.CIT**, voir « **Les Invalides** »).

• أسلوب من الأساليب الفنية الأوربية ظهر بإيطالية في أواخر القرن 16 كـرد فعل مضـاد للكلاسـيكية طبع أغلبية الفنون آنذاك.
(**Microsoft® Études 2008 [DVD].** Microsoft Corporation, 2007, voir, "**baroque, art**".)
(الموسوعة العربية الميسرة، انظر " **باروك**".)

[4] دریاس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 217- 249.

[5] KLEIN (Henri), **OP.Cit, T.II**., p.139.

[6] دریاس (لخضر)، **نفس المرجع السابق،** ص 254.

بريست –Brest- التي ذكرها الأستاذ درياس بشيء من الدقة على متن بطاقة مفصلة[1].

أصبحت هذه المدافع الجزائرية تُجمِّل متاحف فرنسا و تُعرض في مكان ليس مكانها لأن الأحقية تعود للمكان الأصلي وهو الجزائر, لتراها الأجيال اللاحقة ولتبقى شاهدة على عصر كان فيها الجزائريون سادة يُحسب لهم ألف حساب. فصارت هذه الأسلحة غنيمة حرب وبالتالي مفخرة الجيش الملكي الفرنسي المحتل الذي استطاع أن يهزم إحدى أكبر قوة عسكرية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لإفساح المجال للهيمنة والسيطرة المسيحية الأوربية على باقي العالم بعد إزالة قلعة من قلاع المقاومة والتصدي.

س- مصير المدفعية الجزائرية:

كانت حصون مدينة الجزائر مسلحة بمدافع مختلفة العيارات والأصول، والأميرالية هي أكثر المواقع التي نصَّب فيها الجزائريون أكبر عدد من قطع المدفعية، فقد وجد الفرنسيون فيها حوالي 300 قطعة عند الاحتلال في سنة 1830م. وكانت بعض البطاريات منها في رصيف خير الدين منتصبة على مستوى 04 طبقات من كوات المدافع و العدد الإجمالي للقطع المدفعية البرونزية التي كانت تشكل تسليح مدينة الجزائر, يبلغ 900 وحدة و وزن المجموعة يقدر بـ 3000 قنطار[2].

وكانت بطاريات مدينة الجزائر كما يستشهد النقيب الفرنسي الذي زارها سنة 1830م مبنية بشكل رائع لا نضير لها. وكان يرى ملامح انبهار المدفعيين الفرنسيين عند زيارتهم للأقواس المنيعة لرصيف خيرالدين. فكوات الحصون الجزائرية كانت مغطاة بالقطع المدفعية، منها ما كان متميِّزاً بالنقوش الجميلة و منها كان شهيرا بتاريخه أمثال مدفع القنصلية. وقد عرضت شركة يهودية في سنة 1830، على دي برمون قائد الحملة الفرنسية بشراء المدفعية الجزائرية التي كانت بحوزة الجيش الفرنسي كغنيمة بمبلغ 07 ملايين من الفرنكات و لكن هذا الأخير رفض العرض تاركا قسما منها لحماية المدينة و القسم الآخر، كلف الأميرال و النقيب ماسيو- Massieu- لنقله إلى فرنسا. إذا كانت بعض هذه المدافع كما أسلفنا تكتسي أهمية تاريخية و فنية كبرى، و كما كان مدوّنا في تقرير وزير الحربية الجنرال جيرار-Gérard-، وتبعا لطلب الجنرال كلوزيل-Clauzel- • قائد المستعمرة الجديدة, فان الملك قرّر في يوم 09 أكتوبر1830م بإيجاب إرسال 24 قطعة مدفعية إلى فندق الأنفاليد[3]. وبموجب رسالة من وزير

---

[1] **نفس المرجع،** ص ص 217- 249.

[2] KLEIN (Henri):" **Alger, les canons de la Casbah**", " **Feuillets d'El-Djézaïr**", In Roger Letourneau, « **La Régence d'Alger et le monde turc** », p.87.

• **الجنرال موريس جيرار**-Maurice Etienne, Comte Gérard,- (1773-1852).((**Le Petit Larousse Illustré**

• الجنرال كلوزيل- Bernard, comte Clauzel-(1772-1842), حاكم الجزائر في سنة 1835م, قاد حملة قسنطينة الأولى سنة 1836 م. ((**Le Petit Larousse Illustré, OP.Cit ,** voir « **Clauzel** »)

[3] KLEIN (Henri), **Op.Cit, T.II**., p.138.

الدفاع دوق دي دالماسي– Duc de Dalmatie– • إلى قائد المدفعية العقيد شابل-C. Chapel-، المورخة في 09 جانفي 1832م ، أنشئت لجنة خاصة لمراقبة وتصـنيف المـدافع االبرونزية القادمة من الجزائـر. وكـانت هذه اللجنة تتكون من العقيد شابل كمـدير وقائد البحرية بريـديف -Bredef- والنقيبين فابر – Faber- وروجــي– Roger-. وللقيام بهذا التصـنيف، كـان لا بد على اللجنة من المراقبة الفردية لكل قطعة من المجمــوع الكلي الــذي بلغ 628 مــدفع، وصل وزنها إلى مليــون و350 ألف كيلــوغرام. وخــرجت اللجنة ببعض الملاحظات منها المتعلقة بالمدافع ذات الصنع المحلي:

- إهمال الجزائريين المفرط لمدفعيتهم، بالرغم من كونها الوسيلة الوحيدة لضمان أمنهم والدفاع عن كيانهم، وعلّلت اللجنة ذلك بسبب غرور وافتخار الجزائريين بقوتهم، ولعل هذا فيه شيء من الحقيقة، و لكن ليس كل الحقيقة، و لا ننسى الحالة المتدهورة التي آلت إليها إيالة الجزائر في نهاية العهد العثماني، والأوضاع السيئة في كل المجالات، وأمر المدفعية لا تقل أهمية عن باقي الميادين الحيوية للجزائر.
- تفضيل الجزائريين للمدافع ذات العيارات الكبيرة عن سواها.
- سوء الصناعة التي ميَّزتها عن غيرها, ولو أننا نشك في صحة هذه الملاحظة وغلا كيف نفسِّر بقاء قطع صالحة من القرن 16حتى سنة 1830م[1].

إن المخطط الدفاعي لمدينة الجزائر في شكله الكلي اكتمل في القرن 16، ولم تأت القرون التالية بتعديلات جزئية، دعت إليها متطلبات الدفاع وتقنياته الحديثة التي طالما اشتهرت بها جزائر الغرب خلال القرون الثلاثة، التي سيطرت فيها على البحر الأبيض المتوسط.

إن الإحصائيات المتوفرة لدينا، رغم تناقضها، تبيِّن ضخامة و قوة المدفعية التي كانت تتوفر عليها الجزائر من جهة، و من جهة أخرى تؤكِّد بأن المدفعية كانت الســلاح الرئيسي لدى الجزائريين، بل أن مصير الأمة كان يتوقَّف على امتلاكه، فنستطيع القول بأن توقُّف إنتاج هذا السلاح كان أحد الأسباب الرئيسية في هزيمة سنة 1830م[2].

• **جان دي ديو المدعو نيكولا سولت** المعروف بدوق دي دالماسي –Jean de Dieu, dit Nicolas Soult ,Duc de Dalmatie– (1769-1851)وزير الحربية في عدة مرات وبخاصة في عهد الملك لويس فيليب من سنة 1830م إلى 1832م.
(,voir « Soult ». **Petit Larousse en couleurs, Op.Cit**)

[1] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق،** ص ص 206- 207.

[2] نفس المرجع، ص 287.

3- الذخيرة

أ- الذخيرة

- **في مدينة الجزائر**
- **في منطقة القبائل**

ب- البارود

- **مصانع البارود بدار السلطان**
- **مصانع البياللك**

الذخيـــــرة

أ- الذخيرة:

- في مدينة الجزائر: الذخيرة هي كل ما هو ضروري لتموين الأسلحة النارية الثقيلة كالمدافع والخفيفـة كالبنادق والمسدسات من قذائف وقنابل وخراطيش وبارود...إلخ[1]، للتذكير أنمادة البارود تمتاز بصناعة ومصانع خاصة بها، بمعزل عن صناعة الذخائر الأخرى التي تنتج في مصانع الأسلحة. لا نستطيع فصــل الذخيرة عن الأسلحة النارية، لذا لم يكن تطور الذخيرة ملزما لتطور الأسلحة النارية فقط بل هما مرتبطين الواحد مع الآخر. ففي فترة اختراع الأسلحة النارية الخفيفة، كانت الذخيرة عبارة عن بارود وحشوة ورصاصة وبارود الشرارة، فتوضع داخل السلاح منفردة، الواحدة تلو الأخرى: يتم إدخال البارود من فوهة ماصورة البندقية، متبوعة بالحشوة، ثم تغرز الرصاصة بعدها، فيشحن مذخر البندقية بكمية قليلة من البارود في انتظار الرمي.

أما الخرطوشة أو الفشكة فهي من اختراع الأسبان في القرن 17 م، كانت هذه الكلمة تخص في الأصل شحنة من البارود المهيأة للرمي وهي محمولة داخل أسطوانة خشبية مع الرصاصة و الحشوة. مع ظهور الصفيحة الآلية للقدح أصبحت الخرطوشة أكثر مرونة، وباكتشاف الأسلحة ذات الشحن من مغلق المِزْنَد في مؤخرة البندقية، واستعمال غلاف معدني ملتصقا بالرصاصة، مكونة بذلك ذخيرة كاملة مع الشحنة في القاعدة (القعر)، استكملت الخرطوشة شكلها النهائي الحديث. أما الرصاصة فهي مصنوعة من مادة الرصاص منذ القرن 16م[2].

إن المسيرة التاريخية التي أخذها تطور الأسلحة النارية والبارود في منطقة المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا، كانت لها تأثيرا إيجابيا في البداية على الأقل، بالاستعمال المبكر لهذا النوع الجديد من السلاح على أرضها. بحلول العهد العثماني في الجزائر وتحوُّلُ الأوضاع السياسية والجيو-استراتيجية للمنطقة الغربية للبحر الأبيض المتوسط، أصبحت الجزائر العثمانية تحرص على اكتساب هذا السلاح بإقامة صناعة عسكرية، تنتج أسلحتها بنفسها لتدعيم المجهود الموجه لتسليح الأوجاق بالمدافع والبنادق والبارود.

كانت تتمركز صناعة الأسلحة في مدينة الجزائر بالغرب من حي باب الوادي في بنايـة ضخمة, أطلق عليها اسم "دار النحاس"التي كانت مجهزة بفرن واحد ذات بناء قـوي.

ومـن الجهة الأخرى من دار النحاس، يوجد ورشات لصنع القوالب والقنابل وعدة مواقد ومصاهر والأفران الخاصة بصنع القذائف ذات الحجم الكبير[3]. فكانت هذه المواقد والمصاهر تصنع القذائف بكميات كبيرة، بحيث أن المخازن التي تقع خارج حي باب الوادي كانت مملوءة حتى السقف. وبما أن صناعة الأسلحة النارية ترتبط بصناعات أساسية أخرى كحرف السباكة

---

[1] **Petit Larousse en couleur**, Librairie Larousse, 1980, voir; "**Munitions**".

[2] **Microsoft. Encarta.2007**. Études DVD. Voir, "**Munitions**".

[3] SAIDOUNI (Nacereddine), **OP.Cit**, p.218.

و الرصاصة أو الترصيص، ومنها الخراطة التي تعنى بإنتاج الخراطيش فتجدر الإشارة أن مهنة الخراطة كانت مزدهرة وموزعة بشارع الخراطين[1].

أما المخازن التي كانت تستقبل العدد الكبير والضخم من هذه الذخائر تقع على طول السور المحاذي لحي باب الوادي حيث كانت البحرية الجزائرية تقتني ما يلزمها لتموين بحارتها وسفنها مما يحتاجونه وبالكميات الكافية. فكانت تختزن فيها الذخيرة بأنواعها كالقنابل و القذائف وكان هذا المكان التي توضع فيه مثل هذه السلع الخطيرة أكثر أمنا من أماكن الميناء التي كانت في معظم الأحيان عرضة لقصف السفن الأوربية[2].

كانت تصنع في ورشات القوالب ومساند المدافع بمدينة الجزائر عدة أنواع أخرى من الذخيرة , أغلبيتها كانت تستعمل للدفاع عن الأميرالية. فكان طبيعيا في عالم مفعم بالتوتر و الحذر أن تكون تجارة الأسلحة و الذخيرة بالأخص مزدهرة في منطقة البحر الأبيض المتوسط, فيكتب بانتني –Pananti- ويقول أنه يوجد في مدينة الجزائر, ما يكفي من الطلبات الضخمة من السلع المتنوعة كبارود المدافع والحديد المصنع والمدافع والأسلحة النارية، وكانت الذخيرة البحرية بكل أشكالها توجد فيها سوقا سهلة للتصريف السريع[3].

ولعل ما يدعم الرأي التاريخي القائل بوجود صناعة ذخيرة مرموقة بمدينة الجزائر الذي. ذكره الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه:" أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" عن عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش، ضمن الفصل المخصص لكتاب هذا العالم الجـــــزائري " لـسان المقال" أو "رحلة ابن حمادوش"، أن من مجموع المؤلفات التي كتبها ابن حمادوش، كتاب "تأليف في البونبة• "[4].

ولد عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش في مدينة الجزائر سنة 1107هـ/1695م، وعاش إلى أن تجاوز التسعين سنة، والغالب يظن أن وفاته كانت بالمشرق بين سنتي هـ1197 و1200هـ/1783م و1786م[5]. فهو طبيب مشهور، ألف كتباً ورسائلاً، وشاهد حوادث معتبرة في العهد العثماني. وكانت أسرته بارعة في الصناعات التقليدية، إلا أنه مال إلى الأدب والعلوم في سن مبكرة. أخذ عن بعض العلماء الكبار مثل ابن ميمون•، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى، وبعد ذلك إلى تونس وإلى

---

[1] خلاصي (علي)، **التنظيمات والمنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، نفس المرجع السابق**، ص72.

[2] BELHAMISSI (Moulay), **Marine et marins d'Alger (1516-1830),** Tome 1, **OP.Cit**., p.65.

[3] **Idem,** Tome 2,**"Face à l'Europe"**, Bibliothèque Nationale d'Alger, 1996, p.12

• القنبلة أو القذيفة.

[4] سعد الله (أبو القاسم)، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر،** القسم1، SNED، الطبعة 2 منقحة، الجزائر، 1981، (ص227).

[5] نفس المؤلف، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 2،ENAL ، الطبعة2 منقحة، الجزائر، 1985، ص441.

• هو **محمد بن ميمون الجزائري**, من فقهاء وصوفية الجزائر في القـرن12ه/18م. (معجم مشـاهير **المغاربة،** ص527.)

المشرق حيث استكمل دراسته. ومن جملة ما تعلمه، الذي اطّلع عليه في الكتب المترجمة للحصول على اكتشافات أوربا. كما أنه اعتنى بالتجارب العلمية ودراسة الأعــشاب الطبية وقام بتركيب الأدوية ومصنوعات أخرى، ودون كتابا عظيما عنوانه "الجوهر المكنون"، وألف رحلة مهمة سماها [1] " لسان المقال" نشرت سنة 1983 في الجزائر، وتعتبر وثيقة تاريخية مفيدة للتعرف على أحوال المغرب العربي في العصر العثماني. ونجد فيها وصفا دقيقا للحياة اليومية والنشاط الثقافي في الجزائر والمغرب الأقصى، ولا نعرف تاريخ وفاة بن حمادوش، ويبدو أنه كان سنة 1205هـ/1791م وهو في ست والتسعين من عمره.

يضيف الأستاذ أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"، أن ابن حمادوش وضع تأليفه، وأضاف فيه ما تعلمه من كتاب عبد الرحمن الفاسي• عن البونبة. وخرج بنفسه إلى ضاحية العاصمة، وتعلم الرمي والمقاسات والأحجام، ثم كتب في الموضوع قائلا:" فتممت ما بقي لي (من هذا العلم)...وأخذت علم البونبة بارتفاعها وتعميرها ورميها وعجن بارودها، فأنا من علمائها[2]. ويذكر نفس المؤرخ أيضا عن هذه التجربة التي عاشها ابن حمادوش الجزائري من خلال كتاب "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والمال"، والمسماة أيضا "رحلة ابن حمادوش الجزائري"، والذي قام بتحقيقه والتعليق عليه، قائلا: "المؤلف يتعلم القنبلة (البونبة):

"إلى يوم الاثنين آخر يوم منه، خرجنا لباب الجزير (باب الجزيرة) بالجزائر، رمى العلــج حسن بونبة واحدة صخرا، ارتفاعها 43، وعمر المهراز* بأربعة أرطال بارود، فانشق المهــراز ولم يعد يصب الغــرض. وتعلمت عيانا ما كنت قيــدت عن سيدي عبد الرّحمن الفاسي. ويؤلف في البونبــة: "إلى يــوم السـبت حـادي عشر ربيع الأول الموافق لـ22 مـارس خـرجت لبـاب الـواد مع أسط محمد المبوثبـاجي (البومبـاجي) بمهـراس صـغير لنتعلم رمي البونبـة, فتممت ما بقي لي. والحمد للــه, وأخــذت علم البونبة ...فأنا من علمائها والحمد للــه. وجمعت فيها إلى تأليف سيدي عبد الرحمن الفاسي[3]."

- في منطقة القبائل: إن اهتمام العلماء بمثل هذه الصناعات الإستراتيجية، آنذاك، لدليل على المكانة الهامة التي استحوذت عليها صناعة الذخيرة على مستوى المجتمع الجزائري، لتشكل هيئة مستقلة من

---

[1] **معجم مشاهير المغاربة، نفس المرجع**، ص ص164- 163.

• هو **عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي**، ألف في عدة علوم كالطب والإسطرلاب والفلك، توفي سنة 1096ه/1689م.

[2] ?سعد الله (أبو القاسم)، **نفس المرجع**، ص442.

* أو المهراس, مدفع هاون.

[3] ? ابن حمـادوش (عبد الـرزاق), **رحلة ابن حمـادوش الجزائـري: " لسـان المقـال في النبأ عن النسب والحسب والحال"**, تقـديم وتحقيــق وتعليــق أبو القاسم سـعد اللــه, المكتبة الوطنيـة, الجزائـر, 1983, ص ص253-254.

المهن داخل الجزائر وفي المدن الجزائرية التي وجدت فيها أرضية ملائمة لارتقائها بشكل جيد وخاصة إذا كانت مناطقها تزخر بالمعادن وبصناعات التعدين.

وكان معدن الرصاص يستغل بكثافة في قبيلة بني بوطالب جنوب مدينة سطيف (30 فرسخا من بجاية) وفي منطقة مسيلة ويستعمل لصناعة الذخيرة[1]. ويستخلص الرصاص عن طريق عملية التذويب، ويتم بيعه على شكل سُبَيْكات رصاص أو ذخيرة، و ذلك بناءا على طلب الزبائن. غير أن هذه الصناعة لم تكن منتشرة بشكل واسع، لذا كان سعر الذخيرة جد مرتفعا لا سيما في أوقات الحروب. وكان يقدّر سعر الخرطوشة في بداية الاحتلال الفرنسي بعشرين سنتيما (20)[2].

انتشرت صناعة الأسلحة النارية عبر كامل مناطق الوطن في الفترة الحديثة واقترنت
معها صناعة الذخيرة بكل أنواعه، ومنطقة القبائل، إذ تعتبر من أغنى مناطق الجــزائر في ثروة المعادن، ما يفسر ازدهار مثل هذه الصناعات فيها. ويشهد على ذلك القائد العسكري الفرنسي لابين-Lapène- في كتابه: "ست وعشرون يوما في بجاية"، واصفاً ما شاهده إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر مستعرضاً من خلاله، تاريخ هذه المنطقة منذ الفترة القديمــة إلى الفترة الحديثة. فيصف الذخيرة بأوصاف دقيقة، فيقول أن الخراطيش التي تم صنعها في منطقة القبائل تشبه إلى حد كبير الخراطيش الفرنسية، فالرصاصة نادراً ما تكون من عيار الماسورة ونادرا ما تُصهر داخل
القوالب، وهي تُنْتَجُ غالباً من أصل رصاصة أكبر، ثم تُقْطَعُ أو تُقَصُّ بواسطة السكين، الأمر الذي يجعلها ضعيفة عند الرمي وغير دقيقة وأقل خطورة. وفي الأخير، فإن فعالية الرمي في هذه الحالة لا تكون مضمونة بالنظر إلى المسافة الكبيرة التي يأخذها الرامي بالإضافة إلى علو الشحنة وطول ماسورة البندقية. لذلك فإن الجروح التي يحدثها هذا الرمي، ولو كانت في الظاهر جد خطيرة فهي قليلا ما تكون قاتلة.

أما بــارود الخرطوشة فهو نــاعم وجِــدُّ مُحَبَّبٌ، نــوع يتم تصــنيعه من طــرف قبائل المنطقــة. ويكــون دوي انفجــاره على العمــوم قويا جــدا، و تفسر هذه الحالة من جهة، من خلال الوضعية التي يوجد فيها الــرامي بحيث يكون في حالة ترصد وراء الصـخور أو على ربـوة، فيحـدث عنـدها الصـدى، ومن جهة أخرى تكون بأثر علو الشحنة الــتي تســاوي وزن الرصاصــة، حينها غالبا ما تنفجر مواسير البنادق.

تحمل هذه الذخيرة داخل جعبة الخراطيش موضوعة فوق حزام من مادة الجلد, توجد عليها خانات منفصلة عن بعضها بواسطة حواجز، يضع

---

[1] KADDACHE (Mahfoud), **OP.Cit**., p.168.

[2] LAPENE (Edouard), **Vingt-six mois à Bougie**, Présentation de Camille LACOSTE-DUJARDIN et Nedjma ABDELFETTAH-LALMI, Editions Bouchène, Paris, 2002, P.101.

فيها الرامي القبائلي الخراطيش والقداحة وحجر الصوان وفي بعض الأحيان آيات قرآنية على شكل تمائم.

من الملاحظ مما سبق أن ما أورده القائد العسكري الفرنسي لابين في كتابه، من معلومات حول أوضاع مدينة بجاية ومنطقة القبائل والنوعية السيئة للأسلحة والذخيرة، أرخ له للفترة الأخيرة للعهد العثماني, فترة دب فيها الانحطاط والانحدار في الجزائر، ويستدل الضابط الفرنسي على كلامه ما أظهره الإنسان القبائلي من استياء إزاء هذا السلاح الرديء، الذي كان ما بقي بحوزته عند مقاومته للاحتلال الفرنسي، وذلك بتفضيله الأسلحة الفرنسية التي يرى أنها أحسن جودة وإتقان والتي أصبح يبحث عنها بكل الوسائل والسبل للحصول عليها[1].

ب- البارود: استخدم العرب البارود في القرن 13م في حرب المسلمين بالمغرب، ونرى ذلك صريحاً في كلام ابن خلدون عن قدوم أبي يوسف سلطان مراكش لفتح سجلماسة سنة 762هـ/1273م: " ونصّب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد، ينبعث من خزنة أمام النار الموقدة في البارود. إن العرب كانوا أسبق الناس إلى استخدام البارود، وإذا لم يكونوا اخترعوه، فلا أقل من أنهم أوصلوه إلى ما عرف به إلى الأجيال الوسطى. فقد ذكر كوندي المستشرق الأسباني المتوفى سنة 1820م أن أهل مراكش استخدموا الأسلحة النارية في محاربتهم في سرقوسة –Saragosse–*سنة 1117م[2].

إن اختراع الأسلحة النارية قد يكون مستحيلاً في حالة عدم وجود البارود، هذه المادة المتفجرة التي يعود إنشاؤها كما أسلفنا ذكره إلى الصينيين ثم طوّرها العرب والأوربيون لتصبح في العصر الحديث قوة طاردة، تُستعمل كسلاح يحل محل الأسلحة البيضاء السلاح الأساسي للقرون الوسطى. فلا يمكن الفصل إذن بين صناعة الأسلحة النارية وصناعة البارود. وكما هو الشأن بالنسبة للمدافع، فنحن نجهل بداية صناعة البارود في الجزائر، إلا أن الشيء المؤكد أن التقارير الأسبانية للقدرات الحربية الجزائرية في بدية القرن 16م، تشير إلى العدد الكبير من الجزائريين الذين يستعملون الأسلحة النارية بكفاءة عالية، منهم من نزح من الأندلس. والراجح أن انتشارها كان على يد الأندلسيين النازحين في القرن 5 م. وما يعزز هذا الرأي، ما ذكره شارل فيرو –Charles Féraud- حول تزويد الأمير عبد العزيز سلطان قلعة بني عباس للحامية الأسبانية ببجاية ببارود المكاحل[3].

أما النصوص التاريخية، أقدمها ما أوردها صـاحب الغـزوات الـذي أرّخ لدخول الأتراك للجزائر، حيث يقول: " عندما قرّر خير الدين تحرير البــنيون

---

[1] **Idem**, pp.105-106.

* أو بالأحرى **سرقسطة**، عاصمة مقاطعة أراغون الأسبانية، استردها ألفونصو الأول ملك أراغون ونافار من أيدي العرب في سنة 1118م. (**الموسوعة العربية الميسرة**، انظر " **سرقسطة** ".)

[2] محفوظ (اللواء جمال)، **فن الحرب عند العرب**، بيروت، 1987، ص ص 76- 77.

[3] خلاصي (علي)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 7677-.

من الاحتلال الأسباني، وجد مخـازن البـارود لمدينة الجزائر فارغـة، بسـبب استهلاك كميات كبيرة من مخزونها خلال الحروب السـابقة. فـأعطي الأمر لمُدراء البارود لصنع مقدار منه بسرعة. في حين ولحسـن الحظ، علم خـير الدين أن قراصنة جزيـرة جربة اسـتولوا على سـفينة من جمهورية البندقية محمّلة بالبـارود، فأرسل في تـوّه أحد ضـباطه لشـراء حمولة السـفينة من بـارود وبعض قطع المـدافع الكبـيرة، الـتي هو بحاجة لهـا. لقد هَيِّأت كميـةُ البارود، التي جلبها مندوب خير الـدين إلى الجزائر والكميـات الـتي صُـنعت في المدينة في نفس الفــترة، الظــروف الســانحة لبداية وشن عمليــات الهجوم على حصن البنيون[1].

1- مصانع البارود بدار السلطان:

توجد بمنطقة دار السلطان وحدات صناعية ضخمة، يقوم بالعمل فيها مجموعة كبيرة يرأسها أمين يُعرف بأمين البارودیين ويتقاضون مرتباتهم من الحكومة،[2] كانت تعادل 4 ريالات ونصف على كل 120 رطلاً من الملح لكل عامل. أما الأمين فيتقاضى 6 ريالات ونصف، وكانت صناعة البارود محددة على الشكل التالي: 10 قناطير من الملح تنتج 8 قناطير من البارود[3].

• مصنع بارود الجزائر: لا نعرف عن مصنع بارود الجزائر سوى ما ذكره صاحب التشريفات، على أنه خرجت من هذا المصنع 25 رطلاً من البارود، لتوضع في مصنع بارود القصبة.

• مصنع القصبة: ويسمى أيضاً "دار البارود"، يعود تأسيسه حسب ما وُجد في مكان المصنع من نقش تخليدي باللغة العربية إلى تاريخ السنة 1000هـ/ 1591م[4]. تفيد المعلومات أنه دُمِّرَ مرتين, كانت المرة الأولى في سنة 1025هـ/1616م في عهد الباشا مصطفى وأُعيد بناؤه،[5] وفي المرة الثانية، عام 1039هـ/1629م من طرف الكراغلة الثائرين* في عهد حسين خوجة،[6] ثم أُعيد بناؤه تارة أخرى سنة 1638م في عهد علي باشا واستمر في العمل حتى سنة 1815م وهو تاريخ بناء مصنع جديد بباب الواد[7]. يقع مصنع البارود في الجزء الأوسط من القلعة وهو على شكل مضلع (08 أضلاع)، وقد بُني على أنقاض المصنع القديم وهو بناء واسع إذ يشير روزي-Rozet-

---

[1] SINAN-CHAOUCH, **Fondation de Régence d'Alger, Histoire des frères Barberousse : Aroudj et Khaîr-ed-Din, Expédition de Charles-Quint contre Alger (1541),** Traduction de J.M.Venture de Paradis, d'après l'édition établie en 1837 par Sander Rang et Ferdinand Denis, Collection Histoire dirigée par Kamal Chehrit, Grand- Alger-Livre-Edition, Alger, 2006, pp.144-145.

[2] درياس (لخضر), **نفس المرجع السابق**، ص41.

[3] DEVOULX (Albert), **Tachrifat, OP.Cit,** p.48.

[4] KLEIN (Henri), **OP.Cit,** p. 85.

[5] درياس (لخضر), **نفس المرجع السابق**، ص ص42- 43.

* ثورة الكراغلة اندلعت سنة 1628م ضد الحكم القائم، باءت بالفشل، فقُتل العديد من الكراغلة وحرِّموا من الخدمة العسكرية ومن الرواتب لعدة سنوات، انتقامًا لذلك.

(RESBECQ)A. De Fontaine De(, **Alger et les côtes d'Afrique,** Bibliothèque Instructive et Amusante, Paris, 1832, pp.61-62.**http://www.algérie-ancienne.com.**)

[6] GAID (Mouloud), **OP.Cit,** p. 127.

[7] درياس (لخضر), **نفس المرجع السابق**، ص 43.

"... إن المصنع به عدة قاعات مقببة في غاية من الجمال، تحتوي كلها على ورشات. وقد صُنعت الأدوات الخاصة باستحضار البارود بطريقة رائعة وقد أعجبت خاصة ببناء المطحنة المخصصة لخلط المواد، فهي شبيهة بتلك التي يستعملها في بورغونيا –Bourgogne -[1] عاصمة مقاطعة المارن الفرنسية- Marne- لعصر الزيتون، وهي عبارة عن مِسْحَقٍ عمودي يدور حول محور عمودي أيضاً في وعاء دائري، والمسحق مصنوع من الخشب وقاعدة الإناء مغطاة بصفائح من معدن النحاس[2].

ومن جهة أخرى، فإن ألبير دوفو في كتابه عن تاريخ مدينة الجزائر، يعتبر أن عقود ملكية تعود للقرن 11هـ/نهاية 16م تؤكد وجود مصنع للبارود داخل المدينة (القصبة) محاذي للسور وبالقرب من باب الوادي في الجهة اليمنى عند الخروج. غير أنه تَعَرَّضَ لانفجار عنيف دَمَّرَ المباني المجاورة له. أُعيد بناؤه بعد ذلك، واتُّخِذَ مركزاً للقيادة العامة للبومباجية (المدفعيين). إن البارود الذي كانت الدول الأوربية على شكل إتاوات أو هدايا قد تناقص بسبب الحروب أو لأسباب أخرى. لأجل ذلك، أُقيم مصنع للبارود خارج الأسوار في فترة ليس بإمكان تحديدها إلا أنها أعقبت الانفجار الذي خرب الأحياء المتاخمة لباب الواد. وقع الاختيار على الموقع الموجود وسط بساتين البقول بالقرب من شاطئ البحر على كيلومتر واحد تقريباً من الساحة والقريب من مقام المرابط سيدي يعقوب* الواقع على هضبة صغيرة.

ويضيف أن عقداً بتاريخ سنة 1805م الذي سوف نتعرض إليه فيما بعد، يبيّن أن الداي مصطفى باشا أقام مصنعا جديداً بالقرب من المصنع القديم السالف ذكره وأصبح لا يلبي حاجيات الإيالة من المادة الضرورية[3]. ويشير ديسبريز-Desperez- (ضابط فرنسي) أنه عند دخول القوات الفرنسية للجزائر عُثر على أكياس مملوءة بالتراب وُضعت فوقها حزم من الصوف مضاعفة إضافة إلى بناء السور الخارجي للمصنع بشكل مضاعف، يفصل بينهما فـــراغ لتخفيف الضغط لدى حدوث أي انفجار. وقد كشفت لنا الحفريات التي تمت في هذا المصنع عن وجود مطامير ومجاري لتوصيل المياه إليها، وكذا العثور على مهاريس من الحجارة ومن البرونز[4].

- مصنع باب الواد: أما فيما يخص مصنع باب الواد، فإن دوفو يعرض علينا عقداً ينسب فيه إقامة هذه البناية الجديدة إلى الداي مصطفى ابتداء من سنة 1805م ويكشف لنا العقد أن نشأته ستعود بالفائدة إلى الجميع، ويصف أيضاً المكان الذي سيُبنى فيه المصنع بدقة كبيرة. فالمصنع يحاذي المصنع القديم على الجهة البحرية على الطريق الموصل إلى حي الزغارى ومرسى الذبان وهو خارج باب الواد. ويخبرنا كذلك أن تأسيس هذا

---

[1] خلاصي (علي), **نفس المرجع السابق**، ص 79.

[2] درياس (لخضر), **نفس المرجع السابق**، ص 43.

* كان حي سيدي يعقوب يُطلق عليه اسم فحص الجنائن. (KLEIN (Henri), **OP.Cit,** T.II, p. 78.)

[3] DEVOULX (Albert), **El-Djazaîr, Histoire d'une cité, d'Icosium à Alger, OP.Cit**, p. 277.

[4] درياس (لخضر), **نفس المرجع السابق**، ص ص 43- 44.

المشروع يقوم على توفير الماء الضروري له، الذي لا يوجد بالمكان المعيّن. فكان ينبوع حمام كوسى موسى الواقع داخل القصبة، حلاً لفك مشكلة الماء، وذلك بإتباع الطرق القضائية الشرعية لجلب المياه منه إلى مكان إقامة المصنع. فتمت الإجراءات بنجاح في الأيام الأولى من شهر ذي القعدة من سنة 1219هـ الموافقة لـ01 إلى 10 فيفري 1805م. ولم يتم المشروع نهائياً إلا في سنة 1815م في عهد الداي الحاج علي باشا، كما سجله نقش باللغة العثمانية وُضع آنذاك على مدخل مصنع البارود وفيه ما يلي:

" لتفرح مدينة الجزائر وتدوم سعادتها، الحمد لله، دار البارود أُقيمت حالياً لتدارك الضروريات الملحة في كل الأحوال. كَلَّفَ ذلك مجهودات شاقة ومتواصلة لإنجاز هذا المعلم بكامله. هبة من الله، الحاج على باشا أماسيالي*، قام ببنائه لمحاربة أعداء الدين وفي سبيل الله. جنود العقيدة الإسلامية، اشحنوا أسلحتكم من هذا البارود الراعد وأطلقوا النار على الكفرة، واثأروا لأنفسكم منهم. أليفي (مؤلف هذه الأشعار العثمانية)، يحرضكم علانية على ذلك." أُرِّخ لهذه البناية في عام 1232هـ/1815م، حيث أُكمل صرحه بنفقة أموال الخزينة[1]. ويعتبر هنري كلان أن أشغال البناء قد أوكلت للقنصل السويدي شولتز-Schultz- وأكملها سنة 1815م[2]. وقد بقي هذا المصنع قائماً بدوره في إنتاج البارود وهو مجهز بآلات جد طيبة، و كان على رأس إدارته في سنة 1817م اسكنديناڤي، جاء بطلــب من الداي على نفقته الخاصة. كان المصنع يستعمل ملح البارود مع الكبريت، وتتم العملية عن طريق قَطْعِ ملح البارود من المغارات الطبيعية، حيث يتراكم ويترسّب، وهي منتشرة عبر مناطق الأطلس المتيجي والمنطقة التي يستغلها البايلك، وتقع بأسفل جبل أمال بالقرب من ضيعة بر البارود. وكانت القبائل المجاورة للمنطقة تستفيد هي أيضاً من صناعة البارود رغم المراقبة المضروبة عليها من طرف سلطات البايلك حول صناعة وتجارة الأسلحة والبارود[3]. وفي العهد الاستعماري، أصبحت دار البارود فرع من المستشفى العسكري، ثم حوّلت إلى ثكنة للممرضين: فأُطلق عليها منذ سنة 1830م، اسم ثكنة ملح البارود[4].

2- مصانع البيالك:

لا يوجد مثيل لمصانع مدينة الجزائر في البيالك الجزائرية، وإن كانت موجودة، فلا نستطيع الجزم في ذلك لعدم وجود وثائق لدينا. والمصنع الوحيد الذي يتميز ببعض مواصفات المصانع التي أسلفنا ذكرها، هو مصنع مدينة قسنطينة الذي قال عنه الكاتب بيسونال –Peyssonel – بأنه تابع للباي ومقره دار محمد بن شعير، باي قسنطينة، قرب القصبة. ويعمل فيه

* من **أماسيا**، مدينة بشمال تركيا-**Amasya** – مسقط رأس الحاج علي باشا. (KLEIN (Henri), **OP.Cit,** p.85.)

[1] DEVOULX (Albert), **OP.Cit,** pp.277-279.

[2] KLEIN (Henri), **OP.Cit,** p.77.

[3] SAIDOUNI (Nacereddine), **OP.Cit,** p.219 .

[4] DEVOULX (Albert), **OP.Cit,** p.279

حوالي 20 عاملاً أكثرهم من القبائل المجاورة. وتشير بعض الوثائق أنه تعرض لحريق سنة 1048هـ/1638م وهو لا يسد احتياجات البايلك،[1] الشيء الذي دفع بالبايات لتغطية حاجياتهم إلى الشراء من المصانع الخاصة، أو بالاستيراد من خارج الإيالة أو ما تقدمه لهم دار السلطان[2]. وفي وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات أوردها القبطان هيبوليت- Hippolite– ضابط بهيئة أركان الحرب الفرنسية في مارس 1832م:" أما ما يخص العتاد، فإن الباي أحمد لم يعد يتلقى ما يحتاجه من البارود من الداي بعد الاستيلاء على الجزائر. ولهذا أصبح يصنعه في مدينة قسنطينة من ملح البارود المتوفر بالمغاور القريبة من المدينة[3].

• المصانع الخاصة: هي تلك الورشات ذات الملكية الفردية أو الجماعية، وتتوزع في المداشر والواحات والقصور. وينتظم أصحابها في تعاونيات مهنية تعرف بالباروديين يرأسهم أمين البارود. ويقوم أصحابها بدفع الضرائب للدولة مقابل السماح لهم بممارسة مهنتهم التي في الغالب محظورة. وكانت الحكومة أحياناً تقتطع هذه الضرائب في شكل كميات محدودة من المنتوج نفسه. وأهم هذه المصانع هي مصانع قبيلة ربولة في نواحي القبائل، ومصانع آيت العرابة في بني يني، ومصانع وادي الجرف بالجنوب الجزائري، ومصانع تلمسان في الغرب الجزائري[4]. بالإضافة إلى ما كان موجوداً بمدينة الجزائر في العهد العثماني من مصانع ومستودعات عديدة، عرفت كل مناطق وجهات البلاد انتشار المصانع الخاصة للبارود، فأصبحت تحتل الصدارة في الميدان الصناعي على مستوى البيالك آنذاك. ومما يدعم هذا الرأي ما يعرّفه لنا ابن سحنون الراشدي من أهم المراكز التي تقوم بصناعة البارود إثر كلامه عن استعداد الباي محمد الكبير (1205هـ/1790م) لفتح مدينة وهران حيث يقول: "وبعث إلى ناحية زواوة (منطقة القبائل) من أتاه بالكثير من البارود فحصلت له بجمع ذلك أتم الاستعداد... وجمع لذلك أرباب الصنائع من النجارين والخراطين والحدّادين وصنّاع البارود من كل بلد أمكنه أن يجمع منها كالجزائر وتلمسان ومستغانم وصناع بلده وما في ملكه من النصارى."

يَتَبَيَّنُ لنا من هذا الكلام مدى أهمية بلاد القبائل في صناعة البارود، فعلاوة على ما تستخرجه من مادة الملح الموجود في جبالها، تقوم باستقدامه أيضاً من مدينة الجزائر ومن نواحي قسنطينة. ومن القرى التي تحسن صنع البارود في بلاد القبائل، آيت العرابة التابعة لقبيلة بني يني وبها أحسن المعلمين وهم الصناع المهرة كان لهم فضل تعليم غيرهم من أبناء حرفتهم، بل أن إنتاجها أفضل مما تنتجه مصانع دار السلطان نفسها. ومن قبائل جبال جرجرة، قبيلة ربولة التي ذاع صيتها في منطقة القبائل، نظراً لتوفر مادة الملح التي كان يصدر فائضها إلى بلاد القبائل إذ يشير أحد

---

[1] درياس (لخضر), **نفس المرجع السابق**، ص64.
[2] نفس المرجع ، ص 48.
[3] سعيدوني (ناصر الدين), **نفس المرجع السابق**, ص313.
[4] درياس (لخضر), **نفس المرجع السابق**، ص ص48- 49.

الضباط الفرنسيين أثناء احتلال القرية سنة 1838م، بأنه لا يوجد بيت خال من ورشة لصناعة البارود الحربي، بل تعتبر هذه الحرفة من اختصاصات هذه القبيلة[1].

ويضيف إدوارد لابين أن البارود الحربي يشكل اختصاص قبائل ربولة، وصناعته تقام بشكل واسع وهي معتبرة جداً. والوسائل التي تُصنَعُ بها هـذه المادة شبيـــهة بتلك الـتي يسـتعملها الفرنسـيون. فـالتجفيف يحصل تحت أشعة الشمس، ويتوفر ملح البارود بكثرة داخـل المغارات الطبيعيـة، يُزْهِـرُ على جــدرانها، فيُقتطف بطريقة النفض ثم يتم غســله ويُحصل عليه نقيــاً بواســطة التبخــر. والفحم يُســتخرج من حطب شــجر الإكليــل، الكــبريت يُستورد من خـارج المنطقـة. كـان يبلغ ثمن البـارود من واحد فرنك ونصف إلى فــرنكين اثــنين. الرطل من وزن البــارود يُعطي 50 طلقة بــارود، أي بمعدل 10 غرامات للخرطوشة الواحدة. وكانت صناعة البـارود في القبائل موجهة للاستهلاك الذاتي في أغلب الأحيان[2].

وفي الغرب الجزائري، كان المجال مفتوحاً أمام صناعة البارود إذ كانت المنطقة تزخر بالمواد الطبيعية التي تشكل العناصر الأساسية للبارود. فالمدن كوهران ومستغانم وتلمسان تعد من المدن الهامة في هذه الصناعة، نظراً لوجود مادة الملح في سباخ أرزيو وتلمسان التي تحدث عنها الطبيب شاو قائلاً:" إن كل قنطار من التربة يستخلص منه 06 أرطال من الملح، كما يشير إلى وجود عدد كبير من ورشات تصفية الملح في هذه المدن من بسكرة وبلاد القبائل.

أما في الجنوب، فإن هذه الصناعة تعتبر من أهم الصناعات المربحة، نظراً لتوفر المواد الخام في أماكن كثيرة، الشيء الذي دفع بقبائل المنطقة إلى احترافها وأشهر الأماكن التي توجد بها مادة الملح،[3] بلاد بني ميزاب التي ذكرها شاو في كتابه عن رحلته إلى إيالة الجزائر، أنه شاهد كتلة ضخمة من الملح كان مصدرها بلاد بني ميزاب، ويشير أيضاً إلى وجود ورشات تصفية الملح في بسكرة[4]. وكانت قبيلة بني معصم من منطقة جبال برقة غرب خنقة سيدي ناجي تقوم باستخراج الملح. وكان الأمر كذلك لواحات الزيبان، والتي يُستغل فيها الملح من طرف البوازيد والشرفة وأيضاً على حافة وادي الجرف، أحد فروع وادي الجدي، نجد كميات كبيرة تقوم باستخراجها قبيلة أولاد نايل ولأهمية هذا البارود وشهرته لدى هذه القبائل فقد كان يُعرف بالبارود الجرفي.

يوجد كذلك الملح وبكميّات ضخمة في منطقة سهول الحضنة الواقعة بين شط المسيلة ووادي الجدي وفي منطقة الأوراس كجبال أولاد سلطان وجبل أولاد علي ومنطقة أريـس.

---

[1] **نفس المرجع** ، ص ص 27- 28.

[2] LAPENE (Edouard), **OP.Cit.** p.101.

[3] درياس (لخضر), **نفس المرجع السابق**، ص 29.

[4] SHAW (Docteur Thomas), **OP.Cit**. p.26-27

وعلى العموم فإن قرى الجنوب كانت تمارس بدون استثناء مهنة صناعة البارود إلا أنها لكثرة طلبها لمادة ملح البارود كانت تستقدمه من نواحي أولاد سيدي الشيخ وواحات تيميمون وبلاد السودان عن طريق قبائل الطوارق والشعانبة[1].

وكما أشرنا آنفًا، فإن تجارة البارود تعتبر من التجارات المربحة في الجزائر، بحيث كان الشرق الجزائري يقوم بتصدير البارود إلى السودان. وفي منطقة الزيبان، كانت قبيلة أولاد نايل تقوم باستغلال مناجمه في وادي جَدي، ثم يُحمل إلى ورقلة ومنها إلى تمبوكتو، حيث يباع بأسعار مرتفعة لجودته وقوة مفعوله[2]. أما بسوق تيميمون فكان عشرون رطلا من ملح البارود يباع بريال تونسي وهو ما يعادل 0,8 فرنك وبالتالي يكون سعر الرطل الواحد يساوي 0,04 فرنك. فكانت واحات توات وتيميمون تعطي أرباحًا طائلة عند تعاطيها مثل هذه التجارة[3].

- طريقة صناعة البارود : يتم تحضير ملح البارود والفحم والكبريت ثم تنقيتها من الشوائب ثم تُمزج بمقادير معروفة، وتوضع في المهراس للدَّرس، فتُدَق دقًا جيّدًا وتُغربل ثم يعاد دقّها وغربلتها ثانية. بعد ذلك توضع المواد المدروسة على حِدا، فيُؤخذ من ملح البارود خمس أجزاء ومن الكبريت جزء ومن الفحم جزء، فتُخلط الثلاثة وتُرَد للمهراس للدّق، عندها يضاف إليها الماء، ويُحرك بالعظم ثم يُغربل بعد أن تُضاف إليها حُجَيرات بحجم البيض لتُسقط الحبوب الصغيرة وتبقى الحجارة. وما سقط من الغربال، فإنه يُعاد غربلته ثانيةً في غربال ضيّق، لا تخرج منه سوى الغبرة التي يضاف إليها الماء من جديد، وتُرجع للغربال الأول مع الحجارة. وبعد الانتهاء من هذه العملية، يُجعل البارود فوق قماش من صوف أو بطانة، يُمسكها رجلان كلٌ من جهة، بعد إضافة الحُجَيرات وخلطها عن طريق التحريك ثمّ يُجفف فيبدأ في الاستعمال.

ثم تبدأ عملية اختبار صلاحية البارود بأخذ كمية منه، ووضعه على لوحة، فيُشعل بها النار، فإن كان البارود جيّدا فإن النار ستلتهب بسرعة، والشعلة تكون بيضاء وكذا دخانها. وإن كان غير ذلك، فقد يكون العيب في الملح وفي الكبريت من حيث كثرتهما أو عدم نقائهما من الشوائب، هذا بالنسبة لبارود المدافع. أما بارود المكاحل والطبنجات فإن البارود يوضع على كاغد ويتم إشعاله، فإن لم يحترق الكاغد فهو جيّد وصالح للاستعمال[4].

- مخازن البارود: إن الكميات الضخمة التي تحتاج إليها الإيالة في كل وقت تحسباً لأي طارئ جعلت حكام الجزائر يفكرون في إيجاد مجموعة من المخازن لجمعها والحفاظ عليها وتأمينها والتي كانت منتشرة عبر مدينة الجزائر[5].

---

[1] درياس (لخضر), **نفس المرجع السابق**، ص 2930-.
[2] الزبيري (محمد العربي)، **نفس المرجع السابق**، ص166- 167.
[3] درياس (لخضر), **نفس المرجع السابق**، ص 30.
[4] **نفس المرجع** ، ص ص 39- 40.
[5] نفس المرجع ، ص 49.

- يوجد تحت برج الفنار بميناء الجزائر، سراديب تحت الأرض كانت تُستعمل كمستودعات للبارود ولكنها نُقلت كما يذكر القنصل الأمريكي كاثكارت أثناء مدة أسره إلى القصبة ولم تبقى في هده السراديب سوى كمية صغيرة للاستعمال الآني[1].

- مخزن حصن سيد عكوليت ويُقْصَدُ به برج أربع وعشرين ساعة، الذي بناه علي باشا فيما بين 1568 و1569م (علج علي). استُعمل مستودعاً للبارود، ولكنه نظراً لوقوعه قريباً من الشاطئ ولسبب الرطوبة ولا يصلح لهذا الغرض، نُقلت كميات البارود منه إلى القصبة.

- مخزن مولاي حسن (حصن الإمبراطور)، وضعت عليه حامية تركية ترابط فيه تحرس مستودع البارود[2] والذي بقي في الاستعمال حتى الاحتلال الفرنسية 1830م[3].

- مخزن باب عزون الذي بُني على نفس الشكل المعماري لمخازن ضواحي مدينة الجزائر، فيه بناية مستطيلة ومقببة بحيث تكون منيعة لقصف للقنابل[4].

- مخزن الثغرين وقد كان يوجد قرب نزل الأوراسي (بالجزائر العاصمة حالياً)[5].

- مخزن قصر الداي وهو عبارة عن بناية ضخمة مستديرة ومقببة والتي عمل الداي علي على تغطيتها برزم من الصوف،[6] لصد مفعول القصف المسلط عليها في عام 1830م[7].

- بالإضافة إلى مخازن أخرى كمخزن برج الكيفان ومخزن بوزريعة وغيرها[8].

---

[1] كاثكارت (جيمس)، **نفس المرجع السابق**، ص 70.

[2] **نفس المرجع**، ص ص84- 85.

[3] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص 49.

[4] RESBECQ)A. De Fontaine De(, **OP.Cit,** p.168**.**

[5] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص 50.

[6] KLEIN (Henri), **OP.Cit,** p.88.

[7] **الجزائر**، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مدريد، 1974، ص51.

[8] درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**، ص 50.

القسم الثاني: صناعة السفن الحربية

الفصل الأول: بناء السفن

أ- النشأة

ب- أعمال خير الدين البحرية

ج- دار الصناعة بالجزائر: الترسانة

د- الصناعة البحرية العسكرية في المناطق الأخرى من الجزائر

ر- الإنجازات الصناعية البحرية لبعض الدايات

الفصل الثاني: السفن الحربية

أ- أنواعها:(شباك , غالية , فرقاطة, غليوطة...

ب- مساهمة سيمون دانسر

ج- تعداد الأسطول الجزائري

الفصل الثالث: تموين الصناعة البحرية بالعتاد

الفصل الرابع: استغلال الخشب: الكراستة

الفصل الأول: بناء السفن

أ- النشأة

ب- أعمال خير الدين البحرية

ج- دار الصناعة بالجزائر: الترسانة

د- الصناعة البحرية العسكرية في المناطق الأخرى من الجزائر

ر- الإنجازات الصناعية البحرية لبعض الدايات

بناء الســـــفن

أ- النشـــــأة: تنتمي الجزائر إلى إحـــــدى ممالك البحر الأبيض المتوسـط، تاريخه جـزء من تاريخه وتاريخها صـفحة من تاريخها الحافـل، ونجد ذلك متصلاً ومتواصـلاً منذ أن استلم الجزائريـون راية الملاحة من يد الفينيقيين* إلى العصر الحديث. إلا أن أسطول شـمال إفريقيا بشـكل عـام أصـابه فتـورا بسـبب الانقسـام السياسي الـذي اعـترى المغـرب العـربي والأندلس ثم استرجع قوته وعـادت إليه أهميته أيـام دولة الموحـدين* الـتي تمكنت من إقامة دولة موحدة ضمت جميع شمال إفريقيا وأسبانيا[1].

ورث بنو عبد الــوادي الزيــانيون* بتلمســان قســماً من الأســطول الموحدي، عندما أقاموا دولتهم عام 633هـ/1236م، ولكنهم لم يقوموا بدور مهم يُذكر في ميدان الحروب والتجـارة البحريـة. نظـراً للضـغوط الكثـيرة المسـلطة عليهم من طـرف الحفصـيين بتـونس والمرينـيين والسـعديين بالمغرب الأقصى. وذلك من ضمن العوامل التي أعطت التفوق للأسـاطيل البحرية القشتالية*، ومكنتها من التحرش والاعتداء على معظم موانئ البلاد المغاربية واحتلالها خلال القرنين15 و16 الميلاديَيْن[2].

وحينما شنت الـدول الأوربية حروبها الصـليبية على المشـرق العـربي ولم يسـلم المغـرب العـربي منها أيضـاً، ونتيجة لهـذه الحـروب قـويت الأساطيل الأوربية على حساب الأساطيل العربيـة، واسـتمرت الاعتـداءات الصـليبية على سـواحل المغـرب العـربي تقودها أسـبانيا أدى إلى احتلال المرسى الكبير سنة 910هـ/1505م، وهران وبجاية سنة 916هـ/1510م، حتى شملت تونس وطرابلس سنة 918هـ/1512م[3].

فاختل التوازن بدلاً من التضامن والتعاون والتكاتف وصار الأمر خطيراً جداً وينـذر بكارثة كبرى. لو لا قيض الله ثلاثة من الإخوة أتراكاً وهـدى الله ذوي الـرأي والمشورة في جزائر بني مزغنة، فتوجهوا إليهم في جيجل و اسـتنجدوا بهم ضد الخطر الأسباني عليهم. وذلك عام 1516 م فاسـتجابوا لـدعوة وانجـدوا البلاد والشعب وغيروا صفحة التاريخ رأساً على عقب في هذه البلاد.

---

* **الفينيقيون** هم شعب سامي، استوطن لبنان الحالي(القرن28 ق.م)، انتشروا على الساحل المتوسطي بفضل نفوذهم التجاري، فشيدوا مراكز هامة على شواطئ شمال إفريقيـا. (**المنجد في اللغة**، الطبعة 28، دار المشرق، بيروت، 1986، انظر" الفينيقيون".)

* **الموحدون** هم سلالة بربرية، خلفوا المرابطين على حكم المغرب العربي و الأندلس من 1147م إلى 1269م. (**Petit Larousse en couleurs**, 1980, voir « **Almohades** ».)

[1] الجيلالي (عبد الرحمن)، **تاريخ الجزائر العام،** ص ص485- 486.

* **الزيانيون** أو بنو عبد الوادي حكموا بالجزائر من 1239م إلى1554م قاعدتهم تلمسان. (**الموسوعة العربية الميسرة**، 1965، انظر" بنو زيان".)

* **القشتالية** من مناطق قشتالة الأسبانية أو كاستيا-Castilla -، نشأت فيها إمارة منذ القرن 9م، عاصـمتها برغس.- Burgos - (**المنجد في اللغة**، **نفس المرجع السابق**، انظر" قشتالة ".)

[2] بوعزيز (يحيى)، **الموجز في تاريخ الجزائر،** الجزء 2، الجزائر، 2007، ص162.

[3] الجيلالي (عبد الرحمن)، **نفس المرجع السابق،** ص 486 .

فقد تمركز هــؤلاء الإخــوة في جربة بتــونس منذ ســنة 1502 م، ثم انتقلــوا شــمالا إلى حلق الــوادي، وفي عــام 1513 م افتكــوا جيجل من الجنويين* ونقلوا قـواتهم إليها وحـاولا ثلاثة مـرات تحرير بجاية من الأسـبان المحتلين، فلم ينجحوا. وفي عام 1516 م استقروا بمدينة جزائر بني مزغنة التي ستُعرف فيما بعد بالجزائر. وكان معهم حـوالي14 مـركب بحـري هي نـواة أسـطول جزائر الغـرب المحروسة أو دار الجهـاد كما يسـميها الإخـوة الأتراك[1].

وخلال الفــترة مــابين 920 هــ/ 1514 م – 1246هــ/ 1830م، بلغت البحرية الجزائرية ذروة عظمتهـا، وأصـبح أثرها في الحيـاة الجزائرية جيـداً، سـواء من الناحية الداخلية أو في علاقاتها مع الـدول الأجنبيـة. وهكـذا كـان انبعــاث البحرية الجزائرية على عهد الأتــراك الــتي كــانت عاصــمتها مدينة الجزائر التي استقر فيها الإخوان عروج وخيرالدين واتخذاها عاصـمة للدولة الجزائرية[2].

فأنشئوا مجموعة من المـراكب البحرية بوسـائل مختلفة في البدايـة، وتمركزوا في مدينة الجزائر التي طوروا مينائها وحصَنوه وسلَحوه ودعَمـوه بالبطاريات، والمدافع، واتخذوه قاعدة بحرية هامة لبناء المـراكب الجديـدة وإصلاح المراكب القديمة والمعطوبة وتجهيزها[3]. فكانت مدينة الجزائر مقر الأسطول الجزائري، فأسست فيها المنشآت لصنع السـفن والتعـدين، منها مصـنع بحي بـاب الـوادي لصـنع البـوارج الضـخمة، وآخر كـان بجـوار ثانوية الأمـير عبد القـادر (حاليـا)، وثـالث بباب عـزون وهو مختص بصـنع أشـكال وأصناف من السفن أقل حجماً، ورابـع، كـان بناحية بـاب البحـر(إلى جـانب الجامع الجديد) حيث توجد مخازن الحنايا الموجودة
تحت بطحاء ساحة الشهداء[4].

لقد حالف الأسطول الجزائري في كثير من حروبها البحرية الانتصار على الأعـداء، حـتى في المواقع البحرية البعيـدة المـدى. مما شـجع أكـثر الأخوان عروج وخير الدين في اتخاذ موانئ شرشــال ودلس وبجاية وجيجل وسكيكدة وعنابة وتنس وخلق قواعد جديدة لهذا الأسطول الحـديث، الـذي ســيلعب دوره الرائد والممتــاز في معظم أحــداث حــوض البحر الأبيض المتوسط لمدة ثلاثة قرون متلاحقة، ذلك أن أداة المواجهة في تلك الفــترة هي المراكب البحرية، ومصدر الغزو والعدوان والغارات هو البحــر. وقد نما أسـطول جزائر الغـرب المحروسة وتطـور بمـرور الـزمن عـدةً وعـدداً وتجهـيزاً. وأسست عـدة ورش لبنـاء المـراكب وإصـلاحها في بـاب الـوادي

---

* **الجنويـون** من مدينة جنـوة الإيطالية-Genova- أصـبحت إمبراطورية بحرية في القـرن 13م في البحر الأبيض المتوسط.
(« **Petit Larousse en couleurs**, 1980, voir « **Almohades**».)

[1] بوعزيز (يحيى)، **نفس المرجع السابق،** ص162.
[2] الجيلالي (عبد الرحمن)، **نفس المرجع السابق،** ص ص 486- 487 .
[3] بوعزيز (يحيى)، **نفس المرجع السابق،** ص ص 162- 163.
[4] الجيلالي (عبد الرحمن)، **نفس المرجع السابق،** ص 487 .

وبــاب عــزون[1] بمدينة الجزائــر، وفي مدينة شرشــال توجد ورش مماثلة وكذلك في الموانئ الجزائرية الأخرى.
- الجهاد البحـري : بعد أن أقـام الإخـوة عـروج وخـير الـدين سـلطتهما في الجزائر اهتما كثيرا بتنمية و تطـوير هـذه النـواة من الناحية المادية والناحية البشـرية إلى أن أصـبحت الجزائر تملك أسـطولاً لا يُسـتهان به في حـوض البحر الأبيض المتوسط الغربي في القـرن الأول من الوجـود العثمـاني في الجزائــر، لا كن تطــور الأســاطيل الأوربية النــاجم عن النهضة ثم الثــورة الصناعية قلل من أهمية هذا الأسطول.
بخلاف السفن الكبـيرة الـتي اعتمـدتها البلـدان الأوربية في الـرحلات الــتي كــانت تنظمها بعد الاكتشــافات الجغرافية الكــبرى للأجل اســتعمار القارتين الأمريكية والأسترالية وإقامة المراكز التجارية على سواحل قارتي إفريقيا وآسيا، كانت البحرية الجزائرية، شـئنها شـأن بلـدان المغـرب تعتمد على أســطول له مميزاته الخاصة الــتي حــددتها وضــيفتها المتمثلة في القرصــنة و الــدفاع عن الســواحل. إذا كــانت الوظيفة الأولى قد اســتمر الأسطول يؤديها إلى نهاية العهد العثمـاني في الجزائر فـان الوظيفة الثانية لم يعد قـادر على تأديتها بشـكل نـاجع بسـبب التطـور الهائل الـذي عرفته البحرية الحربية الأوربية[2].
بعد الماضي الإسـلامي الحافـل، كـان على البحرية الجزائرية التـدخل لإنقـاذ ما يمكن إنقـاذه، خاصة مع ضـعف دولة بـني زيـان في القـرن 14م وفترة الركود التي تميزت بتـحول
البحرية من مهامها الجهادية إلى وسيلة تضمن التبادل التجاري بين البلاد الأوربية والمراسي الجزائرية التابعة للزيانيين كهنين والمرسى الكبير ووهران ومستغانم ودلس. ولكن تزايد ضعف النصارى وتركز نشاطهم في مهاجمتهم على أقاليم الأندلس وتوافد أعداد كبيرة من البحارة الأندلسيين، جعل نشاط القطع البحرية الجزائرية يتحول إلى الدفاع عن السواحل وإلى مهاجمة السفن الأوربية الراسية بها، فتعددت الغارات على الشواطئ الأسبانية، خاصة في وقت تغيرت فيه موازين القوى بالمتوسط باشتداد التنافس الدولي الأسباني العثماني من أجل الفوز بالسيادة على الحوض الغربي البحر المتوسط.
صاحب هذا الصراع العالمي ظهور الدولة الجزائرية الحديثة،[3] بحوزتها سلاح البحرية الجزائرية الذراع الواقي للقطر الجزائري وللمنطقة المغاربية ضد العدوان الأوربي المسيحي والذي تطور وأصبح فيما بعد، يجوب المحيط من بريطانيا وأيسلندا إلى جزر الكناري و جزر الأعاصير واسكتلندا الجديدة وقناة سان جورج بأمريكا الشمالية ، باسطاً نفوذه على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط من ناحية وعلى شواطئ أوربا

---

[1] بوعزيز (يحيى)، **نفس المرجع السابق،** ص 163.
[2] عباد (صالح)، **الجزائر خلال الحكم التركي**، ص ص 320-321.
[3] سعيدوني (ناصر الدين)، **ورقات جزائرية**، دار الغرب الإسلامي، الطبعة 1، بيروت، 2000، ص ص189-190.

الغربية من ناحية أخرى حتى قارب أن يصل أعلى المتجمد الشمالي.
وهكذا صار الأسطول الجزائري طوال القرنين 16 و17 الميلاديين مضرب الأمثال بين الدول في القوة والجرأة والإقدام[1].

بلغ هذا النشاط البحري أوجه في منتصف القرن 17م، وأصبح يتحكم في أوضاع البلاد. وكان يقوم عليه النشاط الاقتصادي للسكان، بحيث غدت مغانم الجهاد البحري، وما يتصل بها من أسرى وإتاوات، توفر مصادر الرزق ووسائل العيش لأغلب سكان المدن الساحلية، وبذلك ضعُفت الدوافع الروحية للجهاد البحري واكتسى النشاط البحري الجزائري صبغة سياسية وطابعاً اقتصادياً يعتمد على مبدأ الربح المادي[2].

أصبح بذلك تاريخ مدينة الجزائر واقتصادها مقترنان بنشاط القرصنة، التي لجأ إليها الجزائريون في بداية الأمر على أنها جهاد مقدس، باعتبارها الوسيلة الوحيدة بالنسبة لمسلمي شمال إفريقيا، من أجل ضمان أمن سواحلهم على ضفاف البحر الأبيض المتوسط. حيث كانت تُمارَسُ القرصنة كوظيفة طبيعية من طرف بلدانها، مسلمون ومسيحيون. ومما يدفع
المسلمين إلى ذلك أيضاً، أنهم لا يمتلكون بحرية جارية تكون في خدمة البلاد، لأن المسيحيين حرموهم من ذلك ومنعوهم من تطوير أسطول تجاري أو من إقامة تجارة مباشرة مع أوربا، وكان هدفهم في ذلك إبقاء بلدان المغرب الإسلامي تحت تبعية ووصاية مدينة مرسيليا– Marseille– الفرنسية*.

وبناء عليه، فقد كان إقصاء المسلمين من كل نشاط تجاري بحري يشكل الدافع الأساسي لتطوير القرصنة ونشرها. ومع مرور الوقت، أصبح الجهاد البحري جد مربحاً لأنه كان يتميز بنظام صارم بحيث كان طواقم السفن محكوم عليها بالنجاح أو الهلاك دون ذلك. فشكلت القرصنة، برأي جميع المؤرخين المصدر الرئيسي لمداخيل مدينة الجزائر و الممول الأساسي لخزينة الدولة آنذاك.

ويذكر المؤرخ الفرنسي مونلو-Monlau- على سبيل المثال فترتان من الفترات المزدهرة من تاريخ الجهاد البحري، سنتان كانتا قد طبعهما ربح طائل نتج من نشاط القرصنة لسنتي 1515م و1516م، قدر بمبلغ يفوق مليونين أو ثلاثة ملايين ليبرة. ومن سنة 1630م إلى سنة 1634م جُلبت كغنائم حرب 80 سفينة و1331 أسيراً من فرنسا فقط، تُقدر بخمسة ملايين ليبرة لصالح الجزائر. ومن الملاحظ أن درجة غناء مدينة الجزائر من

---

[1] الجيلالي (عبد الرحمن)، **نفس المرجع السابق،** ص 487 .
[2] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، الجزائر في التاريخ، **نفس المرجع السابق،** ص45.
* **مارسيليا** تقع جنوب فرنسا على ساحل البحر المتوسط. (**Petit Larousse en couleurs**, 1980,voir « **Marseille** ».)

مصدر القرصنة جذب التجار ورجال أعمال أوربيين ومن بينهم بعض اليهـود الليفورنيين* وإقامة جسر بينها وبين بعض المدن الأوربية[1].

بالإضافة إلى ما كانت تُحدثه القرصـنة الجزائرية من آثـار سـلبية على الملاحة الأوربية في البحر الأبيض المتوســـط، قد ســـاعدت الجزائر على الاسـتفادة من تقـديم مختلف تجهـيزات بحرية متنوعـة، فُرضت على دول أوربا في إطار الجزية والضرائب السنوية والدورية[2]. وبتزايد أرباح القرصـنة مادياً ومالياً، بقدر ما كان الرياس والمتعـاملون المتعـاونون معهم يشـيدون وينشرون الثروة أوساط الشعب،[3] الـذي أصـبح طـــرفاً هامـاً في المقابل في عملية الاستثمار في القرصنة. إذ كانت مدينة الجزائر بأكملها، كما يذكر هنري دي غرامون –Henri De Grammont–، أنها تشتغل بالقرصنة، من كبار أصـحاب السـفن والجـار الصـغار إلى الأهـالي، كلهم يشـتركون في شـراء وتجهيز سفينة على نفقاتهم الخاصة، حـتى النسـاء كن تسـاهمن في ذلـك، كما يُعلمنا نـائب القنصل شـيكس-Chaix-، أنها تبعن جـواهرهن للمشـاركة في هذه العمليات المربحة[4].

ازدهرت الصناعة البحرية بتطور القرصـنة ورفاهية التجـارة الداخلية، وانتشرت في أغلب المرافئ الجزائرية بفتح ورشات بنـاء سـفن وتصـليحها ومستودعات قطع الغيار والعتاد الخاص بترميم أو صـناعة السـفن. فكـانت العلاقة وطيدة بين الجهاد البحري وصناعة السفن الحربية بـالجزائر، تفاعل تكاملي كان يطبع هذه العلاقة، فالواحد يخدم الآخر، والاثنان يشكلان الدافع والنتيجة في آن واحد، ولا يمكن الاستغناء الواحد عن الآخر.

ب- أعمال خير الدين البحرية: ارتبطت حياة ومصير الأخــوَيْن عروج وخير الدين بـالمغرب الإسـلامي، اللـذان قـدما من جزيـرة مـتيلين-Mytilène -* البعيـدة لإسـماع دوي أسـلحتهما على مشـارف البحر الأبيض المتوسط. لقد ساهمت هذه العلاقة العائلية لهـاتين الشخصـيتين، في قلب الأوضــاع القائمة رأســاً على عقب داخل أراضي الغــرب الإســلامي، في ظرف اتسم بسـقوط غرناطة وطـرد العـرب المسـلمين من الأنـدلس من طرف الملوك الكاثوليك الأسبان الذين أقرّوا محاكم التفتيش الجـائرة في حق الأندلسـيين[5]. وتخللت مسـيرتهما التاريخية محطـات حملت في طياتها أعمالاً تصب في العديد من الميادين الحيوية، في ذلك إقامة صــناعة بحرية لإنجاز عـدد من السـفن الحربية أو لإصـلاح القطع البحرية للأسـطول الـذي أصبح يتزايد يوماً بعد يوم.

---

* من **ليفورنو** الإيطالية- Livourno- ، ميناء من مقاطعة طوسكانا –Toscane - على المتوسط.
(.« **Petit Larousse en couleurs**, Op.Cit., voir « **Livourne**)

[1] ICHEBOUDENE (Larbi), **Alger, histoire et capitale de destin national,** Casbah Edition, Alger, 1997, pp.68-69.

[2] بوعزيز (يحيى)، **نفس المرجع السابق،** ص 208.

[3] ICHEBOUDENE (Larbi), **Op.Cit**. p.70.

[4] MESSIKH (Mohamed Sadek), **Op.Cit**. pp.60-61.

* **متيلين** أو ليزبوس-Lesbos – جزيرة يونانية على بحر إيجة بالقرب من السواحل التركية.
(.« **Le Petit Larousse Illustré**, 2004, **Op.Cit**., voir « **Lesbos**)

[5] SINAN-CHAOUCH, **Op.Cit.,** pp.5-6.

غادر عروج رفقة إخوته الجزيرة اليونانية في اتجاه المغرب الإسلامي وكان على رأس سفينتين من نوع الغليوطة ليرسو بمرفأ حلق الوادي بتونس سنة 1504م. وبعد موافقة السلطان الحفصي مولاي محمد لمنحه رخصة حرية الحركة والنشاط في مدن وموانئ البلاد استعداداً للقيام بأعمال القرصنة مقابل دفعه الضريبة.

استطاع عروج في خرجته الأولى الاستيلاء على سفينتين بابويتين. يصف هايدو في كتابه عن تاريخ ملوك مدينة الجزائر، الدهشة والإعجاب التي أثارها هذا الإنجاز البطولي في تونس، وفي العالم المسيحي كذلك، مما زاد من شهرة بابا عروج في الانتشار، تحت لقبه الجديد "باربروس". وفي السنة الموالية، استطاع أن يستحوذ على عدة سفن معبأة بالغنائم والأسرى. وعند عودته إلى تونس، أمر عروج بترميم السفينتين البابويتين بالأموال التي جمعها من نشاط القرصنة، وارتأى إجراء تعديلات عليهما، وجعلهما أكثر مرونة وخفة من الغليرات الثقيلة. وفي ظرف خمس سنوات، جاب عروج السواحل الإيطالية وهو على رأس أربع سفن للتحصل على ثماني غليوطات مسلحة أخرى، ووضع سفينتين منها تحت قيادة أخويه خير الدين وإسحاق.

وفي سنة1510م، جعل السلطان الحفصي الجديد على ولاية جزيرة جربة* التي حررها بنفسه من الهيمنة الاسبانية، فاستقر فيها وباشر مهامه الجديدة بالاستمرار في أعمال القرصنة في كل اتجاه على بحار إيطاليا. وابتداء من سنة 1512م، أصبح عروج يمارس أعماله على متن 12 غليوطة، كانت بمجملها قد صُنعت بأجهزة وعتاد السفن المأسورة يومياً، لأن أرض الجزيرة لا تسمح بإنتاج الأشجار الصالحة لأخشاب الصناعة البحرية، فلا يُرى فيها إلا النخيل وأشجار الزيتون.

لما أحس عروج أن حلمه في تأسيس مملكة قد يتحقق، لما بلغه من عز ومجد، صرف أنظاره واهتماماته إلى المغرب الأوسط وما كان يحصل فيه من أحداث سياسية حاسمة. وقد جاءته الفرصة عندما طلب منه ملك مدينة بجاية المخلوع من طرف الأسبان، المساعدة لاسترداد عاصمته. فانطلق عروج تلبية للنداء، للوصول إلى مشارف بجاية في شهر أوت 1512م على رأس 12 سفينة، فاحتدمت المعركة مع الأسبان التي آلت لصالح الأتراك، لو لا أن قذيفة مسيحية ضربت الذراع الأيسر للقائد عروج وانتزعته له بأكمله.

توقفت عملية التحرير على إثر ذلك مؤقتاً، ثم عاد عروج إلى مدينة تونس مع أسطوله لمداواة جرحه هناك. وعند مروره من مدينة طبرقة التونسية*، التقى عروج صدفة بإحدى السفن الجنوية، وهي في عمل التقاط المرجان في المنطقة، فأسرها دون مقاومة. وعندما وصل الخبر

---

* جزيرة تونسية في خليج قابس . (**المنجد في اللغة**، **نفس المرجع السابق**، 1986، انظر" **جربة** ".)

* مدينة ساحلية تونسية تبعد 15 كلم عن الحدود الجزائرية. (**المنجد في اللغة**، **نفس المرجع السابق** ، 1986، انظر" **طبرقة** ".)

أسماع أندريا دوريا-Andréa Doria –*، هرع هذا الأخير ومعه 12 مركباً إلى حلق الوادي،[1] حيث كان خير الدين قد كُلف من طرف أخيه عروج بمراقبة الميناء. فنجح القائد الإيطالي من الاستيلاء على القلعة واسترداد السفينة الجنوية رفقة ستة من مراكب بربا روس.

عقب ذلك، لم يستطع خير الدين مواجهة أخيه عروج خوفاً من معاتبته بسبب الهزيمة، فقرر الذهاب إلى جزيرة جربة على متن سفينته الخاصة. وهناك، ولامتصاص غضب أخيه، أخذ بسرعة فائقة بصنع ثلاث غليوطات بالمواد والحديد و العتاد المتنوع المتوفر في الجزيرة.

وعند هدوء سخط عروج، أمر هذا الأخير أحد رياسه بالالتحاق بخير الدين بالجزيرة لكي يباشر معاً بكل نشاط في صنع السفن هناك. وفي سنة 1513م، وفي الوقت الذي كان فيه خير الدين منهمكاً في أعمال القرصنة ، انضم عروج المتماثل للشفاء إلى أخيه إسحاق الذي استخلفه خير الدين على مسؤولية الجزيرة وقضى بقية السنة المقبلة في استكمال تصنيع المراكب وتجميع البارود والذخيرة. وفي شهر أوت سنة 1514م، أعاد عروج الكرة علة بجاية لتحريرها من الأسبان ولم ينجح الحصار الذي ضربه على المدينة. فرجع على أعقابه بادياً عليه غضباً شديداً للهزيمة التي مني بها للمرة الثانية في نفس المكان، مصمِّماً على عدم العودة إلى مدينة تونس وجزيرة جربة، ليتوجه مع جيشه إلى مدينة جيجل الواقعة إلى شرق بجاية، والتي حررها فيما قبل من الاحتلال الأسباني، للتحصُّن بها والبقاء فيها طيلة موسم الخريف والشتاء[2]. واستطاع عروج بفضل حكمته أن يجعل من مدينة جيجل قاعدة له للانطلاق منها لتحقيق مشروعه العزيز إلى قلبه.

أما أخوه خير الدين، فتوجه إلى تونس بما تبقّى معه من قطع بحرية من أسطوله. ومن ثمة، انشغل برفع عدد سفنه بشراء بعض منها، ثم خرج خير الدين على رأس أسطول كثيف مدعم بسفن سكان مدينة تونس ويرافقه ضابط تركي مرموق مبعوث من القسطنطينية، لمؤازرة القائد خير الدين في أعماله البطولية، ثم تلاه تركي آخر مصطحباً معه 40 سفينة للالتحاق بصفوف الأسطول. وبعد أيام قليلة، استطاع خير الدين أن يأسر 40 سفينة مسيحية ويأمر الضابط التركي الرايس كورد أغلي بالتوجه بالغنائم إلى مدينة تونس، لينتقل هو إلى مدينة جيجل للقاء أخيه عروج. وعندما وصل إلى عين المكان، وجد أخيه قد رحل منذ مدة قصيرة إلى مدينة الجزائر بدعوة من أهلها[3].

---

* قائد بحار من عائلة إيطالية نبيلة من مدينة جنوة ، قاد على التوالي أساطيل الملك الفرنسي فرانسوا الأول ثم شارل الخامس ملك أسبانيا، كان له الفضل في إقامة جمهورية ارستقراطية بمدينة جنوة سنة 1528م.
(. « **Petit Larousse en couleurs**, **Op.Cit**., voir « **Doria**)

[1] HAEDO (Fray Diégo de (, **Histoire des rois d'Alger, Op.Cit**., pp.11-19.

[2] **Idem**, pp.20-23.

[3] SINAN-CHAOUCH, **Op.Cit.,** pp.61-64.

وكانت مدينة الجزائر آنذاك قد تعرضت على اعتداء أسباني في سنة 1510م وتمخض عن احتلالهم للميناء، بتشييد على بُعد 200 خطوة من المدينة، قلعة سُمِّيت بالبنيون* - Pénon-، أصبحت شوكة في قلب الجزائر، تضايق نشاط المدينة بشكل خطير. وقبل أن يصل إلى مدينة الجزائر، توجه عروج إلى مدينة شرشال، حيث كان الرايس قاره حسن قد نصب نفسه سيداً عليها. فحاصرها عروج ، فاستسلم المحاصَرون للنجاة من موت مؤكدة، وأُلقي القبض على قاره حسن وأُعدم في توِّه. ثم أقلع إلى مدينة الجزائر وكان أعيانها وعلى رأسهم سالم التومي في انتظاره، ليحظى باستقبال حار وبالأهازيج والزغاريد من طرف الأهالي.

وبعد وفاة الشيخ سالم التومي، دانت كل المدينة لحكم عروج، الذي جمع حوله أسيادها، وقرَّر تشكيل حكومة مركزية، قادرة على تسيير شؤون المدينة. كما قام بتدعيم تحصينات القصبة وصورها وقلاع الأبواب الرئيسية، ونصَّب على جميع الأسوار مدافع، تُعطي للمكان انطباع القوة والأمن، ما جعل الناس يطمئنون لذلك، ويزرع نفوس المقيمين في البنيون من الأسبان القلق والاضطراب[1].

وعندما استُشهد عروج سنة 1516م، وهو يقاوم الاحتلال الأسباني وبعض فلول دولة بني زيان العملاء، دخلت مدينة الجزائر في دوامة، وكان خير الدين أول من عانى منها خاصة. وأن الأسبان قد استعدوُّا بشن حملة عسكرية على الجزائر بقيادة هوغو دي مونكادا
–Hugo de Moncada –* في يوم 71 أوت 1518م. وبفضل رزانة وحسن تدبيره، استطاع خير الدين أن يبدد حالة الانشقاق والنزاع و إلزام الجميع النظام والطاعة. وقاوم الجزائريون تحت قيادة خير الدين الحملة الأسبانية، التي تكبدت خسائر فادحة، ليظفروا بالنصر في المعركة. وبعد النصر الذي أحرزه على الأسبان، لقي خير الدين كل الدعم والموافقة للعرض الذي قدمه لأهل الجزائر، القاضي بالموالاة للدولة العثمانية الذي قبله السلطان سليم الأول، بمنح ممثل الجزائريين الراية العثمانية، وفرمان ترسيم أوجاق الجزائر وخضوعها للأستانة، كما أنه عيَّن خير الدين حاكماً على المقاطعة الجزائرية.

وخلال سنتي 1518م و1519م، تحقيقاً لهدف بسط نفوذه على كامل التراب الجزائري، عمل خير الدين وبنجاح على إعادة مولاي عبد الله أحد خلفاء السلطان أبو حمو الزياني إلى عرش تلمسان وكذا إخماد ثورة إبن القاضي* الذي عاد ليحكم مدينة الجزائر، بعد مغادرة خير الدين لها لمدة عامين وهو مبحراً على متن أسطوله. ومن مدينة جيجل التي عاد إليها للاستقرار فيها سنة 1521م، أخذ يُعد العدة لاسترجاع مدينة الجزائر . وفي

---

* البنيون كلمة إسبانية تعني الصخرة.

[1] GAID (Mouloud), **Op.Cit**., pp.36-39.

* هوغو دي مونكادا (1476-1528)، قبطان أسباني .
(.« **Petit Larousse en couleurs**, **Op.Cit**., voir « **Moncade**)

* ثورة أحمد ابن القاضي ضد الأتراك اندلعت في نهاية 1519م.

) VAYSSETTES (Eugène (, **Op.Cit**., p.41. (

1525م، تمكن خير الدين من القضاء على أحمد بن القاضي وقتله، ودخل أبواب المدينة دخول المنتصرين. كما أنه أخضع مدينة شرشال وأعدم الخونة الذين تحصنوا فيها. فأصبح بعد انتهاء العملية، حاكم الجزائر دون منازعاً.

لقد كان شعور خير الدين بالقوة والقدرة بفضل الوسائل والدعم الذي منحه إياه حلفاؤه وبتوطيد مواقعه عبر القطر الجزائري،[1] حافزاً للاستعداد للقيام باسترداد قلعة البنيون من يد الأسبان التي كانت بمثابة إهانة لسكان الجزائر. وكان الأمر أشداً بالنسبة لخير الدين الذي كان جد غيور بشرف انتسابه للدين الإسلامي[2].

وفي يوم الجمعة21 ماي 1529م، نجح خير الدين، متمم مشروع أخيه عروج والمؤسس الحقيقي لإيالة الجزائر، في انتزاع قلعة البنيون، باستعمال أسطول يتكون من 45 سفينة. ومن المؤكد أن هذه القطع البحرية كانت كل ما تملكه الجزائر من الأسطول الجزائري.

وبعد الانتصار هذا مباشرة، أقام خير الدين هيكل ميناء الجزائر، ببناء ممر أو رصيف لحماية السفن، ليشكل مخبأ واسعاً لها من الناحية الشمالية. فأعطى نفساً جديداً للقرصنة الجزائرية[3]. فكان يبلغ رصيف خير الدين 200 متراً تقريباً في الطول وعرضه 25 أمتاراً وارتفاعه أربعة أمتار ويربط المدينة بالأساطيل والسفن. وخلال سنتين، عمل في هذا المشروع أكثر من ألفين (2000) من العبيد، واجتمعت الجزر الأربعة لتُشَكِّلَ أرضاً واسعة ممتدة[4] لإقامة ورشات لبناء السفن فيه ودار للصناعة البحرية.

أصبح خير الدين، منذ استرجاعه للبنيون وإقامته ميناء حقيقي متسع وآمن، يحتل مكانة رفيعة لقيادة الجزائر وإحراز النصر تلو الآخر، جعل الدول الأوربية المتوسطية تشعر بالخوف وعدم الأمان إزاءها. وتحولت مدينة الجزائر في عهده إلى حاضرة مزدهرة وثرية لظهور نشاط تجاري واقتصادي كثيف فيها. و في نفس الوقت، كان الخطر الأسباني يُحدق الدولة العثمانية خطر جسيم على كيانها، وقد تجلى في شخص الملك شارل الخامس والبندقيين* الذين أحرزوا انتصارات كبيرة في عدة مواقع على الأتراك العثمانيين في أوربا.

ما دفع بالسلطان العثماني سليمان القانوني* إلى استدعاء خير الدين إلى القسطنطينية لمنه قيادة الأسطول العثماني بلقب قبودان باشا. فخرج خير الدين في صائفة من سنة 1533م من الجزائر، تاركاً على إدارة

---

[1] **Idem**, pp.40-51.

[2] SINAN-CHAOUCH, **Op.Cit.**, p.143.

[3] DEVOULX (Albert): « **La marine de la Régence d'Alger** », In R.A, No 13, Année 1869, pp.384-420 .

[4] شوفالييه (كورين)، **نفس المرجع السابق** ، ص ص 52- 53.

* من مدينة **البندقية** الإيطالية –Venezia - ، تقع شمال إيطاليا على ضفاف بحر الأدرياتيك، دولة بحرية بلغت ذروتها فيما بين القرنين 13 و15م. (**Petit Larousse en couleurs**, **Op.Cit**., voir « **Venise** »). »

* سليمان الأول أو القانوني: (1494م- 1566م)، أحد سلاطين الخلافة العثمانية العظام، حكم من سنة 1520م إلى 1566م. (**الموسوعة العربية الميسرة**، 1965، انظر" **سليمان الأول أو القانوني**".)

شؤونها حسن آغا[1]. وفي فترة مكوثه بالقسطنطينية، كُلف خير الدين من طرف السلطان العثماني بمسؤولية العناية بدور الصناعة وبناء السفن[2]. وكان خير الدين يتردد على الجزائر في زيارات خاطفة، وفي عام 1535، استقر نهائياً في اسطنبول بعد أن نقل إليها عائلته كلها[3].

توصل خير الدين بذلك إلى إثبات قيمته وذكائه وبلورة حماسه، لتكريسهم دون تردد في خدمة السلطان العثماني. ففي سنة 1536م، خصص خير الدين السنة بأكملها في تنظيم الأسطول وإصلاح هياكل السفن، وتجديد المراكب القديمة، باستعماله الخشب الصالح لهياكل السفن المتواجد على سواحل البحر الأسود، إلى جانب تصنيع مجموعة من سفن الغليرات الجديدة، وتجميع كمية كبيرة من العتاد البحري المتنوع. وكان يرأس مختلف الورش الصناعية رياس قد اصطحبهم خير الدين معه من الجزائر لمساعدته. فأبهروا الجميع بأعمالهم، وبالمهارات الصناعية والنشاط المتحمس الذي قدموه، فالفرق كان يبدو واضحاً لتميزهم عن باقي قدماء قباطنة الغليرات[4].

وفي إحدى زياراته لمدينة الجزائر، وجد خير الدين أعيان الدولة في انتظاره وخصه
بحفاوة الاستقبال. ثم باشر أثناء إقامته في الجزائر في صنع ثماني سفن (08) بعجلة لضمها إلى التسع قطع (09) المشكلة لقوات الجزائر البحرية قبل مجيئه إليها، بالإضافة إلى الخمس عشرة سفينة التي تكون مجموعته البحرية ليصل أسطول الجزائر إلى مجموع 32 قطعة بحرية[5]. وعند حلول فصل الربيع الذي كان مواتياً للخرجات البحرية، سلح خير الدين مراكبه، للذهاب في مهمة القرصنة ومقاومة الاعتداءات الأسبانية المستمرة على الأساطيل الإسلامية، التي أصبحت تهدد أمن الناس وحياتهم، وكذا مباشرة مهامه الجديدة على رأس الأسطول العثماني[6].

وفي15 أكتوبر1541م،قام الملك الأسباني شارل الخامس بحملة عظيمة ضد مدينة الجزائر، فألحقت به وبجيشه هزيمة نكراء، أرغمته على الانسحاب مع بقية جنوده على متن ما تبقى لهم من سفن[7]. وكان النصر في هذه المعركة حليف الجزائريين لفضل من الله عليهم، ثم لفضل خير الدين على الناس، لما تركه فيهم من استعداد معنوي ومادي، تجلى في العزيمة والشجاعة التي تحلوا بهما، وهم تحت القيادة الحكيمة لحسن آغا. كما كانت للإمكانيات العسكرية التي وفرها خير الدين في الجزائر دوراً في قهر العدوان الأسباني على أرض الجزائر. "ولم يكن خير الدين قادراً على

---

[1] GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.53

[2] SINAN-CHAOUCH, **Op.Cit.,** p.189.

[3] إيفانوف (نيقولاي)، **الفتح العثماني للأقطار العربية، 1516- 1574**، نقله إلى العربية يوسف عطا الله، دار الفارابي، ANEP، الطبعة الثانية، الجزائر، 2004، ص135.

[4] HAEDO (Fray Diego de(**, Op.Cit**., pp.61-62.

[5] SINAN-CHAOUCH, **Op.Cit.,** p.208

[6] **Idem,** p.232.

[7] الصلابي (علي محمد)، **الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط**، مؤسسة " اقرأ "، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005، ص ص207-208 .

تحقيق ما يريـده لو لا ما قـام به شـعب الجزائر المجاهـد، وما كـان شـعب الجزائر ليصل إلى هدفه لو لا قيـادة حازمـة، مـارس خـير الـدين دوره في تكوينها ووضعها على مستوى الأحداث[1]."

توفي خير الدين في سنة 953هـ/1546م،[2] تاركـاً ابنه حسن باشا على قيـادة أوجـاق الجزائر بعد ما وفقه الله في إكمـال مهمته الـتي سـخره من أجلها وهي إقامة دولة مسـتقرة تقـوم على أسس متينة لا تـزول بـزوال الرجال، وتنبؤ بمستقبل زاهر عظيم.

ج- دار الصناعة بالجزائر، الترسانة: تزودت البحرية الجزائرية في العهد العثماني بأنواع شتى من السفن الكبيرة والصغيرة بهدف القيـام بعدة مهمات، وكـانت القرصـنة تحتل الصـدارة في اهتمامـات الجزائـريين. وقد تنوعت مصادر اسـتجلاب هـذه السـفن، فهي من الغنـائم ومن الهـدايا، ولكنها ليس بالقـدر الكـافي ولا تسد حاجيـات البحرية الجزائريـة. وكـانت الصناعة المحلية في الميدان البحري قد أعيد تنشيطها، لتشـكل منبعـاً آخر لإمداد الأسطول الجزائري بالقطع البحرية الجديدة.

وكـان العـالم آنـذاك، يطبعه العنف والعـدوان، يـدفعهما الأطمـاع التوسـعية وحب الـذات والتعصـب، وما كـان على حكـام الجزائر إلا التوكل على النفس ومحاولة استغلال ما تمتلكه البلاد من إمكانيات. غير أن مسألة الانطلاق في مثل هـذا المشـروع ليست ميسـورة، فكـان لا بد من معالجة أكثر من مشكل، والإشـكال الحقيقي يكمن في: كيف و مـتى وبمـاذا يمكن إتمام صنع السفن ؟

لقد حازت الصناعة البحرية مكانة هامة لـدى المسـئولين الجزائـريين الذين أعدوا أماكن خاصة لذلك، حيث تم صنع عدة سفن فيها، رغم مشـكل التمـوين وظـروف سياسـية واقتصـادية غـير مسـتقرة، دامت طيلة العهد العثماني من البداية إلى النهاية. فقد أقيمت ورشـتان للصـناعة البحرية في مدينة الجزائـر، واحـدة تقع ببـاب الـوادي، تختص بصـناعة القطع البحرية الكبيرة والثانية، بباب عزون موجهة لتصميم سفن أقل أهمية.

واستشهد الأسـتاذ بلحميسي في ذلـك، بما شـاهده قنصل جمهورية البندقية نيقولا روزاليـم - Nicolas Rosalem - أثناء إقامته بمدينة الجزائر من سنة 1753م و1754م. وعندما زار إحدى هـاتين الورشـتين، كَتَبَ قـائلاً، بأنه يوجد شمالاً قطعة أرضـية، تكفي لإيـواء ثمـاني سـفن قوية من الحجم الكبير، تحميها من كل جانب بنايـات عظيمة لمخـازن وحصـون جد مسـلحة من عدة قطع مدفعية من البرونز (مدافع حنشـية- Couleuvrines- ومـدافع الهاون أو المهارس) من أكبر العيارات. ويعلو الأحياء القديمة لباب الـوادي مبنى ضخم، يتمثل في مخازن البحرية المتكونة من أروقة مقوسة ملتصقة ببعضها البعض والمحاذية للبحر على مشـارف بـرج الزوبيـة، حيث كـان في هذا المكان بالذات جزء من الأسرى المسـيحيين يعملـون لمصـلحة الميناء

---

[1] **نفس المرجع**، ص 215.

[2] HAEDO (Fray Diego de(, **Op.Cit**., p.68.

بعد نقلهم إليه. وفي تلك البناية، أُقيمت ورشة الأشرعة وأخرى لإصلاح عتاد صواري السفن والحبال. وكانت تُحوَّل عند الحاجة إلى حوض لصناعة السفن، فتتضاعف بذلك مساحة الترسانة الرئيسية[1].

لقد كانت تلك المساحات الخاصة بصناعة السفن تحتمي بمرفأ الجزائر الذي كان من تشييد اصطناعي، شُكّل أساسه من رصيف(رصيف خير الدين) ألصق بجزيرة مع الأرض اليابسة[2]. "وقد وُجد بالتأكيد منذ القديم، مرفأ طبيعي مكون من مجموعة جزر في عرض الجزائر، ولكن بعد استيلاء خير الدين على البنيون (الحصن الأسباني القائم على الجزر المقابلة لميناء الجزائر) في سنة 1529م، عمد هذا الأخير إلى بناء رصيف لا يزال يحمل اسم باربروس، مكن من حماية الحوض لاستطاعته استقدام عشرات السفن.

ولنذكر كلمة "دارس"-Darse - التي تعني حوضاً بالفرنسية مكتسبة من كلمة "دار الصناعة"، التي تم تأسيسها في القرن 16م والتي توجد بها ورش بناء السفن التي كانت موجودة تحت ساحة الشهداء. والحوض الذي يشكل القسم الداخلي من المرسى، كان يُغْلَقُ بواسطة سلسلة...وهنا نرى اليوم أفلاك الصيادين وقوارب النزهة والسياحة في هدوء وسلام[3]. وكلمة "ترسانة" أو بالفرنسية -Arsenal- التي تعني ورشة بحرية هي تحريف للكلمة العربية "دار الصناعة"، ومنها اشتقت الكلمة الفرنسية – Darse – وهو حوض بحري، كما سلف ذكره، وتُستعمل هذه الكلمة كثيراً في البحر الأبيض المتوسط بالخصوص حسب

بلوك - Bloch-* ووارتبورغ-Wartburg –* [4].)انظر، خ 2، 3، 5)

يصف الأب البندكتي هايدو الترسانة المتواجدة بباب عزون وصفاً دقيقاً، بأنها مكان خُصِّص لصناعة..... السفن، وينفي أن يكون لها منفذاً إلى المدينة، غير أنها مفتوحة على البحر بواسطة فتحتين على شكل قوسين ذواتا حجم كاف لمرور سفينة غليرة غير مسلحة. وكانت إحدى الفتحتين تُسد بواسطة حائط، يُدمر كلما كان يتعلق الأمر بتمرير سفينة من خلاله وتعويمها في البحر. والفتحة الثانية، كانت مُغلقة سوى على جزئها العلوي الذي أُقيم فيها بوابة خشبية مجهزة بقُفالة وقفل، يدخل ويخرج منها عمال الترسانة[5]. ويؤكد فري ملكيور –Fray Melchior – في القرن17 على

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit.,** Tome 1**," Les navires et les hommes",** pp.63-65.

[2] PEYSSONNEL (J.A) et DESFONTAINES, **OP.Cit,** p.449.

[3] **الجزائر**، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، **نفس المرجع السابق**، ص61.

* **مارك بلوك** (1886م-1944م) وهو مؤرخ فرنسي، أسس رفقة لوسيان فيفر –Lucien Febvre – حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، أعدم من طرف ألمانيا النازية. (**Le Petit Larousse Illustré**, 2004, **Op.Cit**.,) voir « **Bloch** ».

* **والتر فون وارتبورغ** (1888م-1971م) وهو عالم لغوي سويسري، ألف قاموس اشتقاق كلمات اللغة الفرنسية ولهجاتها المحلية.

(.« **Idem**, voir « **Wartburg**)

[4] BELHAMISSI (Moulay), **Histoire de la marine algérienne (1516- 1830),** ENAL, Alger, 1983, pp.176-177.

[5] HAEDO (Fray Diego de(**, Topographie et histoire générale d'Alger…….**, **OP.Cit,** pp.31-32.

وجود قوسين باستطاعة خروج من أحدهما سفينة كبيرة، وكانت صناعة الخشب تقام في الهواء الطلق[1].

وفي نفس الفترة، كان الأسير ماسكاريناس يوضح عرض الترسانة بأن هناك وراء باب الأقواس، ساحة تُقدّر بـ100 خطوة تتوغل داخل المدينة دون الاتصال بها بأي باب[2]. ومن خلال مخطط صُمِّم في سنة 1838م، فإن مدخل الترسانة يتمثل في ممر من أربعة أمتار (04) عرضاً على 20 متراً في الطول ، ينفتح على مساحة مقببة غير منتظمة من ألفي متر مربع (2000 م2)، مدعمة بركائز مستطيلة الشكل من ,53 متر على مترين (02)[3].

ويرجع تاريخ بناء ترسانة الميناء، كما تذكر كورين شوفالييه إلى سنة 1573م من طرف عرب باشا*. وكانت تتربع فيها ورشة بحرية أخرى ذات أهمية كافية، لتكون مستهدفة من طرف الجواسيس الأسبان في تعدادهم للقطع المدفعية لمدينة الجزائر، فأعطوا لها منذ سنة 1533م نفس تسمية الترسانة، بقواهم أنه فيما بين المسجد (أي المسجد الكبير) والترسانة، كان يتواجد 21 قطعة مدفعية، ست منها من حديد[4].

وفي كتاب ساندر رانغ وفرديناند دوني عن موضوع تأسيس إيالة الجزائر الذي صدر سنة 1837م، يتضح أن القبتان كانتا تمثلان حوضين مغطيين بحيث تكون السفينتان الجديدتان أو على وشك الإنجاز تحت الحماية. وبإمكان مشاهدة على أيامهما، فوق شاطئ بيسكاد– Pescade- أنقاض الجزء السفلي لأحد الحوضين، بالإضافة إلى القبب التي كانت ما تزال قائمة آنذاك. ويعتبران أن الجزائريين، عندما شعروا أن الحوض القديم أصبح لا يستطيع احتواء السفن ذات الحجم الكبير، فكّروا في إنجاز حوض بحري جديد في عمق الميناء على شاطئ إحدى أكبر الجزر[5].

ويذكر وليام شالر أن ورشات بناء السفن كانت تُزوِّدُ دوماً البحرية الجزائرية من خشب هياكل السفن و الموارد الضرورية للصناعة البحرية والتسليح والتجهيز إلى جانب قلفطة* السفن مهما كان حجمها[6]. وكانت تستعمل في نشاطها الصناعي مادة الخشب المستقدمة من نواحي مدينة بجاية، ومما تحصله من الدول الأوربية[7]. وتجدر الشارة إلى أن استغلال الخشب لصالح الصناعة البحرية كانت تُقام قبل ذلك في منطقة شرشال[8].

---

[1] MISSOUM (Sakina), **OP.Cit**, p.122.

[2] MASCARENHAS (Joao), **OP.Cit**, p.79.

[3] MISSOUM (Sakina), **OP.Cit**, p.122.

* **عرب باشا** هو أعراب أحمد، حكم الجزائر من 1571م- 1574م. (GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.87).

[4] CHEVALLIER (Corinne), **Les trente premières années de l'Etat d'Alger 1510-1541,** Réimpression 1988**,** Alger, OPU, 1988, pp.81-82.

[5] RANG (Sander) et DENIS (Ferdinand), **Fondation de la Régence d'Alger, Histoire des Barberousse,** Tome 2, J. Angé, Editeur, Rue Guénéaud, N° 19, Paris, 1837, pp.372-373.
(**http://www.algérie-ancienne.com**.)

* أي رم وإصلاح هيكل السفينة بمادة الزفت لسد حزوزها.

[6] SHALLER (William), **Op.Cit**, p.50.

[7] DEVOULX (Albert), **Op.Cit**, p.386.

[8] GODARD (M. L'Abbé Léon), **Op.Cit**, p.40.

وفيما يتعلق بطبيعة الصناعة البحرية، فكان مسئولو البحرية الجزائرية في الترسانة يُعطون الأولوية لمسألة السرعة البحرية التي كانت مصدر الخفة الأسطورية لهيكل السفينة وأناقة أشكالها والتجديد المتكرر لعملية التنظيف والإصلاح وطلي للجزء الخارجي للسفينة لإبقائه على الشكل الأملس.

فقد اتجهت بذلك الصناعة البحرية الجزائرية بذلك، نحو تصميم السفن الموجهة لحرب القرصنة والجهاد البحري والدفاع عن السواحل. ولم تكن لصناعة السفن الكبيرة مكاناً بحيث كانت تُعتبر بطيئة ورديئة المناورة في المعارك. فقد كانت مرونة قيادة السفينة بواسطة المجاديف وانعدام مدفعية معيقة على متنها، عنصران يشكلان العمود الفقري لبناء السفن. فكانت الغليوطة وهي غليرة* صغيرة مخففة، باستطاعتها تقديم ذلك، لأنها قادرة على الملاحة بشكل جيد، وباستعمال الشراع عند الحاجة، أصبحت إحدى القطع البحرية المستحدثة الأكثر نجاحاً. وقد أوصل علج علي* هذه التقنية البحرية الجديدة بمناسبة معركة ليبانت سنة 1571م إلى أعلى درجات الإتقان. كما أن التمييز بين السفن الجزائرية والسفن الأوربية أصبح واضحاً، وكان الداي شعبان* قد أبلغ الملك الفرنسي لويس 14* شيئاً من ذلك، عند وقوع حوادث في البحر بين الجزائريين والفرنسيين، لكي يُميِّز بين سفن الإيالة الجزائرية والسفن المغربية لمدينة سلا *، قائلاً بأن بنية السفن الجزائرية معروفة من الجميع، بالإمكان التعرف عليها على نهار كامل[1].

والنتيجة أن الأحواض البحرية كانت تُنجز عدداً كبيراً من السفن المختلفة الأحجام إلى جانب الفرقاطات، وذلك رغم العراقيل التي تعرضت لها على الدوام. يذكر الأستاذ بلحميسي بعض التواريخ التي شيّدت فيها تلك الأحواض القطع البحرية: ففي سنة 1681م، 03 سفن ذات تسليح من 40 قطعة مدفعية، في سنة 1686م، 05 قطع بحرية، وفي نفس السنة يُرمج عدد كبير من السفن الكبيرة والصغيرة والمختلفة التسليح، وفي 04 أكتوبر1687م أربع سفن (04) من 26 إلى 30 مدفعاً كانت في طريق الإنجاز. وفي 06 أكتوبر 1749م، يلاحظ القنصل الفرنسي فاليار-Vallière- في الميناء إنزال سفينة حربية جديدة من 54 مدفعاً إلى البحر، وقد شُرع صناعتها في الورشة منذ حوالي عامين ، ولم تكن جاهزة إلا في الشتاء[2].

---

* سفينة حربية وتجارية كبيرة ذات مجاديف والأشرعة استُعملت منذ العصر القديم إلى القرن 18م. (« **Petit Larousse en couleurs**, 1980, voir « **Galère**».)

* علج علي حكم الجزائر من سنة 1568م إلى 1571م. (GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.85.)

* الداي شعبان حكم الجزائر من سنة 9215م إلى 9515م. (GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.111.)

* لويس 14 العظيم (1638م- 1715م)، ملك فرنسا (1643م- 1715 م).

(« **Microsoft ® Encarta ® 2008. © 1993-2007 Microsoft Corporation** , voir «**Louis XIV le Grand**)

* **سلا** هي مرفأ ومدينة مغربية على المحيط الأطلسي بالقرب من مدينة الرباط، تم تأسيسها في القرن 11م، بلغت ذروتها في الدولة المرينية، نشأت في سنة 1630م "جمهورية بورقراق" . (« **Idem,** voir **Salé**»)

[1] BELHAMISSI (Moulay), Tome 1**," Les navires et les hommes", Op.Cit**., pp.63-64.

[2] **Idem,** p.69.

وفي شهادة أخرى للقنصل الأمريكي كاثكـارت عن مدينة الجزائر في سـنة 1486، أنه يوجد بمينائها حـوض بنـاء للسـفن تـابع لبحرية وهو طويل الشـكل، فيه بارجة وسـفينة حربيـة شـراعية ذات صـاريتين وغليوطة و40 زورقاً حربياً. وكان هذا أكبر عدد رآه كاثكارت في حياته للسفن التي يُجرى بناؤها وإصــلاحها في نفس الــوقت، والحــوض ممتلئ، بحيث لا يوجد فيه مكان لسـفينة واحـدة أخـرى. "وعلى الـرغم من وجـود كميـات كبـيرة من الأجهزة والمعدات في مخازن البحرية، فإن الكميـات ليست من الضـخامة في الدرجة التي يتصـورها البعض، وأكثرها غـير صـالحة للاسـتعمال بسـبب فسـادها نتيجة الرطوبة المنتشـرة في المخـازن، وكـذلك السـرقة باعتبـار القنصل كاثكــارت. وقد أتيحت له الفرصة أنه عــرف أن أشــرعة وأنــابيب وألواحاً لبناء السفن وسلات مملوءة بالمسامير وأعمال الحديد وجرات من الزيت وبراميل من البارود قد سُرقت من المخازن[1].

لقد تفوقت أحواض بنـاء السـفن وورشـات مدينة الجزائر عن مثيلاتها في باقي بلدان المغـرب العـربي، لما كـان يحكمها من نظـام صـارم ملقى على عاتق المعلمين البنائين البحريين-Maîtres charpentiers- والمهندسين مسئولو الترسـانة الـذين يراقبـون قطع الخشب في غابـات منطقة القبائل وجبال مدينة شرشال وضمان نقل القطع الخشبية على الدواب أو العربات ثم حملها على البحر بواسطة طوافات الجذوع. وكان يشكل أغلبية العمـال من الرقيق المسيحيين، وكان الأتراك والأهالي يعملون في قلفطة السـفن وخراطة المجـاديف. وكـان يُحتفل بمناسـبة إطلاق سـفينة في البحر عند إكمالهـا، بـذبح كبشـين أو ثلاثة وإشـراف رايس السـفينة على الاحتفـال باستقبال الهدايا الثمينة من الأقارب[2]. وكان مالك السفينة الجديدة في هـذا اليــوم، يمنح هبــات للمعلمين البنــائين، ومأدُبة غــذاء للعمــال والعبيد المسيحيين الذين سـاعدوا في عملية تعـويم السـفينة. وفي نفس الـوقت، كانت تُطلق من حصن المدينة بعض عيـارات المـدافع في جو ملـؤه البهجة والسرور[3].

" لقد كان المسئولون في الإيالة يبـذلون كل جهد لتنمية الصـناعات المختلفة، إذ يقول حمدان خوجة في كتابه "إتحاف المنصفين..."، أنهم كانوا يدفعون لصناع السفن، عن كل مركب 09 ريالات، وعندما يُـرمى المـركب في البحر، يتقاضـوا 100 ريـال من السـلطات ومثلها من الربـان[4]." وكـانت تسـمية وكيل الحــرج تُطلق على من يتــولى وزارة البحرية وفي الجزائــر، تجـاوزت مهمته لتنحصر اختصاصـاته في كونه محاسـباً للعتـاد الحـربي في الإيالة، ومراقباً لأشغال الترسانة[5]. تطـورت مهـام وكيل الحـرج منذ القـرن 16م، فبعــدما كــان محاســباً مســئولاً على مراقبة مخــازن ومســتودعات

---

[1] كاثكارت (جيمس)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 74- 76.

[2] HEERS (Jacques), **Op.Cit.**, pp.163-164

[3] HAEDO (Fray Diego de(, **OP.Cit**, p.88.

[4] الزبيري (محمد العربي)، **نفس المرجع السابق**، ص 62.

[5] خوجة (حمدان بن عثمان)، **نفس المرجع السابق**، ص 80.

الترسانة، أصبح شيئا فشيء شخصية من الطـراز الأول، بتوسـيع صـلاحياته إلى الصـناعة البحرية والتسـليح والغنـائم وفـرق المجـدفين وكـذا أعمـال الميناء وفض النزاعات بين البارة وأصحاب السـفن . وكـانت جميع القضـايا الـتي تَمُتُّ الصـلة بالتجـارة الخارجية والنقل الـبري يُفصـلُ فيها عند وكيل الحرج. وأضحى يترأس نقابة البحارة التي تدعى " طائفة الرياس"[1]. وكـان وكيل الحـرج إلى جـانب الخزنـاجي والخزنـدار أو أمين الخزينة ومسـئول المصـالح الماليـة، وخوجة الخيـل، مـدير الأملاك العموميـة، والآغـا، قائد الجيش، يشكلون مجلساً أعلى يسـهر على تنفيذ قـرارات الـديوان والـذي يُعتبر هيئة سياسية تحكم البلاد[2].

وممن كانوا يشكلون فئة كثيرة في أوساط عمال الترسانة، الأرقـاء، أولئك الـذين يمثلـون قطاعـاً كبـيراً من السـكان في الجزائـر. "ورغم أن الأغلبية منهم كـانوا أسـبانيين أو إيطـاليين، فـإن هنـاك أيضـاً أرقـاء من كل أنحـاء أوربـا. وأغلبهم كـانوا من الرجـال... فبعضـهم كـان يعمل جـدّافاً في البحر، وبعضهم الآخر عملوا في مقالع الحجارة، وفي مـزارع وشق الطـرق أو عمليات البناء... ، وكانوا حتى نُظّاراً وصُـنّاعاً مهـرة في أحـواض صـناعة السفن. وكان في مدينة الجزائر من هؤلاء الأرقاء حـوالي 25 ألف فـرد في منتصف القــرن17م، جــاؤوا من مختلف قطاعــات الحيــاة من النبيل إلى الفلاح ومن الطبيب إلى السقاء[3].

ويـذكر هايـدو أنه يوجد عـدداً قليلاً من العبيد الـذين يشـغلون مهمة رؤساء العمال في الترسانة. وكانوا يتقاضـون من الباشا أجـرة شـهرية من 06 إلى 10 دوبلات-Doubles-*، ويقبض العمــال البســطاء من البنــائين البحريين وعمال القلفطة ثلاثة أرغفة خبز من آغا الانكشارية. كما يعتبر أنه من النادر أن يغيب في خدمة رياس البحر الجزائـريين رجـال أرقـاء من كل المهن والاختصاصـات المتعلقة بالصـناعة البحريـة، علمـاً أن الجزائـريين يحرصـون
على جلبهم أو شرائهم بأغلى الأثمان[4]. حتى الأتراك العثمانيون في الأستانة يطلبونهم حثيثاً من الجزائر بهدف استعمالهم في الورشات الصناعية، وذلك لما يعرفون فيهم من خبرات وتقنيات.ومن الأدلة الوثائقية على ذلك، وثيقة من القرن 16م، وهي عبارة رسالة موجهة إلى أمير أمراء الجزائر (باشا الجزائر)، يُطلبُ منه إرسال إلى تركيا الذمي (أي الأسير المسيحي) المدعو ماستورو ولبرو وهو معلم (أي محترف) في فن الحدادة لاستخدامه في ترسخانة (أي الترسانة السلطانية)[5].

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit.,** p.157.

[2] GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.93.

[3] وولف (جون)، **نفس المرجع السابق**، ص 171.

* عملة نقدية فرنسية قديمة من عهد لويس 11 –Louis X1 – (1461م-1483م).
(Dictionnaire Encyclopédique d'Histoire, Michel MOURRE, Bordas, Paris, 1978, voir « **Double** ».)

[4] HAEDO (Fray Diego de)**, OP.Cit**, p.87.

[5] وثيقة من دفتر " **مهمة دفتري**"، رقم 12، صحيفة 547، حكم رقم 1048، بتاريخ 27-10-979هـ/ 1571م (الأرشيف الوطني).

وفيما يتعلق بأمن الترسانة، فإنه كان يقوم على حمايتها وضمان حراستها:" عساكر البحرية، وهم يتألفون من عدة أوجاق. وأساسهم مؤلف من صنف صانعي السفن وصنف الحرب (المحاربون في السفن)، وهذان الصنفان يعملان تحت إمرة الفبطان باشا (قائد الأسطول)[1]." وتجدر الإشارة إلى ما ورد في وثيقة من خط همايون بتاريخ 1205هـ/1791م، مفادها وجوب خروج العاملين في الترسانة حالاً لمحاربة الأعداء[2].

وفي أواخر العهد العثماني، وبالضبط منذ نهاية القرن 18م، أخذت الأوضاع تتدهور، فانحطت نوعية النشاط الصناعي وتناقصت كميته، وتعرض الصُّنّاع والحرفيون إلى أزمة أثر كساد مصنوعاتهم، وانخفاض أسعارها. ويرجع أسباب هذه الأوضاع السيئة إلى ثقل الضرائب وازدياد المطالب المالية وانخفاض مردود الصُّنّاع والحرفيين. ذلك أن البايلك كان يحدد مُسْبقاً سعر بعض المصنوعات التي يطلب الصُّناع بتوفيرها، ولا يدفع لهم إلا أجور زهيدة، إذا ما استخدمهم في الورشات والمشاغل التابعة له. فهو لا يدفع للعاملين في الترسانة البحرية سوى 09 ريالات في الأسبوع، أي ما يعادل سنوياً 140 ألف قرش أسباني، رغم غلاء المعيشة وصعوبة العمل في صناعة السفن[3].

أضاعت مدينة الجزائر في القرن 18م ازدهارها بتدهور القرصنة بسبب ما تم من
معاهدات بين الدول العُظمى* وما تعرضت إليه من هجمات بحرية، وما حدث من تناقـص في عدد البحارة البارعين في فن القرصنة، مما أدى إلى ضعف المداخيل وتناقص عدد القطع البحرية التي تشكل الأسطول الجزائري. لو لا أن سماء الجزائر تخللها بعض الانقشاع في شخص الرايس حميدو* الذي جال البحار وصال فيها إلى سنة 1815م، بحيث رفع عدده إلى 30 سفينة مستغلاً فترة الحروب التي دارت رحاها في أوربا بعد الثورة الفرنسية*[4]. ولكن سرعان ما عادت الدوامة الكاسحة، هدفها اجتثاث ما تبقى من إيالة الجزائر من الجذور. وكان مؤتمر فيينا- Vienne-* قد جسد

---

[1] الترك(عزيز سامح)، **نفس المرجع السابق**، ص 132.

[2] وثيقة من دفتر"**خط همايون**"، عدد 55760، علبة رقم 19، بتاريخ1205هـ/1791م (الأرشيف الوطني).

[3] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق،** ص62.

* هي النمسا وروسيا وبريطانيا العظمى وبروسيا وفرنسا. (**Le Petit Larousse Illustré**, 2004, voir « **Vienne** ».)

* **الرايس حميدو** بن علي من مواليد مدينة الجزائر من عائلة جزائرية، عمل على متن سفينة كبحار صغير ليرتقي إلى رتبة ضابط، ثم من رايس إلى قبودان باشا، فاشتهر بانتصاراته البحرية المتعـددة، ليُستشـهد في معركة ضد الأمريكـان سنة 1815م.

(KHELASSI (Ali), **La marine algérienne à travers l'histoire,** Musée Central de l'Armée, 1985, p.35.)

* **بعد الثورة الفرنسية**، ظهر نابليون بونابرت ليصبح 1805م إمبراطور فرنسا، فشن عدة حروب توسعية في أوربا ضد إنجلترا والنمس وروسيا خاصة، فيُهزم أمام الإنجليز والبروسيين في واترلو-Waterloo – (بلجيكا) سنة 1815م.
(**Petit Larousse en couleurs**, 1980, voir « **Napoléon 1er** ».)

[4] جوليان (شارل أندري)، **نفس المرجع السابق،** ص371.

* **مؤتمر فيينا** بالنمسا فيما بين جوان 1814م وجوان 1815م جمع دول أوربا العظمى بعد سقوط الإمبراطور الفرنسي نابليون.

(**Petit Larousse en couleurs**, 1980, voir « **Vienne** ».)

نوايا الدول الأوربية في القضاء على الدولة الجزائرية التي أصبحت خطراً عليهم وعلى مصالحهم في البحر الأبيض المتوسط بزعمهم.

ففي شـــهر أفريل 1816م، أرسل الأمـــيرال اللـــورد إكســـموث-Exmouth– إلى الجزائر على رأس أسطول ضخم بهـدف عسـكري ، ولكنه اكتفى في الأخـير بإمضـاء معاهـدة سـلام مع الـداي عمر باشا*. وقد كلفت الأوربـيين تلك المعاهـدة الثمن الغـالي، ولم تُطـرح فيها مسـألة القرصـنة والأسرى باعتبارهم. الأمر الـذي أثـار اسـتياء أوربا بأكملها واتُهمت انجلـترا بالضـعف والـتراخي، فمُنحت له الأخـيرة فرصة أخـرى بإرسـالها اللـورد إكسموث في مهمة نقض المعاهدة وتكليفه بحملة عسـكرية على الجزائـر. وفي 28 جويلية 1816م، خرج اللورد إكسموث من ميناء بليموث الإنجليزية للاجتمـاع بفرقة بحرية هولندية بقيـادة الأمـيرال بالنيابة فـان دي كـابيلان – Van De Capellen- في أوت بخليج جبل طـارق. ولم يصل الأســطول الإنجلـيزي الهولنـدي مشـارف مدينة الجزائر إلا في يـوم 27 أوت. ثم بعث اللورد قائد الحملة الإنذار بالاستسلام دون شرط أو قيد والرضوخ للمطالب الأوربية. وقد فوجئ بالرفض من طرف الداي،[1] فأعطى اللـورد إكسـموث الأمر بقنبلة المدينة التي حاولت الدفاع نفســها
بواسطة الأسطول الجزائري بكل شجاعة، فتكبد سكان المدينة خسائر كبيرة في الأرواح تحت وابل الطلقات المدفعية الإنجليزية التي خربت البيوت والشوارع. فسارع سكان الجزائر إلى الضغط على أعيان المدينة بمطالبة الداي للتفاوض مع العدو، ولم يرضخ الداي عمر باشا لإرادتهم واستمر في المقاومة دون هوادة وقد أبدى خلالها بسالة وهدوء لا مثيل لهما. غير أن ضباطاً من الجيش توصلوا إلى إقناعه بمبدأ المفاوضة، وقبول الشروط الأوربية المفروضة، التي تم بموجبها التوقيع على معاهدة مع إنجلترا وهولندا[2].

لقد وضع هجوم اللورد إكسموث عام 1816م على الجزائر حداً للانتعاشة المؤقتة للبحرية الجزائرية فأحرق أغلب السفن ودُمِّر جزء من مرسى الجزائر، وقد قُدِّر مجموع الخسائر حسب رواية سلامة إبراهيم بـ 1.015.625جنيه إسترليني[3]. ولم تسلم كذلك الترسانة البحرية والمخازن التي أكلتها النيران وهدّمتها القنابل[4]. وفي مذكرات القنصل الأمريكي شالر قرار بإمضاء اللورد إكسموث يقوم بجرد الخسائر المادية التي تسبب فيها الهجوم البحري، تمثلت في تدمير السفن تدميراً كاملاً، فيما عدى سبع منها، وتم تحطيم جزئياً جميع الجسور العائمة والأرصفة والمسطحات والفنار الذي يهتدي إليه الملاّحون، ودار الصناعة بما يحتوي من الخشب

---

* **الداي عمر باشا** حكم الجزائر من 1815م إلى 1817م.(خوجة (حمدان بن عثمان)، **نفس المرجع السابق،** ص 114.)

[1] CHABAUD-ARNAULT: « **Attaque des batteries algériennes par Lord Exmouth en 1816** », In R.A, No.19, Année 1875, pp.194-197.

[2] GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.177.

[3] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق،** ص62.

[4] CHABAUD-ARNAULT, **Op.Cit.** p.200.

والأجهزة البحرية المختلفة، وكذا حاملات المدافع والبراميل وعتاد السفن من مختلف الأنواع[1].

بعد نكبة سنة 1816م، تمكن الجزائريون من إعادة تكوين الأسـطول، بشراء السفن أو ببنائها أو بالهبـات من السـفن الحربية الـتي قـدمها البـاب العالي وسلطان المغرب الأقصى وباشا طرابلس، وبذلك أستعاد الأسطول الجزائري قوته وفعّاليته، بحيث يستطيع القيام بكل مهمة يُكلَّفُ بها[2]. وكانت الجزائر قد بعثت إلى اسطنبول بتقرير مفصل حول وقائع العـدوان الأوربي صحبة القبطان علي رئيس الميناء، الذي وصلها موفَـداً من أوجـاق الجزائر إلى الأستانة وقدمه إلى السلطان محمود الثاني، يشرح فيه الآثار والنتـائج التي خلّفتها الحرب ضد الإنجليز، فيه ما يلي:" لم تكن الأضرار شـديدة إلى حد الهلاك والدمار، فقد تركت القذائـف المدفعية ثغور في بعض المنـاطق من أبراج القلعة، إلا أنها لم تهـدم تماماً. كما
اخترقت السفائن الموجودة في الميناء تحت تأثير نيران المدفعية، غير أن المخازن والمحلات والمواقع التي تقع خارج الترسانة دون أن تُصاب بشيء[3]."

استطاعت الجزائر بفضل الإعانات الإسلامية أن تُرمم بعض أجزاء مما دمرته الأساطيل الأوربية ومنها دار صناعة السفن في الجزائر التي تلقت كميات مهمة من الخشب وجميع المواد الضرورية لبناء السفن وتجهيزها وتسليحها وأحواض السفن الجزائرية كاملة التجهيز لإصلاح السفن الحربية بجميع أنواعها وأحجامها من البارجة فنازلاً[4].

بالإضافة إلى ما قدمه عمر باشا، داي الجزائر، من تفان وسداد الرأي وحسن التصرف في سبيل إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل سنة 1816م أو إلى الأحسن. فكان يستقدم من أبعد المناطق من الوطن عُمّالاً وعتاداً ومواد بناء. وبقوة المواظبة والنشاط، أصبح يُسيِّرُ أشغال الترميم والإصلاح بنفسه، وما إن أوشكت السنة في الانتهاء، حتى صارت أحوال المدينة أفضل مما كانت عليه من قبل، وبشرائه وتجهيزه لأربع سفن حربية والشروع في بناء مركب سلوب-Sloop-* الحربي، واتخاذه كل الإجراءات الضرورية لرد الاعتبار للجزائر في الميدان البحري[5]. وعند اعتلاء الداي حسين سدة الحكم في مارس 1818م، أخذ في إكمال مشاريع الداي شعبان في الصناعة البحرية خاصة، إلى درجة أن الجزائر عادت

---

[1] شالر (وليام)، **نفس المرجع السابق،** ص303.

[2] **نفس المرجع**، ص 62.

[3] وثيقة من دفتر"**خط همايون**"، عدد.H.22486، علبة رقم 24، بتاريخ 1231هـ/ 1816 م (الأرشيف الوطني).

[4] شالر (وليام)، **نفس المرجع السابق،** ص62.

* مركب شراعي وحيد الصاري. (**Petit Larousse en couleurs**, 1980, voir « **Sloop** ».)

[5] SHALLER (William), **Op.Cit.** p.110-111.

للاستئناف في العمليات البحرية وأصبحت خرجات الأسطول الجزائري اعتيادية وجريئة في آن واحد[1].

لقد أعــرب القنصل شــالر عن رأيه عن جزائر ما بعد العــدوان الهولندي الإنجليزي بقوله:" أن مقـدرة الجزائـريين على تجهـيز الأسـاطيل وتسـليحها للقتــال لا تفوقها مقــدرة أي شــعب آخر في العــالم، والبارجة الجزائرية الكبــيرة تنقل على متنها 500 بحــاراً وضــابطاً، مائة منهم من الأتراك الذين تتكون منهم هيئة الضباط، وهـذه النسـبة على وجه التقـريب، يحتفظ بها في تجهيز السفن الحربية التي هي أصـغر من البارجـة. تلك هي حالة الأسطول الجزائـري الـذي يتمتع بشـهرة عظيمة تـردّد صـداها أغـاني الشعراء، وارتعد من ذكره الأطفال والعجائز والـذي تسـبب في إهانة كثـير من الدول." كما أنه أدرج قائمة سـفن الأسـطول الجزائـري لسـنة 1825م بأسمائها وتسليحها، وقدّرها بـ14 سفينة من شتى الأنـواع والأحجـام. وفيما عدى هذه السفن، توجد في أحواض بناء السفن الجزائرية في طريق البناء ثلاث سكونات-Schooner -*، يُنتظر أن ينتهي العمل فيها وتـنزل إلى البحر في الصيف القادم، و35 زورقاً حربياً من الحجم العادي[2].

إن استقراء بيانات قباطنة السفن الأوربية تكشف لنا مدى فعالية النشاط البحري الجزائري الذي يُذكِّرُ بالقرن 16. فقد أدت قوة البحرية الجزائرية إلى إثارة هيجاناً كبيراً في أوربا لمحاولة إيقاف الجهاد البحري للدول المغاربية[3]. تلك البحرية التي كانت ثمرة تلك التحسينات والإصلاحات التي سمحت لنا بالكشف عن الثمن الذي كلف الجزائريين غالياً للحفاظ على مينائهم وتوسيعه وتأمينه، لعلمهم الراسخ أنه يشكل مصدر قوتهم وثرائهم[4].

د- الصناعة البحرية العسكرية في المناطق الأخرى من الجزائر: لقد شجع نشاط البحرية الجزائرية وتطور عمليات الغزو البحري الدفع بصناعة السفن إلى الأمام وعلى إقامة أحواض لها على مستوى كل مراسي السواحل الجزائرية الممتدة على طول أكثر من 1200 كلم. فكان أغلب المراسي الجزائرية تتوفر على ترسانات مجهزة لصنع السفن والقوارب، وكان أهمها مرسى الجزائر وشرشال وجيجل وعنابة. وكان يتم فيها صنع سفن تتجاوز حمولتها 300 طن، وقد تصل في مرسى الجزائر إلى400 طن وهي من نوع الفرقاطة المجهزة بـ20 إلى 30 مدفعاً[5].

لـذا كـان مرسى الجزائر وترسـانته أهمهم وأكـبرهم شـأناً، و المركز الرئيسي للصناعة البحرية الذي يقوم بتزويد الأسـطول البحـري الجزائـري

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** Tome 2,**"Face à l'Europe"**, p.78.

* مركب صغير ذات صاريين. (**Petit Larousse en couleurs**, 1980, voir « **Schooner** ».)

[2] شالر (وليام)، **نفس المرجع السابق،** ص ص 69- 70 .

[3] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.79.

[4] RANG (Sander) et DENIS (Ferdinand),), **Op.Cit,** p.374.

[5] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق،** ص 65 .

بمختلف المـراكب بنسـبة كبـيرة. غـير أن ذلك لا يقلّل من قيمة المراسي الجزائرية الأخـرى، وما كـانت تصـنع من قطع بحرية على أحواضـها البحرية المجهزة بورشات الحبالة وتصـليح الأشـرعة والعتـاد البحـري والـتي تسـير بشكل عادي طوال السنة. وكان في كل من بجاية ودلس وتنس يُصنع عـدد كبير من السفن من نـوع شـالوب وتارتـان وغليوطة وإبريق وشـباك وقطع بحرية أخرى ذات أقل حمـــولة
مخصصة للصـــيد والنقل ما بين المـــوانئ الجزائرية[1]. لقد لمراسي الغـــرب الجزائـــري دوراً تاريخيـــاً حاســـماً، لا ســـيما في بداية العهد العثمـــاني في الجزائر كهنين والمرسى الكبير ووهران.
كـــانت مدينة هـــنين، كما يـــذكرها أبو الحسن علي محمد بن علي التمغروطي في كتابـه
" النفحة المسـكية " بليـدة قصـيرة، لا كبـيرة ولا صـغيرة، جميلة المنظـر، متوســطة بين الصــغر والكــبر، موضــوعة أســفل جبلين بين بحر وشــجر، بخفضها ارتفاع قلعة ودار صناعة وأسواق موفـورة ومسـاجد معمـورة...[2] لا شك أن هنين المتواجدة إلى غربي مدينة وهران والمرسى الكبـير بتـوفر ها على دار صناعة كانت تختص بصنع السفن. وقد تشكل مركزاً تجاريـاً هامـاً مع أوربا. فلم ير السلطان الزياني بـدأً من تحصـينها ، حينما احتل الأسـبان مدينة وهـــران ســـنة 1509م وطمعـــوا في بسط نفـــوذهم على تلمســـان العاصمة الزيانية وإقليمها، وهنين من ذلك الإقليم.
وقد حـدث ما كـان متوقّعـاً، ففي شـهر أوت من سـنة 1531م، أمر الإمبراطور شارل الخامس القائد الأسباني دون بازان بمهاجمة هنين بقـــوة واحتلالها، ليسهل هكذا عليه بالاستيلاء على إقليم تلمسان غرباً. وأن يُضيِّقَ على الدولة الجزائرية الفتية ويأخذ بخناقها وتستســـلم لإدارتـــه. فـــاحتُلت مدينة هنين وتحصن بها الأسبان رغم المقاومة العنيفة الـتي بـذلها الشـعب الذي لم يكن له قيادة محنكة توجه حركاته ، ولم يكن بها بيده سلاح. فمـات من العدو في هذه الموقعة 700 قتيل أسباني، و مذ ذلك لم يتمكن الأسبان من التوغل داخل البلاد ولم يصله مدد من وهـران، فسـاءت أحـوالهم حـتى اضـطروا إلى الابتعـاد عن المدينة ومرسـاها بعد ثلاثة أعـوام أي في سـنة 1534م. وقد أمعن في تخريبها وتهديم أسسها[3].
أما عن المرسى الكبير وهران، فإن عدداً من النصوص التاريخية التي تعود إلى فترة ما بين القرن 10و14 الميلاديين، تـذكر المرسى الكبـير دون التعرض إلى جـودة الميناء. وقد تحـدث ابن حوقل (نهاية القـرن 10م) عن ميناء وهـران بأنه يشـكل مرفأ شـتوي للسـفن. ويكتب الإدريسي (القـرن 12م) أنه يوجد على مسافة ميلين (02) من مدينة وهران ميناء أكثر أهمية

---

[1] GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.189

[2] بالحميسي (مولاي)، **نفس المرجع السابق**، ص 62.

[3] الطمار (محمد عمرو)، **تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر**،ENAL، الجزائر، 1984، ص ص231-232.

وهو المرسى الكبير الـذي يتسع لأكـبر القطع البحرية والـتي ترسو فيه بكل أمان. وخلال سـنة 1505م، تعـرض المرسى الكبيـر لعـدوان برتغـالي، وقد كـان المـدافعون الجزائريـون على أهبة الاسـتعداد للتصـدي للأسـطول البرتغالي. فسقط وابل من النار على البرتغاليين عند وصـولهم إلى أبـواب الميناء، أجبرهم على التراجع على أعقابهم بخسائر فادحة والمُقَـدَّرَةِ بـألف بين قتيل وأسـير. وكـان بين هـؤلاء الأسـرى صُـنَّاع بحريـون، جعلهم المسئولون في المرسى الكبير يصنعون البريغانتين والفرقاطات، سـمحت لهم بالقيام في السنين القادمة بأعمال قرصنة على السواحل الأندلسية[1].

وفي يوم 13 سبتمبر 1505م وقع الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير،[2] ثم فكر المحلون الأسبان في الاستيلاء على مدينة وهران، فتحقَّقَ لهم ذلك في ماي 1509م[3]. وقد ذكر حسن الوزان عند مـروره من المغـرب الأوسط في كتابه" وصف إفريقيا" نشاط أهل مدينة وهران قبيل الاحتلال الأسباني، أنهم كانوا يجهزون على الدوام، سفناً شراعية وأخرى مسـلحة، يمارسـون بها القرصنة ويجتـاحون سـواحل قطلونيا* وجـزر يابسة ومنورقة وميورقة*[4]. إن احتلال هاتين المدينتين قد حرَّم الجزائريين ولزمن طويل من الاسـتفادة منهمـا، وتقـديم من فائـدة ونفع لصـالح الجزائر ولبحريتها خاصـة، لأنهما يُعتبران من أكبر مراسي القطر الجزائري بعد مرسى الجزائر. غير أن ذلك لم يُثني من عزيمة الجزائريين من استغلال المدن الساحلية الأخـرى، ومما تنتجه الأحواض البحرية ففيها.

وكانت مدينة شرشال أحد هذه المدن، وهي من أهم الحواضر الواقعة إلى غربي مدينة الجزائر على بُعد 60 ميلاً*، حيث كانت تُصنع فيها سفن الفرقاطة والبريغانتين بشكل اعتيادي. وكان تواجد المدينة في منطقة غابية، يُستخرجُ منها خشب الصناعة البحرية[5]. وكانت مدينة شرشال حتى أواخر القرن 15م، كما ذكر حسن الوزان أنها مدينـة مهجورة بسبب الحروب بين ملوك تلمسان الزيانيين وملوك تونس الحفصيين، إلا أن الغرناطيين قصدوها واستقروا فيها بعد سقوط مدينتهم في أيدي النصارى سنة 1492م، فأنشئوا فيها مهنة صناعة المراكب[6].

ويذكر الدكتور شاو أن رواية قديمة تنقل عن شرشـال وعن الزلزال الذي ضـربها وخربها بأكملهـا، وكـان المرسى الـذي كـانت تزخر به

---

[1] ABADIE (Louis), **Oran et Mers-El-Kébir, vestiges du passé espagnol,** Edition Jacques Gandini, Nice, 2002, pp. 105-106.

[2] **Idem**, p.108.

[3] GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.27.

* منطقة شمال شرقي أسبانيا. (**Petit Larousse en couleurs**, 1980, voir « **Catalogne** ».)

* مجموعة جزر الباليار الإسبانية على البحر المتوسط. (**Petit Larousse en couleurs**, 1980, voir « **Baléares** ».)

[4] الطبي (أمين)، **نفس المرجع السابق**، ص 490.

* وحـدة طـول تسـاوي ,351609 مـترا.(**المنهل**، قـاموس فرنسي عـربي، دار الملايين، بـيروت، 1980، انظر"**Mile**".)

[5] HAEDO (Fray Diego de)**, OP.Cit**, p.100.

[6] الطبي (أمين)، **نفس المرجع السابق**، ص 487.

المدينة وهو ذو سعة كبيرة وسهلاً للاستعمال ويوجد به ترسانة كبيرة، قد تهدَّم العديد من بناياته من أثر الهزة[1]. كما أنها كانت مركزاً من أهم مراكز الدولة الجزائرية الحديثة، وقد عرف عروج أهمية موقعها الممتاز. فعمل على تحصينه، وشيّد فيها قلعة قوية، أقيم فيها مصنع لتأمين متطلبات الجيش الإسلامي وإمداده بالأعتدة والمواد التموينية وكذلك مصنع للأخشاب، يعتمد على غابات الونشريس والغابات الكثيفة التي كانت قريبة منها. وكانت شرشال بحكم موقعها الطبيعي إلى غربي مدينة الجزائر وشرقي مدينة وهران تشكل تهديداً مباشراً إذا ما أمكن للأسطول الأسباني احتلالها تمهيداً لعملياتها التالية[2].)انظر، خ 6)

ويؤكد الراهب البنيدكتي هايدو أن العمال الذين يصنعون السفن في مدينة شرشال، يشكلون في الأغلبية أولئك المغاربة القادمين من غرناطة وبلنسية وأراغون، وهم معظمهم مُلاّك، وقباطنة هاته السفن يمتازون بدراية كبيرة بالموانئ وسواحل أسبانيا، مسقط رأسهم. ويشاركهم في ذلك أعداد كبيرة من الأتراك والمرتدين الأوربيين وهم يشغلون مناصب رياس الفرقاطات، كونهم يشتركون منذ البداية مع آخرين وعلى نفقة واحدة لصنع سفينة بريغانتين وتسليحها ثم ركوب البحر على متنها للقيام بأعمال القرصنة على السواحل الأسبانية، حيث كان لا يزال أقرباؤهم وأصدقاؤهم فيها. وكان التكلّم باللغة الأسبانية ميزة تساعدهم كثيراً وتسهل عليهم العملية التي تُكلّل بالنجاح في أغلب الأحيان[3].

وعن مدينة بجاية الواقعة إلى شرقي مدينة الجزائر، يذكر المؤرخ الإدريسي بأن سكانها كانوا أغنياء في القرون الوسطى وهم متمكنون من مختلف الفنون والمهن، فازدهرت التجارة والحياة الاقتصادية في المدينة. وكان السكان البجائيون يصنعون سفناً كبيرة داخل ميناء المدينة، ويساعدهم في ذلك، محاذاة الموقع للجبال والسهول المغطاة بالأشجار الكثيفة التي يُستخرَجُ منها الصمغ والقطران من النوعية الجيدة[4]. ويقول حسن الوزان أن أهل بجاية كانوا " على قدم عظيم من الغنى ، فيسلحون العديد من السفن الحربية المختلفة ويُرسلونها لغزو شواطئ أسبانيا..." [5]

ويصف الطبيب شاو ميناء بجاية بأنه أكبر بكثير من مينائي وهران أو أرزيو، ويتشكل من أرخبيل يتقدم في البحر، وكانت تغطيه في السابق أحجاراً منحوتة على كامل مساحته، وفيها قناة مائية، تجلب المياه العذبة للميناء. غير أن السور والقناة وخزانات المياه خُرِّبت عن آخرها. ويبدو، حسب الطبيب شاو أنه من مجمل ما لاحظه عند زيارته للمدينة في القرن

---

[1] SHAW (Docteur Thomas), **Voyage dans la régence d'Alger au XVIIIe siècle,** traduit de l'anglais par E. Mac Carthy (1830), Liminaire et notes critiques supplémentaires par Abderrahmane Rébahi , Grand Alger Livres Collections, Alger, 2007, p.149.

[2] العسلي (بسام)، **خير الدين بربروس والجهاد في البحر، 1470م-1547م**، دار النفائس، الطبعة الثالثة، بيروت، 1406هـ/1986م، ص123.

[3] HAEDO (Fray Diego de)**, OP.Cit**, pp.100-101.

[4] LAPENE (Edouard), **OP.Cit**, pp.72-73.

[5] الطبي (أمين)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 490-491.

18م، أن بجاية وقعت في حالة ركود وانحطـاط اقتصـادياً، ولم يتطـرق إلى نشاط الميناء من حيث الصناعة البحرية خاصة[1]. ولكنه من المؤكد أن بجاية ومنطقتها كانتا تشـــكلان مركـــزاً لاســـتغلال الخشب لغنائهما بالأشـــجار الصـــالحة لصـــناعة الســـفن. فنُظمت فيها مصـــلحة خاصة بـــذلك ســـمِّيت بالكراستة وأقيم على مينائها مركز للماركاج – Markage – ورصيف خاص بشحن الأخشاب لنقلها إلى الجزائر العاصمة[2].

أما مدينة عنابة، فلم تكن فيها الصناعة والصنائع غائبة، إذ يبـدو أن صـناعة النسـيج كـانت مزدهـرة على الأقل أثنـاء القـرنين 16 و17م، ويؤكد حسن الوزان على وجود هذا النشاط. وتحتوي المدينة على مرسى، تنشط فيه صـناعة وإصـلاح السـفن، وقد ورد ذكر دار الصـناعة منذ القـرنين 10 و 11م، وتواصل هذا النشاط إلى القرن 18م على الأقل، مع تطـور القرصـنة والأسـطول البحـري[3]. وفي مدينة عنابة كـذلك، كـان الأخشـاب تُعتـبر مـادة أولية، بحيث أنها كانت تـدخل في الصـناعة اليدوية البسـيطة وتُـدْرَجُ ضـمن المـــواد المصـــدرة، وهي تُجلب في مجملها إلى عنابة من المنـــاطق الغابية المحيطة بها مثل غابـات إيـدوغ وبـني صـالح والقالة وسـيبوز. وقد امتـازت أخشاب هذه المناطق بجودة أنواعها ومُلاءمتها لأعمال البناء وصنع الســـفن الشراعية، وهذا ما ساعد على صنع الزوارق والسفن الصغيرة بمينـاء عنابة منذ العهد الحفصي[4]. وقد عـرف هـذا النشـاط الـداخلي للمدينة تقلبـات مع وتيرة النمو الاقتصادي، فانحصرت فترات الازدهـار بين منتصف القـرن16م ومنتصف القـرن18م، ثم بـدأ التقهقر والانكمـاش ليصل إلى أدنى مسـتواه في بداية القرن19م[5].

ر- الإنجـازات الصـناعية البحرية لبعض الـدايات: قَـدَّمَ الدبلوماسي الإنجليزي دي كرسي- De Kercy- في سنة 1683م، إشـارات تُبَيِّنُ إلى أي مـدى كـانت الصـناعة المحلية تشـارك في الـدفاع عن البلاد. وأصـبح اهتمـام دايـات الجزائر بالصـناعة البحرية لا يحتـاج دليل ولا ينتـاب إرادتهم في القيام بهـذا النشـاط الصـناعي أي كلل أو ضـعف. وقد أجمعت المصادر التاريخية في هذه النقطة بالذات، ولم تختلف في مسـاهمة حكـام الجزائر الفعالة في تطوير الصناعة البحرية[6]. ومن أشهرهم على الإطلاق:

-علج علي: (1568م-1571م)،[7] اشـتهر علج علي بخصـال سـامية في القيـادة، وهو يباشر مهامه الجديـدة على رأس إيالة الجزائـر، ولوحظ ذلك بخاصـة، عنـدما أظهر براعته الفائقة لإصـلاح ما دمّرته هزيمة ليبـانت سـنة 1571م[8]. وصل علج علي إلى الحكم بموجب إصدار فرمان سلطاني بتـاريخ

---

[1] SHAW (Docteur Thomas), **OP.Cit**, pp.178-179.

[2] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** Tome 1, « **Les navires et les hommes** », p.65.

[3] دحماني (سعيد)، **نفس المرجع السابق**، ص68.

[4] سعيدوني (ناصر الدين)، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، ص 214.

[5] دحماني (سعيد)، **نفس المرجع السابق**، ص68.

[6] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** pp.69-70.

[7] GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.85.

[8] GRAMMONT (H.D. de), **OP.Cit,** p.106

20 محرم سنة 976هـ/1568م ونقله من إمارة طرابلس إلى إمارة الجزائر. ويُعتبر قلج علي باشا من خيرة الأمراء الذين تولوا إمرة الجزائر.

وُلد علج علي في كالابريا-Calabre – (جنوب إيطاليا)... وقد أُسر في إحدى غزوات خير الدين لجنوب إيطاليا، وكان أثناء ذلك لا يزال صبياً، ولدى اقتسام الغنائم، كان من حصة الرايس علي أحمد. وفيما بين سنة931هـ/ 1525م وسنة 935هـ/1529م، ظل يُربى في داره، وقد اعتنى به عناية خاصة. إلا أن زملاءه كانوا يسخرون منه، فلقّبوه بالفرطاس نتيجة لمرض أصابه. وكان منذ طفولته مولعاً بالبحار وحب المغامرات، بعد إسلامه أُطلق عليه اسم أولوج علي*. وخلال فترة وجيزة، ارتقى مناصب رفيعة وعلت مكانته، عمل قبل ذلك في سفينة الرايس على أحمد وعهد إليه رئاسة البحارة. فازدادت حصته من الغنائم، فاشترى بالمال الذي جمعه سفينة وأصبح يعمل لحسابه الشخصي. فأضحى من كبار الأغنياء، وقد استغل ثروته للذهاب إلى شمال إفريقيا حيث عمل لدى حسن باشا، فكان من أصدق وأشجع قباطنته، ثم عُيِّن قلج علي باشا أميراً على مدينة تلمسان وقاد عدة حروب ضد الأسبان. وبعد الانتصار الباهر الذي أحرزه في حرب جربة ضد الأسبان، كافأه السلطان على شجاعته وجرأته، وذلك بتعيينه أمير أمراء طرابلس الغرب إثر استشهاد الرايس طرغوث، وبقي فيها مدة سنتين ثم انتقل إلى إيالة الجزائر[1].

وفي عهده، ظل الأمن مستتبا وعمّ مختلف مناطق الجزائر، كما أظهر الباشا علج علي، خلال قيادته للأسطول، مقدرة قيادية أكسبته شهرة عظيمة، وخاصة في معركة ليبانت، وتجلى ذلك في تجنب الأسطول العثماني من خسارة محققة. كذلك فقد أحضر معه إلى اسطنبول كافة الرياس الذين تربوا على يديه. وكلّفهم بإدارة دار السفن، وعهد إليهم إنشاء سفن جديدة،[2] فاستطاع بفضل معارفهم وتجاربهم والحماس الذي يحرِّكهم، أن يعيدوا تشكيل الأساطيل العثمانية في ظرف سنتين، للوصول بها إلى العدد 240 سفينة، أحسن تصنيعاً وتجهيزاً مما فُقد إلى ذلك الحين. وقد اهتم شخصياً بتطوير تسليح البحارة، بإلغاء استعمال القوس، واستبدالها ببندقية الموسكي، وبتوفيرها للجميع بالكميات الكافية[3].

وهكذا استطاع قلج علي باشا، بفضل الجهود التي بذلها من إعادة الحيوية والنشاط إلى الأسطول بعد تعرضه لنكسة كبيرة، وقد تنبه السفراء الأجانب إلى ذلك، وأدركوا الخطر الذي تمثله الدولة العثمانية من جراء تقوية الأسطول. كما ازدادت شهرته أكثر من ذي قبل، وقد حاول البابا كسب قلج علي باشا إلى جانبه، وعرض عليه إغراءات خيالية كتسليمه حكومة أسبانيا أو صقلية[4].

---

* أو **علج** وهي كلمة أُطلقت على المسيحيين الذين أسلموا، ولُقب أيضاً بالقلج وهو السيف.

[1] ? التر (عزيز سامح)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 223- 225.

[2] **نفس المرجع**، ص 233.

[3] GRAMMONT (H.D. de), **OP.Cit,** p.106.

[4] التر (عزيز سامح)، **نفس المرجع السابق**، ص 223.

وفي 15 من رجب سنة 995هـ/27 جوان 1587م، توفي فجأة قلج علي باشا في منزله وذلك بعد عودته من أداء الصلاة في الجامع الذي بناه بنفسه. ولم يكن قلج علي باشا قد تجاوز 80 من عمره، وبوفاته انتهى فصل من ألمع وأدق الفصول في تاريخ الجزائر[1].

- حسن شاوش: (1698م-1700م)[2]، ذكر القنصل الفرنسي دوران-Durand- قائلاً أن الداي حسن شاوش المدعو بابا حسن كان رجل تغيير، بحيث دفع بالبحرية الجزائرية إلى أبعد ما تسمح به الإمكانيات التي وجُدت في حوزتها، من أجل إعادة القرصنة إلى عنفوانها السابق في الجزائر.

- محمد بن عثمان باشا: (1766م-1791م)، ذكر الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر في مذكراته، على أن محمد باشا المجاهد هو أول من صنع اللنجور (وهو نوع من السفن الخفيفة، تحمل المدافع وتتجه بسرعة لملاقاة العدو على بُعد)، وقاتل به الصبانيول (الأسبان). تولى رئاسة أوجاق الجزائر يوم03 فبفري 1766م، وأصله من قرمان التركية المواجهة لجزيرة رودس اليونانية[3]. يُعتبر الداي محمد بن عثمان باشا من أفضل الدايات الذين تولوا إدارة الجزائر، استمر حكمه فترة طويلة، وقد تمتع بلقب باشا مثل بقية الديات الذين سبقوه. ومما اشتهر به أيضاً، أنه كان من أكثر المشدِّدين على الإنكشارية، وفي المقابل، كان يعامل الجزائريين معاملة حسنة وعادلة، هذا من الناحية الاجتماعية.

أما من الناحية المالية، فقد رفع قيمة الضرائب على بعض السفن الأوربية وأكد على إتباع العادة التي تقضي بتقديم الهدايا من قِبَل القنصل للداي المنتخب. كما فرض على الدول التي تخرج عن ذلك، زيادة ما هو مفروض عليها، عقوبة لها. وتتمثل هذه الزيادة في كميات البارود والذخيرة والعتاد الذي يدخل في الصناعة البحرية. وحصل ذلك مثلاً، مع دولة الدانمرك التي رفضت هذا الحكم، والتي قامت في سنة 1770م بالاعتداء على مدينة الجزائر بأسطولها البحري تحت قيادة الأميرال كاس-Kaas-. ولم يأتي بذلك أية نتيجة، فأُجبرت على التفاوض مع الجزائر. وفي سنة 1186هـ/ 1772م، أرسل الدانمركيون الأميرال هوسلاند-Hosland- إلى الجزائر بعد الهجوم البحري الدانمركي الفاشل على الجزائر، فعامله الجزائريون معاملة قاسية جداً، ولم يكتفوا بالاقتناع عن دفع الأموال التي سلبوها من السفن الدانمركية، بل طلبوا منه دفع 50 ألف سغين-Sequin- * بالإضافة إلى أسلحة وذخيرة وعتاد بحري[4].

وعقب الانتصار الذي أحرزه الجزائريون على أسبانيا في معركة الحراش سنة 1775م، وقعت سفينة فرنسية بأيدي الأسطول الأسباني،

---

[1] **نفس المرجع**، ص 267.

[2] GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.150.

[3] الزهار (الحاج أحمد الشريف)، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر** 1754-1830، تقديم أحمد توفيق المدني، ش- و- ن- ت، الطبعة الثانية، الجزائر، 1980، ص24.

* عملة ذهبية من البندقية كانت متداولة قديماً في إيطاليا ثُم في المناطق الشرقية للبحر الأبيض المتوسط. **((Microsoft ® Encarta ® 2008. © 1993-2007 Microsoft Corporation. Dicos Encarta,** voir « **Sequin** **».**

[4] التر (عزيز سامح)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 523- 526.

واحتُجـزت بما فيها من هبـات وهـدايا من السـلطان عبد الحميد الأول* إلى الداي محمد بن عثمان باشا الذي استدعى لتوّه القنصل الفرنسي، وطُلب منه إعادة الهدايا المرسلة إليه من قِبَـلِ السـلطان كاملة اسـتناداً لنصـوص المعاهـدة المبرمة بينهم. وبعد تـردُّد أسـبانيا اعتقـاداً منها أن ذلك سـيكون ضغطاً إضافياً سيُسهل على إبرام اتفاق مع الجزائريين، وسيُعجل به، أعـاد الأسبان الأشياء التي صادروها[1].

وأثنـاء الاعتـداء الأسـباني على مدينة الجزائر سـنة 1197هـ/1783م، يـذكر الحـاج أحمد الشـريف الزهـار أن الأسـبان اسـتعملوا لقـذف المدينة بالبونبة زوارق اللنجـور، تهـدّمت الـديار وجـامع السـيدة على إثـره[2]. وكـان محمد بن عثمان باشا في بداية الهجـوم، قد بعث إلى سـلامي الحـاج محمد القبطـان قائد الأسـطول الجزائـري المشـهور بقوته وشـجاعته وحسن تدبيره،[3] يسـأله عما يجب فعله لصد زوارق اللنجـور الأسـبانية الـتي أوقعت في البلاد هدماً كبيراً، فاقترح عليه أن يُسلّح زوارق كبيرة كـانت فيها الجـير المعد للبناء لمقاتلتها. وأذن له الباشا بذلك، فكان للجزائريين النصر، فـولى العدو الأدبار وذهب في اليوم الرابع.

وأثناء المعركة تكسر للأسـبان لنجـور من الـذين كـانوا يقـاتلون بـه، فوجده المسلمون في عين الربط (ساحة أول ماي حالياً) في رملة هنـاك، فعاينه معلّم السـفائن، فـاتفق القبطـان مع االباشا على أن يجعلـوا من الصنف نحو 500 لنجور، فأمروا كبـير الترسـانة وهو وكيل الحـرج أن يباشر صنع ذلك، فصنع العـدد الـذي أوصى به الباشا وأوجـدوه قبل تمـام السـنة[4]. وتم ذلك بفضل تطـوع النـاس للعمل في الورشة البحرية أفواجـاً وجماعات،[5] وتبرّع الداي وسائر رجال الدولة والأغنيـاء بثمن تلك المـراكب، ولم يخرج أي شيء من الخزينة في ذلك السبيل[6]. وفي الحرب الأخـيرة مع الأسبان سنة 1784م، كان الجزائريون في اسـتعداد لصد الحملة*، فعمـرت سفن اللنجـور ووُضـعت العسة في جميع الأبـراج. وفي اليـوم الرابـع، بعث الأسبان اللنجـور للقتـال، وخـرج إليه المسـلمون وتلقَّوْهُ بـاللنجور كـذلك[7]. ففـوجئ الأسـبان بوجودها لـدى الجزائـريين، بعد أن كـانت حكـراً عليهم، أضرّوا بها المدينة كثيراً في الحملة السابقة[8]. تواصلت المعركة هكـذا، إلى

---

* **السلطان عبد الحميد الأول**، خليفة عثماني تولى الحكم سنة 1187هـ/ 1773م بعد وفاة أخيه مصطفى الثالث، وتوفي سنة 1203هـ/1788م. (الصلابي (علي محمد)،)، **نفس المرجع السابق**، ص 294.

[1] **نفس المرجع**، ص 533.

[2] الزهار (الحاج أحمد الشريف)، **نفس المرجع السابق**، ص 31.

[3] التر (عزيز سامح)، **نفس المرجع السابق**، ص 544.

[4] الزهار (الحاج أحمد الشريف)، **نفس المرجع السابق**، ص 32.

[5] بوعزيز (يحيى)، **نفس المرجع السابق**، ص 75.

[6] المدني (محمد توفيق)، **نفس المرجع السابق**، ص180.

* تتألف الحملة الأسبانية من 300 سفينة، بقيادة الدون بارثلو. (الزهار (الحاج أحمد الشريف)، **نفس المرجع السابق**، ص 33.)

[7] **نفس المرجع**، ص33.

[8] بوعزيز (يحيى)، **نفس المرجع السابق**، ص 75.

أن انسحب العدو عائـداً إلى بلاده، فوُقِّع الصـلح بين الجزائـريين والأسـبان سنة 1785م[1].

ويضـيف الزهـار عن مـآثر محمد بن عثمـان باشا أنه من طاعته لله وامتثالاً أوامره، كان يحب الجهـاد، وكـان دائم الاسـتعداد للحـرب ومغرمـاً أيضاً بتجهـيز المـراكب للغـزوات... ومن جملة اسـتعداد الباشا أنه أنشأ 68 مركباً للغزو، وقد سمع الزهـار بعض من أدركه من رؤسـاء البحر العـارفين يقـول:" أن محمد باشا أنشأ فرقاطة كبـيرة وبريكنـتي كبـير (سـفن خفر السواحل في الأصل ، إنما اسـتعملت في الغـزوات لخفة حركتها وسـهولة إدارتها) عليه 24 مدفعاً[2].

- الـداي حسن باشـا: (1791م-1798م)، أراد حسن باشا بعد اعتلائه سدة الحكم مباشرة بعد الداي عثمان باشا العظيم في سنة 1791م اغتنـام الفرصة للاسـتفادة من التقـدم التكنولوجيا الأوربي من أجل تطـوير الأسـطول الجزائـري، ورفع قوته النارية وقدرته الهجوميـة. فطلب حسن باشا من حكومة باريس، مقابل الخدمات الجليلة التي قدمها لصالح فرنسا، إرسـال مهنـدس في بنـاء السـفن إلى الجزائـر، خاصة وأنه شـرع في شن حـرب ضد بريطانيا العظمى. غـير أن فرنسا الـتي كـانت تخشى تنـامي القوات البحرية الجزائرية جنـوب البحر الأبيض المتوسـط، وتولد لـديها عن ذلك الـتردد والجـدال، انتهى بها الأمر إلى إيجـاد حل وسـط، بإرسـال المهنـدس جـوفروا-Geoffroy- وتلقينه تعليمـات بالتبـاطؤ في العمليـات الصناعية والشـروع في الكثـير منها وإتمـام قليلهـا، المهم في ذلك هو غلق المنافذ أمام الإنجليز دون الوصول إلى الموانئ الجزائرية[3].

- الداي مصطفى باشا: (1798م-1805م)، بعد وفاة الـداي بابا حسن سـنة 1798م، خلفه مصـطفى باشا على رأس إيالة الجزائر[4]. وقد اهتم هو أيضاً بـإجراءات الـدفاع عن المدينة بتشـييد الحصـون وبصـناعة فرقـاطتين كبيرتين و200 زورق لنجور وسفينتين من نوع بلاندرا-Blandrat-[5] واحدة بعد الواحدة بعدما وقع الصلح مع الإنجلـيز وردّهم الله خـائبين ورزق الله النصر لمصطفى باشـا، كما يـذكر الزهـار في مذكراته[6]. ويقـول القنصل الفرنسي ديبوا تانفيل --Thainville Dubois- قبل رحيله من الجزائر أنه ترك فرقاطة من 34 مـدفع في طريق الانجـاز في حـوض الصـناعة وهي على وشك تعويمها[7].

- الداي الحاج علي باشا: (1809م-1815م)، أعاد الـداي الحـاج علي باشا في بداية عهدته في 15 المحـرم من سـنة 1224هـ/1809م للجزائر

---

[1] الزهار (الحاج أحمد الشريف)، **نفس المرجع السابق**، ص 34.

[2] **نفس المرجع**، ص 25.

[3] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** pp.7071- .

[4] GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.167.

[5] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p. 71 .

[6] الزهار (الحاج أحمد الشريف)، **نفس المرجع السابق**، ص 80.

[7] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p. 71 .

الاستقرار والأمن عن طريق القوة والعنف[1]. ويذكره الحاج أحمد الشريف الزهار أنه "اجتهد في تنشئة المراكب الجهادية. وقد أنشأ أولاً سفينة بلاندرا، وأنشأ كربيطاً- Corvette- يُعرف بالسكران، وأنشأ غليوطة، وأتاه كربيطاً هديةً من اسطنبول. وهذا ما أنشأ في مدته خلاف ما كان موجوداً من المراكب قبل ولايته، ما أخذ من الغنائم. ثم بعث إلى القبطان حميدو يستقدمه من الشام، فقدم وأركبه الفرقاطة الجديدة، فبطاناً كما كان. وكان مغرماً بالجهاد والغزو، ومحباً للغزاة والرؤساء وخصوصاً القبطان حميدو رحمه الله وحشرنا معه، لأنه كان ذات صيت في البحر كبير"[2]. وينقل نائب قائد البحرية الفرنسية بمدينة طولون الفرنسية، أنه تم تعيين السيد غازيل-Gazel-وهو صانع بحري مارسيلي، من طرف وزارة الشئون الخارجية الفرنسية في جويلية 1814م أي خلال فترة حكم الداي الحاج علي باشا، وذلك للقيام بإدارة أعمال ترسانة الجزائر. وعند وفاته، طلب الداي باستبداله. وقد عبَّرَ الابن غازيل، صانع بحري في مرسيليا هو الآخر، وكان قد عمل مع أبيه في الجزائر عن استعداده لاستخلاف والده في هذا المنصب[3].

- الداي عمر باشا: (1815م-1817م)، اعتلى عمر باشا سدة الحكم في الجزائر، وهو من أصل يوناني ، في ربيع الثاني من سنة 1230هـ/ 1815م. وقد أبدى براعة وشجاعة فائقة في تلك اللحظات العصيبة، عندما نجح في فرض عفو شامل وإغداق سخائه على الجميع واستتباب النظام والأمن على الساحة السياسية الداخلية للجزائر[4].

إلى جانب ذلك، استطاع أن يكون رجل إصلاح وبناء وتشييد، بحيث قام، عقب الحملة المعروفة باسم حملة الأميرال إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816م بتجديد الحصون و إصلاح السفن. فقال عنه الزهار " أنه بعث الأمير لعُماله بالبلدان، عند رحيل المعتدين الإنجليز، وأمرهم بأن يبعثوا البنائين الذين عندهم، وأمر البنائين بالبلدان أن يُصلحوا الأبراج وأضاف إليهم بنائي العمالة عندما قدموا، وكان واقفاً معهم، وهم يعملون ليلاً ونهاراً، فلم ينقض شهر حتى أصلح ما فَسُدَ...وعاد كل شيء لأصله، وأنشأ كربيطا، كما في مدة حسين باشا. وعندما علم السلطان محمود ، أعطاه للمبعوثين ثلاثة مراكب من نوع فرقاطة وزوج كرابت ومدافع وآلات حربية ورجعوا بها إلى الجزائر[5].

- الداي حسين: (1818م-1830م)، وهو حسين بن حسين ، وُلد بأزمير(تركيا) من عائلة تركية أصيلة. سمح له عمله بالجيش الجزائري أن يترقّى من جندي في سلك الأوجاق إلى عضو بالديوان. أسند له منصب الداي في أول مارس سنة 1818م بوصية من علي خوجة* الذي وافته

---

[1] GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.174.

[2] الزهار (الحاج أحمد الشريف)، **نفس المرجع السابق**، ص 105.

[3] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p. 71

[4] GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.176.

[5] الزهار (الحاج أحمد الشريف)، **نفس المرجع السابق**، ص 271.

* علي خوجة حكم الجزائر من سنة 1817م إلى 1818م. (GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.178.)

المنية من مرض الطاعون. تصدى الداي حسين أثناء مـدة حكمه البالغة 12 سنة، لتنظيم أمور الدولة، والسهر على إقرار النظام وتصريف شئون البلاد من مقر لإقامته الدائم بحصن القصبة.

وكـــان من أعمالـــه، إلى جـــانب تنظيم الإدارة، الاعتنـــاء بالبحرية وبشـئونها، بحرصه على تزويـدها بالسـفن والعتـاد، حـتى أصـبح الأسـطول الجزائـري سـنة 1825م يضم 24 قطعة بحرية مجهـزة بالمـدافع مع العديد من السفن الصغيرة والـزوارق الخفيفـة. ومما يؤكد اهتمـام الـداي حسـين بتدعيم قـوة الجزائر العسـكرية سـعيه لـدى اسـطنبول وإرسـاله الرسـائل لموظفي الباب العالي ، بغرض تزويده بالسفن و العتاد والسـماح له بتجنيد الإنكشاريين من الأناضـول في الجيش الجزائـري وإرسـال المهندسـين في صناعة الأسلحة. غير أن الأحوال الداخـلية والظـروف الدولية لم تسـمح له ببنـاء جيش قـوي، قـادر على الوقـوف في وجه القـوات الأوربية المعادية وإحباط مخطط الغزو الفرنسي للجزائر[1].

وعن تصـميم الـداي حسـين في المضـي في عملـه الـدفاعي، نقـل تقريـر القنصـل السـويدي في 14 جـوان 1829م، أن داي الجزائـر قـام بتصنيع وتسليح سفن حربية وتدعيم تحصـينات مدينـة الجزائـر ومجاورهـا. حتى بعـدما انتهى كـل شـيء وآلت الأمـور إلى الاحتلال الفرنسـي، بقيت أحـواض البنـاء في نشـاط مسـتمر، ويـذكر روزي-Rozet- أن الفرنسـيين وجدوا داخل مينـاء مدينـة الجزائـر فرقاطـة كبـيرة في ورشـة البنـاء دون احتساب مختلـف القطـع الحربيـة والمخـازن الجميلـة المحملـة بأخشـاب الصناعة والحبالة وعتاد السفن[2].

---

[1] **معجم مشاهير المغاربة، نفس المرجع السابق،** ص ص 156-158.

[2] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p 71 .

الفصل الثاني: السفن الحربية

أ- مساهمة سيمون دانسر

ب- أنواعها: (شباك، غالية، فرقاطة، غليوطة...

ج- تعداد الأسطول الجزائري

أ- مساهمة سيمون دانسر: لقد طرأ على السفن الجزائرية خلال الثلاثة قرون من الجهاد البحري تحولات، فسحت المجال لظهور مراكب جديدة في إطار الصراع البحري القائم بيد الجزائر والدول الأوربية. وفي نهاية القرن 16م، عرفت الأساطيل البحرية التجارية والعسكرية الأوربية تطوراً في الميدان التقني. وكانت قبل ذلك، السفن البندقية المتكونة من نوع غالياص وهي غليرات حقيقية ذات السطح العالية قد أحرزت انتصاراً باهراً في معركة ليبانت سنة1571م. ثم أصبحت غليونات إسبانيا أكثر تجهيزاً وتسليحاً بالمدفعية. وعلى العموم، فإن السفن الأوربية كانت تُصنع على الطراز العالي بحيث لا يُمكن اقتحامها بكل سهولة[1].

وقد تأثرت الجزائر بما كان يحدث في أوربا و شجَّعها على تنشيط البحرية الجزائرية وتطوير عمليات الغزو البحري. فكان أغلب المراسي الجزائرية تتوفر على ترسانات مجهزة لصنع السفن والقوارب، أهمها مراسي الجزائر وشرشال وجيجل ووعنابة، كان يتم فيها صنع سفن تتجاوز حمولتها 300 طن، وقد تصل في مدينة الجزائر إلى 400 طن وهي من نوع الفرقاطة المجهزة بـ20 إلى 30 مدفع[2].

كان للتطور البحري الأوربي عواقب حميدة بالنسبة للبحرية الجزائرية، التي اتخذت منذ القرن 17م تقنية السفن المستديرة. عُرفت بهذه التسمية، لأنها كانت سفنها تبلغ من3 إلى4 مرات عرضها، بينما السفن القديمة، كان طولها يُقدّر من 6 إلى 8 مرات عرضها[3]. إن صناعة السفن المستديرة مكنت البحرية الجزائرية على الإبحار في أعالي البحار بفضل الفنيات الجديدة التي أدخلت عليها[4].

كانت السفن القديمة تسير بواسطة الأشرعة، وهي أقل سرعة في المشي، ولكنها تختص بمزايا مؤكدة، فهي أكثر متانة من سفن الغاليرات، فإنها تبحر في الصيف، ولا تتجاوز قط الحوض الغربي للبحر لأبيض المتوسط[5]. وكانت تعتمد أساساً على الغليوطات الخفيفة التي كانت بإمكانها أن تحمل على متنها حوالي 30 بحاراً، وهي صالحة للإبحار في البحر الأبيض المتوسط لطقسه الجميل، لكنها لم تكن قادرة على مواجهة أهوال المحيط الأطلسي[6]. بيد أن المراكب الجديدة تخرج للبحر طوال السنة وتجازف سواء في الجهة الشرقية الحوض المتوسط أو في المحيط الأطلسي.[7]

بهذه البوارج الجديدة، انفتح مجال المحيط أمام رياس الجزائر في القرن17م، بالإضافة إلى هذا التحسين الذي أُدخل على المراكب، وفَّرت هجرة الأندلسيين الذين طردهم ملك أسبانيا فيليب الثالث سنة 1609م،

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), **Histoire de la marine algérienne (1516- 1830)**, **Op.Cit**, p. 61.

[2] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي), الجزائر في التاريخ، **نفس المرجع السابق،** ص65.

[3] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p. 61.

[4] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي), **نفس المرجع السابق،** ص65.

[5] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p. 61.

[6] عباد (صالح) **نفس المرجع السابق**، ص 111.

[7] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p. 61.

الطاقة البشرية للأسطول الجزائري. لقد أصبحت السفن أفضل بناء وأحسن قيادة وتجهيزاً، بإمكانها أن المحيط بسهولة لتراقب طرق الهند وأمريكا[1]. إن التقنيات البحرية الحديثة التي سمحت بإعطاء إمكانيات الإبحار، تارة بالمجاديف وتارة بالأشرعة ورفع قوة النار بأسلحة ذات نوعية، أكسبت البحرية الجزائرية تفوقاً ملحوظاً خلال القرن 17م، على غرار الأساطيل الأخرى التي بقيت على الطرق القديمة ومتمسكة بقواعد تجاوزها الزمن[2].

فكان من وراء النجاح الذي وصلت إليه البحرية الجزائرية في عملياتها ضد السواحل الأوربية استعمال الجزائريين لنوع من السفن الصغيرة التي تتميز بخفتها وقدراتها على المناورة ، وهي من نوع الغليوطات والبريكات والالتجاء إلى استخدام السفن المستديرة المقدمة القادرة على الملاحة في أعالي البحار من صنف غاليرة -Galère-. وبفضل هذا النوع من السفن ، تمكن البحارة الجزائريون من عبور مضيق جبل طارق والوصول إلى جزيرة ماديرة-Madère- عام 1617م[3]، على متن ثمان (08) سفن مسلحة لسلبها والدخول بالغنائم والأسرى[4]، والبلوغ كذلك إلى شواطئ اسكتلندا عام 1616م، وانجلترا عام 1631م[5].

لقد كان التحوُّل في الحرب البحرية بالنسبة لسياسة الجزائر الخارجيــة عكس الدول
الأوربية أي على درجة مساوية لذلك في الأهمية مع تطوير الإبحار في خط السفن، وكذلك القوة النارية الضخمة والسرعة وقابليتها للملاحة في مياه المحيط. وقد أدخلها المرتدون الإنجليز والهولنديون والفلامنديون، وهم رجال كانوا متعوّدين بعد، على مثل هذه السفن إلى مدينة الجزائر[6].

ومن بين أشهر أولئك القراصنة الأوربيين الذين ذكرهم دي غرامون، أمثال الإنجليزيين إدوارد-Edouard-، وأوفرت-Uvert-، والروشيلي* سليمان -Soliman- والرايس سانسون-Sanson- وكان البحار سيمون دانسا أو دانـــــــــــسر- Simon Dansa ou Danser- ذو شأن كبير في قضية المدفعَيْن البرونزيَيْن التي تسببت في إذكاء نار الحرب بين الجزائر وفرنسا لمدة 20 سنة، وقد تناولنا مختلف مراحلها في القسم المتعلق بالأسلحة. لقد استطاع سيمون دانسا أن يصنع لنفسه اسماً، وذلك لجرأته ونجاح عملياته التي استولى من خلالها على 40 سفينة في ظرف أقل من ثلاثة أشهر. فازدادت شهرته لدى الجزائريين الذين تعلموا منه الإبحار على متن السفن العالية التي سُمِّيت آنذاك "المراكب المستديرة ". واستطاع أيضاً

---

[1] عباد (صالح) **نفس المرجع السابق**، ص 111.

[2] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p. 61.

[3] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق،** ص44.

[4] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p. 61.

[5] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق،** ص44.

[6] سبنسر (وليام)، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتعليق د. عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائـر، 1980، ص 142.

* أي من مدينة **لا روشيل –La Rochelle** – الفرنسية. (« **Petit Larousse Illustré**, **OP.Cit**, voir **Rochelle** »)

أن يرتقي إلى رتبة أحد القادة الرئيسيين في طائفة الرياس. وقد عُرض عليه مراراً اعتناق الإسلام، ورفض في كل مرة لسبب تأنيب الضمير أو لسبب أنه كان في نيته منذ الوهلة الأولى في الانسحاب إلى مدينة مرسيليا الفرنسية، حيث كانت تقطن زوجته. ومنذ بداية سنة 1609م، بدأت ملامح قضية المدفعَيْن البرونزيَيْن الجزائريَيْن تأخذ شكلها المعروف[1].

كان سيمون دانسا خلال إقامته في الجزائر قد تمكن من تسليط الأضواء عليه للمساهمة العظيمة في العمل لوطنه الجديد، وهو هولندي فلامندي الأصل من دورتريخـــت-Dordrecht-*. قَدِمَ إلى مدينة الجزائر من مرسيليا في سنة 1606م، حيث كان قد اتخذ مقر إقامته وتزوَّج فيها وانهمك في تجارة بناء السفن. ولم يكن واضحاً دافعه للارتداد واتخاذ القرصنة عملاً في حياته. ولكن خلال ثلاث سنوات من قدومه ، أصبح رايساً قائداً في الطائفة وأخذ اسم "دالي رايس"-Deli-Réis– و"القبطان دوفيـــــل"-Captain Devil- لاستغلاله الجريء وباستعمال سفن الغنائم المقبوضة عليها كأطرزة، علّم بها زملاءه القباطنة التسيير والملاحة بالسفن المستديرة المجهزة بأفنية عالية وبمقاعد الأشرعة والمدافع. وقد كان له شخصياً 40 سفينة غنيمة، أدمجت في أسطول القرصنة، ومن أيام دانسا فما بعدها، عوّض الجزائريون بالتساوي من السفن المقبوضة عليها ومن حوضهم الخاص لبناء السفن.

كما أفاد دانسر الجزائريين أكثر في ميدان الملاحة مما كانوا قد عرفوه أبداً من قبل. بفضله، استطاعوا العبور من خلال مضيق جبل طارق، واخترقوا الأطلنطي ووصلوا إلى أبعد نقطة من شمال أيسلندا، حيث هاجموا بمجموعة سفن قرصانية الساحل في سنة 1616م...[2]

لقد تميزت تقنية المراكب المستديرة التي أدخلها سيمون دانسا إلى الجزائر، بصفات هامة منها، أنها أقل سرعة ولكنها أكثر مرونة في القيادة وسهولة من المناورات، وهي أقل خضوعاً للظروف المناخية إذ باستطاعتها خوض غمار الأمواج في فصل الشتاء. وكان عند البحارة الجزائريين مجالاً واسعاً لاستعمال المجاديف التي بقيت سارية المفعول إلى جانب الأشرعة، والتوفيق بين مزايا هاتين التقنيتين واستخدامهما في الملاحة البحرية. وقد اشتهرت سفن البريغانتين –Brigantin - والشباك ذات الأشرعة لأنها كانت متميزة، تتماشى مع نشاط القرصنة، وهي مشتقة من سفن الغليرات والغليوطات، غير أنها استطاعت فرض وجودها وأن تتميَّز عن غيرها أكثر فأكثر بمرور الزمن[3]. فضلاً عن أنهم تمكنوا من صناعة الأنواع الأخرى من السفن الصالحة للغارات البحرية المحدودة في الحيز الجغرافي للحوض المتوسط، مثل السفن المعروفة بالكرفات-

---

[1] GRAMMONT (H.D. de), **OP.Cit,** p.136.

* مدينة وميناء بجنوب هولندا. (« **Petit Larousse Illustré**, **OP.Cit**, voir « **Dordrecht**)

[2] سبنسر (وليام)، **نفس المرجع السابق،** ص ص142- 143.

[3] BONO (Salvatore), **OP.Cit,** pp.99 -100.

Corvette- والشالوب –Chaloupe – الغليوطة والفرقاطة والسباك والبلاكر= Polacre – والبريك-Brick- [1]. لقد كان القرن 17م بحق، العصر الذهبي للقرصنة الجزائرية، التي السبب الرئيسي في رفاهية مدينة الجزائر ورخائها، من جراء تدفق الغنائم ثمرة الجهاد البحري. ففي منتصف القرن 17، تجاوز عدد سكان الجزائر العاصمة آنذاك 100 ألف نسمة دون احتساب عدد الرقيق الذي تراوح بين 25 ألف و35 ألف فرد. وقد تنامت البحرية الجزائرية بالسفن الكبيرة والمراكب المستديرة وذات الأبراج العالية، التي كانت بمثابة أداة القرصنة، ومنبع ازدهارها، والتي عادت بالربح والفائدة على الجزائر، بحيث كانت الغنائم تتجاوز قيمتها ما بين مليونين وثلاثة ملايين ليبرة، فأصبح الناس أثرياء من جراء تجارة البضائع والرقيق[2].

إن البحرية الجزائرية أصبحت بعد القرصان سيمون دانسا الذي أشرف على صناعة السفن المستديرة أثناء إقامته بالجزائر في القرن17، من اختصاص المتعاونين المالطيين والفرنسيين والأسبان دون غيرهم، كالمهندس المالطي الذي استخدمه البيليك في القرن 18م في بناء السفن بعد تملصه من خدمة الفرنسيين في طولون وتفضيله الإقامة بالجزائر أو المهندس الفرنسي جوفراي= Geoffray- الذي وضعته حكومة الثورة الفرنسية عام 1798م في خدمة الداي بابا حسن لعلاقته الوثيقة بها، والمهندس الأسباني مايسترو آنطونيو – Maestro Antonio- الذي أوكل إليه التصرف في الترسانة البحرية للجزائر عام 1800م والذي تمكن من صنع فرقاطتين للبحرية الجزائرية، والمهندس المرسيلي غازال - Gazel- الذي لم يطل عمله بالترسانة الجزائرية إذ مات في السنة الثانية من تعاقده 1815م. وقد أدى هذا الاعتماد على الخبرة الأجنبية إلى عجز الجزائريين عن صنع السفن الكبيرة ولم يعودوا قادرين إلا على بناء سفن صغيرة لا تتعدى حمولتها 300 طن، وهي سفن لا تتطلب المهارة والخبرة وتكتفي باستخدام الأخشاب المحلية التي تشحن من ميناء بجاية إلى مرسى الجزائر[3].

ب- أنواع السفن: لقد صنعت البحرية الجزائرية أنواعاً كثيرة من السفن سواء على أشكالها الأصلية أو بالقيام عليها إضافات وتزويدها ببعض التقنيات الجديدة. يوجد من السفن التي تم تصنيعها في الجزائر مثلاً:

- الغليرة:- Galère- إن السفينة ذات المجاديف والمسماة غليرة التي يشترك فيها الأوربيون والمسلمون على السواء، والتي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ القرصنة وتُعتبر من السفن الصغيرة من صفين من المجاديف وطويلة ومنبسطة الشكل، ذات مستوى غطس قليل، تحتوي على صاريَيْن وهي خالية من جسر. وكانت هذه السفينة الحربية هي الأكثر استعمالاً

---

[1] سعيدوني (ناصر الدين)، **ورقات جزائرية، نفس المرجع السابق**، ص 191.

[2] JULIEN (Charles André), **OP.Cit**, p.657.

[3] سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 64- 65.

وبامتياز دون منازع في العصور الوسطى[1]. وفي القرن 16م، أثناء عمليات القرصنة، كان رياس الجزائر يركبون الغليرات المدفوعة بواسطة المجاديف التي لم تُستخدم فيها الأشرعة إلا للمشي وللتوقف في انتظار السفن المعادية[2]. (انظر، ش 33، 38)

وقد شكلت الغليرات الجزائرية وحدة بحرية لغرب البحر الأبيض المتوسط على باقي وحدات الأسطول العثماني المنتشرة في شرقيه بهدف القيام بعمليات جهادية ضد العدو الأسباني بنهب سواحله وتدمير تجارته وفتح المجال لمد يد المساعدة والإسعاف للمقاومة الأندلسية. إن العناية الذكية والنظام المحكم الذي انتهجه الجزائريون، جعل غليرات الجزائر أداة حرب وسلاح من الطراز الأول، كانت المسبب الرئيسي في إلحاق خسائر كبيرة للأعداء. ففي سنة 1580م، كان الأسطول البحري الذي يقله الرياس الجزائريون، يتكون من 35 غليرة و25 بين وفرقاطة وبريغانتين دون احتساب المراكب الصغيرة[3].

وقد خضعت نجاعة هذه السفن وشجاعة الرياس الجزائريين للتجربة والامتحان قبل ذلك، في معركة ليبانت سنة 1571م، التي كانت معركة بحرية محضة، ومن أشرها في جميع الأزمان على الإطلاق. نشبت المعركة خارج ميناء ليبانتو-Lepanto- اليوناني، إذ كان الأتراك يحاولون بأسطولهم السيطرة على البحر المتوسط، فأرسل أسطول أوربي ليخوض المعركة، كان يضم أساساً سفناً أسبانية وإيطالية. وكانت النتيجة، هزيمة الأسطول العثماني الساحقة. لهذه المعركة أهمية من عدة أوجه، ومن أطرف الأمور فيها، كونها آخر مواجهة عسكرية بحرية كبيرة، استخدم فيها كلا الجانبان السفن ذات المجاديف، رغم أن السفن الشراعية كانت تُستعمل منذ عدة قرون[4].

وقد كان للجزائريين في هذه المعركة حصة هامة في المشاركة الفاعلة فيها، إذ كان الأسطول الجزائري المتكوِّن في غالبيته من سفن الغليرات، يحارب جنباً إلى جنب مع الأسطول العثماني، بقيادة علج علي. وعندما وقع التحام الأساطيل العثمانية بالأساطيل الأوربية وبدأ مجرى المعركة يميل لصالح المسيحيين، تمكّن الجزائريون بفضل القيادة الحكيمة لعلج علي بالانسحاب من الميدان دون تكبيد خسائر، في حين لحق باقي الأسطول الإسلامي الدمار والغرق في ميدان المعركة[5].

تُعتبر سفينة الغليرة من المراكب الحربية التي استُخدمت لزمن طويل دون انقطاع. بالإضافة إلى العمليات العسكرية والقرصنة، كانت تُرصد أيضاً للقيام بمهمات المراقبة وضمان الأمن على السواحل. وكانت الغليرة الجزائرية تختلف قليلاً عن نظيراتها الأوربية من حيث الصنع

---

[1] GODARD (M. L'Abbé Léon), **OP.Cit**, p.39.

[2] KADDACHE (Mahfoud), **OP.Cit**, p.36.

[3] GRAMMONT (Henri Delmas de), **OP.Cit**, pp. 62-63.

[4] **المعرفة**، المجلد التاسع، مؤسسة خليفة للطباعة، بيروت، 1984، ص 1532.

[5] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.139.

والحمولة والطفو على الماء، ومن خلال الدور المناط بها. وتتميز المراكب الأوربية بالارتفاع الشديد فوق الماء، وهي مسلحة بمدفعية مُزاحمة ومُثقَلَة بالذخيرة والمؤن الغذائية والمعدات المتنوعة إلى جانب وجود مكثف للزخارف على متنها، كما تعلوها مقصورة ذات ارتفاع مفرط في المؤخرة، مما أدى إلى كبح سرعتها قليلاً، لتُصبح فريسة سهلة على القراصنة.

وعلى خلاف الغليرة الأوربية، كانت الغليرة الجزائرية صغيرة الحجم، تحتوي على صاري واحد وهي مسلحة بمدفع واحد ومتنقل، وتخلو من المقصورة الأمامية. ومن خلال هذه المميزات فإن الغليرة الجزائرية تشبه إلى حد ما سفينة الغليوطة. وكان انخفاض المركب الجزائري من على مستوى البحر جعلته يحمل إلا ما هو ضروري. وكانت الخفة والسرعة تشكلان العنصران الأساسيان لها. فكان الأب دان-Le père Dan – يجد أن هذه القطع البحرية تماثل النسور وملكات البحر كأنها تُحَلِّقُ على الماء، غير أن ما كان يعيقها يكمن في ضعف مدفعيتها، ولذلك، فإن استعمالها هو مخصص إلا في فصل الصيف. ولكن رغم ذلك، فإنها تثير الإعجاب لدى أصحاب حرفة الصناعة البحرية الذين لم يبخلوا في مدحهم إياها، بوصفهم أنها أنيقة ذّات دقة في الصنع، تتلاءم مع السرعة والمطاردة من اقتحام السفن أو القتال بالمواجهة. فأصبحت بذلك السفينة الجزائرية للمواصفات المتميزة والمآثر البطولية التي كانت تنجزها على أمواج البحر، مثالاً يُقتدى به وتقنية صناعية جديرة للتقليد والنقل[1].

وقد قام المؤرخ الفرنسي لوتورنو في هذا الإطار، بدراسة نقدية لثلاث وثائق تتمثل في صورة لغليرة جزائرية ورسم لغليرة كلاسيكية وصورة لمعركة ليبانت، وسمحت هذه الدراسة بإقامة مقارنة بين الطرازين من السفن. فتمكن الدارس الفرنسي من إثارة نفس أوجه الشبه والاختلاف التي أوردناها سابقا، سوى ما أضافه فيما أن السفينة الجزائرية تتميز عن الغليوطة بقوة الدفع التي يُوَلِّدُها رواق المجدِّفين المتكوِّن من 24 مجدافاً، يبلغ عددهم خمسة أفراد لكل مجداف. كما أنه يُدرج ملاحظة تيفيت-A.THEVET-* "في معرفته حق المعرفة لمدى جُرأة هؤلاء القراصنة الذين لا يخشون مهاجمة سفينتين بواسطة غليرة واحدة وفي آن واحد ويدورون حولهما بكل مرونة وسهولة باستعمال المجاديف وقصفهما من كل جانب"[2].

إن مجموعة المجدِّفين، يضيف الأب دان، تتكون من 200 أسير أوربي، وقد صنع القراصنة الجزائريون سفنهم بالتخلي عن العديد من المعدات الضرورية مقابل اكتساب الخفة، لمذكي تكون باستطاعتها مطاردة سفن العدو والإفلات بكل سهولة من براثن الغليرات المسيحية الأكثر والأفضل تسليحاً. وعندما تسمح الفرصة لاقتحام سفينة مسيحية، فإنهم يضعون في العادة مائة (100) من أحسن الجنود مسلحين ببنادق

[1] BELHAMISSI (Moulay), **Marine et marins d'Alger**, Tome I, **Op.Cit,** p.100-101.

* THEVET (A), **Cosmographie universelle,** 2 volumes, Paris, 1575.

[2] LE TOURNEAU (Roger), **Op.Cit,** p.92.

الموسكي وسيوف الشمشير والأقواس على أهبة الاستعداد للانقضاض على سفن الأعداء[1].

بقيت سفينة الغليرة مثل باقي السفن الأخرى التي تتصف بالرشاقة والخفة، هي الأكثر استعمالاً بسبب مرونتها وسهولة قيادتها، وقد ظلت في الخدمة كسفينة حربية حتى ما بعد منتصف القرن 18م[2]. ويدعم فانتور دي بارادي رأي الأب دان مضيفاً أن سفن الجزائر لا تستطيع المقاومة مُطوَّلاً في معركة بالقصف المدفعي، ولا يروق القراصنة الجزائريون استعمال المدافع، بل يسعون وراء اقتحام سفن الأعداء بأعداد كثيرة من الرجال المسلمين بالخناجر والسيوف[3].

لقد ظلت السفن ذات المجاديف تُستخدم، ولم يقل استخدامها إلا بعد اتخاذ المدفعية سلاحاً أساسياً في السفن. ففي السفينة ذات المجاديف لا يُمكن وضع المدفع إلا لدى مقدم السفينة أو مؤخرها، بينما يُمكن وضعه في السفينة الشراعية على طول الجانبين على مستويات مختلفة[4]. وكانت سفينة الغليرة طيلة الفترة الممتدة بين القرن 16و18م، قد جلبت اهتمام الصُّنّاع البحريون في الجزائر، فخصّصوا لصناعتها وبناء هذا النوع من السفن حوض بحري على مرفأ المدينة، وهيئوا لذلك أخشاب مناطق شرشال والقبائل الشرقية مشحونة عن طريق مدينة بجاية. وكان التزوُّد بالمجاديف وعتاد السفن يُجرى بواسطة الاستيراد من إيطاليا ومقاطعة بروفنس الفرنسية–Provence - للمجاديف، وهولندا وانجلترا وبلدان اسكندنافيا بالنسبة للعتاد البحري، ولم تكن الجزائر في حالة نقص أو نُدرة من هذه المواد الضرورية أبداً[5].

- الغالياص-Galéasse -: وهي سفينة من نوع الغليرات الكبيرة ومثقلة بالمدفعية. كانت حاضرة بكثافة في كل المعارك البحرية، حيث لعبت دوراً حاسماً في معركة ليبانت البحرية سنة1571م.

- الشباك: تُعتبر سفينة الشباك بمثابة "مركبة البحر الأبيض المتوسط المخصصة للحرب"، ويعود أصل الكلمة إلى الكلمة العربية شباك التي تعني شَرَك صيّاد السمك[6]. يحتوي مركب الشباك على ثلاثة صواري و30 مجدافاً وتتسع إلى أقل من 200 طن، محملة بطاقم من 30 إلى 200 رجل ومجهزة من 04 إلى 24 مدفعاً[7].

وكانت السفينة في بداية الأمر، مُتَوَقَّعاً أن تكون مركبة صيد بالشباك، ولكنها أخذت تتغيَّر شيئاً فشيء وآلت إلى ما اشتهرت به في الميدان الحربي. وتدخل سفينة الشباك في فصيلة سفن الغليرات الطويلة

---

[1] DAN (Le père Pierre): « **Grandes différences entre les galères des chrétiens et celles des corsaires de Barbarie** », In LE TOURNEAU (Roger), **Op.Cit**, p.62.

[2] BONO (Salvatore), **OP.Cit,** p.99.

[3] VENTURE DE PARADIS) Jean Michel(: « **Les voiliers, notices sur Alger. 1788** », In LE TOURNEAU (Roger), **Op.Cit,** p.62.

[4] **المعرفة، المجلد التاسع، نفس المرجع السابق**، ص 1532.

[5] LE TOURNEAU (Roger), **Op.Cit,** p.92.

[6] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** pp.102-103.

[7] شوفالييه (كورين)، **نفس المرجع السابق**، ص 56.

والرشيقة والخفيفة وهي ضعيفة السحب للماء عند المشي، كما أنها مزدوجة المشي أي أنها تسير بالشراع والمجاديف في آن واحد. وتتميز بسهولة الاستعمال وذات سرعة كبيرة تفوق في ذلك عدة سفن أخرى. ومنذ القرن 18م، استطاعت أن تحل محل الغليرة والغالياص، لما كانت تتصف به من ميزات في الملاحة البحرية وقوة النار. فجعلها الجزائريون سفينة مخصصة للحرب الخاطفة، ومع استعمالها، ازدادت القرصنة أهمية والحرب اتساعاً[1]. والقنصل الإنجليزي دي كرسي يصف السفينة الجزائرية في مذكراته على مدينة الجزائر سنة 1791م بأنها جد خفيفة، ولا تستطيع أية فرقاطة أوربية للحاق بها، قبل أن تجد مأوى لها في مكان آمن[2]. فكان شكلها الرشيق وأشرعتها الضخمة اللاتينية*جعلتها مركبة رهيبة تتلاعب بالسفن التجارية الأوربية الضخمة وباستطاعتها الإفلات من السفن الحربية الأوربية دون عناء[3].

أصبحت سفينة الشباك السفينة الحربية بامتياز حتى لدى الأوربيين، بحيث قررت فرنسا تصنيع نماذج منها بعد حل وحدة الغليرات. وكان الهدف من ذلك أملها في محاربة الجزائريين بسلاحهم. فكانت بحق أجمل السفن في الحوض المتوسط، اندثرت في أوربا في بداية القرن19م، إلا أنها بقيت في الخدمة في الجزائر إلى نهاية العهد العثماني سنة 1830م[4].

- الغليوطة-Galiote -: هي أصغر من سفينة الغليرة، تتميز بشكل دائري من الأمام ومن الخلف. وقد صُنع مثلها في أحواض صناعة السفن في الجزائر، وكانت لسفينة الغليوطة نفس الخصائص والميزات الحسنة للغليرة، ما جعل السلطات الجزائرية عدم التحدُّث عنها وإيثارها مع المسئولين العثمانيين، لاجتناب تسليمها للسلطان العثماني عند احتياجه لها[5].

تتسع الغليوطة لـ 12 إلى 19 مقعداً، يقلها 20 إلى 130 رجلاً وتتسلح بـ 02 إلى 10 قطع من المدفعية[6]. وكانت الغليوطة الجزائرية خلال عمليات القرصنة أقوى من السفن الأوربية العالية والثقيلة، لأنها تتسم بالانبساط والمدفع الواحد ذي مدى طويل وشحنة جد قليلة، وهي أكثر خفة وسرعة من مراكب المسيحيين. لقد كتب هايدو عن القراصنة الجزائريين قائلاً بأنهم يبحرون أثناء الشتاء والربيع شرقاً وغرباً بدون خوف، يستخِفّون بغليرات الأوربيين التي لا يُمكن لها تعقُّب الغليوطات الجزائرية المصقولة بشكل جيد والمتميزة بالتنقل السريع. لذلك كان الجزائريون يفضلون سفن الغليوطة والبريغانتين أو الفرقاطة على الغليرة الثقيلة. فالغليوطة تختص بنفس شكل الغليرة ولكنها بالحجم الأصغر وهي أكثر سرعة في

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** pp.102-103

[2] KERCY (Consul), **Mémoires sur Alger (1791),** publié par Gabriel ESQUER, Paris, 1927, p.102.

* أشرعة مثلّثة الشكل. (**Petit Larousse en couleurs**, 1980, voir « **Latine** ».)

[3] BELHAMISSI (Moulay), Histoire de la marine algérienne (1516- 1830), Op.Cit, p. 61.

[4] Même auteur, **Marine et marins d'Alger**, Tome I, **Op.Cit,** p. 103.

[5] Même auteur, **Histoire de la marine algérienne (1516- 1830), Op.Cit**, p. 61.

[6] LE TOURNEAU (Roger), **Op.Cit,** p.32.

الحركة لاسيما أنها مدفوعة بقوة المجاديف، ولا تمتلك كالغليرة درابزون أو المقصورة الأمامية ولا صاري المقدمة الذي يعلوه شراع على منتصف المقصورة[1].

- الفرقاطة-Frégate -: وهي قطعة بحرية عسكرية ذات حمولة تفوق حمولة سفينة الكورفيت[2]. وكانت أشهر سفن الفرقاطة في العهد العثماني بالجزائر على الإطلاق فرقاطة الرايس حميدو الذي كان يمتلك سفينة قبل ذلك، فأصابها بعض العطب، فأعدَّت له فرقاطة جميلة لاستبدال السفينة المتلفة، فاستُقدم نجار أسباني يُدعى المايستـــــرو أنتونيـــو- Maestro Antonio- إلى الجزائر لبنائها. فكانت هذه الفرقاطة جد أنيقة وهي مسلحة بـ44 مدفعاً وهي سفينة شراعية جيدة، ماهرة على المياه لها ميل قليل. وكانت أفضل سفينة بالنسبة للرايس حميدو الذي اشتهر بفضلها وأنجز على متنها أعمالاً بطولية خالدة. أما عن الصانع الأسباني، فقد رحل من الجزائر مُحَمَّلاً بالهدايا إلى بلاده، بعد إنجازه لفرقاطة الرايس حميدو ولفرقاطة أخرى بنفس الحجم التي قادها الرايس علي تتار.

ونجد مآثر الرايس حميدو وفرقاطته الشهيرة مدوَّنة في سجل الغنائم التي ذكر المؤرخ الفرنسي دوفو منها مثالين: الأول، استيلاء فرقاطة الرايس حميدو لمركبة نابوليتانية ثمينة، قُدِّرت حمولتها بما يُقارب الـ20 ألف فرنك، وهي مؤرخة بـ16 رمضان 1216هـ/الأربعاء 20 جانفي 1802م، والثانية، استيلاؤها لسفينة حربية برتغالية مسلحة بـ44 مدفعاً، ومؤرَّخة بـ25 محرم 1217هـ/الجمعة 28 ماي 1802م. وكانت الفرقاطة البرتغالية المأسورة هي تلك السفينة المشهورة التي أُطلق عليها اسم "البردقيز"، والتي كانت لها دوراً تاريخياً في الجهاد البحري ضد المسيحيين أصحابها القُدامى[3].

- البريغانتين -Brigantin-: هي سفينة ذات مجاديف، من حجم صغير، كانت تُصنع في العادة على أحواض مدينة شرشال[4]. وتُعتبر سفينة انتقالية بين سفن ذات المجاديف والسفن الأحادية الشراع[5]. كان شكل السفينة يشبه شكل الغليوطة بالحجم الأصغر، وكان ممر سفينة البريغانتين أقل علوّاً من ممر الغليوطة، وهي تحمل مصطبة القيادة ويعلوها شراع واحد وتمتلك من 06 إلى 08 مقاعد لمجداف واحد لكل مقعد. وكانت مجاديفها طويلة ورقيقة ومرنة الاستعمال. لقد كانت سفن البريغانتين تحتل مكانة كبيرة لدى الجزائريين، لما كانت تمتاز به من سرعة وتسهيلات في تقديم خدمات وإمكانيات، أثبتت من خلالها قدرات فائقة في الجهاد البحري. وقد ذكر جال-Jal- أن الأتراك العثمانيين استعملوها أكثر من المسيحيين[6].

---

[1] KADDACHE (Mahfoud), **OP.Cit**, p.36-37.
[2] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.61.
[3] DEVOULX (Albert(, **Raîs Hamidou,** notice biographique sur le plus célèbre corsaire algérien du 13ème Siècle de l'Hégire, **Op.Cit,** pp.74-76 et 81.
[4] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.61.
[5] LE TOURNEAU (Roger), **Op.Cit,** p.32.
[6] BELHAMISSI (Moulay), **Marine et marins d'Alger**, Tome I, **Op.Cit,** p. 103.

- الكورفيت- Corvette-: وهي سفينة انتقالية بين الفرقاطة وسفينة الإبريق.

- الإبريق-Brick-: هي قطعة ذات حمولة صغيرة، له صاريَيْن يعلوهما شراعان مربَّعان.

- البولاكر-Polacre - سفينة من ثلاثة صواري وأشرعة مربَّعة من نوع رديء.

- الكرافيلا-Caravelle- سفينة ذات حمولة صغيرة، استُعملت خاصة خلال القرنين 15 و16م.

- الشطية: وهي سفينة صغيرة شطية كما يدل اسمها.

- النهارية: وهي مركبة صغيرة.

- الغراب: هي قطعة بحرية ذات مجاديف فحسب.

- الطاردة: تعني سفينة من نوع الغليرات، ولكنها أكثر سرعة، استُعملت لنقل شُحنات كبيرة[1].

ومن هذه الأنواع أيضاً، سفناً صغيرة أخرى، نـذكر: الحرّاقة والشـقف والفلوكة والقنبري والطرطان-Tartane – التي تعتبر من السـفن الصـغيرة المسـتعملة في البحر الأبيض، وتحمل سـوى شـراع واحد مثلث الشـكل[2]. ومن السفن الأصغر حجماً، وأكبرها شُهْرَةً اللنجور.

- اللنجور: لقد لعبت هذه المركبة الصغيرة في الحجم دوراً هامـاً في تاريخ البحرية الجزائرية. وقد أعطي لها نصيباً كبيراً من الاهتمام من طرف دايات الجزائر والقيام بتصميم نماذج منهـا. وهي تُعتـبر من السـفن الحربية الخفيفة الحاملة للمدافع التي تتجه بسـرعة لملاقـاة العـدو على بُعد[3]. فمنذ الحرب ضد الدانمركيين سـنة 1770م إلى القصف الأسـباني الفاشل الـذي تعرضت له مدينة الجزائر، شعر الجميع أن الدفاع عن المدينة كان لا بد من اسـتعمال قـوارب مقنبلة أو كما يُسـمّيها فـانتور دي بـارادي الشـالوب المقنبلة. وقد صنع منها أعيان الدولة وأغنيـاء القـوم من ثـرواتهم الخاصة[4]. وكان في هذه الفترة محمد بن عثمـان باشا داي الجزائر وهو أول من صـنع اللنجور، وحارب به الأسبان[5]. كما سبق وذكرنا ذلك في الفصل الأول.

وكاسـتنتاج لدراسـتنا، لقد كـانت هـذه التشـكيلة من السـفن مختلفة ومتنوعة في الحجم والشكل والصواري والأشرعة والعتاد البحري، ومنها ما يُسـلّح للحـرب وما هو مخصَّـص للملاحة السـاحلية. وقد دخل على السـفن الجزائرية خلال الثلاثة قـرون من النشـاط البحـري المتواصل تعـديلات في غاية الضرورة على كل المسـتويات، لأن الظـروف السياسـية والاقتصـادية اقتضت ذلك[6].

---

[1] Même auteur, **Histoire de la marine algérienne (1516- 1830), Op.Cit**, p. 61.

[2] Même auteur, **Marine et marins d'Alger**, Tome I, **Op.Cit,** p.103.

[3] المدني (محمد توفيق)، **نفس المرجع السابق**، ص 97.

[4] VENTURE DE PARADIS) Jean Michel (, **Alger au 18ème Siècle (1788-1790), Op.Cit,** p.134.

[5] المدني (محمد توفيق)، **نفس المرجع السابق**، ص 97.

[6] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.104.

ج- تعداد الأسطول الجزائري: لقد كان للصناعة البحرية أثر كبير على مدى أهمية الأسطول الجزائري في الكم والكيف، بالإضافة إلى المصادر الأخرى التي استفاد منها بكثرة كالغنائم والمشتريات والهدايا بطبيعة الحال. ولكن صناعة السفن الحربية بقيت في الجزائر مصدراً أساسيا لتمكين الجزائريين في زيادة حجم أسطولهم وتعداده. أما فيما يرجع إلى عدد وحدات الأسطول ومعرفة مبلغه قلة أو كثرة، فهذا نراه يختلف في تقديره المؤرخون، كما نجده يزيد وينقص بحسب اختلاف الظروف وتعدد الوقائع[1].

كانت النواة الأولى لهذا الأسطول، السفينتان اللتان جاء على متنهما عروج وإخوته وبحارته من المشرق إلى المغرب، في بداية القرن 16م. في سنة 1509م، أصبح تحت تصرُّف عروج حوالي ثماني قطع بحرية. في سنة 1516م موظف حوالي 16 سفينة للانتقال من جيجل إلى مدينة الجزائر. وكانت تلك القطع تابعة له ولأصدقائه. تذكر بعض المصادر أن عدد الأسطول الجزائري قد بلغ حوالي 60 قطعة سنة 1530م. لكن خير الدين، عند عودته من تونس، التي غزاها شارل الخامس سنة 1535م، مستعملاً ما يقارب 450 قطعة بحرية، لم يكن يملك سوى 09 سفن، فأمر ببناء 08 قطع جديدة على جناح السرعة.

كانت حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر سنة 1541م، ضربة كبيرة للأسطول الجزائري الذي لم يظهر في مواجهتها. غير أن حسن آغا أعاد بناء الأسطول انطلاقاً من السفن الأسبانية الخمس التي أعيد تعويمها، بعد أن غرقت في سواحل مدينة الجزائر. كما أن صالح رايس* أرسل المال إلى ملك باديس* يطلب منه بناء سفن جديدة في سنة 1553م، وجهَّزَ 40 قطعة بحرية، وسار بها في حملة على جزيرة ميورقة (أسبانيا)، وتمكن من الاستيلاء على 06 سفن برتغالية. وفي سنة 1557م، استعمل حسن بن خير الدين أسطولاً من 40 قطعة في حملته ضد ملك فاس، كما استعمل 32 قطعة ضد الأسبان في وهران، وشارك في حصار مالطة سنة 1565م بحوالي 28 قطعة فقط، تاركاً بقية الأسطول في ميناء الجزائر. كان علج علي يقود 60 قطعة بحرية في معركة ليبانت من مجموع 250 سفينة كان يتكوّن منها الأسطول العثماني الذي واجه 300 سفينة من سفن الحلف المقدس. ويذكر هايدو أن أسطول الأتراك كان يتكوّن من 35 غليوطة و25 فرقاطة سنة 1581م[2].

وفي سنة 1591م، ارتفع هذا العدد إلى 75 قطعة كبيرة[3]. في حوالي سنة 1606م، أُدخل على الصناعة البحرية الجزائرية تقنية السفن المستديرة من طرف القرصان الفلامندي سيمون دانسا الذي ساهم بقوة

---

[1] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق**، ص 490.

* حكم الجزائر من 1552م إلى 1556م. (GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.68)

* هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ الوطاسي المدعو أبو حسون ومدينة باديس المغربية موطنه الأصلي. (**Idem.** pp.69-70).

[2] عباد (صالح)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 323-324.

[3] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق**، ص 490.

في تطـوير البحرية في الجزائـر. زد على ذلـك، ما جلبه الأندلسـيون من خبرات صناعية بعد نفيهم نهائياً من أسبانيا من طـرف الملك فيليب الثـالث سـنة 1609م. فـارتقى الأسـطول الجزائـري في النوعية والعـدد وارتفعت بذلك عمليات الجهاد البحري بحيث سمحت السـفن الجديـدة بتوسـيع رقعة النشاط البحري إلى المحيط الأطلسي. فكانت أرباح القرصـنة عظيمـة، إذ بلغ عـدد المـراكب الـتي غنمها الجزائريـون 936 قطعة فيما بين 1613م و 1621م، وبالنسـبة لسـنتي 1615م و1616م فقط وصـلت القيمة النقدية للغنائم حوالي ثلاث ملايين ليبرة[1].

وفيما بين 1619م 1632م، تـراوح عـدد السـفن بين 75 و175 قطعة بحرية[2]. وذكر دوفو ما ورد في كتابه حـول تـاريخ الـبربر للأب دان، أن الأسـطول الجزائـري بلغ سـنة 1634م 04 غلـيرات وبريغـانتين واحد و08 فرقاطات. وفيما يتعلق بالسفن المستديرة، كان قراصنة الجزائر يمتلكـون 70 سفينة بين مراكب البولاكر والزوارق الكبيرة[3]. وكان عدد السـفن سـنة 1647م حسب دارندا*-65 - D'Aranda قطعة بحرية و04 غليوطات[4]. ثم في سنة 1657م، نَقُصَ هذا العـدد إلى 23 مركبـاً واشـتمل كل مـركب على 30 إلى 50 مـدفعاً. وفي سـنة 1662م، كـان يوجد بـالجزائر 22 بارجة و09 غليوطات[5]. وجاء دارفيو*- D'Arvieux- بعـدد 30 سـفينة حربية تتـوفر عليها الجزائر في سنة 1671م[6].

وفي البيـان الـذي نشـره دوفو انطلاقـاً من وثـائق محلية أن عـدد السفن وصل سنة 1674م إلى 26 مركبة من الأحجـام الكبـيرة والصـغيرة. وكان هذا العدد في سـنوات 1675م 35 قطعـة، 1677م 11 سـفينة حربية[7]. وفي سـنة 1681م، لم يكن من هـذه المـراكب بمينـاء الجزائر سـوى 17 مركبـاً وسـفينتين كبـيرتين فيها من السـلاح الثقيل 112 مـدفعاً. في سـنة 1687م، حسب تقرير الـدوق دي غرافـون- Duc de Graffon- أن عـدد المـراكب الجزائرية على تنـوُّع أشـكالها واختلاف وزن حمولتها بلغت يومئذ 60 سفينة[8]. ويروي دوفو وفقاً للمعلومات التي قدّمها رحّـالان، واحد منهما فرنسي وآخر إنجلـيزي، كانا آنـذاك في خدمة المرسـيلي سنسـون - Sanson- الذي اعتنق الإسلام ولُقِّبَ بـ"مامي سَمْسوم"، أن عدد الأسطول الجزائري بلغ سنة 1724م، 24 سفينة. أما في سنة 1732م، تقهقـرت قـوة

---

[1] MESSIKH (Mohamed Sadek), **Op.Cit**. pp.60.

[2] بوعزيز (يحيى)، **نفس المرجع السابق،** ص ص 209- 210.

[3] DEVOULX (Albert): « **La marine de la Régence d'Alger** », **Op.Cit**. p.391.

* إيمانويل دارندا –Emmanuel D'Aranda- هو صاحب كتاب: «**Relation de la captivité et liberté du sieur D'Aranda.**» (TURBET- DELOF (Guy), **Bibliographie critique du Maghreb dans la littérature française 1532-1715**, SNED, Alger, 1976, p.155.)

[4] KADDACHE (Mahfoud), **OP.Cit**, p.88.

[5] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق،** ص 490.

* **صاحب كتاب:** «**Mémoires du Chevalier D'Arvieux**, Paris, 1735». »

[6] (TURBET- DELOF (Guy), **OP.Cit**, p.187.)

[7] KADDACHE (Mahfoud), **OP.Cit**, p.88.

[7] DEVOULX (Albert), **Op.Cit**. p.392.

[8] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق،** ص 490.

الجزائر البحرية بعد بضع سنوات إلى 06 مراكب كبيرة دون احتساب الغليرات والبريغانتين[1].

ويذكر القنصل الفرنسي لومير- Le Maire- في تقريره المؤرخ في سنة 1752م، أن الجزائر في هذه السنة تملك 103 مركباً مجهز بـ430 مدفعاً و22 منجنيقاً. في سنة 1759م، لم يوجد في الجزائر سوى بارجتان ذوات 30 مدفعاً و19 مركباً. ثم في سنة 1766م بلغ عدد الأسطول 24 مركباً، يحمل كل منها 10 مدافع. أما في سنة 1780م نزل العدد إلى 17 سفينة كبيرة[2]. ويذكر كاثكارت، قنصل أمريكا بالمغرب، قائمة من السفن والمراكب التي تُشكل الأسطول الجزائري خلال سنة 1789م، بحيث بلغ عدده 22 قطعة بحرية[3]. و تقرير آخر بتاريخ 1791م، يذكر عدد 03 سفن كبيرة و17 مراكب من نوع الشباك و03 زوارق من الحجم المتوسط ومراكب أخرى من الحجم الصغير. ويذكر ديبوا تانفيل– Dubois-Thainville- في تقريره لسنة 1800م أنه يوجد بالجزائر حينذاك 16 سفينة بها 355 مدفعاً[4].

لقد كان تعداد الأسطول الجزائري عبر كامل القرن 18م يميل إلى الانخفاض عموماً، مقارنة بالقرن 17م[5]. وابتداء من القرن 19م، نرى هذا العدد يرتفع إلى 66 بارجة، وبالضبط في سنة 1802م وبكل منها ما بين 25 و80 مدفعاً بعيد المدى[6]. كانت نسبة التطور للأسطول الجزائري في العشرية الأولى للقرن 19م في الارتفاع بعل الحيوية التي أثّرت على النشاط عبر الإيالة بشكل عام. وكان هذا الاستقرار مرهوناً أيضاً بفترة هدوء وسلم، بمعزل عن الهجمات الأوربية الشرسة التي استهدفت الجزائر على الدوام، وذلك بسبب اهتمام أوربا بما يجري داخل حدودها من الحروب النابليونية والاضطرابات التي زعزعت كيانها في العمق[7].

فقد أتاحت هذه الفترة بتجديد قوتها البحرية بإعادة بناء الأسطول البحري. فاستمرت سيطرة الجزائر المطلقة على البحر الأبيض المتوسط حتى سنة 1815م، حيث تغيّرت الأحوال وتطورت الظروف ، مما أدى إلى تقهقر البحرية الجزائرية، ومن هذه الظروف ، التكتل الأوربي الذي واجه حروب نابليون بنجاح. ففي مؤتمر فينا (النمسا)، اجتمع الحلفاء سنة 1815م، واتفقوا فيه على تصفية الثورة الفرنسية، ومن بين القرارات التي اتخذوها كذلك، تضامنهم للقضاء على البحرية الجزائرية. ومن تلك العوامل أيضاً، ظهور الانقلاب الصناعي الذي حدث في أوربا، حيث أخذت الدول الأوربية تستخدم التقنيات الجديدة في البحرية وفي الأسلحة، بينما بقيت

---

[1] DEVOULX (Albert), **Op.Cit**. p.394.

[2] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق،** ص 491.

[3] كاثكارت (جيمس)، **نفس المرجع السابق**، ص 89.

[4] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق،** ص 491.

[5] بوعزيز (يحيى)، **نفس المرجع السابق،** ص ص 210- 211.

[6] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق،** ص 491.

[7] بوعزيز (يحيى)، **نفس المرجع السابق،** ص 212.

الجزائر بعيدة عن الاختراعات العلمية الحديثة، مما أدى إلى تـدهور بحريتها وتفوُّق البحرية الأوربية عليها[1].

ففي سنة 1815م، أصـبح عـدد السـفن بـالجزائر يـتراوح بين 09 و20 سـفينة كبـيرة متنوعة الأحجـام حسب بيـان دوفـو. وقبل حملة اللـورد إيكسموث على الجزائر ببضع أشهر من سـنة 1816م، كـان العـدد قد وصل إلى 15 سـفينة كبـيرة ومتوسـطة الحجم، و14 زورقـاً مقنبلاً صـغيراً. بعد الدمار الذي لحقه ميناء الجزائر والقطع البحرية التي كانت راسية فيه على إثر الحملة الإنجليزية يـوم 27 أوت 1816، لم ينجو من الحريق الـذي شب في المرسى إلا القليل من السفن. أما الباقي فقد ضـاع واحـترق وأضـحت البحرية الجزائرية شبه معدومة بسـبب ما وقـع. غـير أن في سـنة 1817م، أعيد تشـكيل الأسـطول واسـتطاعت الجزائر أن اسـتجمعت قواها بإنشـاء مجموعة من 07 سفن من 120 مدفعاً[2].

ولكن نسـبة الانحـدار بعد هجـوم اللـورد إيكسـموث قد طبعت هـذه الفترة رغم بعض المحاولات التي قام بها الداي حسين داي لإصلاح الأوضاع بـدون جـدوى[3]. وفي سـنة 1820م، نجد أن تعـداد الأسـطول وصل إلى 14 سفينة، ثم انخفض سنة 1823م إلى 04 سفن، فيعود للارتفاع بـ14 سـفينة[4] بأنواعها المختلفة في سـنة 1825م، بالإضـافة إلى وجـود 03 سـفن و35 زورقاً مقنبلاً في ورشات الصناعة، على وشك الانتهـاء والإنـزال إلى البحر في الصـائفة القادمـة. وخلال نفس السـنة، أرسل من الجزائر إلى تركيا وحـدة من 08 سـفن للـدفاع عن الدولة العثمانية وللمشـاركة في معركة نافارين إلى جـانب الأسـطول العثمـاني ضد القـوات المسـيحية إلى جـانب روسيا القيصرية في سنة 1827م. ولم يبق في مسـاء المعركة إلا الحطـام من الأسطول العثمـاني ولم تنجو السـفن الجزائرية من الكارثة المـدمرة[5]. وفي سنة 1830م لم يزل بميناء الجزائر سوى حـوالي 20 قطعة من سـفن الشباك و11 سفينة أخرى في وضـعية سـيئة[6]. فكـانت النتيجة أن المقاومة الجزائرية التي تصدت للحملة الفرنسية مقاومة شـكلية فقـط، لأن الجزائر لم تعد تملك ما كـانت تُـرهب به أعـدائها، فانعـدمت القـوة الكفيلة بـرد العـدوان على الـوطن. وبعد الاحتلال، تم إرسـال ثمـاني قطع من السـفن الموجـودة بالمينـاء إلى مدينة طولـون بفرنسا وهي: فتح الإسـلام والـتيس الـبري وهبة الله والحظ السـعيد وطونقـاردا والثريا والصـقر ومايورقة[7].)
انظر، ش 34،35)

---

[1] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق،** ص ص 493- 494.

[2] DEVOULX (Albert), **Op.Cit**. p.416 417-.

[3] بوعزيز (يحيى)، **نفس المرجع السابق،** ص 212.

[4] DEVOULX (Albert), **Op.Cit**. p.419.

[5] BELHAMISSI (Moulay), **Histoire de la marine algérienne (1516- 1830), Op.Cit**, p. 142.

[6] الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، **نفس المرجع السابق،** ص 413..

[7] بوعزيز (يحيى)، **نفس المرجع السابق،** ص 212.

الفصل الثالث: تموين الصناعة البحرية بالعتاد

أ- الصفقات التجارية

ب- التسويات مع الدول الأوربية

ج- المساعدات العثمانية

لقد كانت الصناعة البحرية بالجزائر تعتمد على العتاد الخاص الذي يدخل في بناء السفن وتجهيزها بمختلف الأجزاء الضرورية والقطع الصالحة بجميع أسام السفينة. ولا يمكن من دونها تصميم قطعة بحرية كاملة أو حتى ترميم ما أتلفته المعارك وإصلاح السفن المقبوضة عليها عن طريق القرصنة التي تُساق إلى ميناء الجزائر لتُعاد إلى البحر مرة ثانية بأسماء جديدة، تحت رئاسة قباطنة آخرين[1]. تنوّعت مصادر الإتيان بالعتاد البحري إلى الجزائر، فمنها مل تأتي به القرصنة على شكل قطع مراكب[2] أو السفن المغتنمة، وما يُفصل منها ما هو صالح للاستعمال مجدَّداً والسد به النقص المحتمل في احتياجات الصناعة البحرية[3].

وما كان يُجلب من الصفقات التجارية مع أوربا التي تحمل إلى الجزائر مواد شتى كالحديد والزفت والحبال والأشرعة، بالإضافة إلى البارود والمدافع، وأشياء متنوعة أخرى متعلقة بالعتاد البحري[4]. وكانت مختلف التسويات مع الدول الأوربية قد أفضت إلى دفع لإيالة الجزائر تجهيزات الصناعة الحربية المتنوعة والأسلحة مقابل الملاحة الحرة وتأمين التجارة. وأبرمت لذلك عدة معاهدات بين الجزائر والقوى الأوربية وهي تشير إلى مثل هذه الاتفاقيات القائمة على تلبية حاجيات البحرية من الخشب والحبالة والحديد والبارود إلى جانب المدفعية. وكل مخالفة ينجم عنها القطيعة ثم تليها الحرب. فكانت كل من السويد وهولندا وانجلترا وفرنسا والدانمرك وبلدان أخرى، مجبرة على إرسال المواد الأولية وقطع الغيار والسلع الأخرى، من أجل الحفاظ على وتيرة منتظمة للصناعة البحرية الجزائرية[5]. كما أن للمساعدات التي كانت تقدمها الباب العالي للجزائر أهمية كبرى تماثل في ذلك ما كانت ترسله الدول المسيحية خصوصاً فيما بين القرن 16م و18م.

أ- الصفقات التجارية: ارتفعت احتياجات البحرية الجزائرية من العتاد إلى مستوى أصبحت الغنائم والهبات التي كانت تقدمها الدول الأجنبية غير كافية. فاستلزم الأمر إلى اللجوء إلى شراء التجهيزات التي تحتاج إليها الصناعة البحرية المحلية. وكان قناصل فرنسا وانجلترا أو السويد يُستخدمون كوسائط للإلحاح لدى بلدانهم بالسهر على نوعية السلع والإسراع بتنفيذ الطلبات[6]. فكانت المعاملات التجارية تُقام مع الجزائر عن طريق بعض التجار الفرنسيين والإنجليز والهولنديين. وقد ساعد القناصل

---

[1] سبنسر (وليام)، **نفس المرجع السابق**، ص 144.

[2] BELHAMISSI (Moulay), **Marine et marins d'Alger**, Tome I, **Op.Cit,** p.73.

[3] SHAW (docteur Thomas), **Voyage dans la Régence d'Alger,ou description géographie…. Op.Cit,** p.195 ,**(.http://www.algérie-ancienne.com**)

[4] CANARD (M.): « **Une description de la cité barbaresque au 18ème S. par un officier de marine russe, Kokovtsov (Matvei Srigorievitch) (1776-1777)** », In R.A, No. 95, Année 1951, p. 179.

[5] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.73.

[6] **Idem,** pp.79-81**.**

الأوربيـون لفرنسا وانجلـترا وهولنـدا والسـويد على إبـرام معاهـدات سـلم وتجارة مع الجزائريين[1].

وعلى سـبيل المثـال، تـذكر رسـالة بتـاريخ جويلية 1663م أن الإيالة أرادت اقتناء صواري وعـوارض الصـواري وتجهـيزات أخـرى لفائـدة خمس سفن جديدة، وتحدد الرسالة كذلك تاريخ الاستلام لنهاية شـهر أوت أو بداية سبتمبر، وتشرح أيضاً سبب تسليح القراصنة الجزائريين في شـهر أكتـوبر. وقد كـان لا يتم بيع أيما سـلعة للـداي، بـدليل أن مراسل الغرفة التجارية بمدينة مرسيليا المتمركزة بالجزائر العاصمة، يؤكد ذلك قائلاً أن الداي يريد من الفرنسيين أحسن الحبال وأفضل قنّب في أقـرب وقت ممكن من أجل اجتناب أي شكوى منهم. وفي مرة أخـرى، طلب الـداي من فرنسا تزويـده بعتـاد تقـني موجّه لمـركب من 72 قطعة مدفعيـة، كـان في طـور الإنجـاز. وكانت الطلبات الجزائرية من القطع والعتاد والمـواد الأولية عند المُمَـوِّنين متعاقبة طالما كان التسديد في التزام تام. وفي بعض المرات، كـانت قطع الغيار تُرجع إلى المصدر المرسَل لأسـباب أنها مشـوبة بعيـوب. ففي سـنة 1759م، أُضـــرت أجهـــزة من مرســـيليا لتركيبها في فرقاطة في طريق التصنيع في أحواض البناء البحري بالجزائر العاصمة، إلا أنه اتضح أنها كـانت مكسرة وفاسدة، فتم استبدالها في توّه.

لقد عرفت المعاملات التجارية مع أوربا أوقات صعبة كذلك، حـتى في حالة السلم، بحيث كان بعض المسئولون السـامون بأوربا ينصـحون جهـاراً بالعدول عن التعامل مع الجزائر. فمن خلال مـذكرة مؤرخة في 06 أكتـوبر 1694م، كان الفرنسيون يمنعون بيع الكبريت للجزائر ورسالة أخرى تشـير ‘إلى عـــدم بيع تزويد قراصـــنة سلا (المغـــرب) والجزائر بـــالكبريت حيث يُستعمل لصناعة البارود هناك[2].

وكـــانت تُجـــرى العملية التجارية أيضـــاً عن طريق تبـــادل الســـلع أو المقايضة أو بالتسديد الفوري أو باقتطاعها من ضريبة اللزمة * التي يـدفعها الباستيون*، كما أن العملية تحصل بواسطة تهريب البضائع بسبب العراقيل الـتي تُحـدثها القـرارات البابوية والمراسـيم الملكية في شـأن المبيعـات العسـكرية للجزائـر. أما عن المقايضـة، فكـانت تتم بتبـادل المنتوجـات الفلاحية بالعتـاد العسـكري. ففي سـنة 1725م، لوجييه دي تاسي يـذكر أن انجلـترا زوّدت إيالة الجزائر بالـذخيرة الحربية وبـآلات الملاحة واسـتبدلت بالمقابل الـزيت والقمح والمنتجـات الأخـرى. وفي 1778م، جلبت سـفينة انجليزية إلى الجزائر حمولة من مدافع حديدية وثلاث مرسـاة من حديد في

---

[1] EMERIT (Marcel): **« Le voyage de la Condamine (Charles- Marie de la) à Alger (1731) »**, In R.A, No 98, Année 1954, p.378.

[2] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** pp.81- 83.

* **ضريبة** عينية أو نقدية تُفـرض على قبائل الرعية. (ناصـر الـدين سـعيدوني، **النظـام المـالي للجزائـر في اواخـر العهـد العثمـاني (1792/1830)، الجزائر، 1980.)**

*مرفأ وحصن فرنسي بالقرب من مدينة القاة، أسسه الإخوة لانش –Lenche – سنة 1552م، بمقتضى قانون منح الامتيازات في الجزائر، ثم أخلي في سنة 1679م.

عهد الداي محمد باشا مقابل 05 ميزور* لكل قنطار من حديد. والتسديد الفوري يُجرى عن طريق الدفع نقداً، كما حصل ذلك في سنة 1695م عندما وَقَعَ الجزائريون خيارين لشراء عتاد بحري، إما الدفع نقداً أو القطيعة مع الإنجليز. وكذلك حدث في سنة 1711م بمرسيليا مع الرايس مبارك لاقتناء صواري لصالح البحرية الجزائرية عندما استعمل هذا الأخير الحمولة التي اصطحبها معه للتسديد بها لشراء هذه السلعة.

وكان الاقتطاع من ضريبة اللزمة المدفوعة من طرف الباستيون الفرنسي بمثابة تسديد نقدي للمشتريات العسكرية الجزائرية، عن طريق سحب مبلغ من إيجار المرافئ التجارية الفرنسية للشرق الجزائري. وكانت الشركة الملكية الإفريقية*-La Compagnie Royale d'Afrique – المتمركزة بالجزائر العاصمة، قد طلبت باسم الداي والرايس أمير البحر حبلين لفائدة مركب، بثمن يُقتطع من ضريبة اللزمة للباستيون.

وكانت عملية أخرى أُجْبِرَ على اللجوء إليها بفعل الضغوطات المفروضة عليه من طرف الأوربيين وهي التهريب. فكان لجوء الجزائريين إلى التهريب عبارة عن رد فعل للقرارات البابوية والمراسيم الملكية، التي كانت تمنع منعاً باتاً التعامل التجاري مع المسلمين، فيما يتعلق خاصة بالأسلحة والعتاد البحري، مما أدى بمسئولي البحرية الجزائرية إلى الاستعانة بخدمات اليهود ورجال الأعمال[1].

فاعتبر الأوربيون " أن هذا النوع من التعامل مع المسلمين مفاده تقوية شوكة المسلمين على حساب المسيحيين الصليبيين. وكان النصر مستحيلاً ما دام أعداء المسيح (أي المسلمين) يعتمدون على حيوية المتعاملين الأوربيين لتزويدهم بالأسلحة التي يحتاجون إليها، بل أنهم يُعامَلون في بعض الأحيان أفضل من الصليبيين أنفسهم..." لقد حاول الباباوات استعمال سلطة الكنيسة لمجابهة التهريب باعتباره مهلكاً إزاءهم، وذلك بإصدار قرارات صارمة تحظر نقل إلى الموانئ الإفريقية الأحصنة وعتاد السفن والأسلحة وخشب الصناعة والمئونة وكل ما يمت الصلة بالميدان الحربي. والتجار المخالفون لهذا القانون يتعرّضون إلى الطرد من الجماعة المسيحية ويُصرَّح بهم علناً خونة، ويُسْلَبون من ممتلكاتهم في بلدانهم وفي الخارج، ولا يحق لهم العمل في وظائف عمومية ولا يُستخرج لهم أية وثيقة رسمية. ويُشَهَّرُ بهم في كل يوم أحد أنهم من المُبعدين ومن أعداء الديانة الكاثوليكية، وقد يُصْدَرُ الاسترقاق الفردي ضدهم. وكان من المنتظر أن هذا الحظر الشنيع الذي أصدره الباباوات يوقف هذا النوع من التجارة بين المسيحيين والمسلمين، غير أن من تجار ذلك العهد، من كان الربح السريع والحاجة أقوى وأشد من خوفه من عقوبات الكنيسة.

---

* تحريف للكلمة الفرنسية – Mesure - و معناها كيلة أي مقدار معين، أو وحدة قياس، كمية.
Petit Robert 2, Paul Robert, Dictionnaire universel des noms propres, Montréal, 1988 voir « **Mesure** » (**Le**)

* أنشأها الفرنسيون سنة 1741م على الساحل الشرقي من إيالة الجزائر بمقتضى الامتيازات. (محمد العربي الزبيري، **نفس المرجع السابق**، ص ص 195- 196.)

[1] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** pp.83 - 84.

فكان رد الفعل تجاه هذه القوانين المغرضة أن في بعض البلـدان من أوربا، من كان يخالف الحظر البابوي جهـرة، وفي بعض الـدول الأخـرى من يُظهِرُ علانية احترامه لسـلطة بلاط رومـا، إلا أنه يخـدعها في السـر. فكـان هؤلاء التجار من وراء هذه التجارة يحصلون على ثـروات طائلة من الـذهب والأحجـار الكريمة واللؤلؤ والتوابل والعطـور مقابل بـذل بعض المنتوجـات الأوربية البخســة. ثم عنــدما اقتنع البابــاوات أن الصــراع بين المصــلحة الشخصية والسلطة الدينية يؤدي إلى خيبة أملهم، وافقوا على سن قــوانين استثنائية بمنح التجار رخص تجارية[1].

لقد كان لجوء الجزائريين إلى اليهود ورجال الأعمال، قد فُرض عليهم للحاجة الملحة لبعض المواد الأساسـية خاصـة، ولتنشـيط الصـناعة البحرية والاسـتمرار في إنجـاز السـفن على الأحـواض الصـناعية البحريـة. وكـان التهـريب يـوفّر لهم ذلك والأمثلة عديـدة في هـذا المجـال، منها أن القنصل الفرنسي أشار في سنة 1692م إلى وصول حمولة من الكـبريت إلى ميناء الجزائر، قادمة من مرسيليا، وقد أبرمت هذه الصفقة بين يهـود مرسـيليين ويهود الجزائر.وكـان من تخصص اليهـود في الجزائر اسـتيراد الأسـلحة من هولنــدا، وكــان المتعــاملون اليهــود لمدينة مرســيليا يُــزوِّدون الجزائر من الأجهزة والعتاد الذي يُطلب منهم[2]. وكـــــــــان أحد قباطنة البحرية الفرنســـية قد كشف عن تواطؤ الإدارة الفرنســـية مع البحـــري الجزائرية ومرسيليا، حيث نشأت شبكة تهريب نشيطة للأسلحة والمواد الإسـتراتيجية إلى منطقة المغرب العربي وإلى صـناعاتها البحريـة، و كـانت الأحصـنة من الأصل الـبربري الجميلة تشـكل الرشـوة الـتي تُلجم الاحتجاجـات المنـددة وتشـــتري ســـكوت بعض الضـــباط الســـامين بالأميرالية بمرســـيليا[3]. إن الحمولات الأكثر أهمية لعمليات التهـريب كنت تلك الـتي تنطلق من مـوانئ إيطاليا وتُعتبر مدينة ليفورنو –Livorno – الساحلية أكبر قاعـدة لهـا، وكـان اليهود هم الموكلون الرئيسيون لهذه الشبكة.

بالإضافة إلى ذلـك، كـانت المعاهـدات المبرمة بين الجزائر والـدول الأوربية تشجع عملية تهريب الأسلحة والذخيرة، نـذكر على سـبيل المثـال، المعاهـدة الجزائرية الدانمركية الـتي أُبـرمت في رجب من سـنة 1159هـ/ أوت 1746م، تشـــير في المـــادة 02 إلى أن البضـــائع المهربة كالـــذخيرة الحربية والبارود والرصاص والكبريت والزفت والقطران والخشب البحـري لا يدفع الرعايا الـدانمركيون أي رسم عليها في الجزائـر. وكـانت المعاهـدة المبرمة مع جمهورية البندقية سـنة 1177هـ/1763م تَنُصُّ في بنـدها الثـاني على عــدم اشــتراط رســوم من طــرف قــادة مملكة الجزائر على ســلع التهــريب المتمثلة في البــارود والكــبريت والألــواح الخشــبية وكل أنــواع

---

[1] PRIMAUDAIE (F. Elie de la**), Le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française, Op.Cit,** pp.164 - 165.

[2] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.84.

[3] TURBET- DELOF (Guy), **Op.Cit,** p.74.

الخشب الصالحة للصناعة البحرية والحبالة والزفت والقطران وجميع الأجهزة الحربية وكل الأشياء المتعلقة بالتسليح الحربي[1].

وكانت فرنسا التي تربطها مع الجزائر علاقات مستمرة وتُعتبر البلد الوحيد على البحر الأبيض المتوسط الذي لم يواجه الجزائر في حرب مستديمة. من خلالها، كانت الجزائر تُصدِّرُ عن طريق التجار الفرنسيين المواد المحلية من بذور وقمح، وشمع وجلود، مقابل استيرادها لكل ما له صلة بتجهيزات السفن وتسليحها. إلا أن المادة 07 من القانون البابوي بعنوان: "-In coena domini–" يُعاقَبُ بموجبها كل من يتجرأ تزويد المسلمين بالسلاح والذخيرة. ولكن الملوك الأوربيين لم يأخذوا ذلك في الحسبان، لذا كان القناصل يسمحون بإجراء مثل هذه التجارة[2].

ب- التسويات مع الدول الأوربية: لقد كانت وثائق الفترة الحديثة ومراسلات القناصل خاصة كاملة ودقيقة في موضوع مساهمة الأمم الأوربية في مجال تزويد الجزائر من احتياجات البحرية وصناعتها ، لاسيما في القرن 18م[3]. يعتبر ألبير دوفو "أن الجزائريين وجدوا وسيلة للتحصل على الأسلحة والذخيرة وهي عبارة عن ضريبة أو كحجة هدايا تُدفع من طرف أولئك ستُستعمل ضدهم[4]." ويبلغ عدد الدول التي كانت تسدد للجزائريين ضريبة اللزمة كل عامين ست، وهي الولايات المتحدة الأمريكية، ونابولي، والبرتغال، وهولندا والسويد، والدانمرك، بالإضافة إلى ذلك، كان على الدول الثلاث الأخيرة تسليم الحديد وأخشاب الصناعة، إلى جانب البارود والرصاص والزفت والحبال وأجهزة أخرى من العتاد البحري، إلى بحرية إيالة الجزائر[5]. ففي عهد الداي محمد بن بكير*، كان نشاطه في حكومة الجزائر يصب في تطوير التسليح وتعزيز التحصينات وفرضه بصرامة شديدة ضرائب عينية على السويد والدانمرك وهولندا لتموين الترسانات الجزائرية، فكانت هذه الأمم منذ سنوات، تمنح هبات معتبرة من العتاد البحري والبارود والقذائف إلى الجزائر[6].

ويضيف الأستاذ محمد العربي الزبيري "أن معظم الدول الأوربية وأمريكا، في نهاية القرن 18م، تدفع ضريبة سنوية وأخرى دورية إلى إيالة الجزائر مقابل حرية الملاحة في البحر الأبيض المتوسط. وكان حكام الجزائر يشترطون أن تكون جل الدفعات في شكل مواد أولية أو مصنوعة مثل اللوح والبارود والأسلحة والحبالة، إلى غير ذلك مما تحتاج إليه الدولة في حياتها اليومية، والتي يتعذر الحصول عليها بالطرق الأخرى، لأن تجار شمال إفريقيا كانوا لا يُقبلون في تلك البلاد، وإذا دخلوها، فإنهم يُعَرِّضون

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.84-86.

[2] GRAMMONT (Henri Delmas de), **Op.Cit,** p.171.

[3] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.74.

[4] DEVOULX (Albert), **El-Djazaîr, Histoire d'une cité, d'Icosium à Alger**, **OP.Cit,** p. 274.

[5] PAVY (Mgr): " **La piraterie barbaresque**", In R.A, No. 2, Année 1857-1857, p.348.

* حكم الجزائر من 1748م إلى 1754م. . (GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p.159).

[6] GRAMMONT (Henri Delmas de), **Op.Cit,** pp.245-246.

أنفسهم وما يملكون للهلاك والضياع[7]." لقد نجح الجزائريون في القرن 17م، في إدراج بين شروط الهدنة والسلم مع أية دولة أوربية شرط تزويد الجزائر بالأجهزة والمواد الأولية من أجل صناعة وتجهيز وتسليح سفنهم[8].

وكانت الدول الأوربية الصغيرة كالسويد والنرويج والدانمرك وهولندا تمنح الجزائر التجهيزات البحرية والمدافع والذخيرة رغم اعتراض فرنسا وإسبانيا لذلك. فكانت هذه الدول مغلوبة على أمرها، على قول دي غرامون، مضيفاً أنها كانت تطالب الجزائر بإبرام معاهدة صلح وسلام معها مقابل ضمان أمن الملاحة البحرية، فيُفرض عليها دفع إتاوات سنوية تتمثل في ما سبق ذكره. وقد تبعت دول أوربية أخرى حذوها مثل مملكة الصقليتين*، وطوسكانا* والبندقية وراقوصة* باستثناء فرنسا وانجلترا وروسيا وأسبانيا. وقبلت جميعها الشروط التي فرضتها عليها الجزائر، ولكنها قبل ذلك، حاولت التملص من هذه الإجراءات بالتفاوض مباشرة مع الباب العالي التي كان يشوبها الكبرياء والعزة بعدم البوح بأنها لا تملك أية سلطة على الجزائر[7].

- هولندا: يُعتبر هذا البلد أكثر البلدان التي قَدَّمت للجزائر مساهمة قوية، وظهر أنه واجه في القرن 17م على غرار الجزائر ملك فرنسا لويس الرابع عشر*-Louis XIV- كعدو لدود، مما دفع هولندا إلى إمضاء معاهدة مع الجزائر يوم 30 أفريل 1679م، والتي بمقتضاها سلّمت للجزائر مدافع وذخيرة وبارود و40 صارياً وحمولة مركب من كابلات حديدية وعتاد بحري متنوّع. وفي السنة الموالية قدّمت كمية أخرى إضافية من الأسلحة والذخائر إلى جانب كابلات ومرساة وأشرعة وصواري وحبالة[8]. ويؤكد شارل أندري جوليان أن هولندا في هذه السنة أي في سنة 1680م رضيت بتزويد الجزائر من هذه التجهيزات مقابل رخصة تصدير للحبوب[9].

غير أن فرنسا نظرت إلى هذا التعاون بعين مشينة لأنها ترى في هولندا المنافس العنيد في الحوض المتوسط و كذلك البلد الذي ينتصر فيه المذهب الكلفيني* المعادية للكاثوليكية، وفوق كل ذلك لا تطيق هذه العلاقة الحميمية التي تربط هولندا بدولة إسلامية. وفي سنة 1711م، اقترحت هولندا على الجزائر هدايا تتشكل أساساً من أسلحة نارية ومدافع وأسلحة بيضاء و25 صارياً و08 كابلات. وكان أدنى تأخير في تنفيذ

---

[7] الزبيري (محمد العربي)، **نفس المرجع السابق** ، ص119.

[8] BONO (Salvatore), **Op.Cit,** p.115.

* نشأت في سنة 1130م، قبل ربطها بإيطاليا سنة 1861م. **Sicile** » **Microsoft® Études 2008 [DVD]. Microsoft Corporation, 2007** («))

* **طوسكانا**-Toscane – منطقة من إيطاليا الوسطى، في سنة 1569م سيطرت على دوقية طوسكانا أسرة مديسيس -Médicis-، و في سنة 1860م ضمّتها منطقة بيدمونت - Piémont- إليها. (**Le Petit Larousse Illustré**, **Op.Cit**, **Toscane** » voir «.)

* **راقوصة**-Raguse – هي ديبروفنيك-Dubrovnik - حالياً، وهي مدينة كرواتية، أصبحت فيما بين القرنين 15 و16م جمهورية حقيقية، عرفت نشاطاً تجارياً وثقافياً مكثفاً. (**Le Petit Larousse Illustré**, **Op.Cit**, voir « **Raguse** ».)

[7] GRAMMONT (Henri Delmas de), **Op.Cit,** pp.198-199.

* ملك فرنسا من 1643م إلى 1715م. . (**Le Petit Larousse en couleurs**, **Op.Cit**, voir « **Louis XIV** ».)

[8] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.74.

[9] JULIEN (Charles André), **Op.Cit,**, p.667.

* مذهب مسيحي يعود إلى مؤسسه الفرنسي جان كلفين-(1509-1564)Jean Calvin –.
(**Le Petit Larousse en couleurs**, **Op.Cit**, voir « **Calvinisme**».)

الاتفاقيات يؤدي إلى اندلاع الحـرب. وبين مد وجـزر في العلاقـات الثنائيـة، ففي سـنة 1746م، بعد عـودة السـلم بين البلـدين، أرسـلت هولنـدا حمولة ثلاث سفن من الصواري والأشرعة والحبال وكميات من البارود والرصاص. وبعد ثلاث سنوات، شهد ميناء الجزائر تفريغ حمولات من نفس الأهمية من سـفن هولندية[1]. وفي 03 مـارس 1769م، ثلاث سـفن هولندية أفـرغت حمولة من الهبـات المفروضة من الجزائر مينـاء العاصـمة، وقد أرغمتها السلطات الجزائرية على تزويدها بالذخيرة، كما في السابق، بعدما رفضت هـذه الأخـيرة، دخـول ميناء الجزائر للمـراكب الهولندية الـتي جلبت هـدايا أخرى، بدل الأسلحة أو البارود[2].

- الـدانمرك: أبـرمت الجزائر مع دولة الـدانمرك فيما بين 1746م و 1749م عدة معاهدات تعهـدت فيها دفع عتـاد عسـكري وتجهـيزات السـفن الحربية من صواري كبـيرة وكبلات وحالـة. كما أن الـدانمركي الـتزم أيضـاً بحمل سنوياً، حبال السفن وعارضات الصواري والصـواري والكبلات[3]. وفي سنة 1747م، بعثت الـدانمرك 40 مـدفعاً و04 مهـاريس (هـاون) و20 ألف كـرة مـدفع و 06 آلاف قنبلة وكمية كبـيرة من مـواد البنـاء البحـري. وقد رُفضت حمولة الهاونـات المصـنوعة بالحديد واشـتُرط عليها أن تكـون من الـبرونز وإلا ستُفسخ المعاهـدة[4]. وكـانت المعاهـدة الجزائرية الدانمركية المؤرخة في 10 أفريل 1749م، قد أدرجت فيها الهبـات السـنوية الممنوحة للجزائر، فمنها كمية كبـيرة من ذخـيرة المـدافع، و25 كبلاً صـغيراً ولـوازم بحرية أخرى. وفي 07 نوفمـبر من نفس السـنة، فرقاطة دانمركية وصـلت إلى مدينة الجزائر محملة بالـذخيرة الحربية والمـواد الخاصة بالصـناعة البحرية[5].

دخلت الـدانمرك في أول نـزاع مع الجزائر في سـنة 1767م، وانفض في السنة الموالية مقابل دفع ثمناً غالياً. وفي أوت 1769م، أعلنت الجزائر الحرب عليها، رغم إلحاح الباب العالي بالإقلاع عن ذلك. وكان الـداي محمد بن عثمان يؤاخذ عليهم التأخر في إرسال الهبات[6]. فاتخذت الدانمرك خيـار الحـرب ضد الجزائـر، فتعـرض مينـاء الجزائر إلى هجـوم بحـري للأسـطول الـدانمركي في سـنة 1770م. وكـان الهـدف منه هو إرغـام الجزائر على إسـقاط الإتـاوات والهـدايا القنصـلية المفروضة عليهـا، ولم تحقق دولة الـدانمرك من وراء هـذا الهجـوم أية نتيجة رغم مخادعة البحرية الجزائرية وتوجيه قصفاً مكثّفاً لمنشآت مرسى الجزائر لمدة 11 يوماً (19-21 جـوان 1770م) وفشلت المحاولة العسـكرية وتضـررت سـفنها من جـراء ملاحقة

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** pp.75-76.
[2] GRAMMONT (Henri Delmas de), **Op.Cit,** p.255.
[3] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.77.
[4] GRAMMONT (Henri Delmas de), **Op.Cit,** p.246.
[5] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.77.
[6] GRAMMONT (Henri Delmas de), **Op.Cit,** p.255.

البحـارة الجزائـريين لها لمـدة سـنة كاملة[1]. وقد خلقت هـذه الحملة الـتي يُـدرها القائد الـدانمركي دو كـاس-De Kaas – بحكمة وذكـاء، حسب دي غرامون، الشعور بالفخر لدى الجزائريين وكلفت الدانمركيين غالياً.

وعندما حضر الأميرال الدانمركي هوغلانـد- Hoogland- إلى الجزائر للتفـاوض سـنة 1772م،[2] اضـطرت الـدانمرك إلى طلب الصـلح والالـتزام بتعويض الخسائر التي تسبب فيها الهجوم البحـري الفاشـل. وقُـدِّرت بما لا يقل عن مليونين ونصف مليون ريال نقداً وكمية كبيرة من العتـاد البحـري، اشتملت على 44 مدفعاً، و4500 قنطار من البـارود و55 شـراعاً للسـفن و مقدار من الحبال والصواري والأخشـاب الموجهة لترسـانة صـناعة السـفن بالجزائر[3]. كما أن الجزائر ذكّرت باستعادة أحقية دفع الهبات السـنوية وحق دخل القنصـلية الدانمركية الـذي لم يتم تسـديده منذ القطيعة[4]. وبـذلك حصلت الدانمرك على إقرار معاهدة صداقة وسلام مع الجزائر[5].

- السـويد: لقد احتـذت دولة السـويد حـذو البلـدان البحرية الأخـرى، بهدف حماية تجارتها، فقد حاولت أن تكـون على علاقة حسـنة مع الجزائـر. وكان إرسال العتاد البحري والتجهيزات قد ساعد على إصلاح الأمور بينهما: ففي سنة 1731، أرسلت السويد كمية من البارود والبنادق والمدافع. وفي سنة 1747م، حمولة معتبرة سويدية أُفرغت في ميناء الجزائر، تحتوي على صواري وكبلات تأزير السفن وألواح خشبية وحبال السفن وبراميل الـزفت وكـرات المـدافع. ثم أصـبحت البعثـات من هـذا النـوع تتعـاقب على مينـاء الجزائر[6]. وفي سنة 1769م، قبلت السويد بالمطلب الجزائري المتمثل في رفع ضريبتها إلى 300 ألف ليبرة، تُـدفع على شـكل ذخـيرة ومعـدات بحرية دون احتساب الهبات المعتادة[7].

- جمهورية هـامبورغ*:-Hambourg – أبـرمت الجزائر مع جمهورية هـامبورغ معاهـدة في جـانفي سـنة 1751م، فأصـبحت الهبـات العسـكرية الألمانية تصل الجزائر إلى أن ألغى مجلس شـيوخ مدينة هـامبورغ تلك المعاهدة على إثر المعارضة التي أبدتها إنجلترا وفرنسا إزاءها.

- إنجلـترا: لقد سـاعدت الخصـومة القائمة بين إنجلـترا وفرنسا على نشـأة علاقة صـداقة جزائرية إنجليزيـة. وكـانت المسـاهمة الإنجليزية في تسليح إيالة الجزائر أقـدم من ذلـك، وكانا القنصـلان الإنجلـيزي والهولنـدي يتنافسـان بحمـاس لإرضـاء الجزائـر. واعتـبر القنصل الفرنسي سانسـون نابلون–Sanson Napollon – أن السلام الذي حققه الإنجلـيز والفلامنـديون

[1] **معجم مشاهير المغاربة، نفس المرجع السابق** ، ص ص 72- 73.
[2] GRAMMONT (Henri Delmas de), **Op.Cit,** p.256.
[3] **معجم مشاهير المغاربة، نفس المرجع السابق** ، ص 73.
[4] GRAMMONT (Henri Delmas de), **Op.Cit,** p.256.
[5] **معجم مشاهير المغاربة، نفس المرجع السابق** ، ص 73.
[6] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.78-77.
[7] GRAMMONT (Henri Delmas de), **Op.Cit,** p.255.

* مدينة ألمانية، أصبحت مدينة دولة منذ القرن 12م، التحقت بالإمبراطورية الألمانية سنة 1871م. (**Le Petit Larousse en couleurs**, **Op.Cit**, voir « **Hambourg**».)

(الهولنـــديون) مع الجزائر والـــذي جلب لها مختلف الأنـــواع من الـــذخيرة الحربية، قد كان ليُلحق الضرر أكثر بالمسيحيين[1]. وحدث أيضـاً، أن لإنجلـيز واجهوا الجزائر عسكرياً، بحيث أنهم قـاموا بثلاثة هجومـات ضد الجزائر في ســـنوات 1622م و1655م و 1672م، إلا أنهم لم يُحـــرزوا غـــير الهزيمة والخـذلان، رغم التفـوق التقـني للجيش البحـري الإنجلـيزي. وفي سـنة 1628م، فُرض على الإنجليز والهولنديين تزويد الجزائر بالحبال والصـواري والأســلحة مقابل حق تصــدير الحبــوب[2]. وفي عهد بابا علي بوســباعة*، استطاع الإنجليز الحصول على نفوذ واسـعة، ولكنهم واجهـوا الإهانة والـذل من الداي محمد بن عثمان باشا. وكان القنصل الإنجليزي الجديد المتسـبب في ذلك، عندما أعلن جهاراً نيته الامتثال أمام الداي وهو مقلّداً سـيفه على الجانب، غير أنه، عندما أُبلغ عن مغبة فعل ذلك، سيُنْزَعُ له عنوة و سيُكسَّــرُ على رأسه، أقلع القنصل المغرور عن تحقيق إدعاءاته[3].

ج- المسـاعدات العثمانيـة: كـانت مسـاهمة البـاب العـالي في تموين إيالة الجزائر بمختلف التجهـيزات والعتـاد البحـري، لا يقل أهمية عن تلك التي قدمتها الدول الأوربية. فقد كان السلطان العثمـاني لا يفوته أبـداً، فرصة مناسـبة تنصـيبه حـاكم الإيالة الجديـد، مقابل الهـدايا الـتي ترسـلها الجزائر إلى الأستانة، إرفاق مبعوثي الداي بالعتاد الضروري التي تعـوز إليه البحرية الجزائرية. فكانت المرسلات العثمانية تتشكل عموماً من الأسلحة والذخيرة، مع القليل من المواد والعتاد الخاص بالصناعة العسكرية كالقنب والحديد وعارضات الصواري والزفت والصمغ والأشـرعة وخشب الصـناعة والحبال وأسرة المدافع ودفات المراكب وأوتـاد السـفن والمجـاديف وملح البارود والرصاص ...الخ[4].

ومن الأمثلة المكرسة لهــذه المســاهمة أيضًــا، أن الــداي محمد بن عثمـان باشا الـذي تـولى الحكم بعد مـوت الـداي علي بوسـباعة، بـادر إلى إرسال هدية للباب العـالي مع ابن أخيه حسن وكيل الحـرج على إثر إحبـاط الحملة الأســبانية على الجزائر المعروفة بمعركة الحــراش ســنة 1775م. وقد ردَّ الســلطان بهدية خاصــة، احتــوت على كمية من العتــاد لفائــدة الأسـطول الجزائـري منها 05 آلاف قنطـار من قضـبان الحديد و28 صـارية ســفن و500 قنطــار من أليــاف الحبــال و4200 قطعة قمــاش لأشــرعة السفن[5].

وفي نفس المضمار، نستشـهد بوثيقة من الأرشـيف الوطـني مؤرخة في سـنة 986هـ/1579م، وهي عبـارة عن رسـالة إلى مـدن قضـاة قـره مرسل وكـــروس وإنه ده* التركية فيها ما يلي: " نظـــراً لحاجة الســـفن

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.78-79.

[2] JULIEN (Charles André), **Op.Cit,**, p.667.

* داي الجزائر من 1754م إلى 1766م. (GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p) 160.

[3] GRAMMONT (Henri Delmas de), **Op.Cit,** p.255.

[4] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.79-80.

[5] **معجم مشاهير المغاربة، نفس المرجع السابق**، ص 74.

المتواجـدة في جزائر الغـرب للمجـاذيب والكرسـته* اللازمة لعمل سـائر المهمات الأخرى، فقد أرسلنا الرئيس أحمد، وأمرنا: بتـأمين القـدر الكـافي من الأخشاب لعمل المجـاديف والكرسـته اللازمة لسـفن الجزائر وتحميلها على متن سـفينة الـرئيس المـذكور حـال وصـوله. وحـاذروا من العـوق (العوائــق) والتــأخير[1]." يتــبيّن من هــذه الوثيقة أن الجزائــريين كــانوا يستقدمون ما يحتاجون من مـواد خـام لاسـتعمالها في صـناعة السـفن من تركيا كذلك منذ بداية العهد العثماني في الجزائر. وتجدر الملاحظة أيضاً أن مصلحة العثمانيين الأتراك مساعدة قوة عسكرية حليفة قد أثبتت جـدارتها في معركـتي بـــريفيزا –Préveza -* وليبـانت و تـونس، واسـتطاعت أن تُشكل جبهة غربية في وجه الدول الأوربية المسيحية[2].

الفصل الرابع: استغلال الخشب، الكرستة

أ- الأهمية

* هذه المدن الثلاث معروفة بوفرة الأشجار والغابات وبصناعة الأخشاب حتى يومنا هذا ، وتقع بالغرب من مدينة بورصة أو بروسة، كما تمر في كتب التواريخ والوثائق التاريخية. (نفس الوثيقة من الأرشيف الوطني)

* نظام استغلال الخشب.

[1] وثيقة من دفتر " **مهمة دفتري**"، رقم 36، صحيفة 19، حكم رقم 56 مؤرخة في 07 نوفمبر 986هـ/ 1579م. (الأرشيف الوطني الجزائري)

* معركة بحرية حدثت في سبتمبر 1538م انتصر فيها خير الدين على اندريا دوريا.(BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit** p.137.)

[2] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.81.

ب- منطقة بجاية

ج- منطقة جيجل

د- بعض الصعوبات

استغـلال الخشـب" الكرسـته"

أ- الأهمية: لقد شكل الخشب في القرون الحديثة مـادة أساسـية في حياة الأمم البحرية، التي استطاعت بفضلها، أن تُنشئ أساطيل، شقت عباب البحار والمحيطات للتعرف أكـثر على العـالم في إطـار الاكتشـافات الجغرافية، ولتشهد ظهور دول عظمى جديدة على مسرح الأحـداث. لـذلك أصبحت السفينة الوسيلة الأمثل لبلـوغ دولة ما تصـبو إليه وأضـحت أهميتها أكبر من ذي قبل، وأخذت الصـناعة البحرية تتطلب توفـير المـادة الخشـبية بالكفاية اللازمة لتضمن استمراريتها ودوامها.

ومن البلدان التي لم تتضرر من جراء نقص أو ندرة من هـذا المـورد الطبيعي الهام، بلدان أوربـا، وذلك بفعل تواجد القـارة الأوربية إلى شـمالي النصف الكرة الأرضية الشمالي المتميِّز بمناخ معتدل رطب يكسوها غطـاء نباتي كثيف. فكانت الغابات تغطي القارة بالقدر الكافي تساعد على القيام بصـناعة بحرية متطـورة وإنشـاء سـفن حديثة تتميّز بالمتانة والسـرعة والمرونة والتسليح[1]. وبالمقابل، كـانت دول العـالم الإسـلامي الواقعة إلى جنوبـا، تنعـدم فيها تلك العوامل الطبيعية المسـاعدة على نمو الغطـاء النباتي، ليتغلب عليها طابع المناخ الجاف الحـار. غـير أن المغـرب العـربي، لوجـوده على مقربة من أوربا و من البلـدان المطلة على البحر الأبيض المتوسط، يطبعه في شماله خاصة مناخاً متوسطياًّ معتدلاً، مما سهل على انتشار الأشجار بأنواعها فيه ولو بشكل محـدود. وكـانت الجزائر من الـدول المغاربية الـتي تكـثر فيها الغابـات على منـاطق الأطلس التلي والسـواحل

[1] **Microsoft® Études 2008 [DVD]. Microsoft Corporation, 2007**, voir « **Europe** ».

الجزائرية خاصة. لهذا، عرفت الجزائر تطور صناعة بحرية على طول سواحلها، لاسيما في الوسط والشرق الجزائريين في الفترة الحديثة، وكان بمقدورها منافسة الأوربيين في صناعة السفن كماً ونوعيةً، وبإقامة أسطول بحري برهن فعاليته على البحر والمحيط.

لقد اعتمدت البحرية الجزائرية على جلب الأخشاب من الخارج والاستفادة من السفن القديمة والمغتنمة، إلا أن القسط الأكبر منها كان يأتي من استغلالها في أماكن تواجد الغابات الكثيفة. " كانت تلك الأشجار الغابية في الجزائر تغطي مساحات شاسعة من جهات التل والهضاب العليا ومرتفعات الأطلس الصحراوي، قبل أن تنحصر مساحتها أواخر العهد العثماني بفعل قلع وقطع عدد منها لاستخدام خشبها في إقامة المساكن وصنع الأثاث والطهي والتدفئة، ولاسيما بناء السفن الذي تطلّب عام 1781م، قطع أشجار منطقة الساحل الغربية من الجزائر لصنع 50 سفينة مجهزة بالمدافع، وأدى إلى إتلاف غابات نواحي بجاية وجيجل التي شُحنت أخشابها إلى ترسانة السفن بالجزائر بأمر من شيوخ القبائل المتعاونين مع الحكومة الجزائرية مقابل نيل الامتيازات والحصول على الترضيات. وقد عرف هذا التعاون بين العائلات الإقطاعية مثل عائلة المقراني بالقبائل الصغرى، وبين رجال البايليك بالمدن الساحلية بنظام الكرستة.) انظر، خ 06)

رغم استغلال الغابات بشكل مكثف عن طريق الامتيازات التي مُحت للأجانب، فإن الغطاء النباتي للجزائر في العهد العثماني، ظل يتميّز بكثافته وتنوُّع أشجاره، ففي الوقت الذي كانت فيه الغابات في فرنسا لا تتجاوز مساحتها مليون هكتار، فإن الجزائر رغم ظروفها الطبيعية والمناخية التي تحد من انتشار الغابات، نجد مساحة الغابات تفوق فرنسا وتبلغ 1.200.000 هكتار، أغلبها من أشجار الفلين المنتشرة بالجهات الساحلية الممتدة من القالة إلى بجاية والتي تتخللها أشجار الصنوبر والزيتون البري والكروش. وقد اشتهر منها غابات بني صالح وسيبوز، وإيدوغ، والصفصاف، وسكيرة، والقالة، وذلك قبل أن تتعرض للإتلاف والحرق على يد جيوش الاستعمار الفرنسي[1]."

يُعتبر الخشب مادة رئيسية، إلى جانب الحديد والزفت... إلخ، ويدخل في صناعة السفن بنسبة كبيرة، ولكن ليس كل أنواع الخشب صالح لبناء السفن، فكانت بعضها يوصى باستعمالها كال.....الثمين، كما جاء في نصوص المختصين، وورد ذلك في الكتاب الوجيز الخاص بعلم الملاحة البحرية:" Della milizia maritima (1540)" الذي ذكرناه في فصل سابق، وما حوا من معلومات للمقاييس والنسب الملائمة لتصنيع الغليرة من حيث كمية الخشب، فيُنصح لذلك خشب الجوز لنعومته وجماله ومتانته وديمومته، وبالمقابل يَذُمُّ الأموال الباهظة التي تُصْرَفُ وتُبَذَّرُ في التزيين

[1] ناصر الدين سعيدوني، البوعبدلي (المهدي)، **نفس المرجع السابق**، ص ص 59- 60 .

والزخرفة بالـذهب والألـوان الزاهيـة، وهـذا لا يعـود بالفائـدة على الغلـيرة الأوربية في أي حال من الأحوال.

وحــتى لتصــميم المجــاديف، يجب أن تُــراعى فيه وبعناية خاصــة، المواصفات الخصوصية للخشب، بذلك كانت المجاديف المصـنوعة بخشب الزان أجـود وأمتن من تلك المصـنوعة من خشب القيقب. وكـان اسـتقدام الكميات الكبيرة من الخشب الجيد من طرف الورشات الصـناعية يتعـرض إلى بعض الصعوبات في كل الحالات تقريباً. فكـان يُـؤتى بها من المنـاطق البعيـدة، كما كـان الأمر بالنسـبة للجزائر الـتي كـانت تجلب خشب البلـوط والصنوبر من منطقة شرشال في الجهة الغربية[1]، وكذلك من جبال جرجـرة وبجاية وجيجل والقل والبابور، وكانت عائلة ابن حبيلس بالبابور وعائلة أولاد أمقـران بمجانة في البيبـان من العـائلات الـتي تـزوّد ورش بنـاء السـفن بالأخشاب، وذلك بتعاقد مع الحكومة بالجزائر العاصمة[2].

كان الجزائريون في بداية العهد العثمـاني يسـتغلون خشب منطقـتي شرشـال ومليانة[3]، وكـانت تسـمّى هيئة اسـتغلال الخشب بــ"الماسـن"-El Macen - يُشرف عليه الأسرى المسيحيين تحت رقابة جنود الإنكشـارية[4]. وكان أجود ما استخرجوه من غابات ضواحي شرشال خشب شـجر البلـوط وشـجر الصـنوبر[5]. ويـذكر الـراهب البنـدكتي هايـدو في ذلك أنه كـان يتم استعمال أخشاب البلوط والصنوبر الممتازة في صناعة الغليوطـات، وكـان صـاحب المـركب الجديد في الجزائر يجلب الخشب المقطـوع من الجبـال المحاذية لمدينة شرشــال المتواجــدة على بُعد 20 فرســخاً (أي 90 كلم) غربي العاصمة والـتي تغطيها الأشـجار بكثافـة. وكـان الخشب بعد تقطيعه يُحْمَلُ إلى نقطة شـحنه على ظهـور الـدواب تـارة، وتـارة أخـرى بواسـطة الأسـرى المسـيحيين الـذين يسـيرون على أقـدامهم لمسـافة حـوالي 06 فراسخ (أي 26 كلم) حاملين على أكتافهم ثقل الخشـب. وفي مينـاء الجزائـر، يُنَـزَّلُ الخشب المشـحون من السـفن ثم يوضع في حـوض البنـاء البحـري، يُقطَّعُ بالنشـارات فيُنْجَـرُ بالكيفية الـتي يكـون صـالحاً للصـناعة البحرية[6]. غــير أن الخشب في منطقة شرشــال آل إلى الاســتنفاذ بفعل الاستغلال المكثف، فكان على قادة الجزائر التفكير في إيجـاد موطنـاً آخر[7] ومصـدر تمـوين يسـاعدهم في اسـتكمال وإقامة صـناعة بحرية على أرض الجزائر.

ب- منطقة بجاية: لقد بذر في أذهان الحكام الجزائريين تسـاؤلاً فيما إذا كانت الموارد المحلية بقادرة على توفير النوعية والكمية المطلوبة وضمان تموينا منتظما للأحواض البحرية الجزائرية، في الوقت الـذي كـانت

---

[1] BONO (Salvatore), **Op.Cit,** pp.112-113.

[2] بوعزيز (يحيى)، **نفس المرجع السابق**، ص 163.

[3] KADDACHE (Mahfoud), **OP.Cit**, p.37.

[4] GODARD (M. L'Abbé Léon), **OP.Cit**, p.40.

[5] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.65.

[6] HAEDO (Fray Diego de**(, OP.Cit,** p.88.

[7] MERCIER (Ernest), **OP.Cit,** p.145.

فيه أخشـــاب منطقة شرشـــال قد نفـــذت في منتصف القـــرن 17م. فتم تعويضها بأخشاب منطقة بجاية، غير أن حيازة هـذه المـادة الأولية بشـروط مفيـدة دفعت الحكومة الجزائرية على التعامل مع الشخصـيات المحلية ذو النفـوذ الواسـعة من العـائلات الدينية المرابطية* ، مقابل منحهم امتيـازات مشروعة ورسمية، وذلك لتسـهيل عملية اسـتقدام الخشـب. وقد الـتزمت عائلة أمقـــــران من قرية مجانة بقطع الأشـــــجار وتجزئة الخشب بحسب الأغصان المقطوعة والأحجام الموضوعة من ذي قبـل، مسـتفيدة بالمقابل تمليك أراض زراعية فيما بين مدينتي سطيف ووادي زناتي.

وذكر الـــورثيلاني* عن عائلة أمقـــران الشـــريفة وعن ســـلطان مدينة مجانة المدعو محمد بن أحمد بن القندوز المقراني أنه يُعتبر من أوليـاء الله الصـالحين للقـرن 9هـ/16م. وتمكن ابنه من صـلبه بنـاء قلعة بـني عبـاس وأسس فيها مملكة له في القـــــرن10هـ/17م، فجنَّدَ لها جيشـــاً وفـــــرض الضرائب، ودامت مملكة بـني عبـاس حـوالي 80 عامـاً على ما سـمعه من أفواه أحد علماء القلعة، وكان آخر ملوك هذه الأسـرة سـيدي الناصر الـذي قُتل غدراً من طرف بني عباس، ومعه اندثرت ملكية عائلة المقراني[1].

وفي نفس الموضوع، تطرّق هايدو كذلك في كتابـه: " تـاريخ ملـوك الجزائر"، إلى أحد ملوك قلعة بني عباس[2]، ويبدو أنه هو عبد العزيز أمقران[3] الـــذي أعلن حسن باشا عليه الحـــرب خلال عُهدته الثانية على رأس إيالة الجزائر ســـــنة 1559م*، وقُتل على إثـــــره في معركة بين قواته وجيش الجزائر. ثم اختير أخوه[4] أمقران خلفاً له[5]، فعقد هـذا الأخـير مع حسن باشا معاهدة تحالف هجومي ودفـاعي دون إلزامية دفع الجزية[6]. وأصـبحت عائلة أمقران بمقتضى الاتفاق الذي عقدته مع الجزائر تقوم على تنظيم مصـلحة وقد عُرفت هذه المصـلحة الـتي اختصت في اسـتغلال الخشب في منطقة بجاية باسم " الكرستة ". وكـانت هـذه المصـلحة تنشط في مدينة بجاية إذ يوجد بها مركز تـرقيم الخشب وشـحنه[7]. إن كلمة " كرسـتة "، تركية الأصل تعـني ألـواح وقطع خشـبية لهياكل السـفن أو النجـارة، كما أعطيت هـذه التسمية لنظـام اسـتغلال خشب الصـناعة البحرية ولكل المنطقة المغطـاة

---

* **العائلات** التي تنسب أصلها إلى الأولياء الصالحين وهي 03 عائلات: - أولاد سيدي شريف أمزيان (منطقة إيمولا).- ابن علي الشريف (شـلاطة).- أولاد سي محمد أمقـران (بجايـة). **(** 65BELHAMISSI (Moulay),. **Op.Cit,** p.).

* وهو **سـيدي الحسـين بن محمد السـعيد الشـريف الـورثيلاني** (1739م-1778م)، عـالم ورحالة جزائري من قبيلة بني ورثيلان (القبائل الصغرى)، له كتاب: " نزهة الأنظـار في فضل علم التـاريخ والأخبـار". (الموسوعة العربية الميسرة، انظر،" **الورثيلاني**".)

[1] HADJ-SADOK : « **A travers la Berbérie orientale du 18ème S. avec le voyageur El-Wartilani (Sidi El-Hussein Ibn Muhamad As-Said, Ach-Charif)** », In R.A, No. 95, Année 1951, p.354.

[2] HAEDO (Fray Diego de(**, Histoire des rois d'Alger, Op.Cit.** p.127.

[3] GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p..79

* **حسن باشا:** العُهدة **الأولى**: 1544م- 1552م، **الثانية**: 1557م- 1561م، **الثالثة**: 1562م- 1567م. (خلاصي (علي)، **العمارة العسكرية، نفس المرجع السابق**، ص13.)

[4] HAEDO (Fray Diego de(**, Op.Cit.** pp.127-128.

[5] GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p..79

[6] HAEDO (Fray Diego de(**, Op.Cit.** pp.128-129.

[7] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** p.65.

بالغابات المتواجدة في خليج بجاية[1]. وتدخل هذه المنطقة ضمن منطقة القبائل الشرقية التي يوجد فيها أجمل غابات الجزائر حيث تكثر فيها شجر الصنوبر والأرز وجميع أنواع شجر البلوط المختلط بالأصناف اللامتناهية الأخرى، وصنف- الأشجار الأكثر شهرة لمقاومته وأحجامه الضخمة، شجر بلوط الزان المدعو أفارس-Afarés -[2]. والخشب الذي استغله الجزائريون في أول وهلة، كان ذلك المستخرج من غابات بني ميمون وبني عمروس وهي قبائل تتواجد بمقربة من مدينة بجاية[3].

وعلى قول المؤرخ الفرنسي فيرو أن هؤلاء القوم ينتمون إلى شعوب البربر الذين يتميّزون بطبيعة استقلالية وخشنة بسبب الحروب الدائمة المعلنة ضد الهيمنة الأجنبية. كما أنهم من ذوي الصفات الحميدة كالذكاء والكَلِّ والنشاط. ولم يكن باستطاعة الأتراك إخضاعهم بحد السيف، كما أنه لم يكن بالأمر الهيِّن ربط علاقات مع هذه القبائل ونيل حظوة منهم للدخول في منطقتهم من الاستفادة من الموارد الطبيعية، فلم يتوصَّلوا إلى ذلك إلا بمساعدة شخصيات من الأسر الشريفة الذين استفادوا هم أيضاً من حقوق التمليك.

وقد استعان نفس المؤرخ لسرد مختلف الأحداث التاريخية المحلية، والتعرُّف على العلاقات التجارية الموجودة بين عاصمة الإيالة ومختلف موانئ مقاطعة قسنطينة، ببعض الوثائق العربية المحلية، البعض منها كان ملكاً لسي محمد بن أمقران قائد قبيلة بني صيار من منطقة جيجل، والبعض الآخر، لعائلة سي عبد الرّحمن الفرقاني، خوجة مكتب الشئون العربية لمنطقة جيجل في العهد الفرنسي. ثم ذهب لاستعراض فترة ما بعد تحرير مدينة بجاية من الأسبان من طرف صالح رايس* سنة 1555م.

بالاتصال بشخصية دينية تتمثل في سيدي محمد أمقران الذي امتاز بسطوة كبيرة في البلاد الممتدة بين بجاية وجيجل، وقدَّم لقائد حامية بجاية عدة خدمات، وقيل عن الرجل الموقر أنه ترك الزاوية التي أسسها بنفسه في قرية بني بومسعود، للاستقرار في مدينة بجاية إلى أن وافته المنية. وقد أنجب خمس أطفال، وأحدهم سي عبد القادر بن محمد أمقران كان مقتفياً آثار أبيه. وقد حظي الأتراك عنده بعدة مساعدات، فمُنحت له كمكافأة، عدة امتيازات على شكل شهادة رسمية بإمضاء الداي الحاج محمد باشا*، وذلك في منتصف شهر جمادة الثانية من عام 1093هـ/جوان 1682م، ثم تعاقبت بعد ذلك اعترافات أخرى من لدن الأتراك إزاء المقرانيين، بتجديد نفس الامتيازات الممنوحة لهم في المنطقة. وفي

---

[1] FERAUD (Laurent-Charles), **Histoire de bougie,** Présentation de Nedjma ABDELFETTAH-LALMI, Editions Bouchène, Paris, 2001, p.123.

[2] Même auteur, **Exploitation des forêts de la Karasta dans la Kabylie orientale sous la domination turque,** In R.A, No 12 , Année 1868, p.381.

[3] Même auteur, **Histoire de bougie, Op.Cit,** p.123.

* داي الجزائر من 1552م إلى 1556م. (GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p 68.)

* داي الجزائر من 1671م إلى 1682م. (GAID (Mouloud), **Op.Cit.** p 143.)

إحدى الشهادات يُشارُ فيها إلى نظام استغلال الكرستة الذي كان تحت مسئولية سي محمد الشريف بن سيدي عبد القادر وسهر على شئونه في المدينة ليحل محل أبيه، وقد أُمضيت الشهادة من طرف مصطفى داي المدعو أتشي أو الطباخ* في نهاية شهر ذي الحجة من عام 1114هـ/ ماي1702م[1].)انظر، خ 07)

ج- منطقة جيجل: لقد سمحت الأساليب التي اتبعها الأتراك لاستغلال غابات خليج بجاية بإقامة تحالف مع شخصيات مرموقة من المنطقة، وكانت أسرة أولاد أمقران الوحيدة التي تحصلت على امتيازات, وشخصيات أخرى من الدرجة الثانية عملوا كذلك لصالح الأتراك من جبال البابور وتابابورت والسلاسل الجبلية المجاورة. إن الخشب الموجه للبحرية الجزائرية كان في أول الأمر يُستخرَجُ من الغابات المحاذية لميناء بجاية. غير أن أخشاباً أخرى من النوع الممتاز كخشب شجر البلوط " أفارس" والمدعو أيضاً " تاشتا " تم اكتشافها في غابات بني فوغال بمنطقة جيجل. وبما أن نفوذ أولاد أمقران لم تكن موطّدة في تلك المنطقة بالقدر الكافي، فقد عيّن الأتراك سي الحاج أحمد المكي ابن الشيخ عبد القادر أمقران بالذهاب والإقامة في مدينة جيجل حيث يكون أكثر خدمة لمصالحهم هناك. وبالمناسبة مُنحت لهذا الأخير شهادة بإمضاء الداي سيد علي باشا بوسباعة (المدعو نقسيس) الذي اشتغل بالصناعة البحرية بعناية، فوقع الانشقاق بين أعضاء أسرة أمقران حيث بقيت نواتها الرئيسية في زاوية أمادن* في قرية بني مسعود، وأصبح الحاج المكي بذلك الصلة الوحيدة التي كانت تربطهم به في منطقة جيجل.

لقد كان يعمل في كل قبيلة التي ذكرناها آنفاً وُكلاء تولوا منصب شيخ الكرستة، يخضعون مباشرة لمسئولية الشيخ المرابط*. وكان يستقر في مدينة بجاية شخصية تركية بصفته وزير الكرستة وهي مهنة توازي مهنة مهندس الصناعة البحرية وينوبه خوجة أو المكلّف بالأمانة وتسجيل بضاعات الخشب المسلمة من طرف القبائل والقيام بدفع الثمن لهم بعد ذلك. وكان المهندس ينتقل للضرورة إلى ثلاث نقاط ساحلية هي:

- منطقة تقع على مصب وادي تيتوم عند بني عمروس(غربي رأس أوقاس).
- منطقة عند ميناء زيامة الصغير أو شوبا القديمة بالقرب من جزيرة المنصورية.

---

* داي الجزائر من 1700م إلى 1706م.

) FERAUD (Laurent Charles):**"Exploitation des forêts de la Karasta…, Op.Cit,** p.389.)

[1] Même auteur, **Op.Cit,** pp.382-389.

* منطقة نفوذ أولاد سيدي محمد أمقران وهم فرع من فروع المقرانيين بمجانة .

RINN (Cdt. Louis), **Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey**, Présentation de Abderrahmane Rébahi, Grand Alger Livres) (Editions, 2005, p.160

* بقيت هذه المهن موروثة أباً عن جد حتى سنة 1830م في عائلة فرحات عند قبيلة بني ميمون وعائلة حبيلس بن عيواز عند قبيلة بني فوغال. (FERAUD (Laurent (**Op.Cit,** p.124.

,Charles), **Histoire de bougie**

- منطقة بتـازة وهي شـاطئ محمي صـالح الملاحة السـاحلية واقعة على مصب وادي تازة عند بني فوغال.

وكـانت مهمة المهنـدس مراقبة القطع الخشـبية الهيكلية من حيث خاصة المطابقة المقدمة ثم يُقتـاد به الغابـات أين يقـوم باختيـار بنفسه الأشجار الصـالحة للقطع ثم وسـمها بالمطرقة*. وكـانت كل قطعة خشـبية مخصصة لهيكل السـفينة تُحـدّدُ بالضـرورة بتسـمية خاصة بحسب شـكلها ووجهتهـا، والرسـوم المنسـبة لطبيعتها واليد العاملة الـتي احتـاجت إليه[1]. وكانت تتكوّن هذه القطع الخشبية الخاصة بهيكل المـراكب ويـذكرها فـيرو في معظمها بأسمائها الأصلية أي العربية وهي:

- الكرينة أو الغاطس أو الصالب وهي عارضة رئيسـية تمتد على طـول قعر المركب.
- الموج أو القطع المقعرة للجُوْجُوْ (صدر السفينة) وحاملة السكان (قطعة خشبية أو حديدية تشكل مؤخرة الغاطس.
- الربيبة الشبيهة بالصالب، تحتوي أيضاً على الهيكل من جوانب جسم السفينة إلى خط العوم.
- الحازم أو الداعمة وهي رافدات متصلة، تمتد على طول السفينة من جانب إلى آخَر، وتساعد على تقوية جوانب السفينة.
- الكرسية (ممر أو ممشى المراكب القديمة ذات المجاديف) وهي جوانب السفينة من تحت خط العوم إلى حواف متراس أو دَرْبَزين السفينة.
- الصاري أو الجذع من أكبر الأحجام.
- حطبات مدورة والرافدات والعارضات والألواح أقل حجماً.

أما عن تسديد أجور الموظفين في الكرستة، كان يتم عن طريق المهندس خلال زيارته الثانية. ويُقسَّم مجموع المبلغ إلى ثلاث حصص: الثلث الأول، يعود لشيخ الكرستة المحلي الذي يُوَزَّعُ بالعدل بين جميع أصحاب الغابة المستغلة. وعند قضاء الحساب الأول، يباشر العمال في نقل الخشب المصنوع بزحلقته من المنحدرات وبحمله على الأذرع أو سحبه بواسطة حبال، وعند تجميعه على الشاطئ، يُكْمِلُ المهندس التركي دفع الثلثين الباقيَيْن الذي يُطلق عليه " حق الخدمة " وهو الأجرة على عمل النجارة، و" حق الرفود " وهو الثمن على استخراج الخشب من الغابة ونقله حتى الشاطئ وإتمام شحنه على السفن. وتجدر الإشارة إلى أن الزوارق التي يُطلق عليها اسم "الفلوكة " وهي مركب منبسط، كانت تأتي صيفاً على طول السواحل لالتقاط الأخشاب ونقلها إلى ميناء بجاية حيث تنتظرها سفن كبيرة الحمولة وشحن كل ما هو موجَّهٌ للترسانة البحرية بالجزائر العاصمة أو لبناء منازل المدينة[2].

---

* يتم تقطيع الأشجار إلا في نهاية الشتاء، عندما يكون النسغ في راحة.

(FERAUD (Laurent Charles):" **Exploitation des forets de la Karasta** **,….In R.A, No. 13, Année 1869,** p. 41.

[1] **Idem**, pp. 36 - 42.

[2] FERAUD (Laurent Charles), **Histoire de bougie, Op.Cit,** pp.124-125.

لقد كانت حادثة سنة 1820م دليل آخر على أهمية الكرستة بالنسبة للحكومة الجزائرية آنذاك وهي تترجم بحق الاهتمام المتميِّز الذي كان يوليه المسئولون السياسيون تجاه نظام استغلال الخشب. ففي سنة 1820، ارتأى مهندس الكرستة المقيم ببجاية توقيف نظام استغلال الخشب لقبيلة بني فوغال والاقتصار بتوريد خشب بني ميمون فقط. عندما أدرك قائد البحرية الجزائرية أن الخشب الممتاز من نوع أفارس أصبح مفقوداً من ضمن الحمولة الخشبية، طلب السبب في ذلك. والحقيقة وما فيها، أن القضية قد حُرِّض لها من طرف المهندس الذي أغري بمبلغ مالي أُهدي له من شخص ثانٍ. ولما ثبتت مسئوليته في المؤامرة بعد التحقيق فيها، أُصْدِرَ الحكمُ بقطع رأسه عقاباً لفعله هذا[1].

إن الجهود الجزائرية لم تُبْذَل في صالح استغلال خشب منطقتي بجاية وجيجل فحسب، ولم تقتصر عليها فقط، بل تجاوزتها إلى مناطق أخرى من الوطن كالقل و القطاع القسنطيني وجنوب مدينة عنابة ومنطقة القالة. ففي هذه المناطق، كانت تتكاثر أنواع كثيرة من الأشجار ذات الخشب الصالح للصناعة كشجر البلوط المدعو " زان" أو الميربك وشجر البلوط الفليني والدردار والأَرْزِ الأبيض والعفصية، ويوجد في غاباتها كذلك العديد من الخشب الدائري الذي يُسْتَخْدَمُ لصناعة قطع أقفاص السفن. وكان هذا النوع من الخشب جد نادراً وهو مطلوب بكثرة إلى درجة أن الإنجليز اقترحوا على الجزائر سنة 1817م استغلال المنطقة الممتدة بين القالة ونهر السيبوس[2].

د- بعض الصعوبات: يُلاحظ أيضاً أن الخشب الصناعي يثير بعض المشاكل العويصة، منها ان بعض الأصناف من الأشجار كالزان والجوز والدردار أو الأَرْزية التي توجه لتصميم قطع خشبية خاصة، يَقِلُّ وجودها في مناطق البلاد. وكان القنصل الفرنسي فاليــار*- Vallière- يؤكد ذلك معتبراً أن خشب منطقة بجاية يصلح لصناعة جسم وأعضاء السفينة فقط، وعلى الحكومة استيراد الباقي من الخارج. ولكن لم يكن ذلك بالأمر الهيِّن، بما أن الخشب يشكل مادة إستراتجية هامة. فكانت القرارات البابوية والمراسيم الملكية بوقوفها في وجه الجزائريين، جعلت حل المعضلة صعباً.

وقد أصدر لويس الرابع عشر ملك فرنسا يوم 08 فيفري 1688م مرسوماً ملكياً يُقرُّ فيه بحظر حقيقي للأسلحة والمدافع والبنادق وملح البارود أو كل أنواع الذخيرة وجميع الأجهزة الحربية وتجهيز الجنود، وهذا الأمر يُلزم بالتنفيذ فوراً وسيُعرِّض كل من يتجرَّأ على معارضته أو مخالفته بحجز المراكب والبضائع الممنوعة المذكورة أعلاه. وفي نفس الوقت، اغتنمت أسبانيا هذه الفرصة لمنع إيالة الجزائر الحصول على الخشب

---

[1] Même auteur: **" Exploitation des forets de la Karasta .. ,Op.Cit,** pp.43-44.

[2] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** pp.66-65.

* قنصل فرنسا في عهد بابا حسن (VAYSSETTES (Eugène(, **Op.Cit,** p.160).

الصناعي، وكانت ترجو من وراء ذلك إحداث نقص في هذه المادة الضرورية ومحاولة التضييق على الصناعة البحرية.

ومن المشاكل أيضاً التي كانت تتعرّضُ لها القيادة البحرية في الجزائر سوء العلاقة التي تربطها بالقبائل المجاورة لغابات بجاية وجيجل التي لم تكن في تعاون دائم مع السلطة المركزية، معارضةً في بعض الأحيان قطع الأشجار ومنع نقل الخشب، عندما تَتَوَتَّرُ العلاقات الثنائية[1].

وفي أواخر العهد العثماني ازداد الوضع تأزماً بالنسبة لعملية استغلال حكومة الجزائر لخشب غابات بجاية التي أصبحت تعاني من الإهمال سواء بسبب تهاون الأشخاص الملقاة عليهم مسئوليتها أو مواجهة الصعوبات في نقل الخشب إلى الجزائر العاصمة بفعل كثرة انسداد الميناء للحصار المفروض عليها من طرف الأساطيل الأوربية. فلجأ الداي حسين باشا لإزالة الحالة المضرة ببحرية الجزائر إلى استعمال سلسلة جبال بني جناد المغطاة بشجر بلوط الزان، فكلّف القائد يحيى آغا بالاتصال بقبيلة بني جناد. وبعد مراسلات بين الآغا وشيوخ القبيلة الذين كان ردُّهم يتأرجح بين النفي والإيجاب دون الرفض القطعي لرخصة إفضاء عمال الحكومة إلى جبالهم. وعندما أدرك الداي أن الإقناع لا طائل من ورائه، أعطى الأمر بأخذ الرخصة بالقوة، فأرسل حملة عسكرية تأديبية إلى المنطقة بقيادة يحيى آغا في ربيع سنة 1825م[2]. فأدت هذه الاضطرابات إلى انخفاض المخزون، وبالتالي إلى إيقاف نشاط ورشات الصناعة البحرية.

ولمعالجة هذه الوضعية، انصرفت الدولة إلى اللجوء إلى وسائل أخرى كالغنائم البحرية من حمولات كاملة منت أخشاب صناعية من ألواح وقطع جد مطلوبة، كانت تُسعد كثيراً الصناع البحريون. كما أن تحطيم القطع البحرية القديمة الملقاة على ساحة التفكيك، يساعد على استرجاع قسماً من العتاد البحري لتصميم سفن جديدة. بذلك كان العديد من الملاحظين الأجانب يؤكدون المهارة ومدى دراية الجزائريين بتقنية استرجاع القطع الخشبية والأجهزة الضرورية من السفن القديمة[3].

غير أن مظاهر الأوضاع المتردية ما فتئت تتكرر وتعود لتطفو على الواقع الجزائري، خاصة بعدما أوكِلَ نظام الكرستة وامتيازاته إلى اليهود سنة 1799م من طرف الداي مصطفى، وكان المقرانيون قد انسحبوا منها تاركين المجال لليهوديَيْن بكري وبوشناق اللذان تحصلا على مبلغ مالي للحمولات الخشبية الموجهة للبحرية حسب التسعيرات التي أقيمت سنة 1702م، يُضاف إليه 20 % لتكاليف الخدمات والأعمال والنفقات والنقل، ثم أقاما سلسلة من التسعيرات الجديدة الجد منخفضة عن تلك التي كان الأهالي يتحصَّلون عليها منذ أمد بعيد، خلال عملية تسليم الخشب. وهذا ما

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** pp.66 -67.

[2] TRUMELET (Le Colonel C.), **Blida, Récits selon la légende, la tradition et l'histoire**, Tome 2, Adolphe Jourdan, Libraire-Editeur, Alger, 1887, pp. 336-338, **http://www.algérie-ancienne.com**.

[3] BELHAMISSI (Moulay), **Op.Cit,** pp68-67..

أدى إلى تذمُّرِ القبائل المكلفة بالقطع، برفضها شحن الخشب المتراكم على الساحل. فعانت الترسانات البحرية الجزائرية والصناعة البحرية قد أُعيق تسييرها، وأصبح الجزائريون لا يستطيعون استبدال السفن الضائعة والمجندة في المشرق فيما بين 1812م 1826م بسفن أخرى، لمواجهة الظروف الطارئة.

أما فيما يتعلق بحالة المراكب الموجودة ، فهي غير مُرضية، وقـد ذكر دوبوا تانفيل – Dubois-Thainville- الوضع السيئ للتسليح ، وكتب القبطان بوتان –Boutin - في مذكراته مبالغاً في كلامه، أن البحرية الجزائرية لا قيمة لها ، باعتبار أن تعداد وحدات الأسطول الجزائري في تناقص و القطع البحرية المتبقية قد تجاوزها الزمن، في الوقت الذي كانت فيه القوات البحرية الأوربية في نمو متزايد، مستفيدة بذلك من التطورات التقنية التي كانت تنقص بفظاعة في البحرية الجزائرية. فانعدمت فيها البعثات العلمية إلى الخارج وتجديد الترسانات البحرية، وكان الجزائريون يجهلون كل ما هو تقدم تقني لهذه الفترة.

إلا أن الداي حسين باشا العارف بما كان يجري في العالم، أدرك بضرورة وضع حل مستعجل لأزمة البحرية الجزائرية. ففي رسالة مؤرخة في 18 جويلية 1819م موجهة للسلطان العثماني محمود الثاني، ملتمساً فيها من الباب العالي مهندسين لصناعة الأسلحة وتلقين الجزائريين هذه المهنة العسكرية، وطالباً منه كذلك بعض الأسلحة والذخائر والسفن والعتاد البحري. ولكن السلطان العثماني لم يلبي طلبات الداي حسين، لأنه كان يتخبط في مشاكله الشخصية.فأصبحت إيالة الجزائر لا تملك القدرة لبناء سفنها وتصنيع أسلحتها وذخيرتها بالكميات الكافية بهدف مجابهة الوضع المتأزم الذي كان يدفع بالجزائر شيئاً فشيء إلى الضياع والهلاك[1].

ومما زاد من الأوضاع سوءاً ما تسبب فيه الاحتكار اليهودي لتجارة الخشب في بجاية، كما سبق وأن ذكرنا، والذي أكسب عائلة بكري القاطنة في مدينة الجزائر[2] بمبلغ 10 ملايين فرنك من المشتريات[3]، والتي تعهّدت بالدفع للباشا إتاوات مرتفعة [4] تُقدّر بـ500 ألف فرنك[5]. وكان المتعاملون اليهود من عائلة بكري وضعوا وكلاء وممثلين لهم في المنطقة للتفاوض مع القبائل، فأحدث هؤلاء، للمصلحة الشخصية أو لعدم كفاءتهم في التسيير، اضطرابات عميقة في كل الشئون التجارية للبلاد. وكان من ذلك، التخلي عن كميات ضخمة من الخشب الموجهة لحساب الدولة متراكمة على الشاطئ لمدة ثماني سنوات، لأن القبائل رفضت تسليمها بسبب عدم

---

[1] Même auteur, **Marine et marins d'Alger**, Tome III, «**Grandeur et décadence** », **Op.Cit,** pp.70-72.

[2] FERAUD (Laurent Charles), **Histoire de bougie, Op.Cit,** p.125**.**

[3] LAPENE (Edouard), **Op.Cit,** p.73.

[4] FERAUD (Laurent Charles), **Op.Cit,** p.125**.**

[5] LAPENE (Edouard), **Op.Cit,** p.73.

تسديد ثمن لها من طرف وكيل عائلة بكري[1]، بالشكل الذي تَعَوَّدَ عليه الجميع وبالسعر المناسب[2].

فَقَدَّمَ شيخ الكرستة شكوى لدى الباشا نفسه بالجزائر العاصمة في هذا الشأن، غير أن السفن الفرنسية كانت في هذه الآونة تُبحر على سواحل الجزائر وتراقبها. وكان شيخ الكرستة في انتظار إقلاع سفن النقل التي من المفروض، تتوجه إلى منطقته، وهو لا يزال في الجزائر في التاريخ الذي كانت فيه المدينة، قد استسلمت للجيش الفرنسي سنة 1830م[3].

الخاتمـــــــــة

لقد كان الهدف الرئيسي لهذا البحث في البداية هو التعرُّف على ميدان الصناعة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من كل جوانبه، لأن الموضوع لم يحض بنفس الأهمية من المجالات الحيوية والاجتماعية الأخرى من طرف الباحثين في التاريخ ، وبالتالي الخروج به من طي النسيان والتجاهل واللامبالاة إلى نور المعرفة والحقيقة وإقحامه ضمن عملية البحث والدراسة المعمقة. فيُبَثُّ فيه الحركة والنشاط ليُصبح قائماً بذاته، يُنْشَرُ له مؤلفات ومجلات خاصة، على غرار ما تفعله الدول الغربية في ميدان التاريخ العسكري. غير أن دراستي للموضوع أوصلتني إلى نتائج قد تُشكل في المستقبل مواضيع بحوث تاريخية تستقطب الأنظار وتجتذب الباحثين، وهي:

- إجماع النصوص التاريخية على وجود صناعة عسكرية على أرض الجزائر بأصنافها الثلاثة النارية والبيضاء والبحرية، والتأكيد على أن الإرادة السياسية عند المسئولين الجزائريين في إنشائها والقيام على تدبير شئونها بحكمة وبُعد نظر واستمرارية.
- تباين الرؤى في شأن استعمال الأرقاء والأسرى، المهنيون منهم خاصة، في الصناعات العسكرية المختلفة، بحيث منها من يُضَخِّمُ ويُعَظِّمُ فضلهم

---

[1] FERAUD (Laurent Charles), **Op.Cit,** p.125-126.

[2] عباد (صالح)، **نفس المرجع السابق**، ص 322.

[3] FERAUD (Laurent Charles), **Op.Cit,** p.126.

على الصناعة العسكرية إلى درجة اعتبارهم الركيزة الأساسية التي من دونها لا تقوم لها قائمة، ومن غيرها تنهار وتزول من على وجه الأرض. هذه الآراء تعني خاصة كتابات الغربيين التي تستدل على ذلك بما صنعه فرانسوا ديبون في سنة 1775م، في حين أن المعطيات الأثرية، على قول الأستاذ درياس، تؤكد على أن 90 % من أسماء الصناع المنقوشة على المدافع هي جزائرية الصنع.

- لا أثر للصناعة العسكرية في مدينة وهران وانعدامها طيلة الاحتلال الأسباني لمدة ثلاثة قرون، بالرغم من أن الأسبان كانوا بحاجة ملحة للأسلحة لمواجهة مقاومة الجزائريين الذين كان يغمرهم التصميم على تحرير مدينة وهران. فلم ير الأسبان بُداً من بناء مصانع الأسلحة على أرض الجزائر، بما أنهم يستقدمون المدافع والبنادق والأسلحة البيضاء من بلادهم، وهدفهم من ذلك هو عدم انتفاع الجزائريين بالتجربة الإسبانية في هذا المجال، وعدم إكسابهم إياها في حالة الإجلاء من الجزائر.

- إن الدور الخطير الذي لعبته الجزائر في العهد العثماني، كان مُبَرِّراً كافياً لتكون المراجع المحلية أكثر اهتمام من غيرها بكتابة وتدوين الأحداث والأخبار والأحوال التي طبعت المجتمع الجزائري آنذاك. ولكن الأمر الذي كان محيِّراً في ذلك، أن هذه المراجع خَيَّمَ عليها صمت مخيف، بحيث لا يوجد مذكرات ولا حتى حوليات مسجلة من طرف رجال الثقافة والعلم. وخاصة إذا تطرقنا لهذا التطور المذهل في الترسانة الحربية، برأي الأستاذ حمادي عبد الله، التي امتلكتها الجزائر والتي شهد الخصم بعظمتها، فلا نجد لها صدى في السجلات التاريخية العربية، ما عدى الشيء القليل الذي لا يلبي حاجة الباحثين، والذي لو قيس بما تركه الطرف المناهض كالأسبان أو الفرنسيين أو الإنجليز أو حتى البرتغاليين لعُدَّ جد ضئيل. كما أن هذه الوثائق القليلة التي تُحَدِّثُنا عن النشاط البحري العظيم للأسطول وإنجازات البحرية الجزائرية، لا تكشف لنا على أي تطور أو تجديد أو ابتكار حصل في دور الصناعات البحرية الخاصة بالتجهيزات أو المعدات، رغم الشأن العظيم الذي بلغه ضمن الصراع القائم بين الجزائر ودول أوربا.

- إن الإحصائيات المتوفرة لدينا، يعتبر الأستاذ درياس، رغم تناقضها، تُبيِّن ضخامة وقوة المدفعية التي كانت تتوفر عليها الجزائر. وتؤكد من جهة، بأن المدفعية كانت السلاح الرئيسي لدى الجزائريين، بل نستطيع القول بأن تَوَقُّفَ إنتاج هذا السلاح كان أحد الأسباب الرئيسية في انهزامهم سنة 1830م.

- كما أن اعتبار التناقص والتضاؤل في كمية الخشب على أحواض الترسانة البحرية الجزائرية نتيجة التباطؤ والتراخي اللذان دبا في نظام الكرسته بسبب حدوث مشاكل واضطرابات على مستوى النقل، خاصة في أواخر العهد العثماني، قد جعل البحرية الجزائرية تُكابد انخفاضاً في تعداد القطع البحرية لأسطولها، مما أدى بالجزائر إلى أن أصبحت منزوعة السلاح أمام

العدوان الفرنسي، خصوصاً بعد تحطيم جزء من بحريتها في معركة نافرين سنة 1827م.
- إن الثورة التي قادها الأمير عبد القادر سنة 1832 ضد المحتل الفرنسي كانت ثورة مسلحة و منظمة. وكما جاء في كتاب " الجزائر بين الماضي والحاضر" لنوشي وآخرون " كانت حاجة الثورة إلى العتاد الحربي لا تكفي المبادلات التجارية لتغطيتها، فاضطر الأمير إلى محاولة خلق تشكيلات للإنتاج الصناعي التي تتمثل بصفة خاصة في مصانع الأسلحة ومصانع المعادن والمناجم المعدة لتموينها". وورد في كتاب "الأمير عبد القادر" للأستاذ محفوظ قداش، أن الأمير ظهر أنه رائدٌ حقاً، وأنه رجل دولة حديث..... يقول الأمير:" كُنْتُ أصنع بارودي في تلمسان ومعسكر ومليانة والمدية وتاقدامت. وأقمت بتلمسان مصنعاً للمدافع..... ولم يبدأ في الإنتاج إلا بعد مجهودات وصعوبات ولكنه في النهاية بدأ يُنتج..... ومن ناحية أخرى كان هناك معمل للأسلحة في مليانة..... كنا نصنع السلاح بجميع قطعه". تُعْتَبَرُ ثورة الأمير عبد اقادر امتداداً للعهد العثماني الذي ما زالت آثاره لم تندثر بعد بفعل الاستعمار الفرنسي آنذاك. فلم يكن قرار الأمير بتشييد مصانع أسلحة وبارود، وليد الظروف السياسية العصيبة أو فكرة مجردة في انتظار التحقيق فحسب، ولكنه مستنبط من ماض قريب قد ولّى، أثَّرَ في الأمير بما تركه في الأذهان على الأقل.

للعلم أن كمية كبيرة من البنادق والمسدسات والأسلحة البيضاء المصنوعة في العهد العثماني، كانت بحوزة جنود جيش الأمير، ولكنها لم تكن بالقدر الكافي ولم تكن من النوعية الممتازة بالمقارنة مع الأسلحة الأوربية. لأجل ذلك، سعى الأمير عبد القادر في جلب التقنيات الحديثة لصنع الأسلحة. وكما جاء في كتاب " الجزائر بين الماضي والحاضر" لنوشي وآخرون، فإنه " لم يتردد في استدعاء عمال فرنسيين وأسبان، يستخدمهم عن طريق التعاقد أو كأجراء. ولم يكتف بذلك فحسب، بل إنه استخدم الهاربين من الجنود والأسرى الذين قُبضوا في الحرب". " وكان معمل الأسلحة في مليانة يُنظِّمه عمال أوربيون، أوتيَ بهم من فرنسا بعد معاهدة تافنة (30 ماي 1837م بين الأمير عبد القادر والجنـرال بيجـــو-Bugeaud-)، كما ذكر ذلك الأستاذ قداش.
- وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن الثورات الشعبية التي تعاقبت مقاومة الأمير عبد القادر، تقلّدت الأسلحة المتواجودة والمتوفرة في الجزائر حينئذ، و التي كان معظمها قد نشأ في العهد العثماني. لذلك، كان استعمال الثورات الشعبية لهذه الأسلحة القديمة أحد أسباب فشلها وإخمادها والتي لم تكن بنفس فعالية وجودة الأسلحة الفرنسية.

والله ولي التوفيق

الملاحـــــــق

قائمة المصادر و المراجع

..... ص 221

قائمة

المصطلحات.....

..... 230

فهرس الأشكال والصور

والخرائط..... 232

فهرس

الأعلام.....

..... 270

فهرس الأماكن و

البلدان..... 273

فهرس

الموضوعات.....

..... 277

قائمــة المــصادر والمــراجع

المــصادر بالعــربية

- القرآن الكريم.
- ابن أحمد غانم الأندلسي (إبراهيم)، **العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، تحت رقم 1115.
- إبن أرنبغا الزردكـاش، **كتـاب الأسـلحة، قبيل 774ه-775ه/1383م**، نشـره فـؤاد سـزكين، معهد تـاريخ العلـوم العربية الإسـلامية في جامعة فرانكفـورت/ألمانيا، 2004، طبع بالتصوير عن مخطوط مكتبة طوبقابي سراي باستانبول بمجموعة أحمد الثالث، 34295 الأوراق 15أ-59 أ).
- ابن حمادوش (عبد الرزاق)، **رحلة ابن حمادوش الجزائري: " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"**، تقـديم وتحقيــق وتعليــق أبو القاسم سعد الله, المكتبة الوطنية، الجزائر، 1983.
- خوجة (حمـدان بن عثمـان)، **المـرآة**، تقـديم وتعـريب العـربي الزبـيري، الشـركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- شالر (وليام)، **مذكرات وليام شالر**، قنصل أمريكا في الجزائــر(1816-1824)، تعريب و تقديم إسماعيل العربي، ش- و- ن- ت، الجزائر، 1982.
- الزهار (الحاج أحمد الشريف)، **مذكرات الحاج أحمد الشـريف الزهـار، نقيب أشــراف الجزائر(**1754-1830)، تقــديم أحمد توفيق المــدني، ش- و- ن- ت، الطبعة الثانية، الجزائر، 1980.
- كاثكــارت (جيمس)، **مــذكرات أســير الــداي كاثكــارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة عن الإنجليزية وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعـات الوطنية، الجزائر، 1982.

المــصادر بالفرنــسية
- مؤلفات ما قبل سنة 1830م-

- ESQUER (Gabriel), **Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger** par le chef de bataillon BOUTIN (1808) suivi de **Mémoire sur Alger** par les consuls DE KERCY (1791) et DUBOIS-THAINVILLE (1809), Librairie Ancienne Honoré Champion, Paris, 1927.
- HAEDO (Fray Diego de(, **Histoire des rois d'Alger,** trad. de l'espagnol par Henri Delmas De Grammont, Présentation de Abderrahmane Rébahi, Grand Alger Livres Éditions, Alger, 2004.
- Même auteur, **Topographie et histoire générale d'Alger, la vie à Alger aux 16ème Siècle,** trad. de l'espagnol et notes de A. Berbrugger et Dr. Monnereau, Présentation de Abderrahmane Rébahi, 2ème Édition, Grand Alger Livres Éditions, Alger, 2004.
- MASCARENHAS (Joao), **Esclave à Alger**, **récit de captivité de Joao MASCARENHAS (1621-1626),** trad. et présentation P. Teyssier, Ed.Chandeigne , Paris, 1993.
- SHALLER (William), **Esquisse de l'Etat d'Alger,** Présentation de Claude Bontems, Edition Bouchène, Paris, 2001.

- SHAW (docteur Thomas), **Voyage dans la régence d'Alger au XVIIIe siècle,** traduit de l'anglais par E. Mac Carthy (1830), Liminaire et notes critiques supplémentaires par Abderrahmane Rébahi , Grand Alger Livres Collections, Alger, 2007.
- SINAN-CHAOUCH, **Fondation de Régence d'Alger, Histoire des frères Barberousse : Aroudj et Khaîr-ed-Din, Expédition de Charles-Quint contre Alger (1541),** Traduction de J.M.Venture de Paradis, d'après l'édition établie en 1837 par Sander Rang et Ferdinand Denis, Collection Histoire dirigée par Kamal Chehrit, Grand- Alger-Livre-Edition, Alger, 2006.
- TASSY (Laugier De), **Histoire du royaume d'Alger**, La Haye, 1750.
- VENTURE DE PARADIS) Jean Michel(, **Alger au 18ème siècle (1788-1790),** mémoires, notes et observations d'un diplomate espion, présentations et notes par Abderrahmane Rébahi, Ed. Grand Alger Livres, Alger, 2006, 232 pages.

- مؤلفات ما بعد سنة 1830م-

- BEAUDICOUR (Louis De), **La guerre et le gouvernement de l'Algérie,** Sagnier et Bray, Libraires-Editeurs, Paris, 1853.
- DEVOULX (Albert(,**Tachrifat, Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger**, Alger, 1853.
- Même auteur, **El-Djazaîr, Histoire d'une cité, d'Icosium à Alger**, Edition Critique, présentée par Bedreddine Belkadi et Mustapha Benhamouche, ENAG/ Editions, Alger, 2003.
- Même auteur, **Raîs Hamidou,** notice biographique sur le plus célèbre corsaire algérien du 13ème Siècle de l'Hégire, d'après des documents authentiques et pour la plupart inédits, Alger, 1859.
- FERAUD (Laurent-Charles), **Histoire de bougie,** Présentation de Nedjma ABDELFETTA-LALMI, Editions Bouchène, Paris, 2001, 194 pages.
- GRAMMONT (Henri Delmas de), **Histoire d'Alger sous la domination turque, (1515-1830), Présentation de Lemnouar Merrouche,** Editions. Bouchène, Paris, 2002.
- KLEIN (Henri), **Feuillets d'El-djézair, Comité du vieil Alger,** Tome 1 et 2, Editions du Tell, Blida, 2003.
- LAPENE (Edouard), **Vingt-six mois à Bougie,** Présentation de Camille LACOSTE-DUJARDIN et Nedjma ABDELFETTAH-LALMI, Editions Bouchène, Paris, 2002, 206 pages.
- PEYSSONNEL (J.A) et DESFONTAINES, **Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger,** Librairie de Gide, Tome 1, Editeur des annales des voyages, Paris, 1838**.**
- RINN (Cdt. Louis), **Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey**, Présentation de Abderrahmane Rébahi, Grand Alger Livres Editions, 2005.
- VAYSSETTES (Eugène(, **Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837**, présentation de Ouarda Siari-Tengour, Editions Bouchène, Paris, 2002.

- المؤلفات المعاصرة-

- ABADIE (Louis), **Oran et Mers-El-Kébir, vestiges du passé espagnol,** Edition Jacques Gandini, Nice, 2002.
- BELHAMISSI (Moulay), **Histoire de la marine algérienne (1516-1830),** ENAL, Alger, 1983.
- Même auteur, **Marine et marins d'Alger (1516-1830),** 03 Tomes, Bibliothèque Nationale d'Alger, 1996**,** Tome 1**, « Les navires et les hommes »,** Tome 2, **« Face à l'Europe »,** Tome 3**, « Grandeur et décadence ».**
- BELHAMISSI (Moulay), **Alger, la ville aux mille canons,** Entreprise Nationale du Livre, Alger, 1990.
- BON (Gustave le), **La civilisation des arabes**, Ed. De la Fontaine du Roy, Paris, 1996.
- BONO (Salvatore), **Les corsaires en Méditerranée,** Ed. La porte, Paris, 1998.
- CHALLIAND (Gérard), **Anthologie mondiale de la stratégie, des origines au nucléaire,** Editions Robert Laffont, S.A. Paris, 1990.
- CHEHRIT (Kamal), **Les janissaires, origines et histoire des milices turques des provinces ottomanes et tout spécialement celle d'Alger**, Ed.Grand-Alger-Livres, Alger, 2005.
- CHENTOUF (Tayeb), **Etudes d'histoire d'Algérie (18ème- 19èmeS.),** OPU**,** Alger, 2004.
- CHEVALLIER (Corinne), **Les trente premières années de l'Etat d'Alger 1510-1541,** Réimpression 1988**,** Alger, OPU, 1988.
- COTE (Marc), **Guide d'Algérie**, Média-plus Algérie , Alger, 1996.
- DAHMANI (Saïd)**, Annaba, Art et culture, Ministère de l'information,** Alger, 1983.
- ELGOOD (Robert), **Firearms of the Islamic world in the Tareq Rajab Museum, Kuwait,** London, 1995, 240 pages.
- FAGNAN (E), **Catalogue général des manuscrits de la Bibliothèque Nationale d'Algérie** (Première tranche : du No 1 au No 1987), Bibliothèque Nationale d'Algérie, Alger, 1995, 680 pages.
- GAID (Mouloud), **L'Algérie sous les turcs,** Ed. Mimouni, 2ème Ed. Alger, 1991.
- HEERS (Jacques), **Les Barbaresques, la course et la guerre en Méditerranée XIV –XVI ème S.,** Pour l'histoire /Perrin, Paris, 2001.
- ICHEBOUDENE (Larbi), **Alger, histoire et capitale de destin national,** Casbah Edition, Alger, 1997.
- JACOB (Alain), **Les armes blanches du monde islamiques, les armes de poing,** Jacques Grancher .Éditeur, Paris, 1985.
- JULIEN (Charles André), **Histoire de l'Afrique du Nord, des origines à 1830,** Grande Bibliothèque Payot, Dijon, 1994.
- KADDACHE (Mahfoud), **L'Algérie durant la période ottomane,** Office des Publications Universitaires**,** Alger, 1992.
- KHELASSI (Ali) **La marine algérienne à travers l'histoire,** Musée Central de l'Armée, 1985.

-KHELIFA (Abderrahmane), **Histoire d'El-Djazair Bani-Mazghana,** Editions. Dalimen, 2007.
- KRIEKEN (Gérard Van), **Corsaires et marchands, les relations entre Alger et les Pays Bas, (1604-1830)**, Ed. Bouchène, 2002.
- LE TOURNEAU (Roger), **La Régence d'Alger et le monde turc,** Syndicat National des Instituteurs, Alger, 1953/54.
- LHOTE (Henri), **Les touareg du Hoggar (Ahaggar),** Payot, Paris, 1944.
-MESSIKH (Mohamed Sadek), **El-Djézaîr, la mémoire**, Edition Raîs, Skikda, 1997.
- MISSOUM (Sakina), **Alger à l'époque ottomane, la médina et la maison traditionnelle,** Ed.INAS, Alger, 2003**.**
- RAYMOND (André), **Le centre d'Alger en 1830**, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 31, 1981.
- Même auteur, **Grande villes arabes à l'époque ottomane,** La Bibliothèque arabe Sindbad, Editions Sindbad, Paris, 1985.
- SAIDOUNI (Nacereddine), **L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830)**, Dar-Al-Gharb Al-Islami, Beyrouth, 2001.
- SHUVAL (Tal), **La ville d'Alger vers la fin du 18ème Siècle, Population et cadre urbain,** Ed. CNRS, Paris, 1998.
- TURBET-DELOF (Guy), **Bibliographie critique du Maghreb dans la littérature française 1532-1715**, SNED, Alger, 1976.

المـــراجع بالعـــربية

- إيفانوف (نيقولاي)، **الفتح العثماني للأقطار العربية، 1516ـ 1574**، نقله إلى العربية يوسف عطا الله، دار الفارابي، ANEP، الطبعة الثانية، الجزائر، 2004.
- بالحميسي (مـــــــــــولاي)، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- برينـــان (أنـــدري)، نوشـــي(أنـــدري)، لاكوست (إيـــف)، **الجزائر بين الماضي والحاضر،** ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشـور، ديـوان المطبوعـات الجامعيـة، الجزائر، 1984، 427 صفحة.
- بـوعزيز (يحـيى)، **وهـران، مـدن تاريخية**، منشـوارت وزارة الثقافة والسـياحة، الجزائر، 1985.
- نفس المؤلف، **مدينة وهران عبر التاريخ**، دار الغرب للنشر و التوزيـع، وهـران، 2002.
- الـتر(عزيز سـامح)، **الأتـراك العثمـانيون في إفريقيا الشـمالية،** ترجمة د. محمود علي عامر، دار النهضة العربية، الطبعة1، بيروت، 1989، 710 صفحة.
- التميمي (عبد الجليل)، **الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني**, الجـزءان 1 و2، منشـورات مركز الدراسـات والبحـوث عن الولايات العربية العهد العثماني، زغوان، تونس، 1986.
- نفس المؤلـــف، **الدولة العثمانية وقضـــية المورســـكيين الأندلســـيين،** منشورات مركز الدراسـات و البحـوث العثمانية والمورسـكية والتوثيق والمعلومـات، زغوان، 1989.

- الجيلالي (عبد الـرحمن بن محمـد)، **تـاريخ الجزائر العـام**، الجـزء 3، ديـوان المطبوعات الجامعية، الطبعة7، الجزائرن 1994، 629 صفحة.
- جوليان (شارل أندري)، **تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس- الجزائـر- المغـرب الأقصـى، من الفتح الإسـلامي إلى سـنة 1830،** تعـريب : محمد مـزالي – البشير بن سلامة، الجزء2، الدار التونسية للنشر، أوت 1985.
- خلاصي (علي)، **التنظيمـات والمنشـآت العسـكرية الجزائرية في العصر الحديث،** أطروحة لنيل دكتوراه دولة في علم الآثار، جزأين.
- نفس المؤلف، **العمـــارة العســـكرية العثمانية لمدينة الجزائر**، المتحف المركزي للجيش، سلسلة "الفرسان الجزائريون"، الجزائر، 1985.
- دحمـاني (سـعيد)، **عنابة، فن وثقافة**، وزارة الإعلام، المؤسسة الوطنية للفنـون المطبعية، الجزائر، 1983.
- دريـاس (لخضـر)، **المدفعية الجزائرية في العهد العثمـاني**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه (الحلقة الثالثة) في التاريخ، السنة الجامعية 89 /1990.
- الزبيري (محمد العـربي)، **التجـارة الخارجية للشـرق الجزائـري في الفـترة مـابين 1792-1830،** المؤسسة الوطنية للكتـاب-ENAL- الطبعة2، الجزائـر، 1984.
- سبنسر (وليـام)، **الجزائر في عهد ريـاس البحر**، تعـريب وتعليق د. عبد القـادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- سـعد الله (أبو القاسـم)، **أبحـاث و آراء في تـاريخ الجزائر**، لقسم1،-SNED- الطبعة2 منقحة، الجزائر، 1981، 412 صفحة.
- نفس المؤلف، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 2،ENAL ، الطبعة2 منقحة، الجزائر، 1985.
- سـعيدوني (ناصر الـدين)، **دراسـات وأبحـاث في تـاريخ الجزائر، الفـترة العثمانية و المعاصرة،** الجـزء2، المؤسسة الوطنية للكتـاب-ENAL- الجزائـر، 1988.
- نفس المؤلف، **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792/1830)**،الجزائر، 1980.
- نفس المؤلف، البوعبدلي (المهـدي)، **الجزائر في التـاريخ (العهد العثمـاني)،** الجزء4، المؤسسة الوطنية للكتاب-ENAL- الجزائر، 1984، 246 صفحة.
- نفس المؤلف، **ورقات جزائرية،** دار الغرب الإسلامي، الطبعة 1، بيروت، 2000.
- شوفالييه (كورين)، **الثلاثون سـنة لقيـام دولة مدينة الجزائر 1510-1541**، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، 132صفحة.
- الصلابي (علي محمد)، **الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط**، مؤسسة " اقرأ "، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005.
- الطمار (محمد عمرو)، **تلمسان عبر العصـور، دورها في سياسة وحضـارة الجزائر**،ENAL ، الجزائر، 1984.
- عبـاد (صـالح)، **الجزائر خلال الحكم الـتركي (1514-1830)**، دارهومـه، الجزائر، 2005.
- عنبتاوي (عـدنان فـائق)، **حكايتنا في الأنـدلس**، المؤسسة العربية للدراسـات و النشر، الطبعة 1، بيروت، 1989، 343 صفحة.
- غطاس (عائشة)، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائـر،** 1700-1830، مقاربة اجتماعية- اقتصادية، ANEP، الجزائر، 2007، 437 صفحة.
- قداش (محفوظ)، **الأمير عبد القـادر**، سلسـلة "الفن والثقافـة"، وزارة الإعلام و الثقافة، مدريد، 1974.

- قنـــان (جمـــال)، **معاهـــدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830)،** م.و.ك، الجزائر، 1987.
- أ. ليســيور و و. ويلد ، **رحلة طريفة في إيالة الجزائر**، تحقيق وتقــديم وترجمة الأستاذ محمد جيجلي، الجزائر، 2002. **لكتاب:**
"**Voyage pittoresque dans la régence d'Alger**, par E. Lessore et W.Wyld, 1er Edition, Paris, 1835."
- محفوظ (اللواء جمال)، **فن الحرب عند العرب**، بيروت، 1987.
- المدني (أحمد توفيق)، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا (1492-1792)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.
- نفس المؤلف، **محمد عثمان باشا (1766-1791)**، م و ك، الجزائر، 1986.
- موسنييه (رولان)، **تاريخ الحضارات العام**، الجزء 4، القرنين 16 و17م.....،
- ونترنغهـام (طـوم) وبلاشـفورد-سـنل، **الأسلحة والتكتيك**، ترجمة المقـدم حسن بسام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1981.
- وولف (جـون)، **الجزائر وأوربا**، ترجمة وتعليق أبو القاسم سـعد اللـه، الجزائـر، 1986.
- الجزائر، سلسـلة الفن والثقافــة، وزارة الإعلام والثقافــة، الشـركة الوطنية للنشر والتوزيع، مدريد،1974.

دوائــر المــعارف و المــعاجم

***بالعــربية:**

-**الأســلحة الإســلامية : الســيوف والــدروع،** معــرض مقــام في قاعة الفن الإسلامي مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1411هـ.

- **بهجة المعرفة، موســوعة علمية مصــورة،** الطبعة2، الشــركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، دار المختار، جنيف، سويسرا، 1976.

- **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996.

- **الموســوعة العربية الميســرة،** بإشــراف محمد شــفيق غربــال، دار الشــعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، 1965.

- **معجم مشاهير المغاربة،** جامعة الجزائر، تنسيق :د. أبو عمران الشيخ، و تقرير :د. ناصر الدين سعيدوني، الجزائر، 1995،(582 صفحة).

- **المعرفة،** المجلد التاسع، مؤسسة خليفة للطباعة، بيروت، 1984.

- **المصادر**، العدد 6، محرم 1423م/مارس2002م : حمــادي (عبد اللــه): "**جزائر القرن 16 من خلال وثائق الأسرى الأسبان"**، من ص247 إلى ص275.

***بالفـــرنسية:**

- **Dictionnaire Encyclopédique Universel**, Editons.Hachette, 1980.

- **Petit Larousse Illustré,** 2004.

- **Petit Larousse en couleurs**, 1980.

- **Grand Dictionnaire Encyclopédique Larousse,** GDEL, Paris, 1983.

- **Dictionnaire Encyclopédique d'Histoire, Michel MOURRE, Bordas, Paris, 1978 .**

- **Le Petit Robert 2**, Paul Robert, Dictionnaire universel des noms propres, Montréal, 1988.

مواقـــع أنتـــــرنيت -Internet-

***.http://www.algérie-ancienne.com**

- BERTEUIL (Arsène), **L'Algérie française, Histoire, Mœurs, Coutumes, Industrie, Agriculture,** Tome 1, Paris, 1856.

- DAUMAS (Le général), **Mœurs et coutumes de L'Algérie, Tell- Kabylie-Sahara,** Librairies de L. Hachette et Cie, Paris, 1853.

- DAUMAS et FABAR**, La grande Kabylie, études historiques,** L. Hachette et Cie Libraires de l'université royale de France, Paris, Alger, 1847.

- GODARD (M. L'Abbé Léon), **Soirées algériennes, corsaires, esclaves et martyrs de Barbarie**, Tours, A. Mame et Cie, Imprimeurs- Libraires, Tours, 1857.

- MERCIER (Ernest), **Histoire de** l'**Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps reculés jusqu'à la conquête française (1830),** Tome 3, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1868.

- PRIMAUDAIE (F. Elie de la**), Le commerce et la navigation de l'Algérie** avant la conquête française, Revue algérienne et coloniale, Juin 1860.

- RANG (Sander) et DENIS (Ferdinand), **Fondation de la Régence d'Alger, Histoire des Barberousse,** Tome 2, J. Angé, Editeur, Rue Guénéaud, N° 19, Paris, 1837.

- RESBECQ (A. De FONTAINE De), **Alger et les côtes d'Afrique,** Bibliothèque Instructive et Amusante, Paris, 1832.
- ROZET ET CARETTE**, L'Algérie, l'Univers ou Histoire et Description de tous les peuples, de leurs religions, moeurs, coutumes, etc.** Firmin Didot frères, Editeurs, Paris, 1850.
- SHAW (docteur Thomas), **Voyage dans la Régence d'Alger,ou description géographie, physique, philologique, etc. de cet état,** Traduit de l'anglais par Mac Carthy, Paris,Chez Marlin Editeur, 1830.
- TRUMELET (Le Colonel C.)**, Blida, Récits selon légende , la tradition et l'histoire,** Tome 2, Adolphe Jourdan, Libraire-Editeur, Alger, 1887.

***http: //www.1911 encyclopedia .org/Tuareg.**

موسوعـــة معـلوماتية

*** Microsoft ® Encarta ® 2008. © 1993-2007 Microsoft Corporation.**
***Microsoft ® Encarta ® 2008. © 1993-2007 Microsoft Corporation.**

المـــقالات

- CANARD (M.): « **Une description de la cité barbaresque au 18ème S. par un officier de marine russe, Kokovtsov (Matvei Srigorievitch) (1776-1777)** », In R.A, No. 95, Année 1951, p.179.
- CHABAUD-ARNAULT: « **Attaque des batteries algériennes par Lord Exmouth en 1816** », In R.A, No. 19, Année 1875, pp.194-197.
- DEVOULX (Albert): « **La marine de la Régence d'Alger »**, In R.A, No. 13, Année 1869, pp.384-420.
- EMERIT (Marcel): « **Le voyage de la Condamine (Charles- Marie de la) à Alger (1731)** », In R.A, No. 98, Année 1954, p.378.
- FERAUD (Laurent Charles): **« Exploitation des forets de la Karasta dans la Kabylie orientale sous la domination turque »,** In R.A, No.12, Année 1869, pp.382-389, suite au No. 13, Année 1869, pp. 36-44.
- Même auteur : « **Les corporations de métiers à Constantine** »**,** Traduction d'un manuscrit arabe**,** In R. A. No. 16, Année 1872, pp.451- 454.
- HADJ-SADOK : « **A travers la Berbérie orientale du 18ème S. avec le voyageur El-Wartilani (Sidi El-Hussein Ibn Muhamad As-Said, Ach-Charif)** », In R.A, No. 95, Année 1951.
- GORGUOS: « **Notice sur le Bey d'Oran, Mohamed El-Kébir** », In R.A., No. 1, Années 1856/57, OPU, pp.405 à 408.
- PAVY (Mgr): « **La piraterie barbaresque** », In R.A, No. 2, Année 1857-1857.
- PRIMAUDAIE (Elie de la) : « **Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique, 1506-1574** », In R.A No. 19, Année 1875, p.275.
- SACERDOTI (A.): « **La mission à Alger du Consul de Venise Nicolas Rosalem (1753-1759)** », In R.A, No. 96, Année 1952, p.84.

- SARI (Djillali): « **Les Ottomans et la Méditerranée au 16ème Siècle** », In Majallat El Tarikh, No Spécial, 1er semestre 1987, No. 23, Alger, pp.12-13.

وثائـــق الأرشيف

*** وثـائق من الملف الأول من مجموعة 3190 المتواجـدة بالمكتبة الوطنية:**

- **الوثيقة رقم30**: فرمان من السلطان محمود الثـاني إلى حسـين باشـا. أواسط ربيع الأول 1234 هـ/ 1819م.
- **الوثيقة رقم32** : فرمان من السـلطان محمـود الثـاني إلى حسـين باشـا. أوخر صفر1235 هـ/ 1820م.
- **الوثيقة رقم137** : رسالة من سليم ثابت أفندي وكيل الجزائر لدى الباب العالي إلى حسين باشا. بتاريخ 13 شوال 1240 هـ/ 1824م.
- **الوثيقة رقم813** : رسالة من ناظر الصـناعة الحربية في اسـتانبول إلى حسـين باشا. بتاريخ 17 شوال 1240 هـ/ 1824م.
- **الوثيقة رقم 139** : رسالة من سليم ثابت أفندي وكيل الجزائر لدى الباب العالي إلى حسين باشا. بتاريخ71 شوال 1240 هـ/ 1824م.
- **الوثيقة رقم143** : رسالة من سليم محمد أحد الموظفين في الباب العـالي إلى حسين باشا. بتاريخ 23 شعبان 1240 هـ/ 1824م.
- **الوثيقة رقم327** : رسالة من مصطفى رئيس قائد السـفينة الجزائرية "مفتـاح الجهاد" يالأسكندرية إلى حسين باشا. بتاريخ 25 ذي القعدة 1245 هـ/1829م.

*** الوثيقة رقم 17 من الملف الثــاني من المجموعة 3205 المتواجـدة بالمكتبة الوطنيـة :** وثيقة قضـائية بتـاريخ أوائل ذي القعـدة 1219هـ/ 1804م.

*** الوثيقة رقم 7 من الملف الأول من المجموعة 3206 المتواجدة بالمكتبة الوطنية :** رسالة من حسين بـاي الغـرب إلى وكيل الخـرج بتـاريخ أواخر شعبان1241 هـ /1825م.

*** وثائق من مهمة دفتري الموجود بالأرشيف الوطني :**

- **الوثيقة رقم 12/صـــحيفة547/حكم1048/ تـــاريخ 27-10-979 هـ/** 1571م **:** إلى أمير أمراء جزائر الغرب.
- **الوثيقة رقم 36/صـحيفة19/حكم56/ تـاريخ 07-11-986 هـ/**1578م **:** حكم إلى قضاة قره مرسل وكروس واينه ده (ثلاث مدن تركية).

قائمـــة المصطلــحات

1) الأسلحة البيضاء:

- شمشير: Cimeterre
- طاكوبا: Takouba
- فليسة: Flissa
- يطغان: Yatagan

2) الأسلحة النارية:

- أركبوز: Arquebuse
- إسكوبيت: Escopette
- إشعال الفتيلة: Mise à feu
- البارود المسحوق: Pulvérin
- القنب الهندي: Chanvre
- أنبوبة محززة: Canon rayé

- بكرات: Poulie
- بلاتين بالصدم "القدح": Platine à percussion
- بلاتين بالصوان: Platine à silex
- بلاتين دولابي: Platine à rouet
- بلاتين فتيلي: Platine à mèche
- بندقية: Fusil
- ترباس: Culasse
- حزوز: Rayures
- حشو: Bourrage
- سربنتين: Serpentine
- شحنة: Charge
- صوان: Silex
- فتحة مجوفة: Bassinet
- فتحة: Lumière
- فتيلة: Mèche
- قضيب ناري: Bâton à feu
- قضيب: Tube
- كبسولة القدح: Percuteur
- ماسورة أو سبطانة: Canon
- مدفع: Canon
- مدفعية: Artillerie
- مسدس: Pistolet
- ملح البارود: Salpêtre
- منجنيق: Catapulte, Mangonneau
- موسكيت: Mousquet

3) السفن الحربية:

- درمنـد: Dromon
- شبـاك: Chébek
- غاليـة: Galée
- غليـرة: Galère
- غليوطة: Galiote
- غليـون: Galion
- فرقاطـة: Frégate

فهـــرس الأشـــكال والصـــور والخـــرائط
الأســـــــــلحة البـــــيضاء

Sabre-latte dit « flissa » algérienne à longue lame à double courbure ; monture sans garde recouverte de cuivre ; fourreau en bois. XIXe siècle.

Sabre-latte dit « flissa » algérienne à lame à double courbure décorée de gravures géométriques ; monture sans garde recouverte de feuilles de cuivre rivetées et ornées de motifs stylisés à fusée se terminant en « tête de chien ». Fourreau à deux éclisses de bois sculpté maintenues par des bracelets d'acier. XIXe siècle.

Poignard algérien dit « flissa » — réduction du sabre-latte — à lame à double courbure décorée de motifs géométriques rehaussés d'incrustations de cuivre ; monture sans garde recouverte de feuilles de cuivre. Fourreau en bois sculpté et bracelets métalliques. XIXe siècle.

الشكل رقم 01 : سيف وخنجر "فليسة" وغمديهما، ومقبض الخنجر(القرن19م).

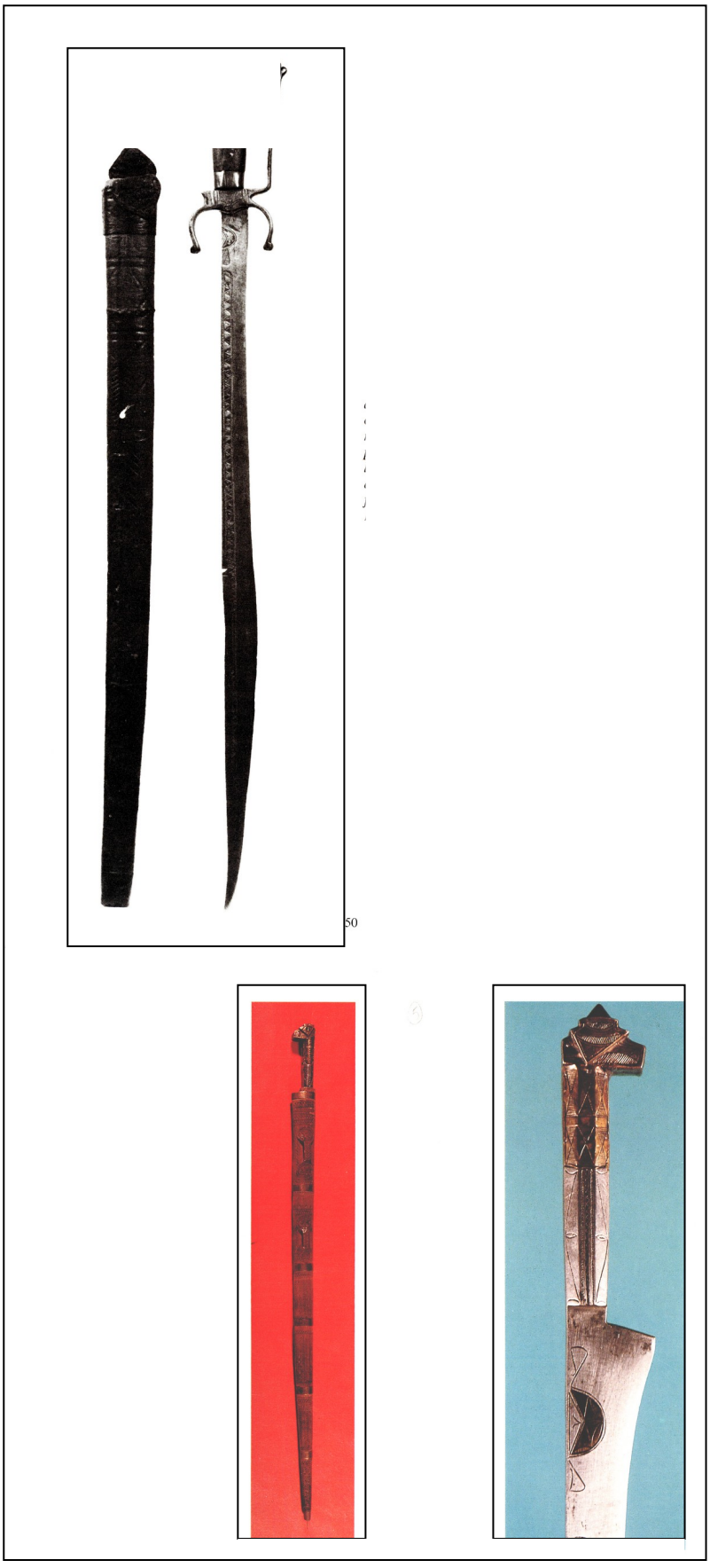

الشكل رقم 02: سيوف فليسة من منتصف القرن 14م.

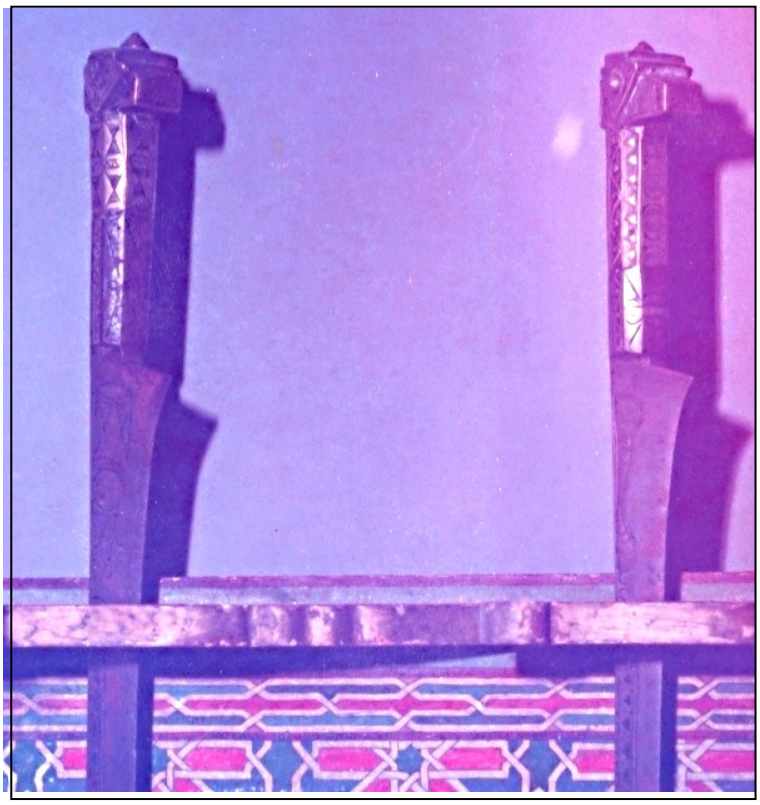

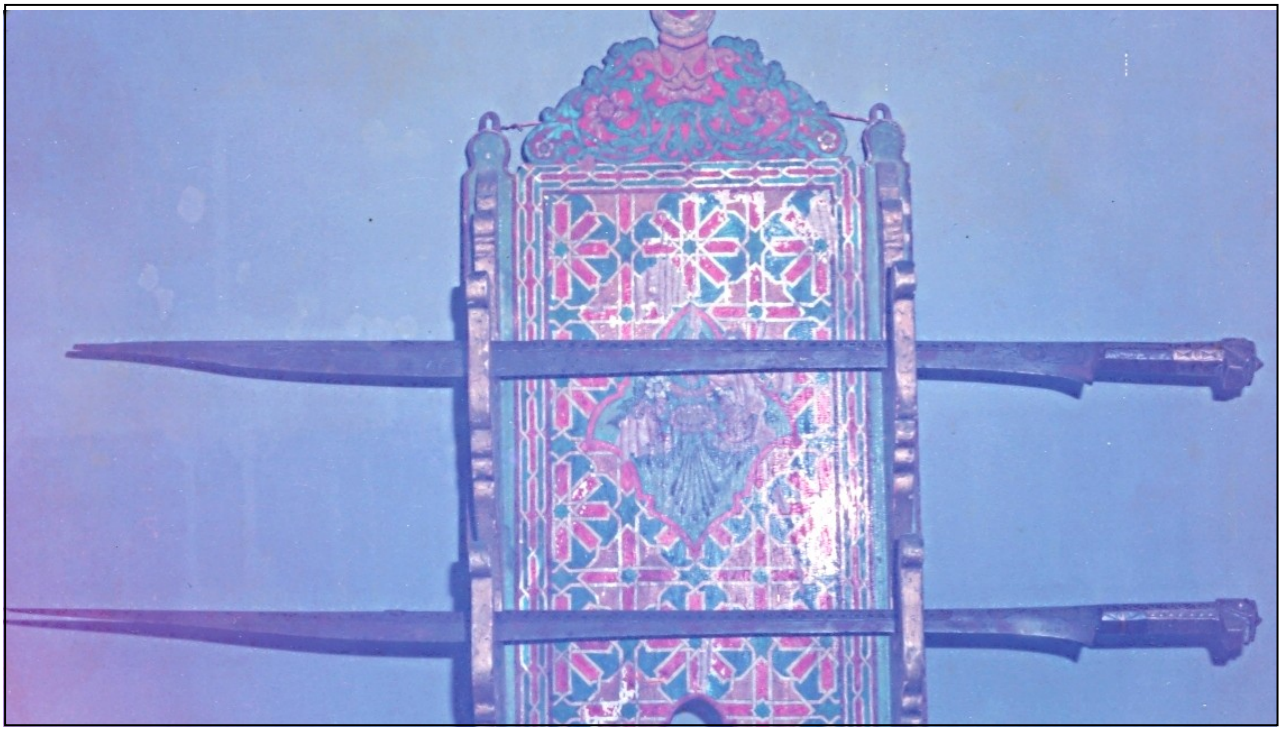

الشكل رقم 03 : سيوف "فليسة" من بداية القرن 19، وهي من معروضات المتحف المركزي للجيش.

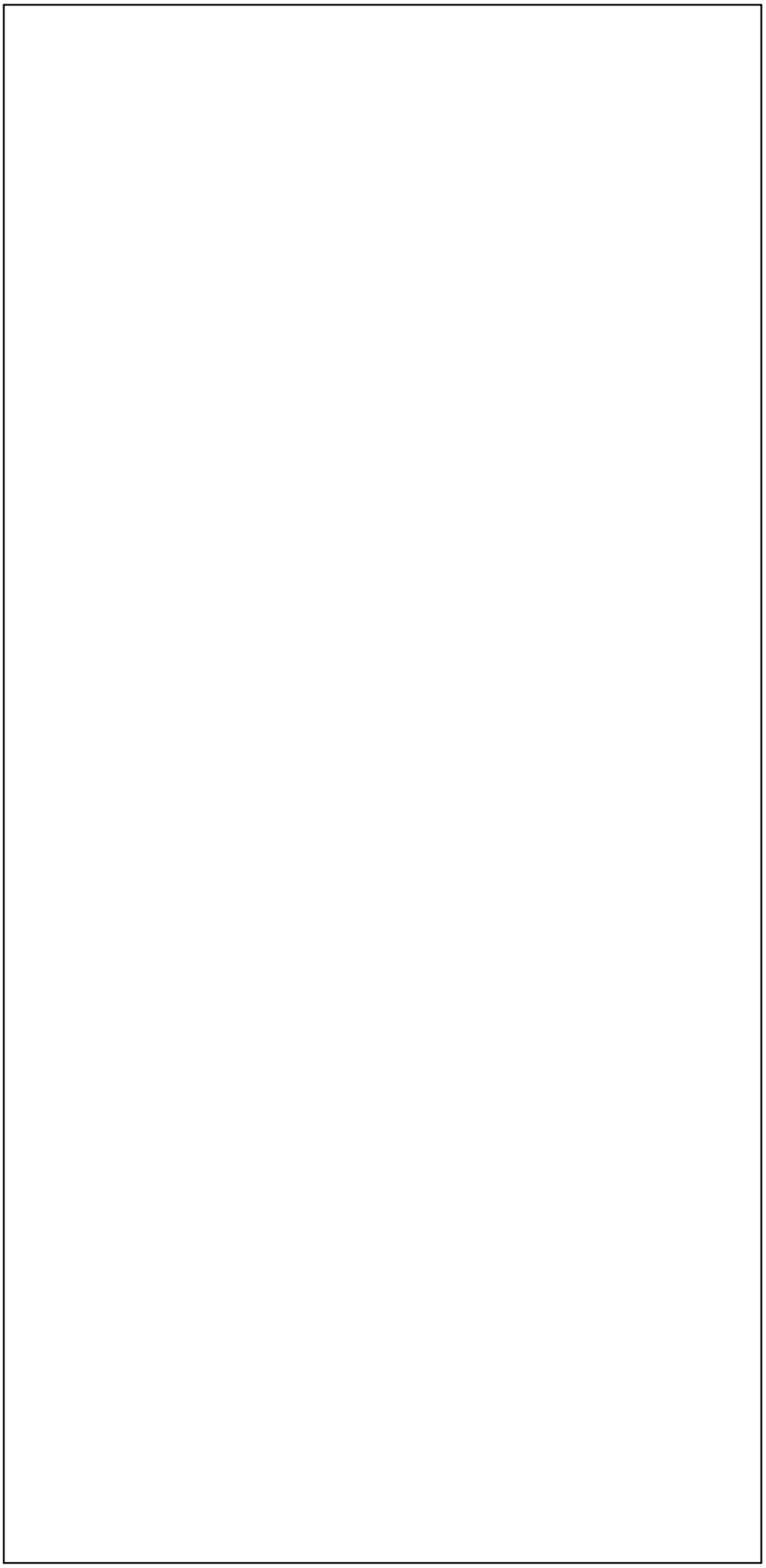

الشكل رقم 04 : مجموعة من خناجر "فليسة"

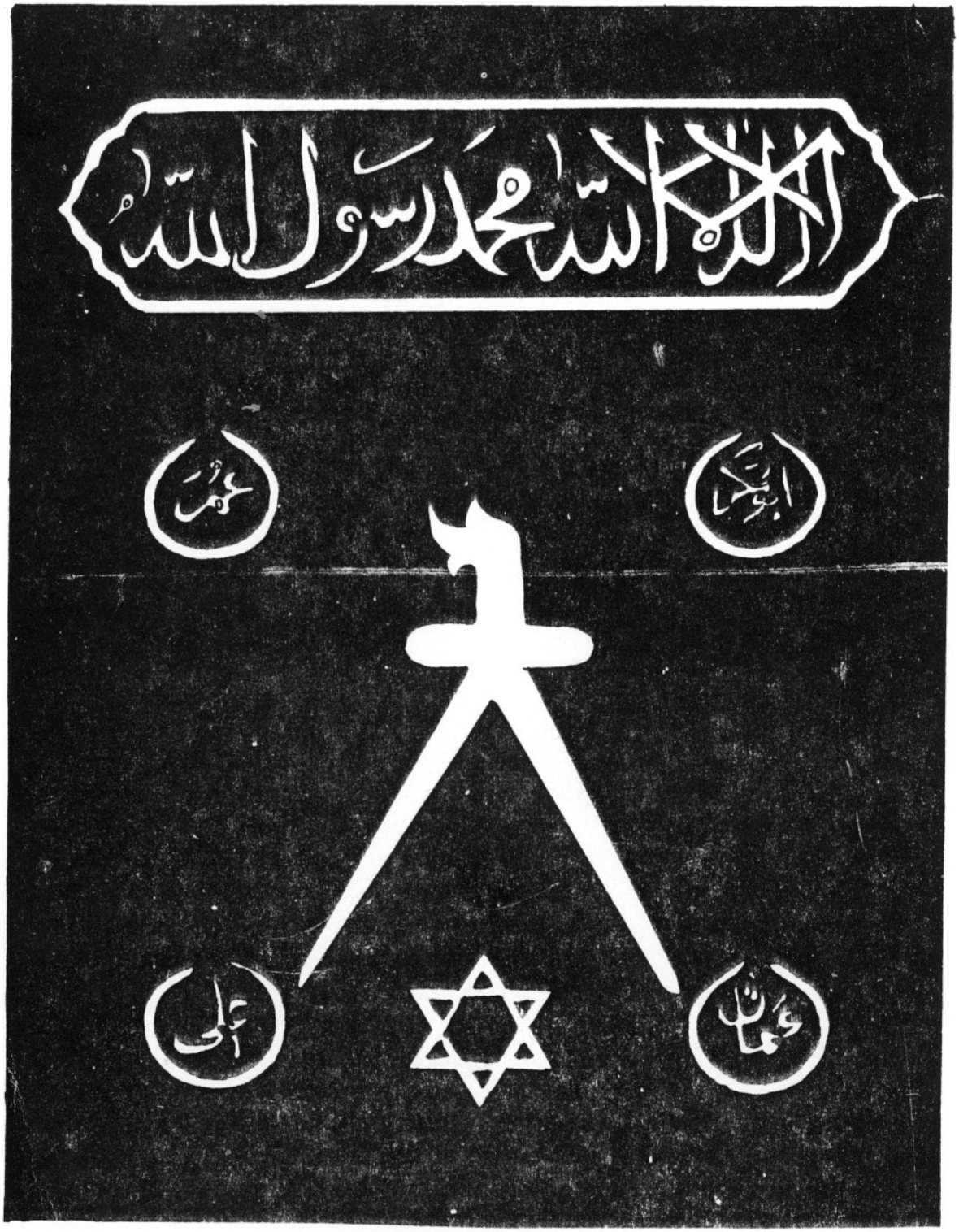

الشكل رقم 05 : راية خير الدين باشا، معروضة بمتحف البحرية باسطنبول (تركيا).

الشكل رقم 06 : سيف القلج وغمده من القرن 16م.

الشكل رقم 06 : سيف القلج وغمده من القرن 16م.

الشكل رقم 07 : سيوف الشمشير وأغمدتها.

الشكل رقم 08 : سيوف تاكوبا الترقية وخنجر المدعو " قُزمة" (القرن 19م).

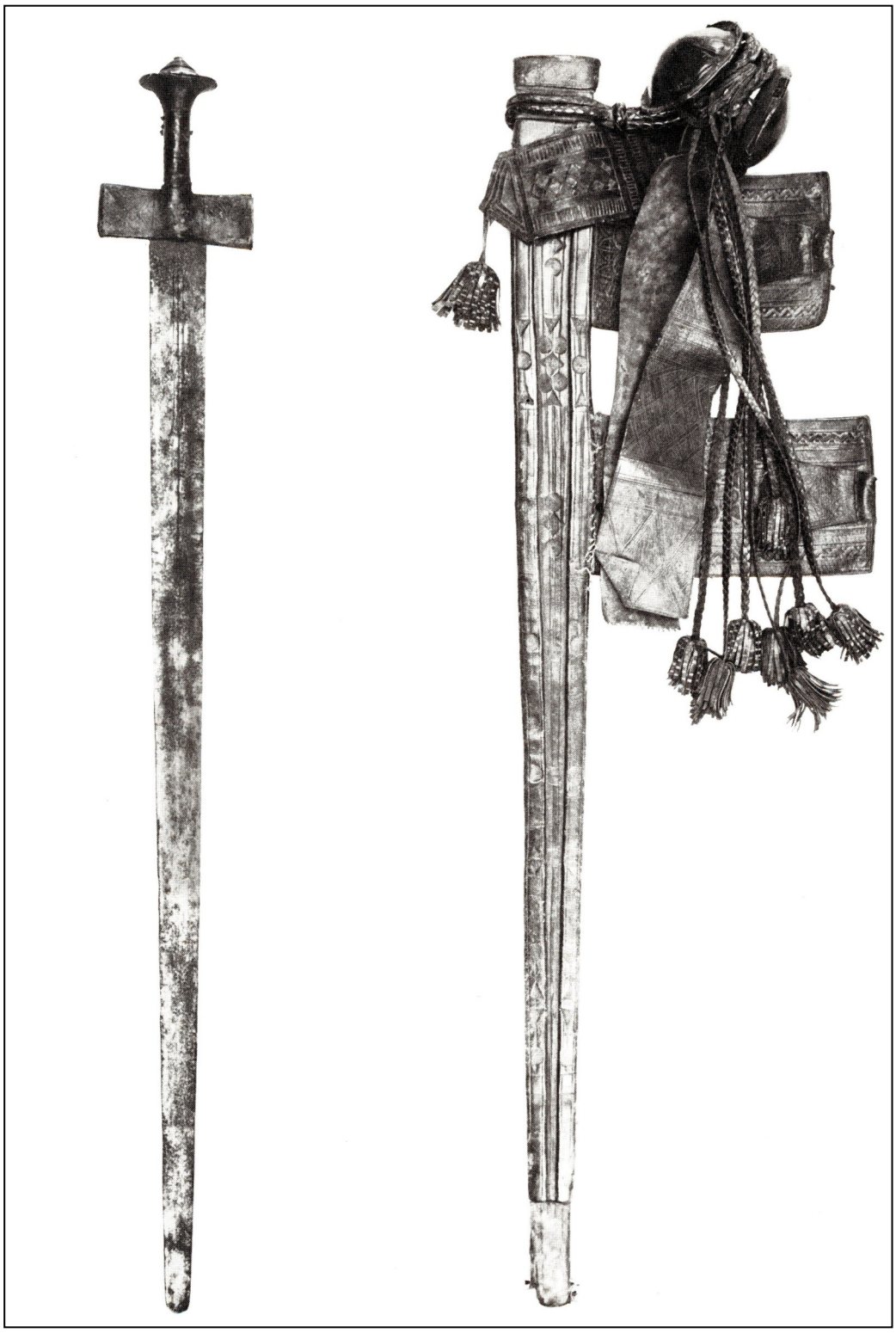

الشكل رقم 09 : سيف كَبير" تاكوبا" ذو حدّين وغمده (القرن 19م).

الشكل رقم 10: قائد سفينة الغليرة الجزائرية (حوالي سنة 1700م).

الشكل رقم 11: انكشاري من مدينة الجزائر (القرن 17م).

شكل رقم 14 : حي باب الوادي، تظهر في وسط الصورة مبنى دار النحاس المرشد في علم الحج كله.

الشكل رقم 12 : قائد طائفة الرياس الجزائريين.

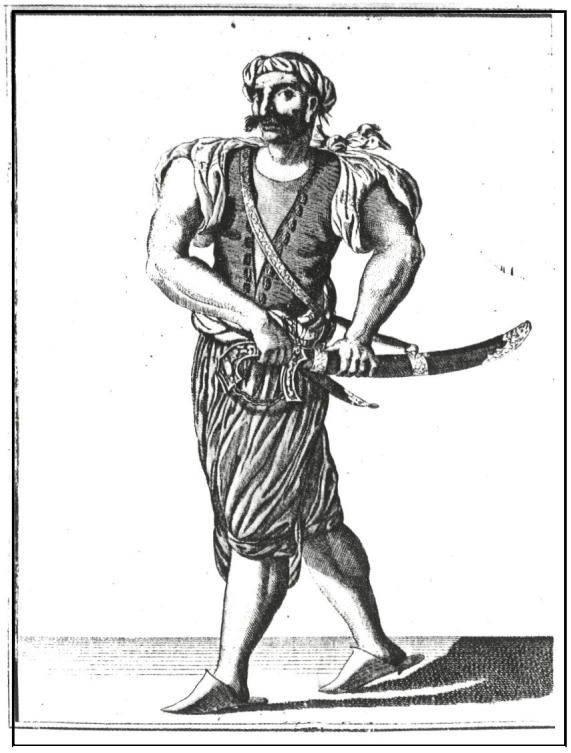

الشكل رق الشكل رقم 15: بنادق جزائرية من القرنين 18 و19م. 1700م).

الشكل رقم 14 : حي باب الوادي، تظهر في وسط الصورة مبنى دار النحاس المشرف على الحي كله.

الشكل رقم 15: بنادق جزائرية من القرنين 18 و19م.

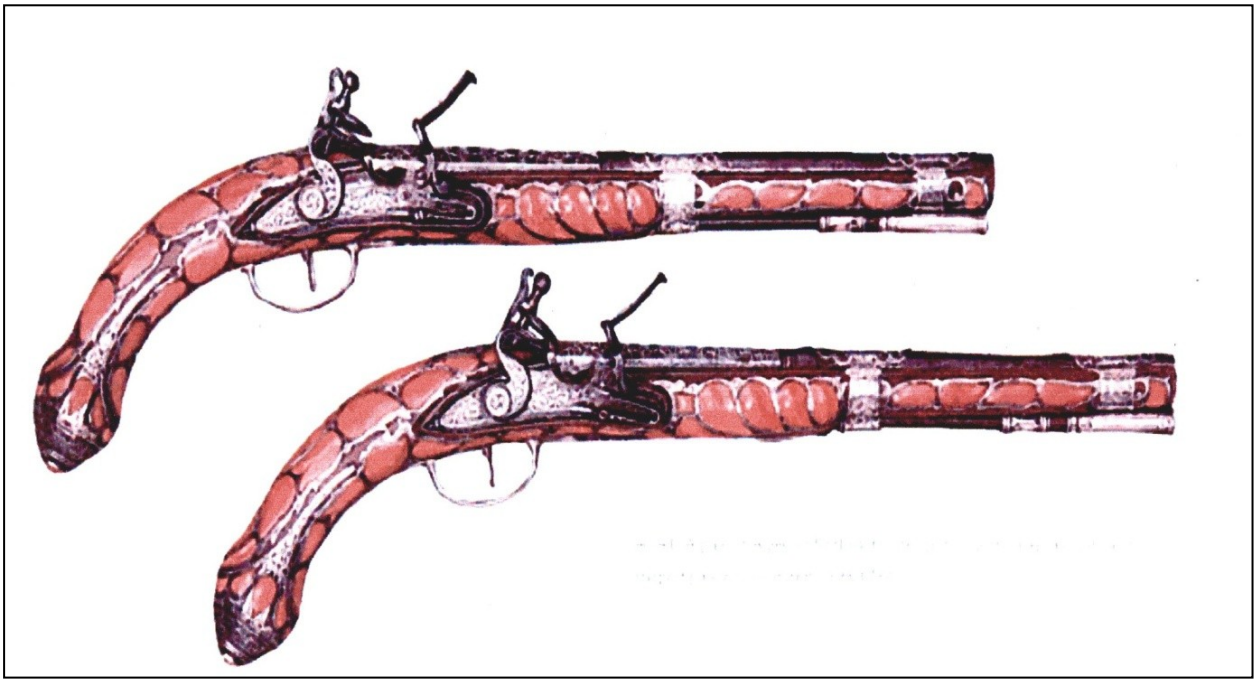

الشكل رقم 16: مسدسين جزائريين مركبين من الفضة ومرصعين بالمرجان ذي اللون القرنفلي بتاريخ 1198هـ/1784م.

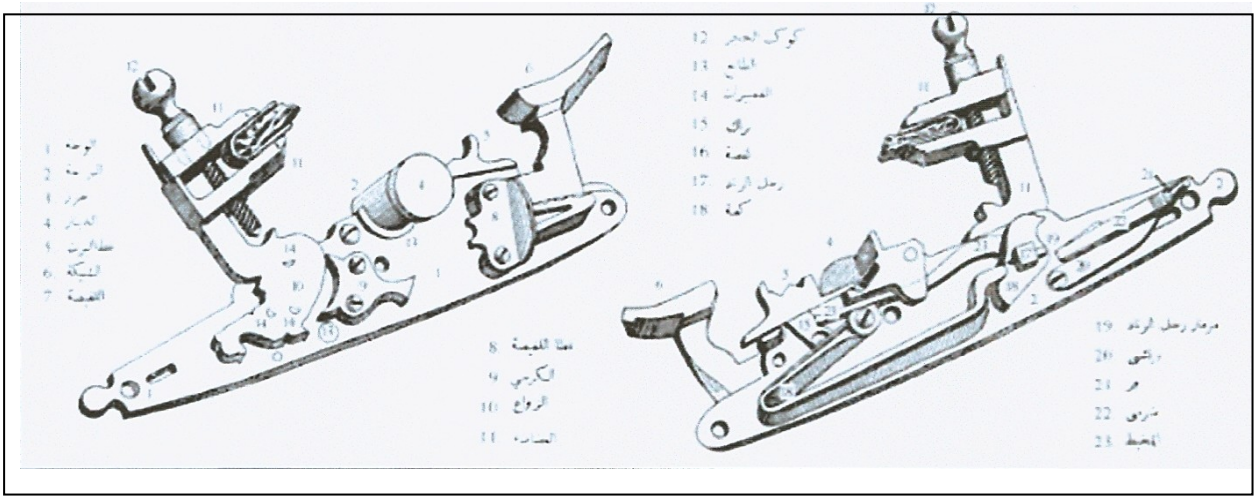

الشكل رقم 17: ترباس البندقية وهي القطعة الاساسية للسلاح الناري من صنع خاص بشمال إفريقيا (رسم من أصل عربي).

الشكل رقم 18 : مسدس بارود (القرن 19م) وبندقية من نوع طرابيلة (القرن 19م)
(المتحف المركزي للجيش).

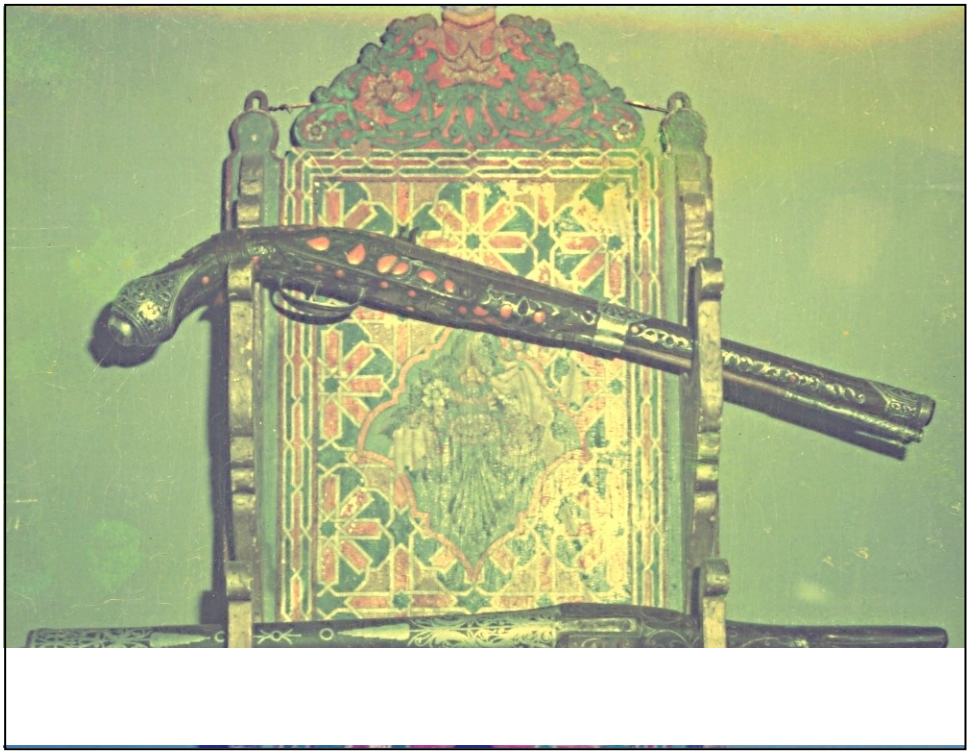

الشكل رقم 18 : مسدس بارود (القرن 19م) وبندقية من نوع طرابيلة (القرن 19م)
(المتحف المركزي للجيش).

الشكل رقم 19: محارب من منطقة الصباس مسلح ببندقية المكحلة وبسيف كبير المدعو "فليسة"
(مطبوع فرنسي من القرن19).

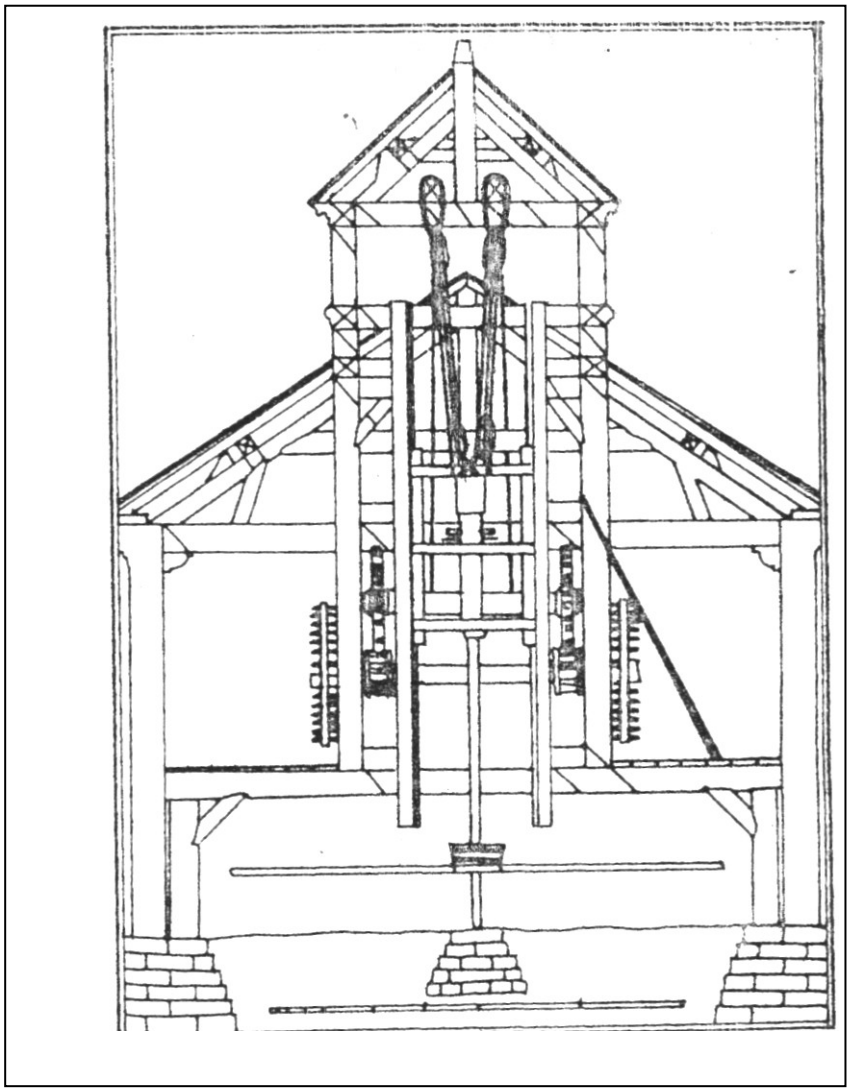

الشكل رقم 20 : آلة لصقل المدافع.

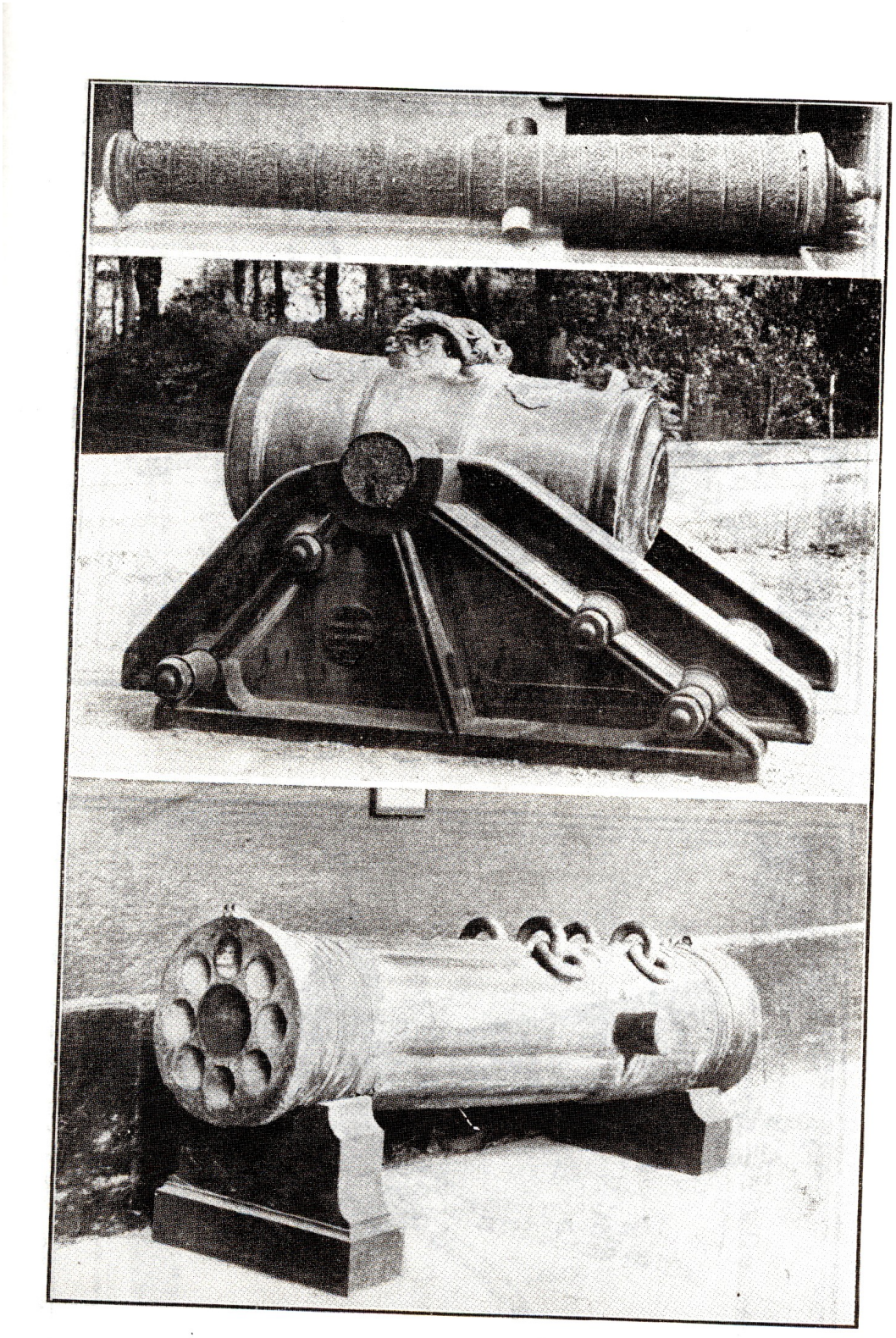

الشكل رقم 21 : مدافع جزائرية في متحف الأنفاليد بباريس من بينها مدفع ذو تسع فوهات (09).

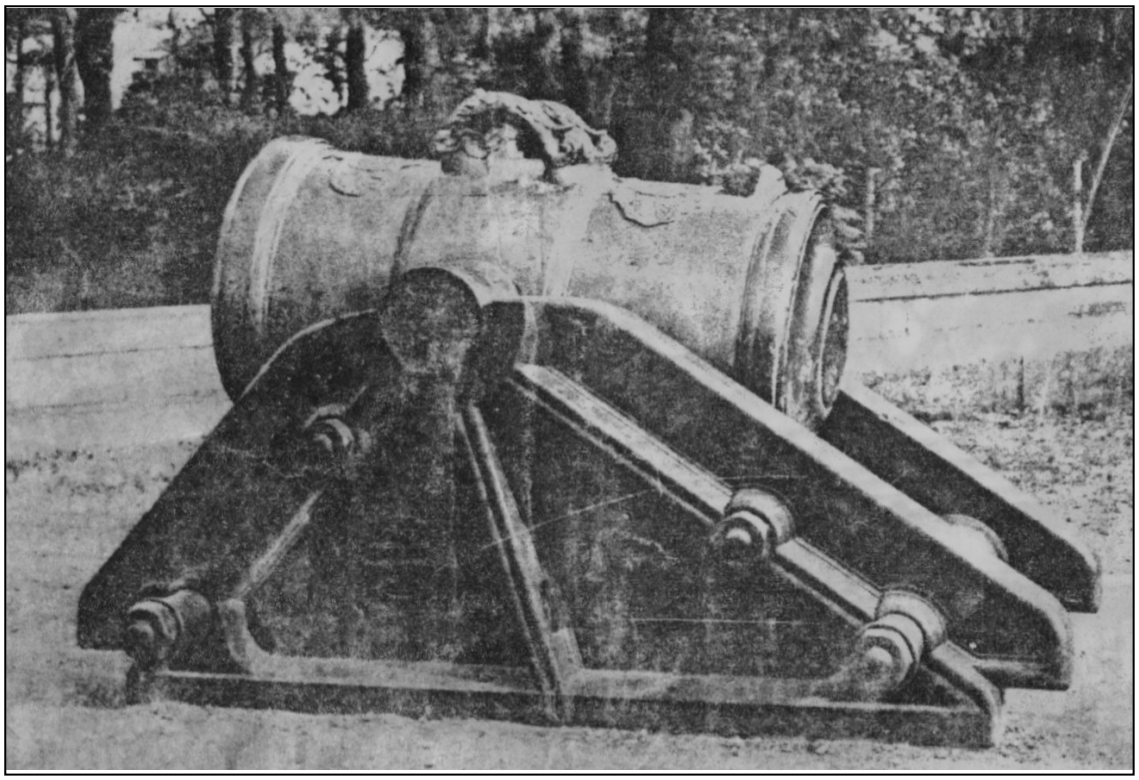

الشكل رقم 23 : مدفع بابا مرزوق "القنصلية" نُصباً تذكارياً في مدينة

الشكل رقم 22 : مدفع هاون جزائري ومجموعة مدافع على أسرتها على الجانب الأيمن للصورة وهي من معروضات متحف الأنفاليد بباريس.

الشكل رقم 24 : مدافع جزائرية معروضة في ساحة

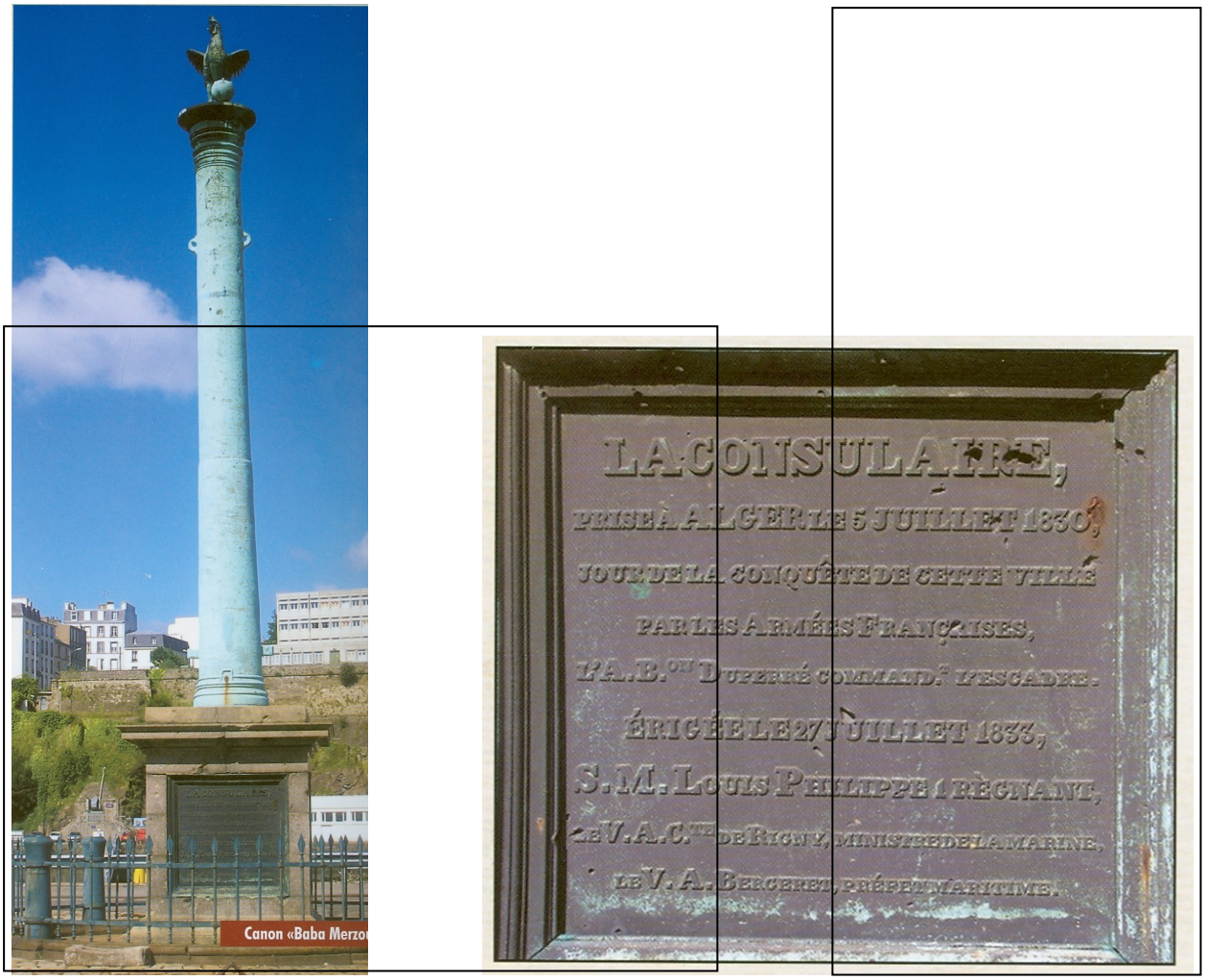

الشكل رقم 23 : مدفع بابا مرزوق "القنصلية" نُصباً تذكارياً في مدينة

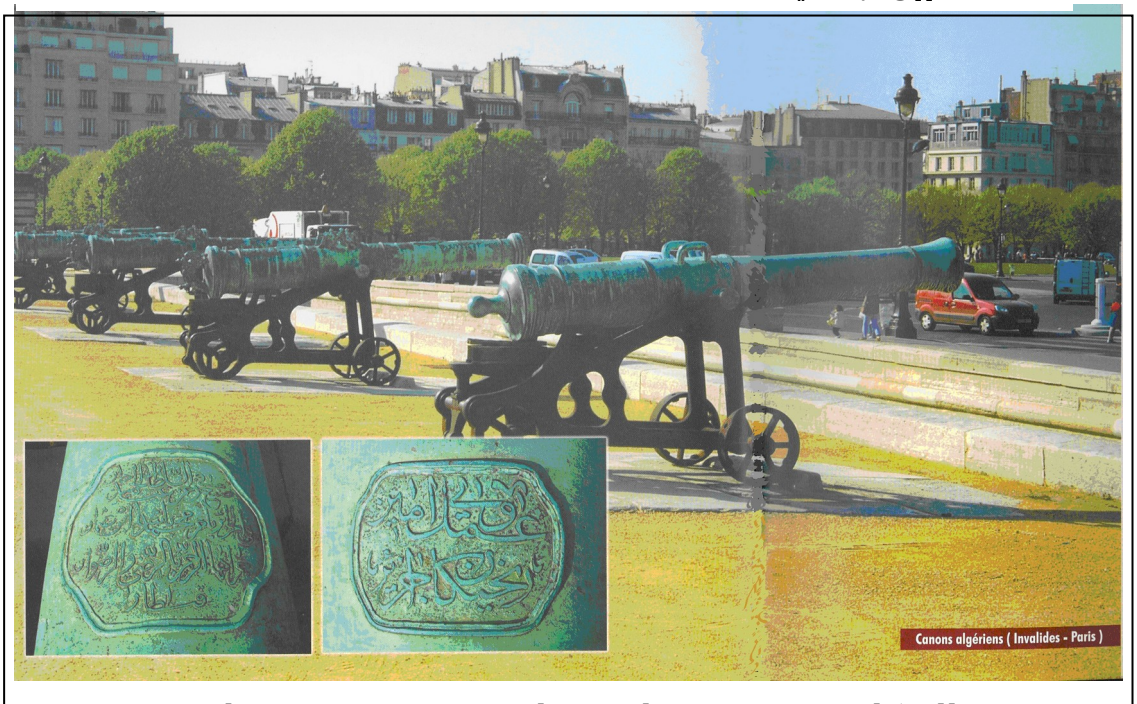

الشكل رقم 24 : مدافع جزائرية معروضة في ساحة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله
كتاب العزو والمناوع للمجاهدين في سبيل
الله بالمرابع تأليف الرئيس ابراهيم
بن احمد غانم ابن محمد
بن زكريا الـ
ندلسي
1511
BIBLIOTHEQUE
كتبه بالاعجمية وترجمه له بالعربية
ترجمان سلاكين مرّاكش احمد
بن قاسم بن احمد ابن الوقيه
قاسم ابن الشيخ الحجري
الـ ندلسي
غفر الله له ولوالديه ومولفه
وكاتبه وجميع
المسلمين
آمين
يارب
العالمين

الشكل رقم 25

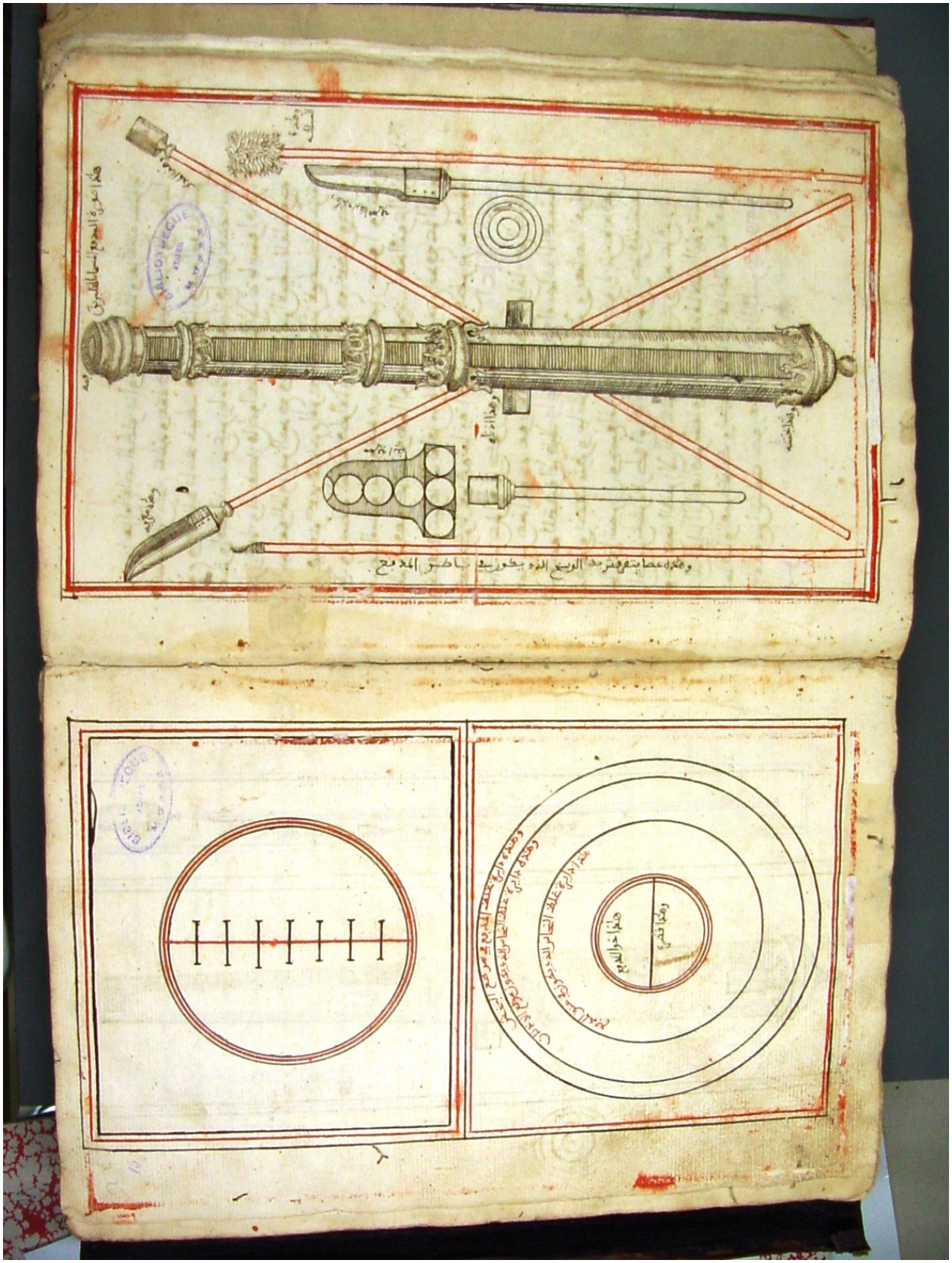

الشكل رقم 26

صورة المدفع المتين ويسمى بالمعجم فنيوز وبالعربي تفسير هذه الكلمة جعبة

الشكل رقم 27

الشكل رقم 28

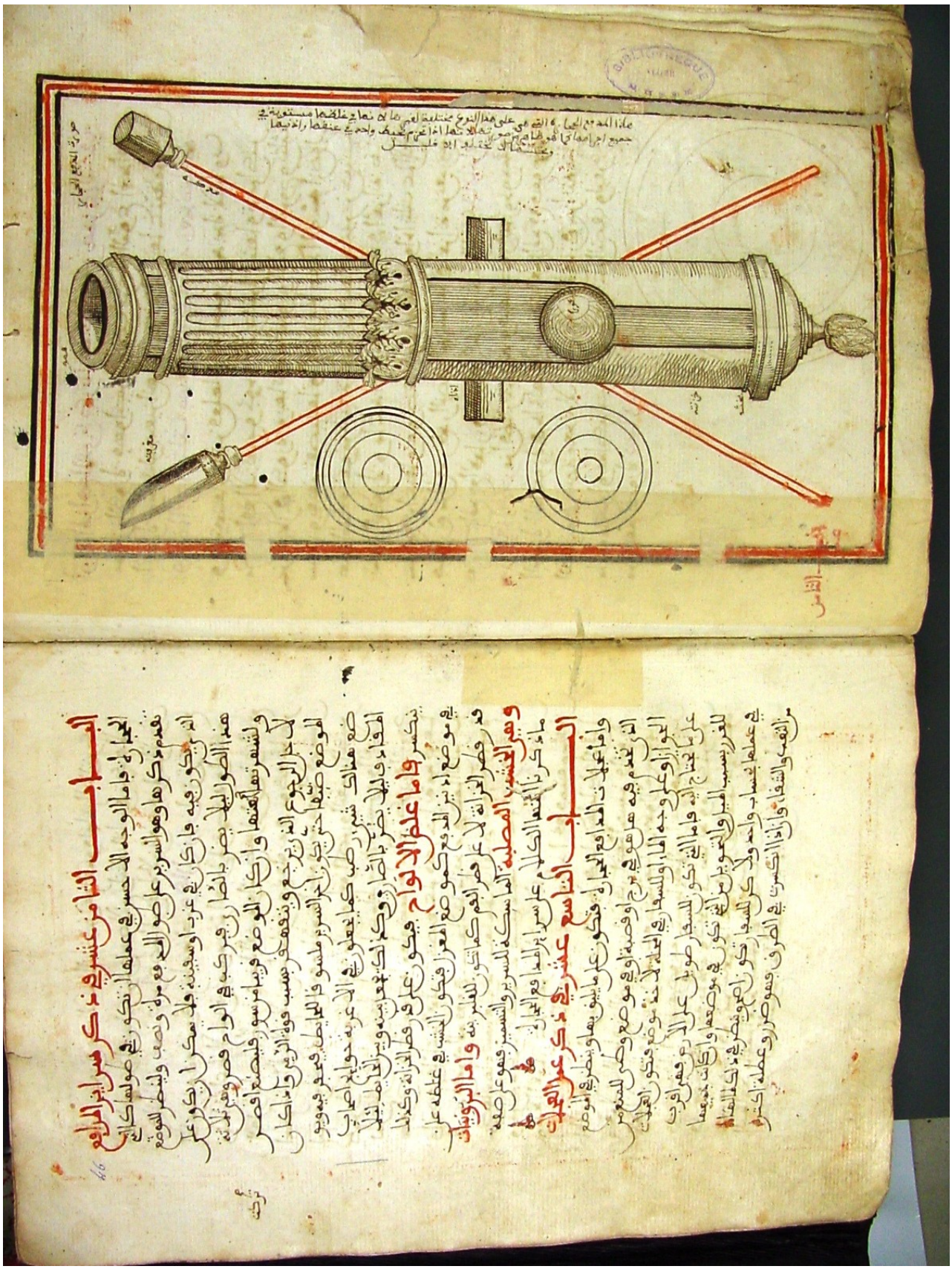

الشكل رقم 29

الشكل رقم 30

الشكل رقم 31

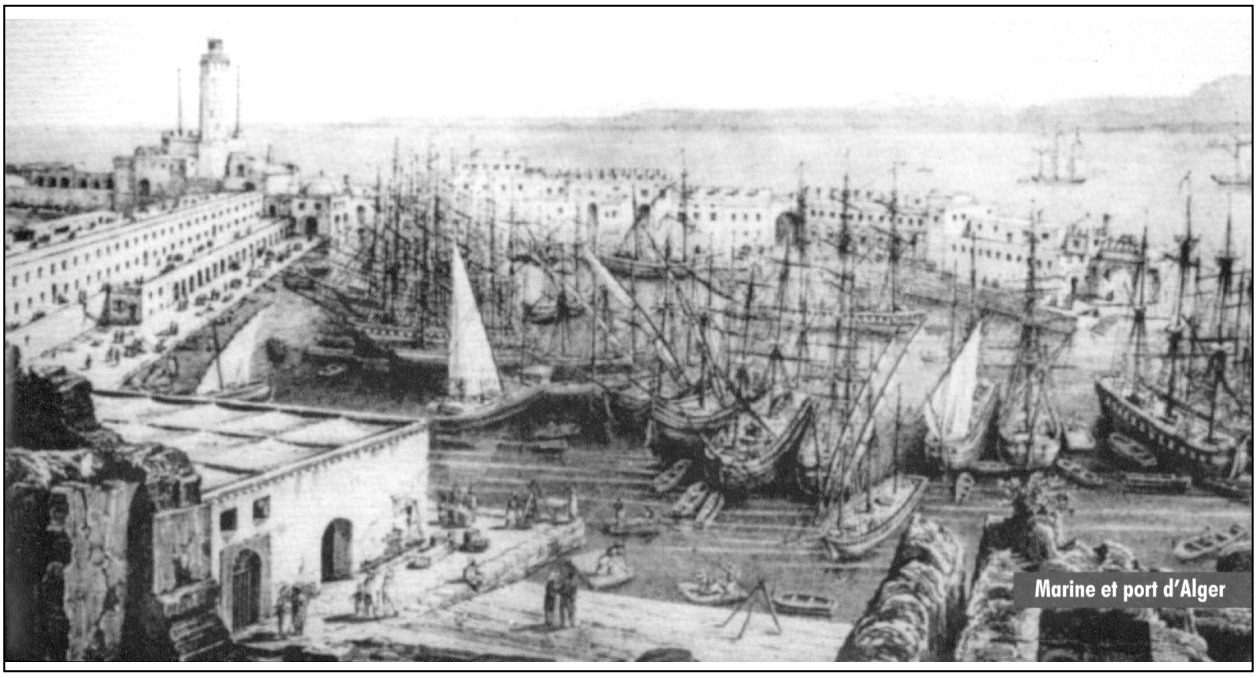

الشكل رقم 32 : ميناء الجزائر.

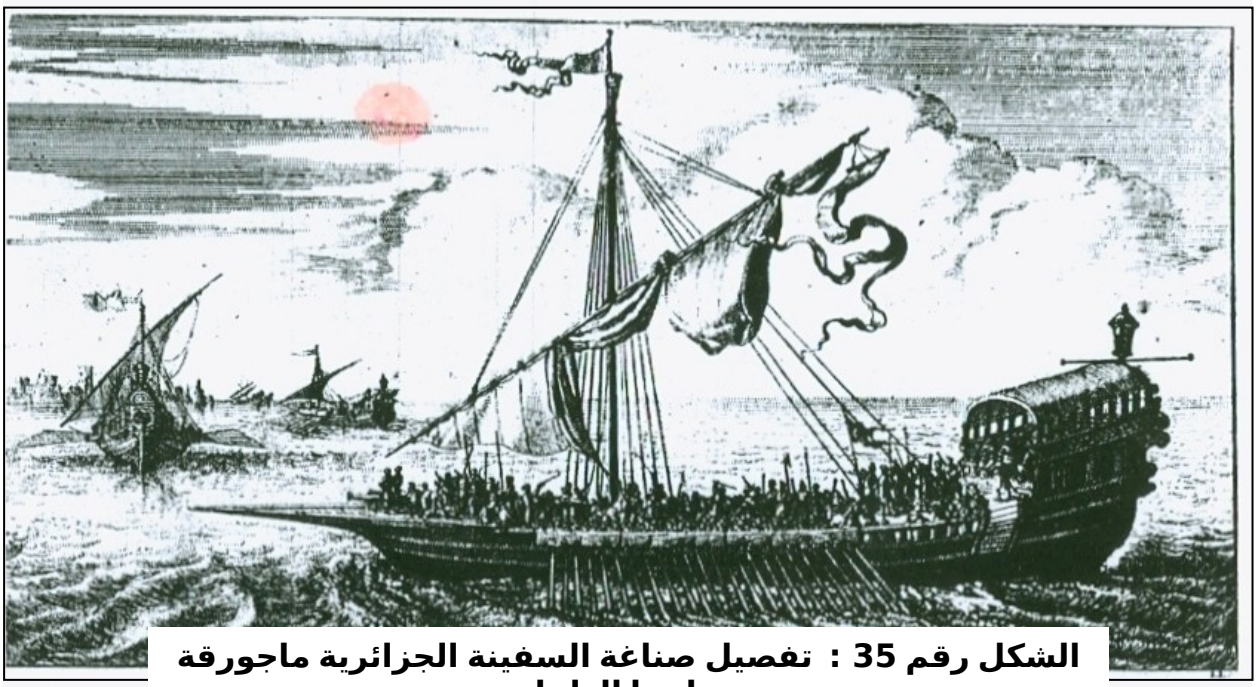

الشكل رقم 35 : تفصيل صناغة السفينة الجزائرية ماجورقة ومنظرها الداخلي.

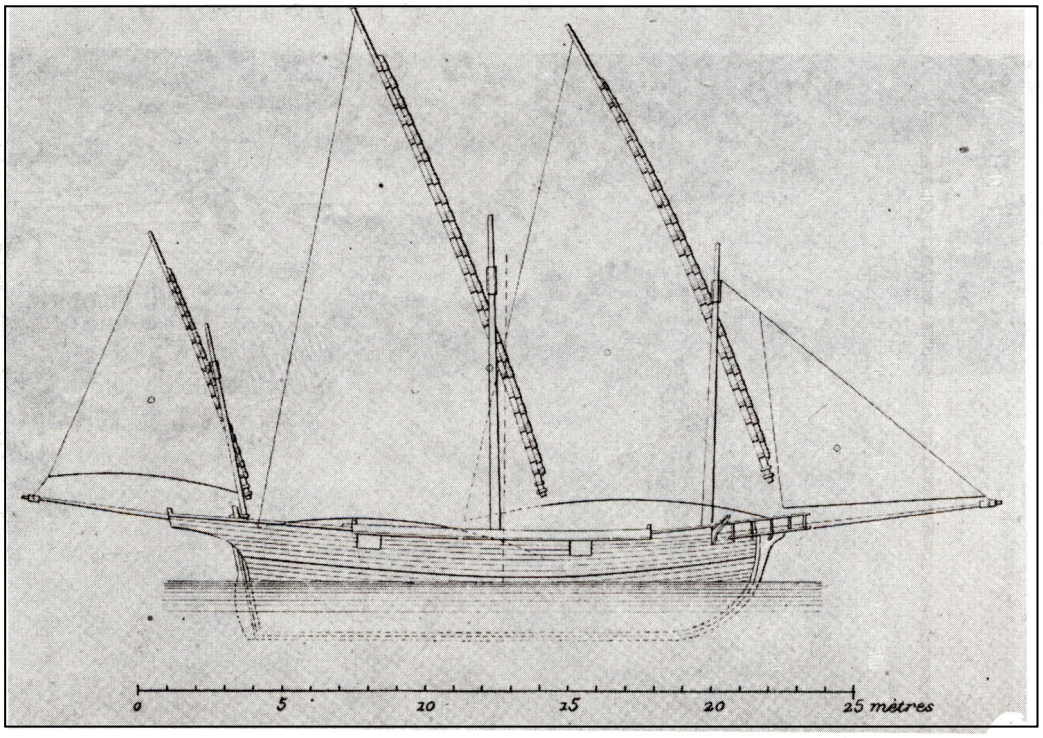

الشكل رقم 34 : المنظر الخارجي للسفينة الجزائرية "مايورقة" التي غنمها الفرنسيون عند الاحتلال
وأطلقوا عليها اسم " بوبراش".

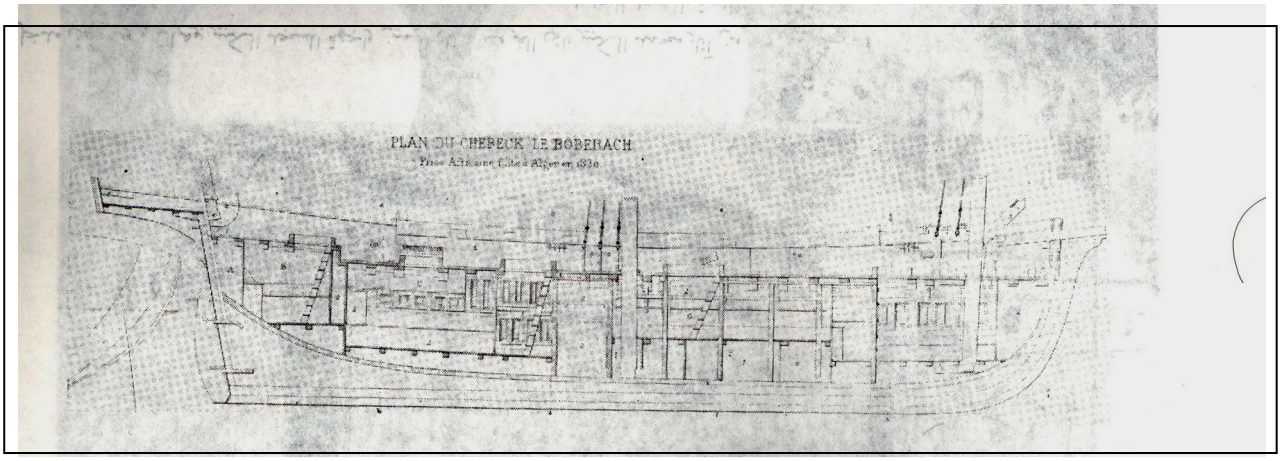

الشكل رقم 35 : تفصيل صناغة السفينة الجزائرية ماجورقة ومنظرها الداخلي.

الشكل رقم 36 : سفينة بولاكر الشراعية (نهاية القرن 18م).

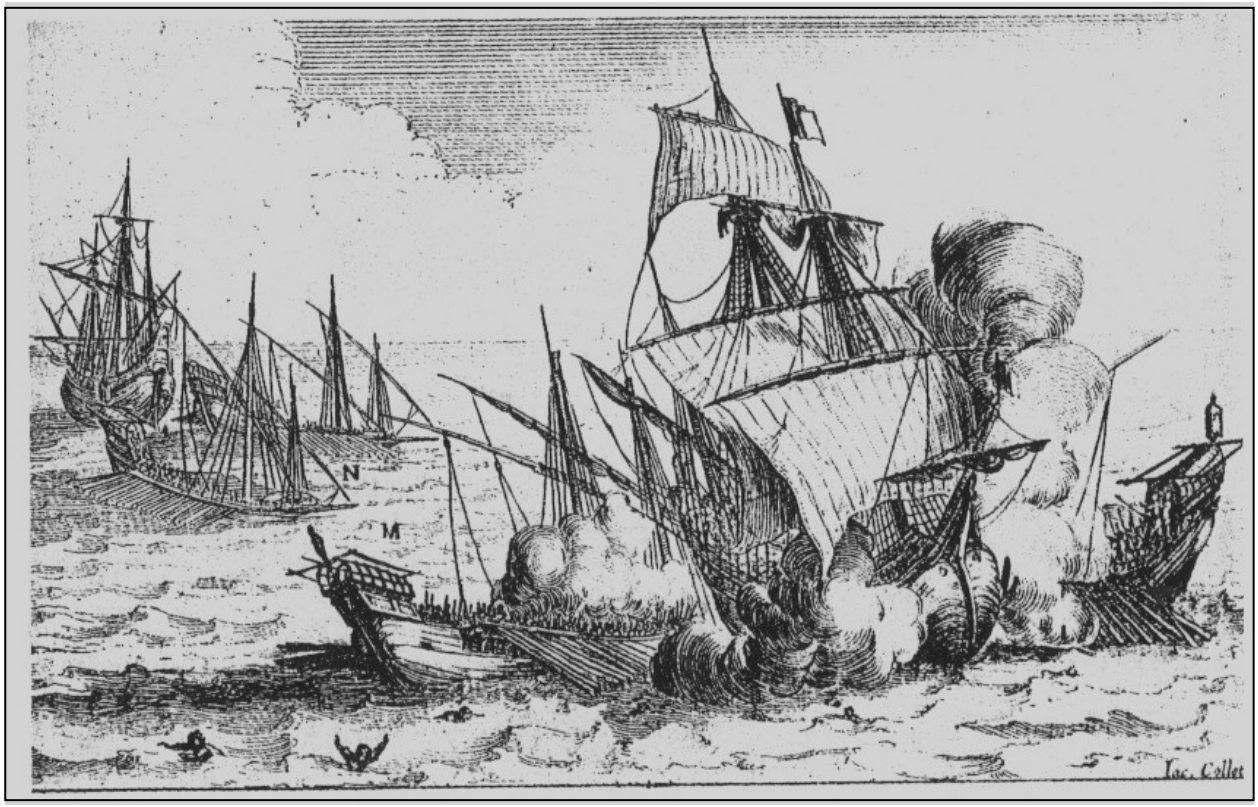

الشكل رقم 37 : معركة بحرية (1617م).

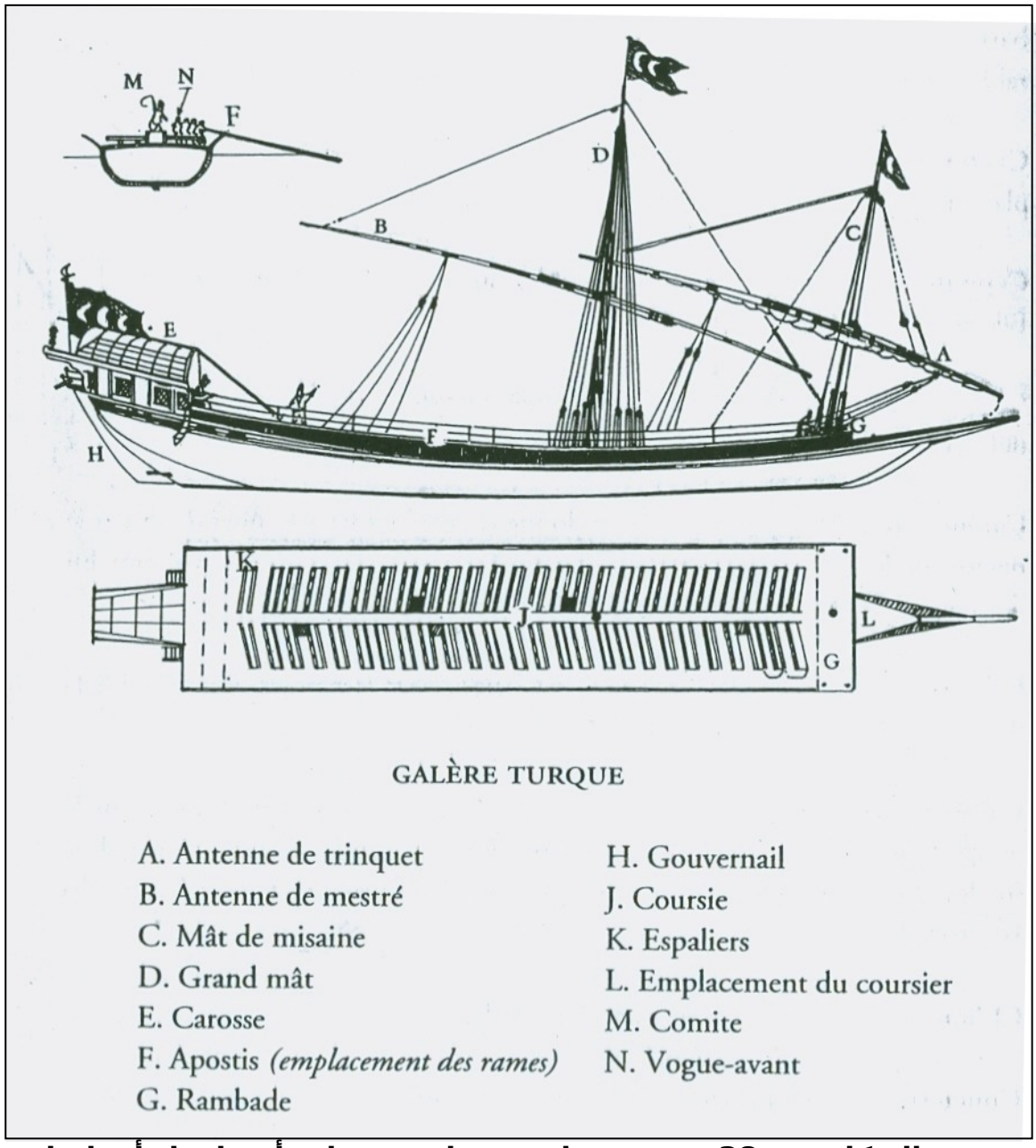

GALÈRE TURQUE

A. Antenne de trinquet
B. Antenne de mestré
C. Mât de misaine
D. Grand mât
E. Carosse
F. Apostis *(emplacement des rames)*
G. Rambade
H. Gouvernail
J. Coursie
K. Espaliers
L. Emplacement du coursier
M. Comite
N. Vogue-avant

الشكل رقم 38 : سفينة غليرة عثمانية بمختلف أقسامها وأجزائها.

قائـمة مراجـع فهـرس الأشـكال والصـور

(ش25- ش26- ش27- ش28- ش29- ش30- ش31)

- ابن أحمد غانم الأندلسي (إبراهيم)، **العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، تحت رقم 1115.

(ش20)

- دريـــاس (لخضـــر)، **المدفعية الجزائرية في العهد العثمـــاني**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه (الحلقة الثالثة) في التاريخ، السنة الجامعية 89 /1990.(

(ش12- ش34- ش35- ش21)

- المدني (أحمد توفيـق)، **محمد عثمان باشا (1766-1791)**، م و ك، الجزائـر، 1986.

(ش3- ش18)

- **المتحف المركزي للجيش.**

(ش1- ش2- ش4- ش6 - ش7- ش8- ش9- ش19)

-JACOB (Alain), **Les armes blanches du monde islamiques, les armes de poing,** Jacques Grancher .Éditeur, Paris, 1985.

(ش5)

-KADDACHE (Mahfoud), **L'Algérie durant la période ottomane,** Office des Publications Universitaires**,** Alger, 1992.

(ش10- ش11- ش13- ش33- ش36 - ش37- ش38)

-MASCARENHAS (Joao), **Esclave à Alger**, **récit de captivité de Joao MASCARENHAS (1621-1626),** trad. et présentation P. Teyssier, Ed.Chandeigne, Paris, 1993.

(ش14)

-DEVOULX (Albert(, **El-Djazaîr, Histoire d'une cité, d'Icosium à Alger**, Edition Critique, présentée par Bedreddine Belkadi et Mustapha Benhamouche, ENAG/ Editions, Alger, 2003.

(ش22)

- BELHAMISSI (Moulay), **Alger, la ville aux mille canons,** Entreprise Nationale du Livre, Alger, 1990.

(ش23- ش24- ش32)

-KHELIFA (Abderrahmane), **Histoire d'El-Djazair Bani-Mazghana,** Editions. Dalimen, 2007.

(ش15- ش16- ش17)

-ELGOOD (Robert), **Firearms of the Islamic world in the Tareq Rajab Museum, Kuwait,** London, 1995, 240 pages.

فهـــــرس الخـــــرائط

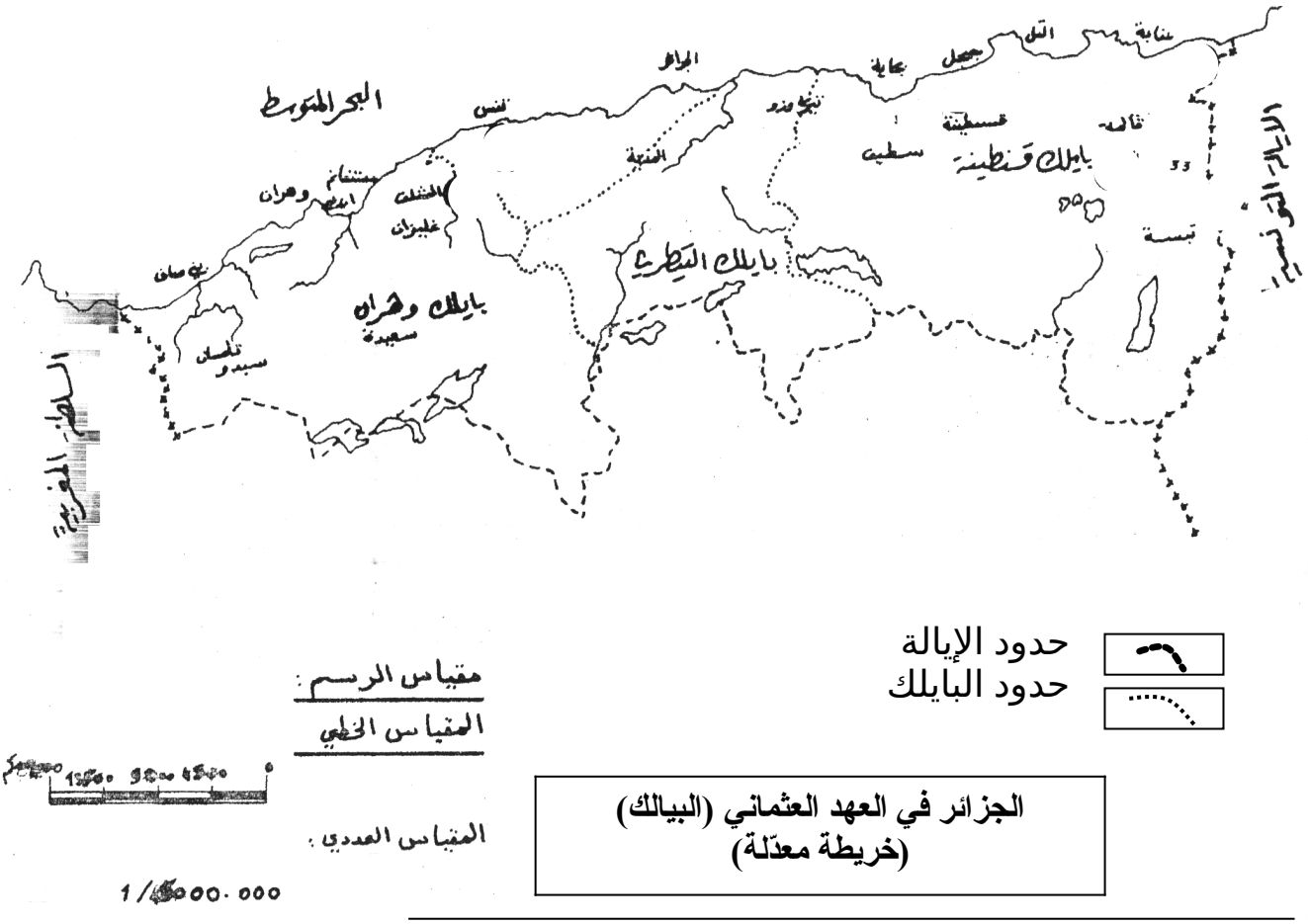

الخريطة رقم 01:
الجزائر في العهد العثماني ومواقع البيالك ودار السلطان.

)درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق**.(

الخريطة رقم 02 :
مخطط مدينة الجزائر سنة 1830م،
موقع مسبكة دار النحاس على الرقم13 وموقع الترسانة البحرية على الحرف(C).)

(KLEIN (Henri), **Feuillets d'El-djézair, Comité du vieil Alger,** Tome 2, Editions du Tell, Blida, 2003.)

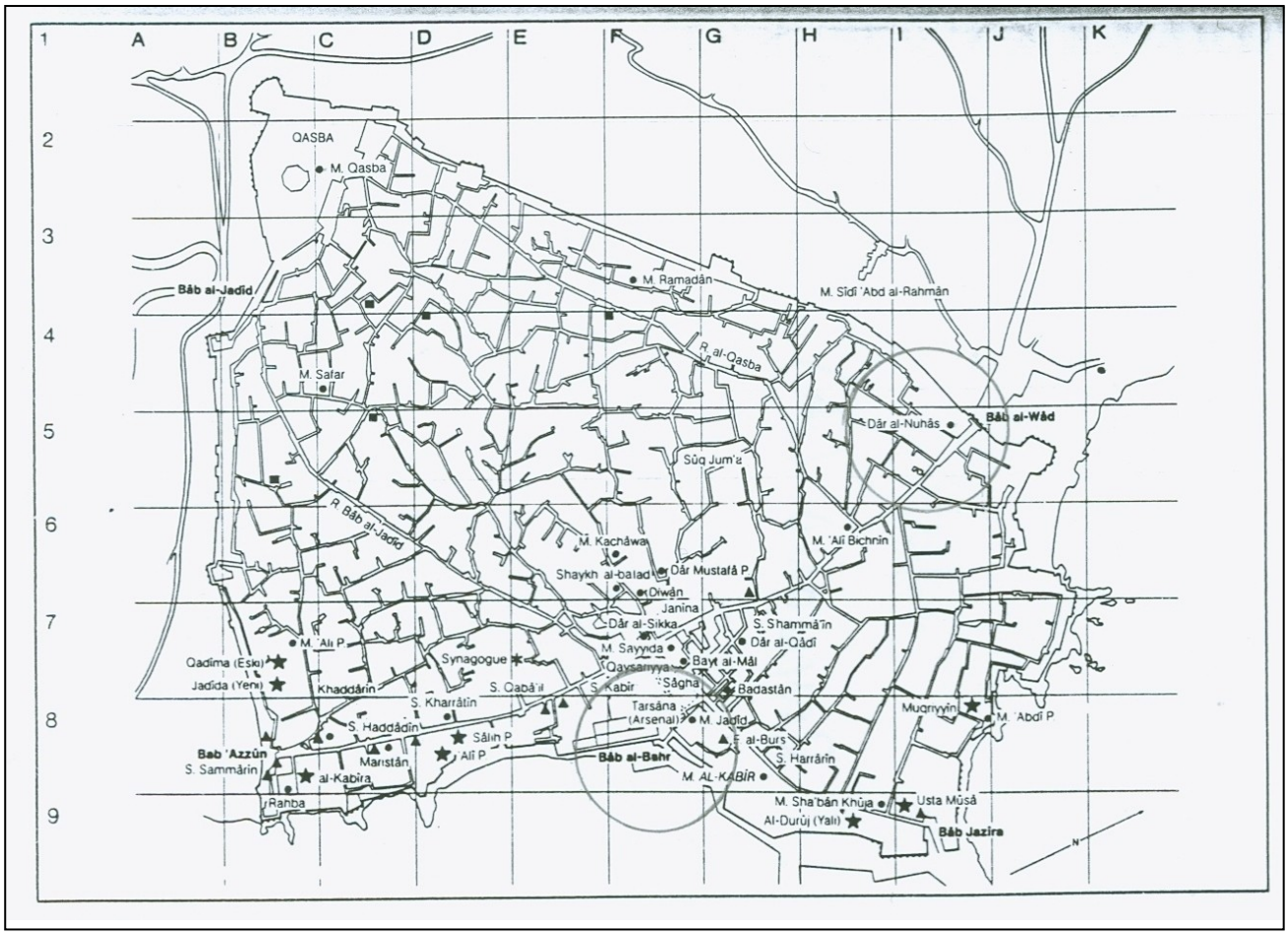

الخريطة رقم 03:
مخطط مدينة الجزائر في أواخر القرن 18،
(موقع مسبكة دار النحاس بالقرب من باب الوادي وموقع الترسانة البحرية بمقربة من باب البحر).

)RAYMOND (André), **Grande villes arabes à l'époque ottomane,** La Bibliothèque arabe Sindbad, Editions Sindbad, Paris, 1985, p.333.(

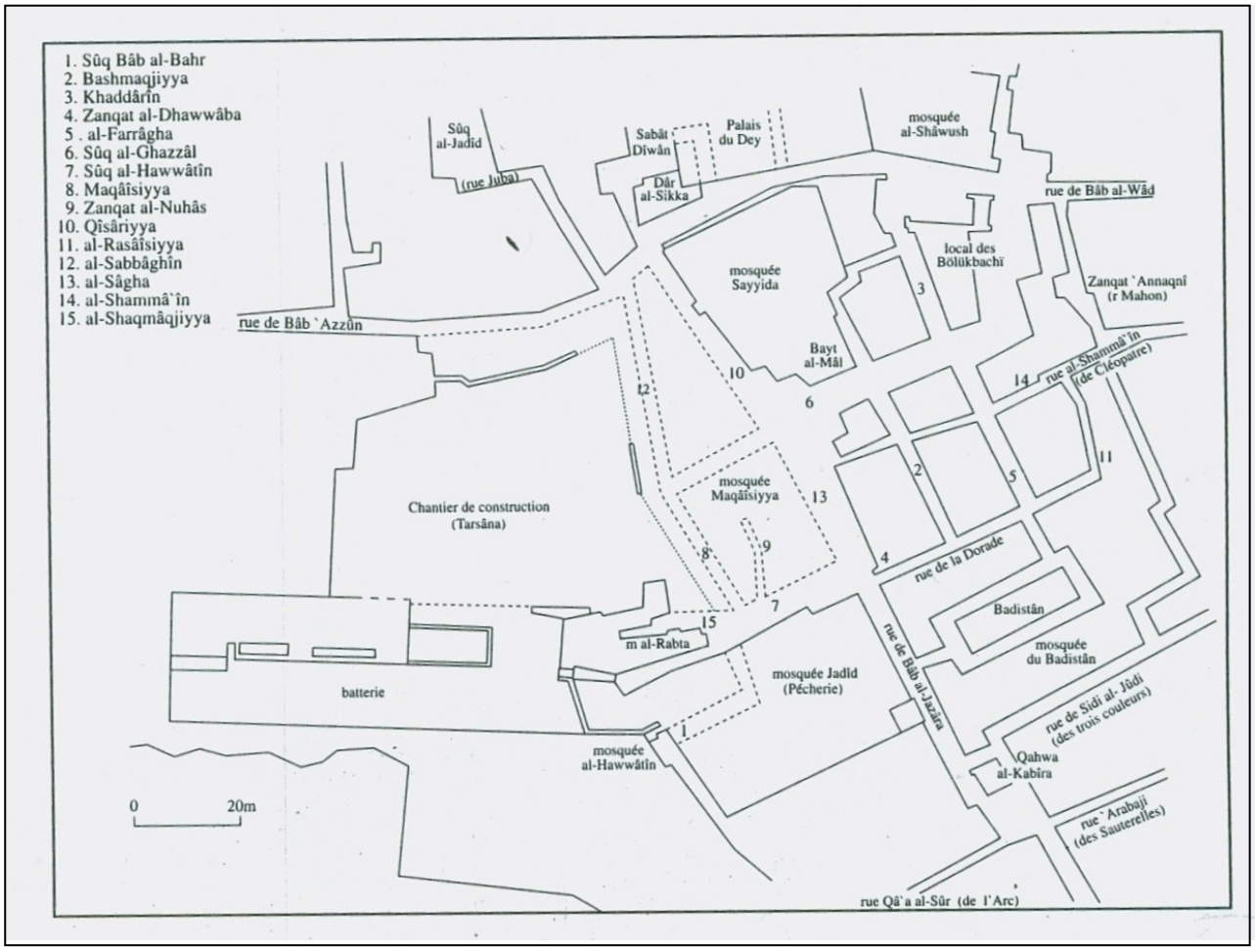

الخريطة رقم 04:

مخطط وسط مدينة الجزائر سنة 1830م (شارع صُنّاع البنادق والمسدسات (التشاقمقجية) على الرقم 15).

)SHUVAL (Tal), **La ville d'Alger vers la fin du 18ème Siècle, Population et cadre urbain,** Ed. CNRS, Paris, 1998, p.269. (

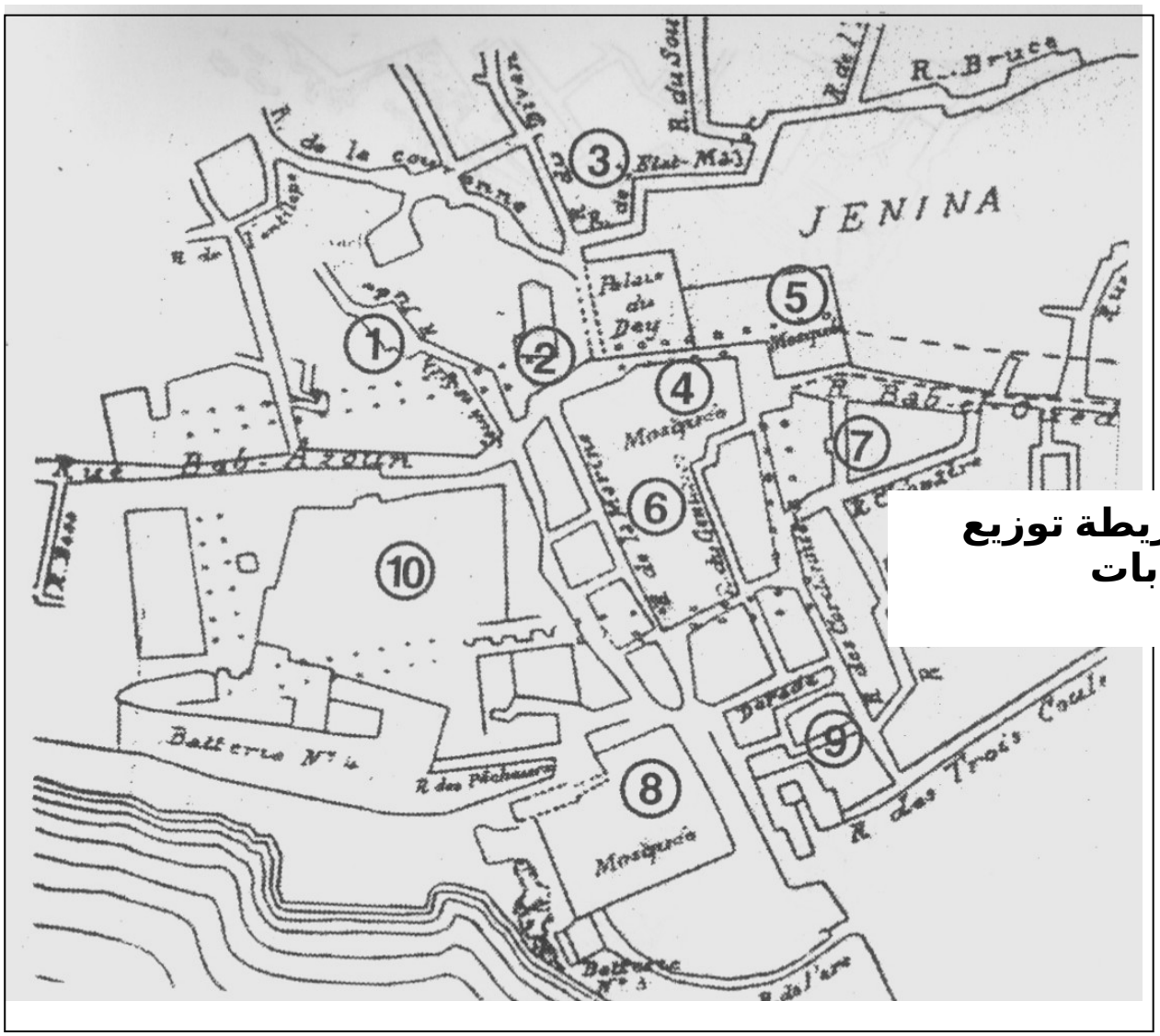

الخريطة رقم 05:
مخطط وسط مدينة الجزائر سنة 1830م (الترسانة البحرية على الرقم 10).

(KLEIN (Henri), **Feuillets d'El-djézair, Comité du vieil Alger,** Tome 2, Editions du Tell, Blida, 2003.)

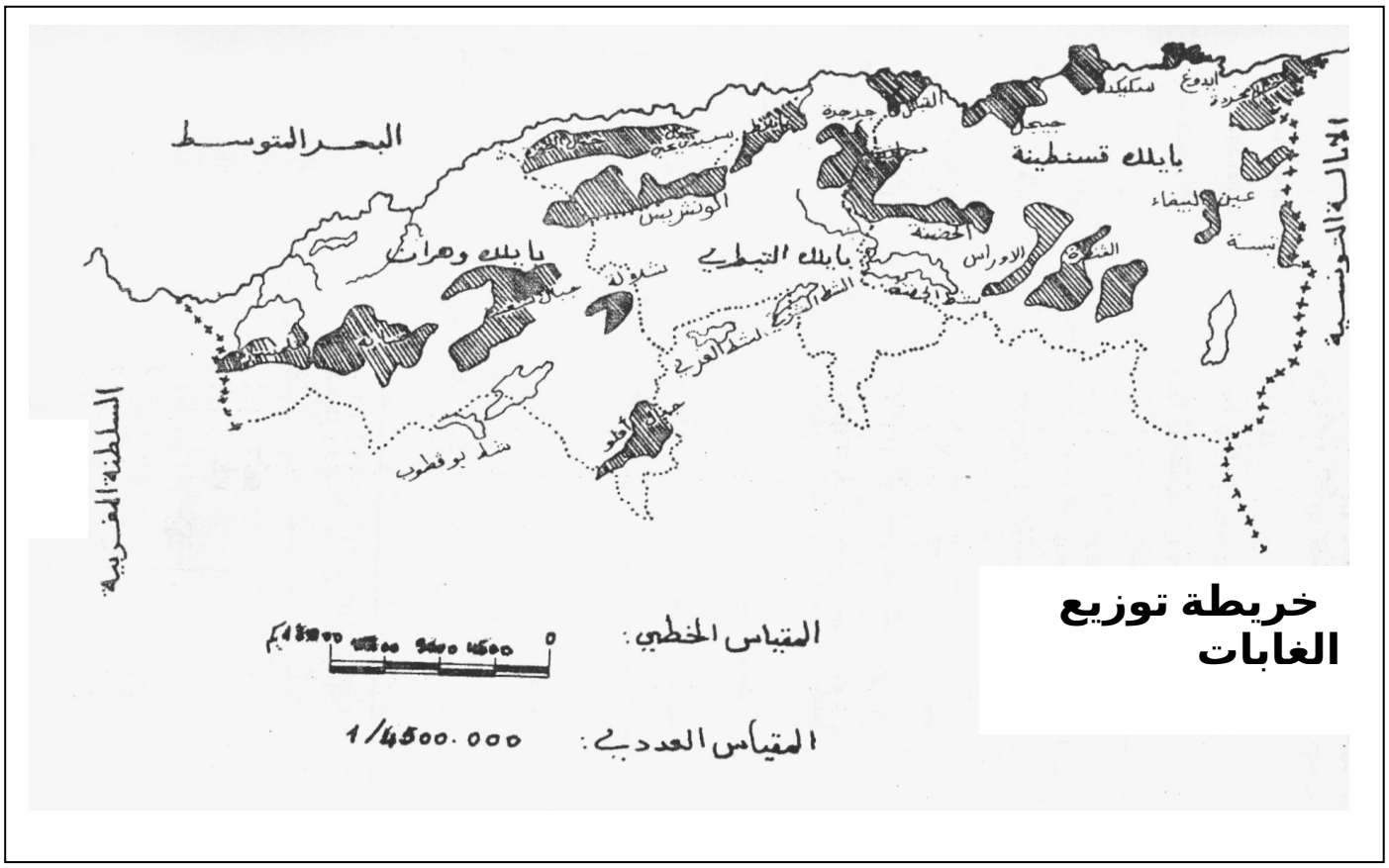

الخريطة رقم 06:
توزيع الغابات عبر كامل القطر الجزائري في العهد العثماني.

)درياس (لخضر)، **نفس المرجع السابق** (

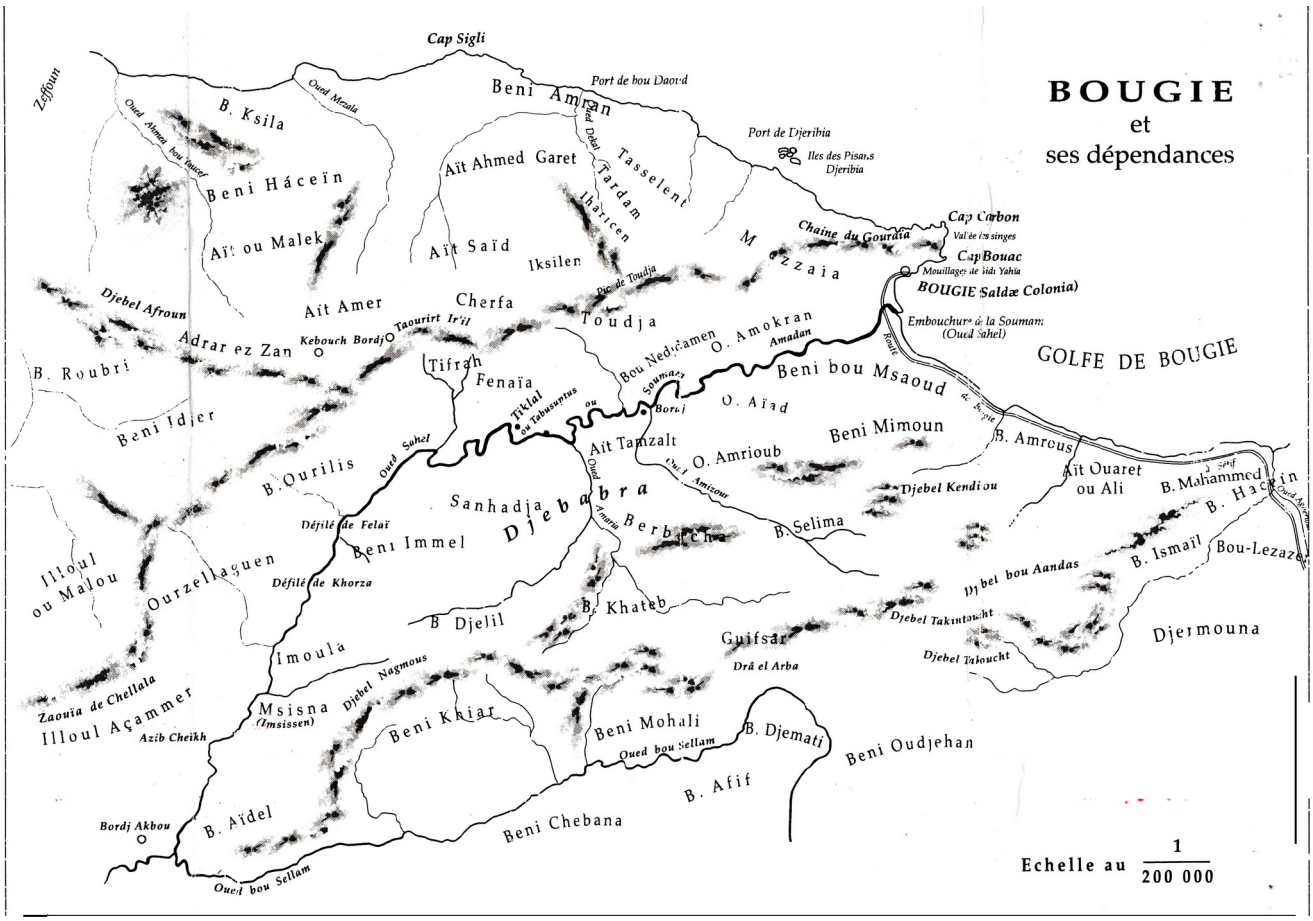

الخريطة رقم 07:
بجاية والقبائل الصغرى في العهد العثماني (منطقة استغلال الخشب – مصلحة الكرسته-).

(FERAUD (Laurent-Charles), **Histoire de bougie,** Présentation de Nedjma ABDELFETTA-LALMI, Editions Bouchène, Paris, 2001.)

فهـــرس الأعـــلام

أ

- ابن حمادوش: 6، 123، 124.
- ابن خلدون (عبد الرحمن):21، 50، 126.
- ابن سحنون: 6، 131.
- ابن غانم (أحمد الأندلسي): 5، 103، 104.
- ابن ميمون (محمد الجزائري): 123.
- أحمد باي: 130.
- إكسموث:- 157، 158، 171 -Exmouth.

ب

- بابا حسن: 111، 167، 170، 178.
- بلحميسي: 98، 150، 153.
- بوتان (النقيب): –Boutin – 6، 99، 215.

ت

- التمغروطي: 161.

ح

- الحاج أحمد الشريف الزهار: 6، 167، 168، 170 .
- الحاج حسين ميزومورتو: 113.
- الحاج علي باشا (الداي): 130، 171، 172.
- حسن آغا: 33، 148، 150، 187.
- حسن الوزان: 6 ، 34، 94، 162، 163، 164.
- حسن باشا (الخزناجي): 106، 170.
- حسن بن خير الدين (باشا) : 149، 187.
- حسن شاوش: 167.
- حسين باشا (داي): 5، 99، 190، 214، 215.
- حميدو (الرايس): 40، 112، 157، 170، 171، 183، 184.

خ

- خوجة (حسين): 128.
- خوجة (حمدان): 63، 64،94، 103، 150.
- خوجة (علي): 172.
- خير الدين: 6، 9، 30، 34، 67، 77، 78، 79، 83، 84، 91، 92، 93، 117، 126،127، 139، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 166، 186، 187.

د

- دان (بيير): - 6، 181 Pierre Dan.
- دانسا أو دانسر: -187، 178، 177، 176، 174، 115، 114، 113، 10 – Dansa ou Danser.
- دوريا (أندريا):-144، 91 – Andréa Doria.
- دوفو أو دي فولكس: -،189 188، 187، 184، 129، 128، 98، 62، 60، 32، 6 -Devoulx 197.
- دوكين: -111 – Duquesne.

س

- سعد الله (أبو القاسم): 122، 123.
- سعيدوني: 36، 96.

- سليم الأول (السلطان):34، 83، 146.
- سليمان القانوني (السلطان): 147.

ش

- شارل الخامس:- 33، 34، 67، 92، 98، 147، 148، 161، 186 -Charles quint.
- شالر:-159، 158، 152، 81، 36، 6 – Shaller.
- شاو: - 164، 163، 132، 96، 95، 73، 33، 6- Shaw.

ص

- صالح رايس: 186، 210.

ع

- عبد القادر (الأمير):5، 59، 138، 218، 219.
- عروج: 6، 30، 34، 77، 78، 79، 83، 92، 93، 138، 139، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 163، 186.
- علج علي: 134، 153، 165، 166، 179، 187.
- عمر باشا: 157، 158، 159، 171.

غ

- غرامون:-200، 198، 176، 142، 6- De Grammont.

ف

- فنتور دي بارادي:-181، 81، 80، 43، 33 – Venture de paradis.
- فيرو:-211، 209، 126، 60، 6 - Féraud.
- فيليب الثاني:- 68 - Philippe II.

ك

- كاثكارت:-188، 154، 134، 112، 101، 80- Cathcart.

ل

- لويس الرابع عشر:-213، 198، 149، 109- Louis XIV.

م

- محمد بن عثمان باشا (الداي): 98، 104، 105، 106، 116، 167، 168، 169،185، 202.
- محمد الكبير (الباي): 71، 107، 108، 109،131.
- محمود الثاني (السلطان): 159، 215.
- المدني (أحمد توفيق): 105.
- مصطفى باشا (الداي): 40، 128، 170.

ن

- نابليون: -189- Napoléon.

هـ

- هايدو:-208، 207، 187، 183، 163، 155، 151، 143، 83، 79، 69، 61، 32، 6- Haedo.

و

- الورثيلاني: 208.

فهـــــرس الأماكـــن

أ

- أسبانيا: 13، 27، 38، 43، 47، 53، 60، 64، 65، 66، 68، 69، 71، 76، 83، 86، 98، 103، 104، 108، 109، 137، 163، 164، 167، 168، 174، 175، 186، 187، 198، 213.
- ألمانيا: 5، 53.
- إفريقيا (قارة): 6، 34، 36، 43، 49، 51، 52، 66، 88، 96، 139، 162.
- إنجلترا: 27، 31، 60، 63، 76، 81، 88، 157، 158، 175، 182، 192، 193، 194، 198، 201.
- إيطاليا: 53، 60، 76، 143، 166، 182، 196.
- الأندلس: 3، 18، 20، 21، 35، 42، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 89، 126، 137، 140، 142.
- أوربا (القارة): 3، 7، 14، 19، 20، 30، 31، 37، 38، 53، 68، 72، 76، 80، 87، 123، 140، 141، 147، 155، 157، 160، 161، 174، 183، 189، 192، 193، 195، 205، 218.

ب

- باريس: 110، 116، 170.
- بجاية:34، 44، 70، 71، 70، 73، 94، 95، 96، 124، 125، 126، 137، 138، 139، 143، 144، 152، 161، 164، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216.
- بسكرة: 132.
- البرتغال: 103، 197.
- البلقان: 40، 43.
- البندقية (مدينة، جمهورية): 39، 72، 110، 127، 150، 196، 198.
- بني يني: 73، 94، 131.

ت

- تركيا: 40، 43، 156، 171، 190، 203.
- تلمسان: 34، 70، 71، 72، 78، 79، 89، 94، 131، 132، 137، 146، 161، 163، 166، 218.
- تنس: 69، 70، 77، 83، 96، 139، 161.
- توقرت: 36، 88.
- تونس (بلاد): 73، 88، 104، 123، 138، 163.
- تونس (مدينة):5، 67، 92، 104، 137، 142، 143، 144، 145، 163، 186، 203.

ج
- جيجل: 96، 138، 144، 145، 146، 160، 174، 186، 206، 209، 210، 211، 213.

د
- الدانمرك: 168، 192، 197، 198، 199، 200، 201.

ر
- روسيا: 190، 198.
- روما: 195.

س
- سطيف: 96، 124، 208.
- السودان (بلاد): 36، 42، 49، 50، 51، 88، 133.
- السويد:24، 192، 193، 197، 198، 201.

ش
- شرشال: 69، 70، 95، 139، 145، 146، 152، 154، 160، 163، 174، 181، 184، 207، 208.

ص
- صقلية: 167.
- الصين: 12، 27.

ط
- طرابلس: 49، 137، 158، 165، 166.
- الطوارق (قبائل): 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 133.

ع
- عنابة: 35 ، 36، 70 ،95 ،96 ،139 ،165 ،213.

غ
- غرناطة: 19، 27، 65، 66، 68، 77، 103، 104، 142، 163.

ف
- فارس: 42.
- فاس (مدينة): 32، 34، 187.
- فرنسا: 10، 27، 39، 54، 63، 81، 82، 84، 86، 88، 98، 111، 113، 114، 115، 117، 118، 141، 176، 183، 190، 192، 193، 197، 198، 199، 201، 206، 213، 219.
- فليسة (قبائل): 36، 39، 40، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 73.

ق
- القالة: 5، 96، 165، 206، 213.
- القبائل (منطقة): 36، 38، 40، 43، 45، 47، 72، 73، 75، 83، 94، 95، 96، 125، 130، 131، 132، 154، 206، 209، 211.
- قرطبة: 38، 66.
- قسنطينة: 4، 5، 36، 38، 59، 60، 70، 75، 76، 88، 96، 130، 131، 209.
- القل (مدينة): 5، 44، 96، 207، 213.
- قلعة بني راشد: 71، 72، 73.
- قلعة بني عباس: 73، 126، 208.

ل
- لبنان: 38.
- ليفورنو: 192.
م
- مراكش: 104، 126.
- مرسى الكبير: 92، 137، 140، 161، 162.
- مرسيليا: 114، 115، 141، 171، 176، 193، 194، 196.
- مستغانم: 69، 70، 71، 72، 131، 132، 140.
- مصر: 13، 14، 43، 49.
- معسكر: 71، 72، 107، 108، 109، 218.
- المغرب الأقصى: 43، 50، 92، 104، 123، 137، 158.
ن
- النرويج: 198.

هـ
- هامبورغ (جمهورية): 201.
- الهقار (منطقة): 49، 50، 52.
- الهند: 12، 27، 42، 66، 175.
- هنين: 70، 98، 140، 161.
- هولندا: 158، 182، 192، 193، 196، 197، 198، 199.

و
- ورقلة: 36، 37، 51، 88، 133.
- الولايات المتحدة الأمريكية: 197.
- وهران: 35، 70، 71، 72، 78، 86، 91، 106، 107، 108، 109، 131، 132، 137، 140، 161، 162، 163، 164، 187، 217.

فهـــــرس المـــوضوعات

مقدمة:..... ص 2
مدخل:.....12
1- نبذة عن تاريخ المعادن.....12
2- الصناعة العسكرية قبل العهد العثماني..... 14
3- تطور الأسلحة.....20
القسم الأول: صناعة الأسلحة.....28

الفصل الأول: صناعة الأسلحة البيضاء.....30
1- في مدينة الجزائر
2- في باقي مناطق الوطن
3- أنواع السيوف:
أ- البطغان
ب- الشمشير
ج- القلج
د- سيوف فليسة
ر- أسلحة الطوارق
الفصل الثاني: صناعة الأسلحة النارية.....56
1- الأسلحة النارية الخفيفة:.....57
أ- الأهمية
ب- هيئات صناع الأسلحة النارية الخفيفة
ج- الأندلسيون
د- صناعة الأسلحة النارية الخفيفة في باقي مناطق الوطن
ر- نوعية الأسلحة
ز- الطّابع التّجاري للأسلحة النّارية الخفيفة
2- المدافع:.....91
أ- المرحلة الانتقالية
ب- المعادن
ج- مصنع سبك المدافع (دار الصناعة)
د- طريقة الصناعة
ر- بعض إسهامات صناعة المدافع
ز- المدافع الشهيرة
3- الذخيرة.....120
أ- الذخيرة.....120
في مدينة الجزائر
في منطقة الفبائل
ب- البارود:
مصنع قصبة الجزائر، مصنع باب الوادي
البارود في المناطق الأخرى من الجزائر
القسم الثاني: صناعة السفن الحربي.....
135 الفصل الأول: بناء السفن: دار
الصناعة.....136
أ- الجهاد البحري
ب- أعمال خير الدين البحرية
ج- دار الصناعة بالجزائر: الترسانة
د- الصناعة البحرية العسكرية في المناطق الأخرى من الجزائر
ر- الإنجازات البحرية لبعض الدايات
ز- آثار هجوم اللورد إكسموث البحري على الجزائر سنة 1816م
الفصل الثاني: السفن الحربية:.....
173
أ- أنواعها:(شباك، غالية، فرقاطة، غليوطة..(.....
174

ب- مساهمة سيمون دانسر
ج- تعداد الأسطول الجزائري
الفصل الثالث: تموين الصناعة البحرية بالعتاد..... 192
الفصل الرابع: استغلال الخشب: الكراستة..... 205
خاتمة..... 217
الملاحق:..... 220
قائمة المصادر و المراجع..... 221
قائمة المصطلحات..... 232
فهرس الأشكال والصور والخرائط..... 232
فهرس الأعلام..... 270
فهرس الأماكن و البلدان..... 273
فهرس الموضوعات..... 277

كلمة شكـــــر وتقديـــــر

الحمد الله تعالى أن وفّقني لإتمام هذا العمل، لعونه ولتيسير أمره، له جزيل الشكر وخالص الثناء.

ولا يسعني أن أُقدم شكري وعرفاني للأستاذ المشرف المؤطر الدكتور مختار حساني لإرشاداته وتوجيهاته القيِّمة، وما بذله من وقت وجهد لتزويد وإثراء موضوع الرسالة، أرجو الله تعالى أن يبقيه ذُخراً للعلم ولأهله.

وأنوّه أيضاً بفضل جميع الأساتذة الأجلاء الذين زوّدونا بالعلم والمعرفة في إطار تخصص التاريخ الحديث.

كما أسوق كلمات الشكر والعرفان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد للوصول إلى إخراج هذا العمل، وأَخُصُّ بالذكر القادة المسئولين في وزارة الدفاع الوطني، ومدير المتحف المركزي للجيش المقدم بوراوية سراي نصر الدين الذي وفَّرَ لي الإطار المناسب والجو الملائم من النُّصح والتشجيع إلى المساعدة المادية. وكذا الزملاء، رفاق الدرب في الجامعة أو في المتحف، أعبرُ لهم بالتقدير والاعتراف بالجميل لإسداء العون المادي والمعنوي طيلة مدة الدراسة والبحث.

الإهـــــــداء

قال تعالى: " ووصّينا الإنسانَ بِوالدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ وفِصالُهُ في عامَيْن أنِ اشْكُرْ لي وَلِوالِدَيْكَ إليَّ الْمَصيرُ."

(سورة لُقمان، الآية 14)

إعترافاً بفضل أمي وأبي عليَّ، أُهدي هذا البحث إلى أرواحهما هناك عند الله، فَرَبِّ ارْحَمْهُما كما رَبّياني صغيرا.

وإلى كل من ساهم في إنجازه بكل تفان وإخلاص، زوجتي وأولادي منبع إلهامي ومصدر همتي،

وأعضاء أسرتي الكبيرة من إخوة وأخوات وجميع الأصدقاء والزملاء.

قائـــمة المختـــصرات
Liste des abréviations

- **خ**: الخريطة
- **ش.و.ن. ت**: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- **ش**: الشكل.
- **م**: ميلادي.
- هـ:هجري.

- **ANEP** : Agence Nationale d'Edition et de Publication.
- **BNA** : Bibliothèque Nationale d'Algérie.
- **CNRS** : Centre National de la Recherche Scientifique.

- **Ed.**: Editions.
- **ENAL** : Entreprise Nationale du Livre.
- **GAL** : Grand-Alger Livre.
- **OPU** : Office des Publications Universitaires.
- **R.A**: Revue Africaine.
- **R.H.M**.: Revue Historique Maghrébine.
- **SNED** : Société Nationale d'Edition et de Diffusion.

بسم الله الرحمن الرحيم

الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني
1518 -1830

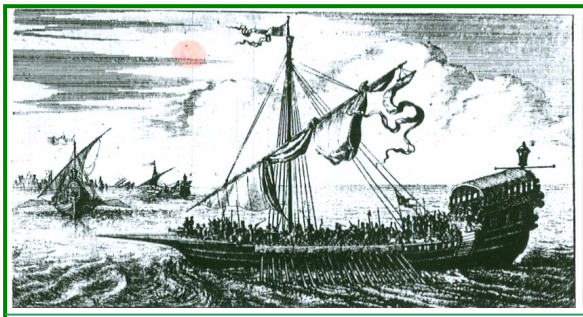

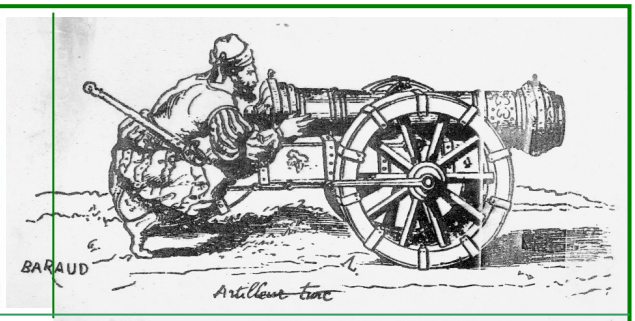
BARAUD
Artillerie turc

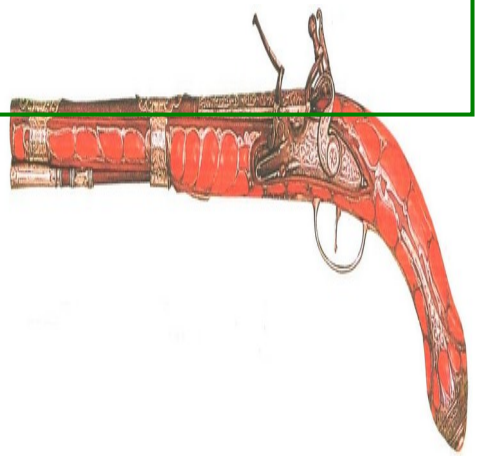

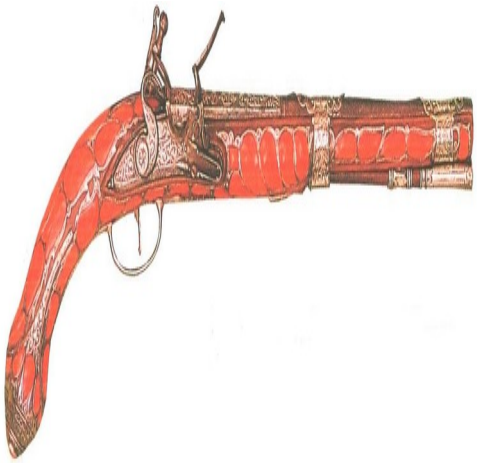

الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني
1518- 1830